
شرح المختصر
للتفتازاني
قم انتشارات كتبى نجفى

الجزء الأول من :

شرح المختصر

لسعد الدين التفتازانى
على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى
فى المعانى والبيان والبديع

وقد رتب طبعه وعلق حواشيه وزاد فى شواهده

عبد المتعال الصعيدى المدرس بالمعاهد الدينية

جعلنا متن التلخيص مضبوطا بأعلا كل صفحة

يطلب من

كتابفروشى كتبى نجفى

قم - گذرخان



ترجمة الخطيب القزوينى

هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر قاضى القضاة جلال الدين القزوينى ، قدم دمشق من بلاده هو وأخوه قاضى القضاة إمام الدين ، وأعاد بالمدرسة البدرانية ، ثم ناب فى القضاء بدمشق عن أخيه ، ثم عن قاضى القضاة نجم الدين ابن صصرى ، ثم ولى خطابة دمشق ، ثم قضاء القضاة بها ، ثم انتقل إلى قضاء القضاة بالديار المصرية ، لما أضر القاضى بدر الدين بن جماعة ، فأقام بها مدة ثم صرف عنها وأعيد إلى قضاء دمشق .

وكان عالما فاضلا متفننا ، له مكارم وسودد ، وكان يذكر أنه من نسل أبى دلف العجلى ، وهو القاسم بن عيسى أحد قواد المأمون ثم المعتصم بعده ، وكان أبو دلف كريما شجاعا ذا وقائع مشهورة ، وصنائع مأثورة ، وله صنعة فى الغناء ، وله من الكتب كتاب البزاة والصيد ، وكتاب السلاح وغيرهما ، وكانت وفاته سنة ست وعشرين ومائتين .

وكان الخطيب القزوينى مع اشتغاله بالقضاء والفتيا يشتغل بعلوم الأدب وقد حاز فيها شهرة عظيمة بكتابيه : (تلخيص المفتاح) فى المعانى والبيان والبديع (والايضاح) [1] وهو كالشرح للتلخيص ـ وكانت وفاته بدمشق سنة تسع وثلاثين وسبعمائة .

---

(١) الايضاح للخطيب القزويني هو من أجل الكتب نفعاً وقد طبعته المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر طبعة جيدة على ورق مصقول وقد قمنا بشرحه شرحا وافيا ويقع فى أربعة أجزاء من هذا الطبع ويطلب من جميع المكاتب .

ترجمة سعد الدين التفتازانى

هو مسعود بن عمر بن عبد الله الشيخ سعد الدين التفتازانى ، الامام العلامة عالم بالنحو والتصريف والمعانى والبيان والأصول والكلام ، والمنطق والفلسفة وغير ذلك من العلوم .

ذكر ابن حجر العسقلانى أنه ولد سنة ثنتى عشرة وسبعمائة ، وأخذ عن القطب والعضد ، وتقدم فى الفنون ، واشتهر ذكره ، وطار صيته ، وانتفع الناس بتصانيفه .

وله من التصانيف شرح العضد ، وشرحا التلخيص المطول والمختصر ، وشرح القسم الثالث من المفتاح ، والتلويح على التنقيح فى أصول الفقه ، وشرح العقائد النسفية فى علم الكلام ، والمقاصد فى علم الكلام أيضاً ، وشرح الشمسية فى المنطق ، وشرح تصريف العزى ، والارشاد فى النحو ، وحاشية على الكشاف لم تتم ، وغير ذلك من الكتب .

وكان السعد يدرس بسمرقند وغيرها من بلاد المشرق ، وقد انتهت اليه معرفة العلوم فى هذه البلاد ، ومع هذا كان فى لسانه لكنة تعجزه أحيانا فى المناظرة ، وقد مات بسمرقند سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .



نحمدك يامن شرح صدورنا لتلخيص البيان فى إيضاح المعانى ، ونور قلوبنا بلوامع التبيان من مطالع المثانى ، ونصلى على نبيك محمد المؤيد دلائل إعجازه بأسرار البلاغة وعلى آله وأصحابه المحرزين قصبات السبق فى مضمار الفصاحة والبراعة (وبعد) فيقول الفقير إلى الله الغنى ، مسعود بن عمر المدعو بسعد التفتازانى ، هداه الله سواء الطريق وأذاقه حلاوة التحقيق : قد شرحت فيما مضى تلخيص المفتاح ، وأغنيته بالاصباح (١) عن المصباح ، وأودعته غرائب نكت سمحت بها الأنظار ، ووشحته بلطائف فقر سبكتها يد الأفكار ، ثم رأيت الجم الكثير من الفضلاء ، والجم الغفير من الأذكياء يسألونى صرف الهمة نحو اختصاره ، والاقتصار على بيان معانيه وكشف أستاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد فانه لما أعيد تدريس شرح السعد على متن التلخيص فى المعاهد الدينية ، توجهت نفسى إلى إبرازه فى حلة قشيبة تقربه إلى نفوس الطلاب ، وتجعلهم يقبلون على مطالعته والاستفادة منه ، فعنيت بطبعه وترتيبه وتنظيمه ، ووضعت عليه تعليقات اخترتها من بين ما وضع عليه من التعليقات الكثيرة ، وسلكت فيها سبيل الايجاز حتى لا تبعث الملل فى نفوس الطلاب ، وعنيت بما تجب العناية به من إيراد الشواهد الشعرية والنثرية ليكون ذلك أقرب إلى إفادة الطالب ، وأدنى إلى تحقيق ثمرة هذه العلوم .

---

(١) الاصباح الدخول فى وقت الصباح وقد أراد به لازمه وهو الصبح ثم استعاره لشرحه كما استعار المصباح لشرح غيره ، ويقصد بذلك تفضيل شرحه .

لما شاهدوا من أن المحصلين قد تقاصرت هممهم عن استطلاع طوالع أنواره، وتقاعدت عزائمهم عن استكشاف خبيئات أسرا ه، وأن المتحلين قد قلبوا أحداق الأخذ والانتهاب، ومدوا أعناق المسخ على ذلك الكتاب، وكنت أضرب عن هذا الخطب صفحا، وأطوي دون مرامهم كشحا، علما منى بأن مستحسن الطبائع بأسرها، ومقبول الأسماع عن آخرها، أمر لا تسعه مقدرة البشر، وإنما هو شأن خالق القوى والقدر، وأن هذا الفن قد نضب اليوم ماؤه فصار جدالا بلا أثر، وذهب رواؤه فعاد خلافا بلا ثمر. حتى طارت بقية آثار السلف أدراج الرياح، وسالت بأعناق مطايا تلك الأحاديث البطاح، وأما الأخذ والانتهاب فأمر يرتاح له اللبيب، وللأرض من كأس الكرام نصيب، وكيف ينهر عن الأنهار السائلون، ولمثل هذا فليعمل العاملون، ثم مازادتهم مدافعتى إلا شغفا وغراما، وظمأ فى هواجر الطلب وأُوَاما، فانتصبت لشرح الكتاب على وفق مقترحهم ثانيا (١)، ولعنان العناية نحو اختصار الأول ثانيا مع جمود القريحة بِصِرِّ البليات، وخمود الفطنة بِصَرْصَرِ النكبات، وترامى البلدان بى والأقطار، ونُبُوِّ الأوطان عنى والأوطار، حتى طفقت أجوب كل أغبر قاتم الأرجاء وأحرر كل سطر منه فى شطر من الغبراء.

يومًا بِحُزْوَى ويومًا بالْعَقِيق وبالْـ عُذَيْبِ يوماً ويوماً بالْخُلَيْصَاء (٢)

* * *

ولما وفقت بعون الله تعالى للاتمام، وقوضت عنه خيام الاختتام، بعد ما كشفت عن وجوه خرائده اللثام، ووضعت كنوز فرائده على طرف الثمام.

سعد الزمان وساعد الاقبال ودنا المنى وأجابت الآمال

وتبسم فى وجه رجائي الْمَطَالِبُ، بأن توجهت تلقاء مدين المآرب، حضرة من أنام

(١) ثانيا هنا صفة لمصدر محذوف أى انتصابا ثانيا، وفيما بعده اسم فاعل من ثنى بمعنى صرف (٢) حزوى والعقيق والعذيب والخليصاء مواضع بالحجاز، ويريد الشارح تشبيه حاله بحال هذا الشاعر وأنه ألف هذا الشرح فى حال متعبة.

الأنام فى ظل الأمان ، وأفاض عليهم سِجَالَ العدل والاحسان ، ورَدَّ بسياسته الغِرَارَ إلى الأجفان ، وسد بهيبته دون يأجوجِ الفتنة طرق العدوان ، وأعاد رميم الفضائل والكمالات منشورا ، ووَقَّعَ بأقلام الخَطِّياتِ (١) على صحائف الصفائح لنصرة الاسلام منشورا ، وهو السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم ، ملاذ سلاطين العرب والعجم ، ملجأ صناديد ملوك العالم ، ظل الله على بريته ، وخليفته فى خليقته ، حافظ البلاد ، ناصر العباد ، ماحى ظُلَمِ الظُّلْمِ والعناد ، رافع منار الشريعة النبوية ، ناصب رايات العلوم الدينية ، خافض جناح الرحمة لأهل الحق واليقين ، مَادُّ سرادق الأمن بالنصر العزيز والفتح المبين .

كهفُ الانام مَلَاذُ الخلق قاطبةً ظِلُّ الاله جلالُ الحقِّ والدِّينِ

ابو المظفر السلطان محمود جاني بك خان ، خلد الله سرادق عظمته وجلاله ، وأدام رُوَاءَ نعيم الآمال من سِجَال إفضاله .

فحاولت بهذا الكتاب التشبث بأذيال الاقبال ، والاستظلال بظلال الرأفة والافضال ، فجعلته خدمة لسدته التى هى ملتثم شفاه الأقيال ، ومُعَوَّل رجاء الآمال ومُبَوَّأ العظمة والجلال ، لا زالت مَحَطَّ رحال الأفاضل ، وملاذ أرباب الفضائل ، وعون الاسلام ، وغوث الأنام ، بالنبى وآله عليه وعليهم الصلاة والسلام ، فجاء بحمد الله كما يروق النواظر ، ويجلو صدأ الأذهان ، ويرهف البصائر ويضىء ألباب أرباب البيان ، ومن الله التوفيق والهداية ، وعليه التوكل فى البداية والنهاية ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

---

(١) الخطيات الرماح الخطية نسبة إلى الخط وهي البلد التى تصنع فيها ، والصفائح السيوف والمراد بها سيوف أعداء الاسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ ، وَعَلَّمَ مِنَ الْبَيَانِ مَالَمْ نَعْلَمْ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ نَطَقَ بِالصَّوَابِ ، وَأَفْضَلِ مَنْ أُوتِيَ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ،

[بسم الله الرحمن الرحيم الحمد] هو الثناء باللسان على قصد التعظيم سواء تعلق بالنعمة أو بغيرها ، والشكر فعل ينبيء عن تعظيم المنعم لكونه منعما سواء كان باللسان أو بالجنان أو بالأركان ، فمورد الحمد لا يكون إلا اللسان ، ومُتَعَلَّقه يكون النعمة وغيرها ، ومُتَعَلَّق الشكر لا يكون إلا النعمة ، ومورده يكون اللسان وغيره ، فالحمد أعم من الشكر باعتبار المتعلق ، وأخص باعتبار المورد ، والشكر بالعكس [لله] هو اسم للذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد ، والعدول إلى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والثبات ، وتقديم الحمد باعتبار أنه أهم نظرا إلى كون المقام مقام الحمد ، كما ذهب اليه صاحب الكشاف فى تقديم الفعل فى قوله تعالى (إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) على ما سيجيء بيانه ، وإن كان ذكر الله أهم نظرا إلى ذاته [على ما أنعم] أى على إنعامه ، ولم يتعرض للمنعم به إيهاما لقصور العبارة عن الاحاطة به ، ولئلا يتوهم اختصاصه بشيء دون شيء [وعلم] من عطف الخاص على العام رعاية لبراعة (١) الاستهلال ، وتنبيها على فضيلة نعمة البيان [من البيان] بيان لقوله [مالم نعلم] قُدِّم رعاية للسجع ، والبيان هو المنطق الفصيح المُعْرِب عما فى الضمير [والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من نطق بالصواب وأفضل من أوتى الحكمة] هى علم الشرائع وكل كلام وافق الحق ، وترك فاعل الايتاء لأن هذا الفعل لايصلح إلا لله تعالى [وفصل الخطاب]

---

(١) براعة الاستهلال هى أن يأتى فى أول المقصود بما يشعر به .

وَعَلَى آلِهِ الأَطْهَارِ ، وَصَحَابَتِهِ الأَخْيَارِ :

(أَمَّا بَعْـدُ) : فَلَمَّا كَانَ عِلْمُ الْبَلَاغَةِ وَتَوَابِعِهَا مِنْ أَجَلِّ الْعُلُومِ قَدْراً ، وَأَدَقِّهَا سِرًّا ، إِذْ بِهِ تُعْرَفُ دَقَائِقُ الْعَرَبِيَّـةِ وَأَسْرَارُهَا ، وَتُـكْشَفُ عَنْ وُجُوهِ الإِعْجَازِ فِى نَظْمِ الْقُرْآنِ أَسْتَارُهَا ،

أى الخطاب المفصول الْبَيِّنِ الذي يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليـه ، أو الخطاب الفاصل بين الحق والباطل [وعلى آله] أصله أهل بدليل أهيل ، خص استعماله فى الأشراف وأولى الخَطَر [الأطهار] جمع طاهر كصاحب وأصحاب [وصحابته الأخيار] جمع خَيِّر بالتشديد .

[أما بعد] : هو من الظروف المبنية المنقطعة عن الاضافة أى بعد الحمد والصلاة والعامل فيه أما لنيابتها عن الفعل ، والأصل مهما يكن من شيء بعد الحمد والصلاة ، ومهما هنا مبتدأ والاسمية لازمة للمبتدإ ، ويكن شرط ، والفاء لازمة (١) له غالبا ، فحين تضمنت أما معنى الابتداء والشرط لزمتها الفاء ولصوق الاسم ، إقامة للازم مقام الملزوم وإبقاء لأثره فى الجملة [فلما] هو ظرف بمعنى (٢) إذ ، يستعمل استعمال الشرط ، ويليه فعل ماض لفظا أو معنى [كان علم البلاغة] هو المعانى والبيان [و] علم [توابعها] هو البديع [من أجل العلوم قدراً ، وأدقها سرا إذ به] أي بعلم البلاغة وتوابعها لا بغيره من العلوم كاللغة والصرف والنحو [تعرف دقائق العربية وأسرارها] فيكون من أدق العلوم سراً [وتـكشف عن وجوه الاعجاز فى نظم القرآن أستارها] أى به يعرف أن القرآن معجز ، لكونه فى أعلى مراتب البلاغة ، لاشتماله على الدقائق والأسرار والخواص الخارجة عن طوق البشر ، وهذا وسيلة إلى تصديق النبي عليه السلام ، وهو وسـيلة إلى الفوز بجميع السعادات ، فيكون من أجل العلوم ، لـكون معلومه وغايتـه

---

(١) لازمة له أى لجوابه (٢) إذ ظرف لما مضى من الزمان .

وَكَانَ الْقِسمُ الثالثُ مِنْ مِفْتاحِ الْعُلومِ الذى صَنَّفَهُ الفاضلُ الْعَلاَّمَةُ أَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ السكاكِى أَعْظَمَ ما صُنِّفَ فيه مِنَ الْكُتُبِ الْمَشْهُورَةِ نَفْعاً ، لِكَوْنِه أَحْسَنَها تَرْتِيبًا ، وَأَتَمَّها تحْرِيراً ، وَأَكْثَرَها للأُصُولِ جَمْعاً، وَلٰكِنْ كانَ غيرَ مَصُونٍ عَنِ الْحَشْوِ

من أجل المعلومات والغايات ، وتشبيه وجوه الأعجاز بالأشياء المحتجبة تحت الأستار استعارة بالكناية ، وإثبات الأستار لها استعارة تخييلية ، وذكر الوجوه إيهام ، أو تشبيه الاعجاز بالصور الحسنة استعارة بالكناية وإثبات الوجوه استعارة تخييلية ، وذكر الأستار ترشيح ، ونظم القرآن تأليف كلماته مترتبة المعاني متناسقة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل ، لا تواليها فى النطق وضم بعضها إلى بعض كيفما اتفق [وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذى صنفه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكى (١) أعظم ما صنف فيه] أى فى علم البلاغة وتوابعها [من الكتب المشهورة] بيان لما صنف [نفعا] تمييز من أعظم [لكونه] أى القسم الثالث [أحسنها] أى أحسن الكتب المشهورة [ترتيبا] هو وضع كل شيء فى مرتبته [و] لكونه [أتمها تحريراً] هوتهذيب الكلام [وأكثرها]أىأكثرالكتب[للأصول] هو متعلق بمحذوف يفسره قوله [جمعا] لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه ، والحق جواز ذلك فى الظروف لأنها مما يكفيه رائحة من الفعل .

[ولكن كان] أىالقسمالثالث [غيرمصون] أى غيرمحفوظ [عنالحشو] وهوالزائد

---

(١) هو يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على السكاكى الخوارزمى ، كان إماما فى النحو والتصريف والمعانى والبيان والاستدلال والعروض والشعر وسائر الفنون وقد جمع فى كتابه (مفتاح العلوم) اثنى عشر علما من علوم العربية ، وكانت وفاته بخوارزم سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وَالتَّطْوِيلِ وَالتَّعْقِيد ، قابلاً للاختصار وَمُفْتقراً الى الايضاحِ وَالتَّجْرِيد ، أَلَّفْتُ مُخْتَصَرًا يتضمنُ مافيه منَ القَوَاعِد، وَيَشْتَمِلُ عَلَى مَا يُحْتَاجُ إِلَيه مِنَ الأَمْثِلَة وَالشَّوَاهد ، وَلَمْ آلُ جُهْدًا فِي تَحْقِيقه وَتَهْذِيبه، وَرَتَّبْتُه تَرْتِيباً أَقْرَبَ تَنَاوُلاً مِنْ تَرْتِيبه ، وَلَمْ أُبَالِغْ فِي اخْتِصَارِ لَفْظِه تَقْرِيباً لِتَعَاطِيه، وَطَلَباً لِتَسْهِيلِ فَهْمِه عَلَى طَالِبِيه ، وَأَضَفْتُ الى ذَلِكَ

المستغنى عنه [والتطويل] وهو الزيادة على أصل المراد بلا فائدة ، وستعرف الفرق بينهما في باب الاطناب [والتعقيد] وهو كون الكلام مغلقا لا يظهر معناه بسهولة [قابلا] خبر بعد خبر أى كان قابلا [للاختصار] لما فيه من التطويل [مفتقرا] أى محتاجا [إلى الايضاح] لما فيه من التعقيد [و] إلى [التجريد] عما فيه من الحشو [ألفت] جواب لما [مختصرا يتضمن مافيه] أي فى القسم الثالث [من القواعد] جمع قاعدة وهى : حكم كلى ينطبق على جميع جزئياته ليتعرف أحكامها منه ، كقولنا كل حكم منكر يجب توكيده [ويشتمل على ما يحتاج اليه من الأمثلة] وهي الجزئيات المذكورة لايضاح القواعد [والشواهد] وهى الجزئيات المذكورة لاثبات القواعد فهى أخص من الأمثلة [ولم آل] من الألو وهو التقصير [جهدا] أى اجتهادا ، وقد استعمل الألو فى قولهم لا آلوك جهداً متعديا إلى مفعولين ، وحذف هنا المفعول الأول . والمعنى لم أمنعك جهدا [فى تحقيقه] أى المختصر، يعنى فى تحقيق ماذكر فيه من الأبحاث [وتهذيبه] أى تنقيحه [ورتبته] أى المختصر [ترتيبا أقرب تناولا] أى أخذا [من ترتيبه] اى من ترتيب السكاكى أو القسم الثالث، إضافة للمصدر إلى الفاعل أو المفعول [ولم أبالغ فى اختصار لفظه تقريبا] مفعول له ، لما تضمنه معنى لم أبالغ ، أي تركت المبالغة فى الاختصار تقريبا [لتعاطيه] أى تناوله [وطلبا لتسهيل فهمه على طالبيه] والضمائر للمختصر ، وفى وصف مؤلفه بأنه مختصر منقح سهل المأخذ تعريض بأنه لاتطويل فيه ولاحشو ولاتعقيد كما فى القسم الثالث [وأضفت إلى ذلك] المذكور

فَوَائدَ عَثَرْتُ فى بَعْضِ كُتُبِ الْقَوْمِ عَلَيْهَا ، وَزَوَائدَ لَمْ أَظْفَرْ فى كَلَامِ أَحَدٍ بالتَّصْرِيحِ بِهَا وَلَا الاشَارَةِ إِلَيْهَا ، وَسَمَّيْتُهُ (تَلْخِيصَ المفتَاح) وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ أَنْ يَنْفعَ بِهِ كَما نَفَعَ بِأَصلِه ، إنّه وَلِيُّ ذَلِكَ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعمَ الْوَكِيلُ .

من القواعد وغيرها [فوائد عثرت] أى اطلعت [فى بعض كتب القوم عليها] أي على تلك الفوائد [وزوائد لم أظفر] أى لم أفز [فى كلام أحد بالتصريح بها] أى بتلك الزوائد [ولا الاشارة اليها] بأن يكون كلامهم على وجه يمكن تحصيلها منه بالتبعية وإن لم يقصدوها [وسميته تلخيص المفتاح] ليطابق اسمه معناه [وأنا أسأل الله تعالى] قدم المسند اليه قصدا إلى جعل الواو للحال [من فضله] حال من [أن ينفع به] أى بهذا المختصر [كما نفع بأصله] وهو المفتاح أو القسم الثالث منه [إنه] أى الله [ولي ذلك] النفع [وهو حسبي] (١) أى محسبي وكافي [ونعم الوكيل] عطف إما على جملة هو حسبي والمخصوص محذوف (٢) ، وإما على حسبي أى وهو نعم الوكيل ، فالمخصوص هو الضمير المتقدم على ما صرح به صاحب المفتاح وغيره فى نحو زيد نعم الرجل ، وعلى كلا التقديرين قد يلزم عطف الانشاء على الاخبار .

مقدمة

رتب المختصر على مقدمة وثلاثة فنون ، لأن المذكور فيه إما أن يكون من قبيل المقاصد فى هذا الفن أولا ، الثانى المقدمة ، والأول إن كان الغرض منه الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد فهو الفن الأول ، وإلافان كان الغرض منه الاحتراز

---

(١) يشير إلى أن حسب اسم فاعل لا اسم فعل على الصحيح ، وهو فى الأصل اسم مصدر بمعنى الكفاية ، ثم استعمل اسم فاعل على أنه صفة فى مثل قولك مررت برجل حسبك من رجل ، أو على أنه غير تابع لموصوف فى مثل قولك بحسبك درهم .

(٢) والتقدير ونعم الوكيل الله .

مُقَدِّمَةٌ

(الْفَصَاحَةُ) : يُوصَفُ بِهَا الْمُفْرَدُ وَالْكَلَامُ

عن التعقيد المعنوى فهو الفن الثانى ، وإلا فهو الفن الثالث ، وَجَعْلُ الخاتمة خارجة عن الفن الثالث وَهَمٌ كما سنبين إن شاء الله تعالى .

ولما انجر كلامه فى آخر هذه المقدمة إلى انحصار المقصود فى الفنون الثلاثة ناسب ذكرها (١) بطريق التعريف العهدى بخلاف المقدمة ، فانها لا مقتضى لايرادها بلفظ المعرفة فى هـذا المقام ، والخلاف فى أن تنوينها للتعظيم أو للتقليل مما لا ينبغى أن يقع بين المحصلين .

والمقدمة : مأخوذة من مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منها ، من قدم بمعنى تقدم يقال مقدمة العلم لما يتوقف عليه الشروع فى مسائله ، ومقدمة الكتاب لطائفة من كلامه قدمت أمام المقصود لارتباط له بها وانتفاع بها فيه ، وهى ههنا لبيان معنى الفصاحة والبلاغة وانحصار علم البلاغة فى علمى المعانى والبيان ومايلائم ذلك ، ولا يخفى وجه ارتباط المقاصد بذلك (٢) والفرق بين مقدمة العلم ومقدمة الكتاب مما يخفى على كثير من الناس .

[الفصاحة] : وهى فى الاصل تنبىء عن الظهور والابانة [يوصف بها المفرد] مثل كلمةٌ فصيحةٌ [والكلام] مثل كلامٌ فصيحٌ وقصيدةٌ فصيحةٌ ، قيل المراد بالكلام ماليس بكلمة ليعم المركب الاسنادى وغيره ، فانه قد يكون بيت من القصيدة غير مشتمل على إسناد يصح السكوت عليه مع أنه يتصف بالفصاحة ، وفيه نظر لأنه إنما يصح ذلك لو أطلقوا على مثل هـذا المركب أنه كلام فصيح ، ولم ينقل عنهم ذلك ، واتصافه

---

(١) أى ذكر الفنون الثلاثة كما سيأتى فى قوله ـ الفن الأول علم المعانى .

(٢) وبهذا تكون هذه المقدمة مقدمة كتاب ومقدمة علم أيضا .

وَالْمُتَكَلِّمُ .

(وَالبَلَاغَةُ) : يُوصَفُ بِهَا الأَخِيرَانِ فَقَطْ .

فَالْفَصَاحَةُ فِى الْمُفْرَدِ خُلُوصُهُ مِنْ تَنَافُرِ الْحُرُوفِ وَالْغَرَابَةِ وَمُخَالَفَةِ الْقِيَاسِ .

بالفصاحة يجوز أن يكون باعتبار فصاحة المفردات ، على أن الحق أنه داخل في المفرد لأنه يقال على مايقابل المركب ، وعلى مايقابل المثنى والمجموع ، وعلى مايقابل الكلام ، ومقابلته بالكلام ههنا قرينة دالة على أنه أريد به المعنى الأخير ، أعنى ماليس بكلام [و] يوصف بها [المتكلم] أيضا يقال كاتبٌ فصيحٌ ، وشاعرٌ فصيحٌ [والبلاغة] وهي تنبىء عن الوصول والانتهاء [يوصف بها الأخيران فقط] أى الكلام والمتكلم دون المفرد ، إذ لم يسمع كلمة بليغة ، والتعليل بأن البلاغة إنما هى باعتبار المطابقة لمقتضى الحال وهى لا تتحقق في المفرد وَهْمٌ ، لأن ذلك إنما هو فى بلاغة الكلام والمتكلم ، وإنما قسم كلا من الفصاحة والبلاغة أوّلا ، لتعذر جمع المعانى المختلفة الغير المشتركة فى أمر يعمها فى تعريف واحد ، وهذا كما قسم ابن الحاجب المستثنى إلى متصل ومنقطع ، ثم عرف كلا منهما على حدة .

[فالفصاحة فى المفرد] قَدَّمَ الفصاحة على البلاغة لتوقف معرفة البلاغة على معرفة الفصاحة ، لكونها مأخوذة فى تعريفها ، ثم قدم فصاحة المفرد على فصاحة الكلام والمتكلم لتوقفهما عليها [خلوصه] أى خلوص المفرد [من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس] اللغوى أى المستنبط من استقراء اللغة ، وتفسير الفصاحة بالخلوص لا يخلو عن تسامح ، لأن الفصاحة تحصل عند الخلوص (١) .

---

(١) وحقيقة الفصاحة كون الكلمة جارية على القوانين المستنبطة من استقراء كلام العرب متناسبة الحروف ، كثيرة الاستعمال على ألسنة العرب الموثوق بعربيتهم .

فالتّنافرُ نحوُ :

« غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ الى الْعُلَى »

[فالتنافر] وصف فى الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها [نحو] مستشزرات فى قول امرىء القيس (١) [غدائره] أى ذوائبه جمع غَدِيرَة ، والضمير عائد إلى الفرع في البيت السابق (٢) [مستشزرات] أى مرتفعات أو مرفوعات (٣) يقال استشزره أى رفعه واستشزر أى ارتفع [إلى العلى] :

« تَضِلُّ الْعِقَاصُ في مُثَنًّى ومُرْسَلِ »

تضل أى تغيب ، العقاص جمع عَقِيصَة وهى الخصلة المجموعة من الشعر ، والمثنى المفتول ، يعنى أن ذوائبه مشدودة على الرأس بخيوط ، وأن شعره ينقسم إلى عقاص ومثنى ومرسل ، والأول يغيب فى الاخيرين ، والغرض بيان كثرة الشعر .

والضابط ههنا أن كل ما يعده الذوق الصحيح ثقيلا متعسر النطق به فهو متنافر سواء كان من قُرْبِ المخارج أو بعدها أو غير ذلك (٤) على ما صرح به ابن الأثير

---

(١) هو امرؤ القيس بن حجر من شعراء الجاهلية .

(٢) وهو قوله :

وفَرْعٍ يزين المتن أسودَ فاحمٍ أَثِيثٍ كَقِنْوِ النخلة الْمُتَعَثْكِلِ

والفرع الشعر ، والفاحم الشديد السواد ، والأثيث الغزير ، والمتعثكل ذو العثاكيل وهى فى النخيل كالعناقيد فى الأعناب (٣) فهو اما اسم فاعل بكسر الزاى واما اسم مفعول بفتحها ، والأول من استشزر بمعنى ارتفع ، والثانى من استشزره بمعنى رفعه (٤) كوقوع حرف بين حرفين مضاد لكل واحد منهما بصفة ، وهذا مثل وقوع الشين بين التاء والزاي فى (مستشزرات) فالشين من المهموسة الرخوة ، والتاء من المهموسة الشديدة ، والزاى من المجهورة ، ومثال التنافر لتباعد الحروف نحو (مَلَعَ) اذا أسرع ، ومثال التنافر لقرب المخارج نحو (مستشزرات) فحروفها متقاربة

فى المثل السائر ، وزعم بعضهم أن منشأ الثقل فى مستشزرات هو توسط الشين المعجمة التى هى من المهموسة الرخوة ، بين التاء التى هى من المهموسة الشديدة ، وبين الزاي المعجمة التى هى من المجهورة ، ولو قال مستَشْرِفٌ لزال ذلك الثقل ، وفيه نظر لأن الراء المهملة أيضاً من المجهورة ، وقيل إن قرب المخارج سبب للثقل المخل بالفصاحة وإن فى قوله تعالى : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ) ثقلا قريبا من المتناهى ، فيخل بفصاحة الكلمة لكن الكلام الطويل المشتمل على كلمة غير فصيحة لايخرج عن الفصاحة ، كما لايخرج الكلام الطويل المشتمل على كلمة غير عربية عن أن يكون عربيا ، وفيه نظر لأن فصاحة الكلمات مأخوذة فى تعريف فصاحة الكلام من غير تفرقة بين طويل وقصير على أن هذا القائل فسر الكلام بما ليس بكلمة ، والقياس على الكلام العربي ظاهر الفساد ، ولو سلم عدم خروج السورة عن الفصاحة فمجرد اشتمال القرآن على كلام

أيضا ، وقد يحصل تباعد المخارج بدون تنافر ، نحو (عَلِمَ) فهى مركبة من حروف (ملع) وقد يحصل قرب المخارج بدون تنافر ، نحو لفظ الشجر والجيش وغيرهما ، فالمعول فى ذلك على الذوق وحده .

تطبيقات على التنافر فى الكلمة :

(١) كأنها الطُّخْرُورُ باغِي آبِقِ ... يأكل من نبتٍ قصيرٍ لاصقِ

(٢) قد قلتُ لما اطْلَخَمَّ الأَمْرُ وانبعثتْ ... عَشْواءُ تاليةً غُبْسًا دَهارِيسَا

فالطخرور فى بيت المتنبى متنافر الحروف ، وهو المهر بضم الميم ، واطلخم فى بيت أبى تمام متنافر الحروف ، وهو بمعنى عظم واشتد .

أمثلة أخرى : كتب بعض الأمراء حين مرضت أمه رقاعا وطرحها فى المسجد الجامع ببغداد : صين أمرؤ ورُعِى ، دعا لامرأة إنْقَحْلَة مُقْسَئِنَّة ، قد منيت بأكل الطُّرْمُوق ، فأصابها من أجله الاستمصال ـ أن يمن الله عليها بالاطْرِغْشاش والابْرِغْشاش

وَالْغَرَابَةُ نَحْوُ :

* وفاحماً ومَرْسِناً مُسَرَّجاً *

أَىْ كالسَّيْفِ السُّرَيْجِيِّ فى الدِّقَّةِ وَالاُسْتِوَاءِ ، أَوْ كالسرَاجِ فى البَرِيقِ وَاللَّمَعَانِ

غير فصيح بل على كلمة غير فصيحة بما يقود إلى نسبة الجهل أو العجز إلى الله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

[والغرابة] كَوْنُ الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ، ولا مأنوسة الاستعمال (١) [نحو] مسرج فى قول العَجَّاج (٢) .

* ومُقْلَةً وحاجباً مُزَجَّجَا *

أى مُدَقَّقًا مطوّلا [وفاحما] أى شعرا أسود كالفحم [ومرسنا] أى أنفا [مسرجا أى كالسيف السريجى فى الدقة والاستواء] وسُرَيْجٌ اسم قَيْنٍ تنسب اليه السيوف [أو كالسراج فى البريق واللمعان] فان قُلْتَ لم لم يجعلوه اسم مفعول من سَرَّجَ الله

---

(١) فالغرابة تنقسم بهذا إلى قسمين : غرابة ترجع إلى بعد فى تخريج المعنى وقد مثل لها بقول العجاج ، وغرابة ترجع إلى عدم انس الاستعمال لعدم تداول اللفظ فى لغة خلص العرب كما فى قول امرىء القيس : رُبَّ جَفْنَةٍ مُثْعَنْجِرَةٍ ، وطعنة مُسْحَنْفِرَةٍ تبقى غدا بأَنْقِرَةَ (٢) هو عبد الله بن رؤبة من شعراء الدولة الأموية . والحق أنه لابنه رؤبة بن العجاج من قوله :

أَيَّامَ أبدتْ واضحاً مُفَلَّجَا ... أَغَرَّ بَرَّاقاً وطَرْفاً أَبْرَجَا

ومقلةً وحاجبا مُزَجَّجَا ... وفاحمًا ومَرْسِنًا مُسَرَّجَا

والشاهد فى قوله (مسرجا) لأن اسم المفعول فى الأصل معناه ذات وقع عليها الفعل ، وكونه بمعنى ذات شبيهة بأخرى كما هنا بعيد .

وَالمخالَفَةُ نَحْوُ :

* الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ الأَجْلَلِ *

وجهه أي بهجته وحسنه ، قلتُ هو أيضاً من هذا القَبِيلِ (١) أو مأخوذ (٢) من السِّراج على ما صرح به الامام المرزوقي رحمه الله تعالى حيث قال : السُّرَيْجِيُّ منسوب إلى السراج ويجوز أن يكون وصفه بذلك لكثرة مائه ورونقه حتى كأن فيه سراجا ، ومنه ما قيل سَرَّجَ الله أمرك أي حَسَّنه وَنوَّره .

[والمخالفة] أن تكون الكلمة على خلاف قانون مفردات الألفاظ الموضوعة ، أعني على خلاف ما ثبت عن الواضع [نحو] الأجلل بفكِّ الادغام في قوله [الحمد لله العلي الأجلل] (٣) والقياس الأجَلُّ بالادغام ، فنحو آلٍ ومَاءٍ وَأَبَي يَأْبَى وَعَوِرَ

---

(١) ولكنه من الغرابة بالمعنى الثاني لا الأول (٢) فمعنى سَرَّجَ على هذا جعله ذا سراج بالمشابهة وهو بعيد غريب ، لأن الظاهر أنه جعله ذا سراج حقيقة لا مشابهة .

تطبيقات على الغرابة :

(١) نَقِيٌّ تَقِيٌّ لم يُكَثِّرْ غنيمةً بنَهْكَةِ ذي قُرْبَى وَلاَ بِحَقَلَّدِ

(٢) وما أرضى لمقلته بِحُلْمٍ إذا انتبهتْ تَوَهَّمَهُ ابْتِشَاكَا

فالحقلد السيء الخلق ، وهو غريب لعدم تداوله ، والابتشاك الكذب ، وهو غريب لعدم تداوله أيضا .

أمثلة أخرى :

قال أبو علقمة لطبيب : أجد رَسِيسًا في أسناخي ، وأري وجعا فيما بين الوابلة إلى الاطْرَةِ من دايات العنُقِ .

(٣) هو من قول أبي النجم من شعراء الدولة الأموية .

قِيلَ وَمِنَ الْكَرَاهَةِ فِى السَّمْعِ نَحْوُ :

يَعُورُ فصيح لأنه ثبت عن الواضع كذلك (١) .

[قيل] فصاحة المفرد خلوصه مما ذكر [ومن الكراهة فى السمع] بأن تكون اللفظة بحيث يَمُجُّهَا السمع ، ويتبرأ عن سماعها [نحو] الجرشى فى قول أبى الطَّيِّب (*) .

مباركُ الاسم أغَـــرُّ اللَّقَبْ كريمُ الْجِرشَّى شريفُ النَّسَبْ

الحمـــــد لله العلىِّ الاجْلَلِ الواهب الفضل الوهوب المُجْزِلْ

(١) وإن خالف القياس الصرفى ، لأن أصل آلِ أهل ، وأصل ماء مَوَه ، والهاء لاتبدل همزة فى القياس الصرفى ، ولأن القياس فى مضارع أبَى (يأبِى) بكسر الباء ، لأن فعل بفتح العين لا يأتى مضارعه على يفعل بفتحها إلا إذا كانت عين ماضيه أو لامه حرف حلق كسأل يسأل ، ولأن القياس فى عَوِرَ يعوَرُ عار يعار ، لتحرك الواو وانفتاح ماقبلها .

تطبيقات على مخالفة القياس :

(١) إذا جاوز الاثنين سِرٌّفانَّهُ بِنَشْرٍ وتكثير الْوُشَاة قَمِينُ

(٢) فأصبح يلقانى الزمانُ من اجله بإعظام مولودٍ ورأفة والدِ

ومخالفة القياس فى الأول بقطع همزة الاثنين ، وفى الثاني بوصل همزة أجله .

أمثلة أخري :

(١) وإذا الرجالُ راوْا يَزِيدَ رأيتهم خُضُعَ الرِّقابِ نواكسَ الأبصار

(٢) فلا يُبْرَمُ الامر الذى هو حالِلٌ ولا يُحْلَلُ الامرُ الذي هو يُبْرِمُ

(٣) فلستُ بآتيه ولا أســـتطيعهُ وَلَاكِ اسقني إن كان ماؤك ذا فَضْلِ

(*) هو أحمد بنْ الحسين الكندى المعروف بالمتنبي من شعراء الدولة العباسية .

* كَرِيمُ الجِرِشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ *

وَفِيه نَظَرٌ :

وَفى الكَلَامِ خُلوصُهُ مِنْ ضَعْفِ التَّأليفِ وَتَنافُرِ الكَلِمَاتِ وَالتَّعقِيدِ مَعَ فَصاحَتِها ، فالضَّعفُ نَحْوُ ضَرَبَ غُلامُهُ زَيدًا ،

[كريم الجرشى] أى النفس [شريف النسب] والأغر من الخيل الأبيض الجبهة ، ثم استعير لكل واضح معروف [وفيه نظر] لأن الكراهة فى السمع إنما هي من جهة الغرابة المفسرة بالوحشية ، مثل تَكَأْكَأْتُمْ وَافْرَنْقِعُوا ونحو ذلك ، وقيل لأن الكراهة فى السمع وعدمها يرجعان إلى طيب النَّغَم وعدم الطِّيب لا إلى نفس اللفظ ، وفيه نظر للقطع باستكراه الجرشى دون النفس مع قطع النظر عن النغم .

[و] الفصاحة [فى الكلام خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحتها] هو حال من الضمير فى خلوصه ، واحترز به عن مثل زيد أَجْلَلُ و وشعره مُسْتَشْزِرٌ ، وأنفه مُسَرَّجٌ ، وقيل هو حال من الكلمات ولو ذكره بجنبها لسلم من الفصل بين الحال وذيها بالأجنبى ، وفيه نظر ، لأنه حينئذ يكون قيدا للتنافر لا للخلوص ، ويلزم أن يكون الكلام المشتمل على تنافر الكلمات الغير الفصيحة فصيحا ، لأنه يصدق عليه أنه خالص عن تنافر الكلمات حال كونها فصيحة ، فافهم.

[فالضعف] أن يكون تأليف الكلام على خلاف القانون النحوي المشهور بين الجمهور ، كالاضمار قبل الذكر لفظا ومعنى وحكما (١) [نحو ضرب غلامه زيدا]

---

(١) بخلاف الاضمار قبل الذكر لفظا لا معنى ، كقوله تعالى (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) أى العدل المفهوم من قوله اعدلوا ، وبخلاف الاضمار قبل الذكر لفظا

وَالتَّنافُرُ كَقَوْلِه :

٭ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ ٭

[والتنافر] : أن تكون الكلمات ثقيلة على اللسان ، وإن كان كل منها فصيحا [كقوله : وليس قرب قبر حرب] وهو اسم رجل [قبر] وصدر البيت .

« وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمكان قَفْرُ (١) »

أي خال عن الماء والكلأ ، ذكر في عجائب المخلوقات أن من الجن نوعا يقال له الهاتف ، فصاح واحد منهم على حرب بن أمية فمات ، فقال ذلك الجني هذا البيت

لا حكما كما في ضمير الشأن في قوله تعالى (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) وكما في ضمير رب في قول الشاعر :

رَبَّهُ فِتْيَةً دعوتُ إلى ما يورثُ الحمدَ دائمًا فأجابُوا

تطبيقات على ضعف التأليف :

(١) بيضاءُ يمنعها التكلُّمَ دَلُّهَا تِيهًا ويمنعها الحياءُ تَميسَا

(٢) ولو أنَّ مجدًا أخلد الدَّهْرَ واحدًا من الناس أبقى مجدُهُ الدهْرَ مُطْعِمَا

ففي الأول حذف أن مع بقاء عملها ، وتقدير الكلام ـ أن تميس ـ وفي الثاني عود الضمير على متأخر لفظا ومعنى وحكما .

أمثلة أخرى :

وماعلينا إذا ما كنت جارتَنَا إلَّا يجاورنَا إلَّاكَ دَيَّارُ

خَلَتِ البلادُ من الغزالة ليلها فأعَاضَهَاكَ اللهُ كي لا تَحْزَنَا

(١) قفر بالرفع صفة لمكان على القطع ، ويجوز أن يكون خبر المبتدإ ، والمعنى أن القبر مع مكانه قفر .

وَقَوْله :

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالْوَرَى   مَعِي وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي

[وكقوله] :

[كريم متى أمدحه أمدحه والورى   معى و إذا ما لمتـه لمتـه وحدي (١)]

والواو فى والورى للحال ، وهو مبتدأ وخبره قوله معى ، وإنما مَثَّلَ بمثالين لأن الأول مُتَنَاه فى الثقل والثانى دونه ، أو لأن منشأ الثقل فى الأول نفس اجتماع الكلمات وفى الثانى حروف منها (٢) وهو فى تكرير أمدحه دون مجرد الجمع بين الحاء والهاء لوقوعه فى التنزيل ، مثل فَسَبِّحْهُ فلا يصح القول بأن مثل هذا الثقل مخل بالفصاحة ، وذكر الصاحب إسماعيل بن عَبَّاد أنه أنشد هذه القصيدة بحضرة الأستاذ

(١) هو لأبى تمام من قصيدة له فى مدح موسى بن إبراهيم مطلعها :

شهدتُ لقد أَقْوَتْ مَعَالِمكم بَعْدِي   ومَحَّتْ كما مَحَّتْ وشائعُ من بُرْدِ

(٢) يعنى بهذا اجتماع الحاءين والهاءين فى البيت :

تطبيقات على تنافر الكلام :

(١) وَشَوْهٌ ترقيشَ الْمُرَقِّشِ رَقْشُهُ   فاشياعهُ يشكونه ومعاشرُهُ

(٢) دانٍ بعيدٌ مُحِبٌّ مبْغِضٌ بَهِجٌ   أَغَرُّ حُلْوٌ مُمِرٌّ لَيِّنٌ شَرِسُ

والتنافر فى الأول من تكرار القاف والشين فيه ، وفى الثاني من إيراد صفات متعددة على نمط واحد .

أمثلة أخرى :

فَكُلُّكُمُ أَتَى مَأْتَى أَبِيهِ   فكلٌّ فعالُ كُلِّكُمُ عُجَابُ

وازْوَرَّ من كان له زائراً   وعافَ عافِي العُرْفِ عِرْفَانَهُ

وَالتَّعْقِيدُ أَنْ لا يَكُونَ الكَلَامُ ظَاهِرَ الدَّلالَةِ عَلَى المُرَادِ لخَلَلٍ إمَّا فى النَّظْمِ كَقَوْلِ الفَرَزْدَقِ فى خالِ هِشامٍ :

وَمامِثْلُهُ فِى النَّاسِ إلَّا مُمَلَّكا   أَبُو أُمِّهِ حَىٌّ أَبُوهُ يُقارِبُهُ

أَىْ لَيسَ مِثْلُهُ فى النَّاسِ حَىٌّ يُقارِبُهُ إلَّا مُمَلَّكًا أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ ،

ابن العميد ، فلما بلغ هـذا البيت قال له الأستاذ هل تعرف فيه شيئاً من الهُجْنَة ، قال نعم مقابلة المدح باللوم ، وإنما يقابل بالذم أو الهجاء ، فقال الأستاذ غير هذا أريد ، فقال لا أدري غير ذلك ، فقال الأستاذ هذا التكرير فى أمدحه أمدحه مع الجمع بين الحاء والهاء وهما من حروف الحلق خارِجٌ عن حد الاعتدال ، نافرٌ كل التنافر ، فأثنى عليه الصاحب .

[والتعقيد] : أي كون الكلام مُعَقَّدًا [أن لايكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد لخلل] واقع [إما فى النظم] بسبب تقديم أو تأخير أو حذف أو غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المراد [كقول الفرزدق فى خال هشام] بن عبد الملك وهو إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى .

وما مثله فى الناس إلا مملكا   أبو أمه حى أبوه يقاربه

[أي ليس مثله] فى الناس [حى يقاربه] أى أحد يشبهه فى الفضائل [إلا مملكا] أى رجلا أعطى الملك والمال يعنى هشاما [أبو أمه] أي أبو أم ذلك المملك [أبوه] أى أبو إبراهيم الممدوح ، أى لا يماثله أحد إلا ابن أخته وهو هشام ، ففيه فصل بين المبتدا والخبر ، أعنى - أبو أمه أبوه - بالأجنبي الذى هو - حى - وبين الموصوف والصفة ، أعنى - حَىٌّ يقاربه - بالأجنبي الذي هو - أبوه - وتقديم المستثنى أعنى - مملكا - على المستثنى منه ، أعنى - حَيٌّ - وفَصْلٌ كثير بين البدل وهو - حَيٌّ - والمبدل منه وهو - مثله - فقوله - مثله - اسم ما ، و - في الناس - خبره ، و - إلا مملكا - منصوب

وَإِمَّا فى الانْتِقَالِ كَقَوْلِ الآخَرِ :

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

فَانَّ الانتِقَالَ مِنْ جُمُودِ العَيْنِ الى بُخْلِهَا بِالدُّمُوعِ

لتقدمه على المستثنى منه (١) .

قيل ذكر ضعف التأليف يغنى عن ذكر التعقيد اللفظى ، وفيه نظر لجواز أن يحصل التعقيد باجتماع عدة أمور موجبة لصعوبة فهم المراد ، وان كان كل واحد منها جاريا على قانون النحو ، وبهذا يظهر فساد ماقيل إنه لا حاجة فى بيان التعقيد فى البيت الى ذكر تقديم المستثنى على المستثنى منه ، بل لاوجه له لأن ذلك جائز باتفاق النحاة ، إذ لا يخفى أنه يوجب زيادة التعقيد وهو مما يقبل الشدة والضعف .

[وإما فى الانتقال] عطف على قوله ـ إما فى النظم ـ أي لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد لخلل واقع في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة الى المعنى الثاني المقصود ، وذلك بسبب إيراد اللوازم البعيدة المفتقرة الى الوسائط الكثيرة مع خفاء القرائن الدالة على المقصود [كقول الآخر] وهو عباس بن الأحنف ، ولم يقل كقوله لئلا يتوهم عود الضمير الى الفرزدق [* سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب] بالرفع وهوالصحيح ، وبالنصب وَهَمٌ [عيناى الدموع لتجمدا] جعل سكب الدموع كناية عما يلزم فراق الأحبة من الكآبة والحزن ، وأصاب لكنه أخطأ فى جعل جمود العين كناية عما يوجبه دوام التلاقى من الفرح والسرور [فان الانتقال من جمود العين الى بخلها بالدموع] حال إرادة البكاء وهى حالة الحزن

---

(١) وقد حمل بعضهم البيت على وجه لا تعقيد فيه ، فجعل قوله ـ مملكا ـ مستثنى من ضمير الجار والمجرور ، وجعل قوله ـ أبو أمه حى ـ مبتدءا وخبرا ، وقوله ـ أبوه ـ خبرا ثانيا ، والجملة صفة لقوله ـ مملكا ـ وجعل قوله ـ يقاربه ـ صفة ثانية .

لَا إِلَى مَا قَصَدَهُ مِنْ السُّرُورِ.

[لا إلى ماقصده من السرور] الحاصل بالملاقاة (١) ومعنى البيت - إني اليوم أطيبُ نفسا بالبعد والفراق ، وأُوطِّنُها على مقاساة الأحزان والأشواق ، وأتجرع غصصها ، وأتحمل لأجلها حزنا يُفيضُ الدموع من عيني ، لأتسبب بذلك الى وصل يدوم ، ومسرة لا تزول ، فان الصبر مفتاح الفرج ، ولكل بداية نهاية ، ومع كل عُسْرٍ يُسْرًا ، وإلى هذا أشار الشيخ عبد القاهر فى دلائل الاعجاز ، وللقوم ههنا كلام فاسد أوردناه فى الشرح (٢).

---

(١) ولكنه انتقل إلى هذا بوسائط كثيرة ، فانتقل من جمود العين إلى انتفاء الدمع منها حال إرادة البكاء ، ثم انتقل من هذا الى انتفاء الدمع مطلقاً ، ثم انتقل من هذا إلى انتفاء الحزن ، ثم انتقل من هذا إلى إفادة السرور.

(٢) يعني شرحه المطول على تلخيص المفتاح .

تطبيقات على التعقيد :

(١) صانَ اللئيمُ وصُنْتُ وجهي مالَهُ ۝ وَوَنَى فلم يَبْذُلْ ولم اتبذَّلِ

(٢) ومُقْلَةً وحاجبًا مُزَجَّجَا ۝ وفاحمًا ومَرْسِنًا مُسَرَّجا

ففصل فى الأول بين الفعل ومفعوله بجملة فعلية ، فأوجد فيه تعقيدا ، وأصل الكلام صان اللئيم ماله وصنت وجهي عنه ، وفى الثانى سمى أنف محبوبته مرسنا ، وهو إنما يكون للحيوان ، لأنه الموضع الذى يقع عليه الرسن ، فهو مجاز بعيد فاحش .

أمثلة أخرى :

(١) وليستْ خُراسانُ التى كان خالدٌ ۝ بها أَسَدٌ إذ كان سَيْفًا أَميرُهَا

(٢) أَنَّى يكون أبا البرايا آدَمٌ ۝ وأبوكَ والثَّقلانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ

قِيلَ وَمِنْ كَثْرَةِ التَّكْرَارِ وَتَتَابُعِ الاضافاتِ كَقَوْلِه :

٭ سَبُوحٌ لَهَا مِنهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ ٭

وَقَوْلِه :

٭ حَمَامَةَ جَرْعَا حَوْمَةِ الجَنْدَلِ اسْجَعِى ٭

[قيل] فصاحة الكلام خلوصه مما ذكر [ومن كثرة التكرار وتتابع الاضافات كقوله] ٭ وتُسْعِدُنِى فى غَمْرَةٍ بعد غمرة ٭ (١) [سبوح] أي فرس حسن الجرى لا تتعب راكبها ، كأنها تجرى فى الماء [لها] صفة سبوح [منها] حال من شواهد [عليها] متعلق بشواهد [شواهد] فاعل الظرف أعنى ـ لها ـ يعنى أن لها من نفسها علامات دالة على نجابتها ، قيل التكرار ذكر الشيء مرة بعد أخرى ، ولا يخفى أنه لا يحصل كثرته بذكره ثالثا ، وفيه نظر لأن المراد بالكثرة ههنا ما يقابل الوحدة ، ولا يخفى حصولها بذكره ثالثا [و] تتابع الاضافات مثل [قوله ٭ حمامة جرعا حومة الجندل اسجعى ٭] .

فأنت بِمَرْأًى من سُعَادَ ومَسْمَعِ (٢)

ففيه إضافة حمامة إلى جرعا ، وجرعا إلى حومة ، وحومة إلى الجندل ، والجرعاء تأنيث الأجرع قصرها للضرورة ، وهى أرض ذات رمل لا تنبت شيئا ، والحومة معظم الشيء ، والجندل أرض ذات حجارة ، والسجع هَدِيرُ الحمام ونحوه ، وقوله ـ فأنت بمرأى ـ أى بحيث تراك سُعَادُ وتسمع صوتك ، يقال : فلان بمرأى مني

---

(١) هو من قصيدة المتنبي يمدح بها سيف الدولة ، ومطلعها :

عواذلُ ذات الخال فىَّ حَوَاسِدُ وإنَّ ضَجِيعَ الخَوْدِ منّى لَمَاجِدُ

(٢) هو من قصيدة لعبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك من شعراء الدولة العباسية

وَفِيهِ نَظَرٌ :

وَفِي المُتَكَلِّمِ مَلَكَةٌ يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ المَقْصُودِ بِلَفْظٍ فَصِيحٍ .

ومسمع ، أى بحيث أراه وأسمع قوله ، كذا فى الصحاح ، فظهر فساد ما قيل إن معناه ـ أنت بموضع تَرَيْنَ منه سُعَادَ وتسمعين كلامها ، وفساد ذلك مما يشهد به العقل والنقل (١) [وفيه نظر] لأن كلا من كثرة التكرار وتتابع الاضافات إن ثَقُلَ اللفظ بسببه على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بالتنافر ، وإلا فلا يخل بالفصاحة ، كيف وقد وقع فى التنزيل ـ (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ ـ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ـ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) .

[و] الفصاحة [فى المتكلم ملكة] وهى كيفية راسخة فى النفس ، والكيفية عَرَضٌ لا يتوقف تعقله على تعقل الغير ولا يقتضى القسمة واللاقسمة فى محله اقتضاء أَوَّلِيًّا ، فخرج بالقيد الأول الأعراض النسبية مثل الاضافة والفعل والانفعال ونحو ذلك ، وبقولنا ـ لا يقتضى القسمة ـ الكميات ، وبقولنا ـ واللاقسمة ـ النقطة والوحدة ، وقولنا ـ أوليا ـ ليدخل فيه مثل العلم بالمعلومات المقتضية للقسمة واللاقسمة ، فقوله ـ ملكة إشعار بأنه لو عبر عن المقصود بلفظ فصيح لا يسمى فصيحا فى الاصطلاح مالم يكن ذلك راسخا فيه ، وقوله [يقتدر بها على التعبير عن المقصود] دون أن يقول ـ يعبر ـ إشعار بأنه يسمى فصيحا إذا وجد فيه تلك الملكة سواء وجد التعبير أو لم يوجد ، وقوله [بلفظ فصيح] ليعم المفرد والمركب ، أما المركب فظاهر ، وأما المفرد فكما تقول عند التعداد : دار ، غلام ، جارية ، ثوب ، بساط ، إلى غير ذلك .

---

(١) لأن المعروف فى ذلك أن سجع الحمام يطلب لتسمعه المحبوبة فتهيج به إلى عاشقها ، وليس من المعقول أن الحمام يسجع لأنه يري سعاد أو غيرها .

وَالبلاَغَةُ فى الكَلاَمِ مُطابَقَتُهُ لِمُقْتَضَى الحَالِ مَعَ فَصَاحَتِهِ ،

[والبلاغة فى الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته] أى فصاحة الكلام ، والحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذى يؤدى به أصل المراد خُصُوصيةً ما ، وهو مقتضى الحال (١) مثلا ـ كَوْنُ المخاطب منكرا للحكم حَالٌ يقتضى تأكيد الحكم ، والتأكيد مقتضى الحال ، وقولك له ـ إن زيدا فى الدار ـ مؤكدا بأنّ كلامٌ مطابق لمقتضى الحال ، وتحقيق ذلك أنه جزئى من جزئيات ذلك الكلام الذى يقتضيه الحال ، فان الانكار مثلا يقتضى كلاما مؤكدا ، وهذا مطابق له بمعنى أنه صادق عليه ، على عكس ما يقال : إن الكلى مطابق للجزئيات (٢) وإن أردت تحقيق هذا

(١) يعنى أن تلك الخصوصية هى مقتضى الحال وإنما ذكر الضمير مراعاة للخبر .
(٢) فمقتضى الحال على هذا التحقيق هو الكلام المؤكد لا التأكيد ونحوه من الخصوصيات ، وهذا يخالف ما ذكره قبله ، وليكن مقتضى الحال هذا أو ذاك ، فان الخطب فيه سهل .

تطبيقات على البلاغة فى الكلام :

(١) وقد جعل الله الخلافَةَ منهمْ ‏ ‏ لِأَبْلَجَ لا عارى الخِوَانِ ولا جَدْبِ
(٢) لَهُ راحةٌ لو أنَّ مِعْشارَ جُودِهَا ‏ ‏ على البَرِّ كان البرُّ أندَى من البَحْرِ
(٣) أَمَرُّ مِنَ المُرِّ المَرِيرِ مَرَارَةً ‏ ‏ هَوَانُ هُمَامٍ هَانَ فى عينه الهُمَّ

فالأول غير بليغ لأنه لا يصح أن يقال فى مدح ملك ، فلم يطابق مقتضى الحال فيه ، والثانى بليغ لأنه هو الذى يليق بمدح الملوك ، والثالث غير بليغ لعدم فصاحته بسبب تنافره

أمثلة أخرى : قال قاض لرجل خاصمته امرأته : أئن سألتكَ ثَمَنَ شكْرِها وشَبْرِك أنشأت يُطِلُّهَا وتُضْهِلُهَا ـ وقال حافظ بك إبراهيم :

وَهُوَ مُخْتَلِفٌ فَإنَّ مَقامات الْكَلَامِ مُتَفاوِتَةٌ ، فَمَقَامُ كُلٍّ مِنَ التَّنْكِيرِ وَالاطْلَاقِ وَالتَّقْدِيمِ وَالذِّكْرِ يُبايِنُ مَقامَ خِلَافِهِ ، وَمَقَامَ الفَصْلِ يُبايِنُ مَقَامَ الوَصْلِ ، وَمَقَامُ الايجَازِ يُبايِنُ مَقَامَ

الكلام فارجع إلى ما ذكرنا فى الشرح فى تعريف علم المعانى .

[وهو] أى مقتضى الحال [مختلف فان مقامات الكلام متفاوتة] لأن الاعتبار اللائق بهذا المقام يغاير الاعتبار اللائق بذالك ، وهذا عين تفاوت مقتضيات الأحوال ، لأن التغاير بين الحال والمقام إنما هو بحسب الاعتبار ، وهو أنه يتوهم فى الحال كونه زمانا لورود الكلام فيه ، وفى المقام كونه محلاً له ، وفى هذا الكلام إشارة إجمالية إلى ضبط مقتضيات الأحوال ، وتحقيق لمقتضى الحال [فمقام كل من التنكير والاطلاق والتقديم والذكر يباين مقام خلافه] أى مقام خلاف كل منها ، يعنى أن المقام الذى يناسبه تنكير المسند اليه أو المسند يباين المقام الذى يناسبه التعريف ، ومقام إطلاق الحكم أو التَّعلُّق (١) أو المسند اليه أو المسند أو مُتعلَّقه (٢) يباين مقام تقييده بمؤكِّد أو أداة قصر أو تابع أو شرط أو مفعول أو ما يشبه ذلك ، ومقام تقديم المسند اليه أو المسند أو متعلقاته يباين مقام تأخيره ، وكذا مقام ذكره يباين مقام حذفه ، فقوله ـ خلافه ـ شاملٌ لما ذكرنا ، وإنما فَصَلَ قوله [ومقام الفصل يباين مقام الوصل] تنبيها على عظم شأن هذا الباب ، وإنما لم يقل مقام خلافه لأنه أخصر وأظهر ، لأن خلاف الفصل إنما هو الوصل ، وللتنبيه على عظم الشأن فَصَلَ قوله [ومقام الايجاز يباين مقام

مَنْ لي بتربيـة النِّساء فانها ... فى الشَّرق علَّةُ ذلك الاخفاق

الأمُّ مدرسـةٌ إذا أعددتَها ... أعددتَ شعباً طيِّبَ الاعراق

(١) يعنى تعلق الفعل بمفعوله ونحوه (٢) أي متعلق المسند .

خلَافه ، وكَذَا خطابُ الذّكىّ مَعْ خطاب الغبىِّ ، ولكُل كلمَة مَعَ صاحبتها مقامٌ ، وَارتفَاعُ شأن الْكلَامِ فى الحُسْنِ وَالقبُول بمطَابقَته للاعتبار المناسب ، وَانحطاطُهُ بعَدَمِها ، فمُقْتضَى الحَال هُوَ الاعْتبارُ المُناسبُ .

خلافه] أى الاطناب والمساواة [وكذا خطاب الذكى مع خطاب الغبي] فان مقام الأول يباين مقام الثاني ، فان الذكى يناسبه من الاعتبارات اللطيفة والمعانى الدقيقة الخفية مالا يناسب الغبى [ولكل كلمة مع صاحبتها] أي مع كلمة أخرى مُصَاحِبَةٍ لها [مقام] ليس لتلك الكلمة مع ما يشارك تلك المصاحبة فى أصل المعني ، مثلا الفعل الذى قصد اقترانه بالشرط ، فله مع إنْ مقام ليس له مع إذا ، وكذا لكل من أدوات الشرط مع الماضى مقام ليس له مع المضارع ، وعلى هذا القياس .

[وارتفاع شأن الكلام فى الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه] أى انحطاط شأنه [بعدمها] أى بعدم مطابقته للاعتبار المناسب ، والمراد بالاعتبار المناسب الأمر الذي اعتبره المتكلم مناسبا بحسب السليقة أو بحسب تتبع تراكيب البلغاء ، يقال اعتبرت الشيء اذا نظرت اليه وراعيت حاله ، وأراد بالكلام الكلامَ الفصيح ، وبالحُسْنِ الحُسْنَ الذاتىَّ الداخل فى البلاغة دون العَرَضىِّ الخارج لحصوله بالمحسّنات البديعية [فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب] للحال والمقام ، يعنى اذا علم أنْ ليس ارتفاع شأن الكلام الفصيح في الحسن الذاتي إلا بمطابقته للاعتبار المناسب على ما تفيده إضافة المصدر (١) ومعلوم أنه انما يرتفع بالبلاغة التى هى عبارة عن مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال ، فقد علم أن المراد بالاعتبار المناسب ومقتضى

---

(١) فى قوله - وارتفاع شأن الكلام - لأن إضافة المفرد تفيد العموم ، فيكون المعنى - كل ارتفاع يكون بالمطابقة - ومن هنا أفاد الكلام الحصر

فَالْبَلَاغَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى اللَّفْظِ بِاعْتِبَارِ إِفَادَتِهِ المَعْنَى بِالتَّرْكِيبِ ، وَكَثِيراً مَا يُسَمَّى ذَلِكَ فَصَاحَةً أَيْضًا ، وَلَهَا طَرَفَانِ أَعْلَى وَهُوَ حَدُّ الاعْجَازِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ ،

الحال واحد ، وإلا لما صدق أنه لا يرتفع إلا بالمطابقة للاعتبار المناسب ، ولا يرتفع إلا بالمطابقة لمقتضى الحال ، فَلْيُتَأَمَّلَ .

[فالبلاغة] صفة [راجعة إلى اللفظ] يعنى أنه يقال ـ كلامٌ بليغٌ ـ لكن لا من حيث إنه لفظ وصوت بل [باعتبار إفادته المعنى] أى الْغَرَضَ المصوغ له الكلام (١) [بالتركيب] متعلق بافادته ، وذلك لأن البلاغة كما مَرَّ عبارة عن مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال ، فظاهر أن اعتبار المطابقة وعدمها إنما يكون باعتبار المعانى والأغراض التى يصاغ لها الكلام ، لا باعتبار الألفاظ المفردة والْكَلِمِ المجردة [وكثيرا ما] نُصِبَ على الظرفية ، لأنه من صفة الأحيان ، و ـ ما ـ لتأكيد معنى الكثرة ، والعامل فيه قوله [يسمى ذلك] الوصف المذكور [فصاحة أيضا] كما يسمي بلاغة ، فحيث يقال ـ إن إعجاز القرآن من جهة كونه فى أعلى طبقات الفصاحة ـ يراد بها هذا المعنى .

[ولها] أى لبلاغة الكلام [طرفان أعلى وهو حد الاعجاز] وهو أن يرتقى الكلام فى بلاغته إلى أن يخرج عن طَوْقِ البشر ، ويعجزهم عن معارضته [وما يقرب منه] عَطْفٌ على قوله وهو ، والضمير فى ـ منه ـ عائدٌ إلى ـ أعلى ـ يعنى أن الأعلى مع ما يقرب منه كلاهما حد الاعجاز ، هذا هو الموافق لما فى المفتاح ، وزعم بعضهم (٢)

---

(١) فليس المراد به المعنى الأصلى المستفاد من أصل التركيب ، وإنما المراد به الخصوصيات السابقة من التأكيد ونحوه ، فهو يسمى غرضا أوخصوصية أو معنى ثانويا .

(٢) لايخفى أن هذا هوالظاهر من كلام التلخيص ، ولاشيء فى أن يكون الطرف الأعلى هوحد الاعجازفى القرآن ومايقرب منه فى كلام رسوله ﷺ وفحول البلغاء ، فانه يصح أن يقال ـ كلام رسول الله فى أعلى مراتب البلاغة ، وهكذا .

وَأَسْفَلُ وَهُوَ مَا إِذَا غُيِّرَ عَنْهُ إِلَى مَا دُونَهُ التَحقَ عِنْدَ البُلَغَاءِ بِأَصْوَاتِ الحَيَوَانَاتِ ، وَبَيْنَهُمَا مَرَاتِبُ كَثِيرَةٌ ، وَتَتْبَعُهَا وُجُوهٌ أُخَرُ تُورِثُ الكَلَامَ حُسْناً .

وَفِي المُتَكَلِّمِ مَلَكَةٌ يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى تَأْلِيفِ كَلَامٍ بَلِيغٍ .

فَعُلِمَ أَنَّ كُلَّ بَلِيغٍ فَصِيحٌ وَلَا عَكْسَ

أنه عَطْفٌ على ـ حد الاعجاز ـ والضمير فى ـ منه ـ عائدٌ اليه ، يعنى أن الطرف الأعلى هو حد الاعجاز ومايقرب من حد الاعجاز ، وفيه نظر لأن القريب من حد الاعجاز لا يكون من الطرف الأعلى الذى هو حد الاعجاز ، وقد أوضحنا ذلك فى الشرح [وأسفل وهو ما إذا غير] الكلام [عنه إلي مادونه] أى إلى مرتبة أخري هى أدنى منه وأنزل [التحق] الكلام وإن كان صحيح الاعراب [عند البلغاء بأصوات الحيوانات] التى تصدر عن مَحَالِّهَا بحسب ما يتفق من غير اعتبار اللطائف والخواصِّ الزائدة على أصل المراد [وبينهما] أي بين الطرفين [مراتب كثيرة] متفاوتة بعضها أعلى من بعض بحسب تفاوت المقامات ، ورعاية الاعتبارات ، والبعد من أسباب الاخلال بالفصاحة .

[وتتبعها] أي بلاغة الكلام [وجوه أخر] سوى المطابقة والفصاحة [تورث الكلام حسنا] وفى قوله ـ تتبعها ـ إشارة الى أن تحسين هذه الوجوه للكلام عَرَضِى خارجٌ عن حد البلاغة ، والى أن هـذه الوجوه إنما تعد محسنة بعد رعاية المطابقة والفصاحة ، وجَعَلَهَا تابعة لبلاغة الكلام دون المتكلم لأنها ليست مما تجعل المتكلم متصفا بصفة .

[و] البلاغة [فى المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ] .

[فعلم] مما تقدم [أن كل بليغ] كلاما كان أو متكلما على سبيل استعمال المشترك فى معنييه ، أو على تأويل كل ما يطلق عليه لفظ البليغ [فصيح] لأن الفصاحة مأخوذة فى تعريف البلاغة مطلقا [ولا عكس] بالمعنى اللغوى أي ليس كل فصيح بليغا ، لجواز

وَأَنَّ الْبَلَاغَةَ مَرْجِعُهَا إِلَى الاحْتِرَازِ عَنِ الخَطَا فى تأْدِيَةِ المَعْنَى المُرَادِ ، وَإِلَى تَمْيِيزِ الْفَصِيحِ مِنْ غَيْرِهِ ،

أن يكون كلام فصيح غير مطابق لمقتضى الحال (١) وكذا يجوز أن يكون لأحد ملكة يقتدر بها التعبير عن المقصود بلفظ فصيح من غير مطابقة لمقتضى الحال .

[و] علم أيضا [أن البلاغة] فى الكلام [مرجعها] أى مايجب أن يحصل حتي يمكن حصولها كما يقال : مرجع الجود الى الغنى [الى الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد] والا لَرُبَّمَا أُدِّىَ المعنى المراد (٢) بلفظ فصيح غير مطابق لمقتضى الحال فلا يكون بليغا [والى تمييز] الكلام [الفصيح من غيره] والا لَرُبَّمَا أُورِدَ الكلام المطابق لمقتضى الحال بلفظ غير فصيح فلا يكون أيضا بليغا ، لوجوب وجود الفصاحة فى البلاغة ، ويدخل فى تمييز الكلام الفصيح من غيره تمييز الكلمات الفصيحة من غيرها لتوقفه عليها .

(١) ومن هذا قول نصيب فى النسيب :

فان تَصِلِي أَصِلْكِ وإن تعودى ... لِهَجْرٍ بعد وصلك لاأُبَالِي

فان مثل هذا لا يصح أن يقال فى مقام النسيب ، وكذلك قول جميل :

فلو تركتْ عقلي معي ماطلبتُهَا ... ولكن طلاَبِيهَا لمافات من عقلي

زعم أنه يهواها لذهاب عقله ، ولو كان عاقلا ماهويها ، وإنما الجيد فى ذلك قول بعضهم :

وما سَرَّنِى أَنِّى خَلِيٌّ من الهوي ... ولو أنَّ لى مِنْ بَيْنِ شرق إلى غَرْبِ

فانْ كان هذا الحُبُّ ذنبي اليكُمُ ... فلا غفر الرحمنُ ذلك من ذَنْبِ

(٢) يعنى بالمعنى المراد المعنى الثانوى لا المعنى الأصلى ، لأن مرجع البلاغة إلى المعنى الثانوى كما سبق .

وَالثانى منهُ مَا يُبيَّنُ فى علمِ مَتْن اللُّغَة أَو التَّصْريف أَو النَّحْو أَوْ يُدْرَكُ بالحَسّ ، وَهْوَ ما عَدَا التَّعْقيدَ المَعْنَوىّ ، وَمَا يُحْتَرَزُ به عَنِ الأَوَّل علْمُ المَعانى ، وَمَا يُحْتَرَزُ به عَنِ التَّعْقيد المَعْنَوىّ علْمُ البيان ،

[والثانى] اى تمييز الفصيح من غيره [منه] أي بعضه [مايبين] اى يوضح [فى علم متن اللغة] كالغرابة ، وإنما قال فى علم متن اللغة أى معرفة أوضاع المفردات لأن اللغة أعم من ذلك ، يعنى به يعرف تمييز السالم من الغرابة عن غيره ، بمعنى أن من تتبع الكتب المتداولة وأحاط بمعانى المفردات المأنوسة علم أن ما عداها مما يفتقر الى تنقير أو تخريج فهو غير سالم من الغرابة ، وبهذا تبين فساد ما قيل : إنه ليس فى علم متن اللغة أن بعض الألفاظ مما يحتاج فى معرفته الى أن يبحث عنه فى الكتب المبسوطة في اللغة [أو] فى علم [التصريف] كمخالفة القياس ، إذ به يعرف أن الأَجْلَلَ مخالف للقياس دون الأَجَلّ [أو] فى علم [النحو] كضعف التأليف والتعقيد اللفظى [أو يدرك بالحس] كالتنافر ، إذ به يعرف أن مُسْتَشْزِراً متنافر دون مرتفع ، وكذا تنافر الكلمات [وهو] أى ما يبين فى العلوم المذكورة أو يدرك بالحس ، فالضمير عائد الى - ما - ومن زعم أنه عائد الى ما يدرك بالحس فقد سها سهوا ظاهرا [ماعدا التعقيد المعنوى] إذ لايعرف بتلك العلوم ولا بالحس تمييز السالم من التعقيد المعنوى من غيره .

فعلم أن مرجع البلاغة بعضه مبين فى العلوم المذكورة ، وبعضه مُدْرَكٌ بالحس، وبقي الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، والاحتراز عن التعقيد المعنوي ، فمست الحاجة الى وضع علمين مفيدين لذلك ، فوضعوا علم المعانى للأول ، وعلم البيان للثانى ، واليه أشار بقوله [وما يحترز به عن الأول] أى الخطأ فى تأدية المعنى المراد [علم المعانى ، وما يحترز به عن التعقيد المعنوى علم البيان] وسَمَّوْا هذين العلمين علم البلاغة لمكان مَزِيد اختصاص لهما بالبلاغة ، وإن كانت البلاغة تتوقف علي غيرهما من العلوم .

وَمَا يُعْرَفُ بِهِ وُجُوهُ التَّحسِينِ عِلْمُ البَدِيعِ ، وَكَثِيرٌ يُسَمِّى الجَمِيعَ عِلْمَ البَيَانِ ، وَبَعْضُهُمْ يسمّى الأَوّلَ عِلْمَ المَعَانِى ، وَالأَخِيرَيْنِ عِلْمَ البَيَانِ ، وَالثَّلَاثَةَ عِلْمَ البَدِيعِ .

الفَنُّ الأَوّلُ عِلمُ المَعَانِى

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ أَحْوَالُ اللَّفْظِ العَرَبِىِّ الَّتِى بِهَا يُطَابِقُ مُقْتَضَى الحَالِ ،

ثم احتاجوا لمعرفة توابع البلاغة الى علم آخر ، فوضعوا لذلك علم البديع ، واليه أشار بقوله [وما يعرف به وجوه التحسين علم البديع] ولما كان هذا المختصر فى علم البلاغة وتوابعها انحصر مقصوده فى ثلاثة فنون [و كثير] من الناس [يسمى الجميع علم البيان ، وبعضهم يسمي الأول علم المعانى و] يسمى [الأخيرين] يعني البيان والبديع [علم البيان والثلاثة علم البديع] ولا يخفى وجوه المناسبة والله أعلم .

الفن الأول علم المعانى

قدّمه على البيان لكونه منه بمنزلة المفرد من المركب ، لأن رعاية المطابقة لمقتضى الحال وهو مرجع علم المعانى معتبرة فى علم البيان مع زيادة شيء آخر ، وهو إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة [وهو علم] أى ملكة يقتدر بها على إدراكات جزئية ، ويجوز أن يريد به نفس الأصول والقواعد المعلومة ، ولاستعمالهم المعرفة فى الجزئيات قال [تعرف به أحوال اللفظ العربى] أى هو علم يستنبط منه إدراكات جزئية ، وهى معرفة كل فرد فرد من جزئيات الأحوال المذكورة ، بمعنى أن أىّ فرد يوجد منها أمكننا أن نعرفه بذلك العلم ، وقوله [التى بها يطابق] اللفظ [مقتضى الحال] احترازٌ عن الأحوال التى ليست بهذه الصفة ، مثل الاعلال والادغام والرفع والنصب

وما أشبه ذلك ، مما لابد منه فى تأدية أصل المعنى (١) وكذا المحسنات البديعية من التجنيس والترصيع ونحوهما مما يكون بعد رعاية المطابقة ، والمراد أنه علم يعرف به هذه الأحوال من حيث إنها يطابق بها اللفظ مقتضى الحال ، لظهور أنْ ليس علم المعانى عبارة عن تصور معانى التعريف والتنكير والتقديم والتأخير والاثبات والحذف وغير ذلك ، وبهذا يخرج عن التعريف علم البيان إذ ليس البحث فيه عن أحوال اللفظ من هذه الحيثية (٢) والمراد بأحوال اللفظ الأمور العارضة له من التقديم والتأخير والاثبات والحذف وغير ذلك ، ومقتضى الحال فى التحقيق هو الكلام الكلى المتكيِّف

(١) بخلاف الأحوال التى بها يطابق اللفظ مقتضى الحال ، فانه يؤدى بها معان ثانوية لا أصلية ، ومن ذلك قوله تعالى (ياأيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) فالتأكيد فيه للرد على المنكرين وهو معنى ثانوى لاأصلى ، ومنه أيضا قول الشاعر :

ثلاثةٌ تُشرِقُ الدُّنيا ببهجتها ... شمسُ الضُّحى وأبو إسحاق والقمرُ

فتقديم المسند وهو ثلاثة للتشويق إلى المسند إليه وهو شمس الضحى وما عطف عليه ، وهو معنى ثانوى أيضا ، ومما خولف به مقتضى المقام فى المدح قول مروان بن أبى حفصة فى المأمون :

أضحى إمَامُ الهُدَى المامونُ مشتغلاً ... بالدِّينِ والناس بالدُّنْيَا مشَاغِيلُ

فقال له عمارة بن عقيل : ما زدته على أن وصفته بصفة عجوز فى يدها مسباحها ، فهلا قلت كما قال جدي فى عمر بن عبد العزيز :

فلا هو فى الدنيا مُضيعٌ نصيبَهُ ... ولا عَرَضُ الدُّنيا عن الدِّين شاغلُهْ

(٢) وقيل إن أحوال اللفظ فيه من التشبيه والمجاز وغيرهما قد يبحث فيها من هذه الحيثية ، فتكون من علم المعانى لا من علم البيان ، ومن ذلك فى الكناية قول كثير لعبد العزيز بن مروان :

وَيَنْحَصِرُ فى ثَمَانِيَةِ أَبْوَابٍ : أَحْوَالُ الاسْنَادِ الخَبَرِىّ . أَحْوَالُ المُسْنَدِ اليْهِ . أَحْوَالُ المُسْنَدِ. أَحْوَالُ مُتَعَلِّقَاتِ الفِعْلِ . القَصْرِ . الانشاء . الفَصْلِ وَالوَصْلِ . الايجَازِ وَالاطْنَابِ وَالمُسَاوَاةِ . لأَنَّ الكَلَامَ إمَّا خَبَرٌ أو إنشاءٌ ، لأنّه

بكيفية مخصوصة ، على ما أشير اليه فى المفتاح وصرح به فى شرحه ، لا نفس الكيفيات من التقديم والتأخير والتعريف والتنكير على ماهو ظاهر عبارة المفتاح وغيره ، وإلا لما صح القول بأنها أحوال بها يطابق اللفظ مقتضى الحال ، لأنها عين مقتضى الحال وقد حققنا ذلك فى الشرح ، وأحوال الاسناد أيضا من أحوال اللفظ ، باعتبار أن التأكيد وتركه مثلا من الاعتبارات الراجعة إلى نفس الجملة ، وتخصيص اللفظ بالعربى مجرد اصطلاح ، لأن الصناعة إنما وضعت لذلك .

[وينحصر] المقصود من علم المعانى [فى ثمانية أبواب] انحصار الكل فى الأجزاء لا الكلى فى الجزئيات ، وإلا لصدق علم المعانى على كل باب من الأبواب المذكورة وليس كذلك [أحوال الاسناد الخبرى] و [أحوال المسند اليه] و [أحوال المسند] و [أحوال متعلقات الفعل] و [القصر] و [الانشاء] و [الفصل والوصل] و [الايجاز والاطناب والمساواة] وإنما انحصر فيها [لأن الكلام إما خبر أو إنشاء لأنه]

وما زالتْ رُقَاكَ تسلُّ ضِغْنِى　　　وتُخْرِجُ من مَكَامِنِهَا ضِبَابِى

ويَرْقِينِي لك الرَّاقُون حتّى　　　أجابتْ حَيَّةٌ تحت التُّرابِ

جعل ذلك كناية عن تودده اليه ، وهذا لا يليق بمقام مدحه له ، وإنما يخاطب الممدوح بمثل قول النابغة للنعمان بن المنذر :

ولستَ بِمُسْتَبْقٍ أخًا لا تَلُمُّهُ　　　على شَعَثٍ أىُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ

فانْ أَكُ مظلومًا فعبدٌ ظلمتَهُ　　　وإنْ تَكُ ذا عُتْبَى فمثلُكَ يُعْتِبُ

إنْ كَانَ لنسْبَته خارجٌ تُطابقهُ أَوْ لاَ تُطابقهُ فخَبَرٌ، وَإلاّ فانشاءٌ، وَالخبَرُ لا بُدَّ لَهُ منْ مُسْنَد اليْه ومُسْنَدٍ وَإسْنَاد، وَالمسْنَدُ قدْ يكُونُ لهُ مُتَعَلِّقاتٌ إذَا كَانَ فعْلاً أوْ فى مَعْناهُ،

لا محالة يشتمل على نسبة تامّة بين الطرفين قائمة بنفس المتكلم، وهي تَعَلُّقُ أحد الشيئين بالآخر بحيث يصح السكوت عليه، سواء كان إيجابا أو سلبا أو غيرهما، كما فى الانشائيات، وتفسيرها بايقاع المحكوم به على المحكوم عليه أو سلبه عنه خطأ فى هذا المقام، لأنه لا يشمل النسبة فى الكلام الانشائى فلايصح التقسيم، فالكلام [إن كان لنسبته خارج] فى أحد الأزمنة الثلاثة، أى يكون بين الطرفين فى الخارج نسبة ثبوتية أو سلبية [تطابقه] أي تُطَابِقُ تلك النسبة ذلك الخارجَ، بأن يكونا ثبوتيين أو سلبيين [أو لا تطابقه] بأن تكون النسبة المفهومة من الكلام ثبوتية، والتى بينهما فى الخارج والواقع سلبية، أو بالعكس [فخبر] أي فالكلام خبر [وإلا] أى وإن لم يكن لنسبته خارج كذلك [فانشاء] وتَحْقِيقُ ذلك أن الكلام إمّا أن تكونَ نسبته بحيث تحصل من اللفظ ويكون اللفظ مُوجِدًا لها من غير قصد الى كونه دالًّا على نسبة حاصلة فى الواقع بين الشيئين وهو الانشاء، أو تكونَ نسبته بحيث يُقْصَدُ أنَّ لها نسبةً خارجيةً تطابقه أوْ لاَ تطابقه وهو الخبر، لأن النسبة المفهومة من الكلام الحاصلة فى الذهن لابُدَّ أن تكون بين الشيئين، ومع قطع النظر عن الذهن لابُدَّ أن يكون بين هذين الشيئين فى الواقع نسبة ثبوتية بأن يكون هذا ذاك، أو سلبية بأن لا يكون هذا ذاك، ألا ترى أنك اذا قلت - زيد قائم - فان القيام حاصل لزيد قطعا، سواء قلنا إن النسبة من الأمور الخارجية أو ليست منها، وهذا معني وجود النسبة الخارجية [والخبر لابد له من مسند اليه ومسند وإسناد، والمسند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلا أو فى معناه] كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وما أشبه ذلك، ولا وجه

وَكُلٌّ مِنَ الاسْنادِ وَالتَّعلُّقِ إمَّا بِقَصْرٍ أَوْ بِغَيْرِ قَصْرٍ ، وَكُلُّ جُمْلَةٍ قُرِنَتْ بِأُخْرَى إمَّا مَعْطُوفَةٌ عَلَيْهَا أَوْ غَيْرُ مَعْطُوفَةٍ ، وَالْكَلَامُ الْبَلِيغُ إمَّا زَائِدٌ عَلَى أَصْلِ الْمُرَادِ لِفَائِدَةٍ أَوْ غَيْرُ زَائِدٍ .

(تَنْبِيهٌ) : صِدْقُ الْخَبَرِ مُطَابَقَتُهُ لِلْوَاقِعِ وَكَذِبُهُ عَدَمُهَا ،

لتخصيص هذا الكلام بالخبر [وكل من الاسناد والتعلق إما بقصر أو بغير قصر، وكل جملة قرنت بأخرى إما معطوفة عليها أو غير معطوفة ، والكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة] احترز به عن التطويل ، على أنه لا حاجة اليه بعد تقييد الكلام بالبليغ [أو غير زائد] هذا كُلُّهُ ظاهرٌ لكن لاطائل تحته ، لأن جميع ماذكر من القصر والفصل والوصل والايجاز ومُقَابِلَيْهِ (١) إنما هو من أحوال الجملة أو المسند اليه أو المسند ، مثل التأكيد والتقديم والتأخير وغير ذلك ، فالواجب فى هذا المقام بيان سبب إفرادها وجعلها أبوابا برأسها ، وقد لخصنا ذلك فى الشرح .

﴿ صدق الخبر وكذبه ﴾

(تنبيه) : على تفسير الصدق والكذب الذى قد سبق إشارةٌ ما اليه فى قوله ـ تطابقه أو لا تطابقه ـ

اختلف القائلون بانحصار الخبر فى الصدق والكذب فى تفسيرهما ، فقيل [صدق الخبر مطابقته] أى مطابقة حكمه [للواقع] وهو الخارج الذى يكون لنسبة الكلام الخبرى [وكذبه] أى كذب الخبر [عدمها] أى عدم مطابقته للواقع ، يعنى أن الشيئين اللذين أُوقِعَ بينهما نسبة فى الخبر لابد أن يكون بينهما نسبة فى الواقع ، أى مع قطع النظر عما فى الذهن وعما يدل عليه الكلام ، فَمُطَابَقَةُ تلك النسبة المفهومة من الكلام للنسبة التى فى الخارج بأن تكونا ثبوتيتين أو سلبيتين صِدْقٌ ، وعَدَمُهَا بأن تكون

---

(١) هما الاطناب والمساواة .

وَقِيلَ مُطَابَقَتُهُ لِاعْتِقَادِ الْمُخْبِرِ وَلَوْ خَطَأً وَعَدَمُهَا ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) وَرُدَّ بِأَنَّ الْمَعْنَى لَكَاذِبُونَ فِي الشَّهَادَةِ ، أَوْ فِي تَسْمِيَتِهَا ، أَوْ

إحداها ثبوتية والأخرى سلبية كَذِبٌ .

[وقيل] صدْقُ الخبر [مطابقته لاعتقاد المخبر ولو كان] ذلك الاعتقاد [خطأ] غير مطابق للواقع [و] كَذِبُ الخبر [عدمها] أى عدم مطابقته لاعتقاد المخبر ولو كان خطأ (١) فقول القائل ـ السماء تحتنا ـ معتقدا ذلك صدق ، وقوله ـ السماء فوقنا ـ غير معتقد كذب ، والمراد بالاعتقاد الحكم الذهنى الجازم أو الراجح ، فيعم العلم والظن ، وهذا يشكل بخبر الشاك لعدم الاعتقاد فيه فيلزم الواسطة ولا يتحقق الانحصار ، اللهم إلا أن يقال إنه كاذب ، لأنه اذا انتفي الاعتقاد صدق عدم مطابقته الاعتقاد ، والكلام فى أن المشكوك خبر أو ليس بخبر مذكور فى الشرح ، فليطالع ثَمَّةَ [بدليل] قوله تعالى (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)] فانه تعالى جعلهم كاذبين فى قولهم إنك لرسول الله لعدم مطابقته لاعتقادهم ، وإن كان مطابقا للواقع [ورد] هذا الاستدلال [بأن المعنى لكاذبون فى الشهادة] وفى ادعائهم المواطأة ، فالتكذيب راجع الى الشهادة باعتبار تضمنها خبرا كاذبا غير مطابق للواقع ، وهو أن هذه الشهادة من صميم القلب وخلوص الاعتقاد ، بشهادة إنَّ واللام والجملة الاسمية (٢) [أو] المعنى إنهم لكاذبون [فى تسميتها] أى فى تسمية هذا الاخبار شهادة ، لأن الشهادة مايكون على وفق الاعتقاد ، فقوله تسميتها مصدر مضاف الى المفعول الثانى والأول محذوف [أو]

---

(١) وهذا قول النظام من المعتزلة (٢) فى قوله ـ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ ـ وهذا يفيد من التأكيد ما يفيد .

فى الْمَشْهُودِ بِهِ فِى زَعْمِهِمْ ـ اَلْجَاحِظُ مُطَابَقَتُهُ مَعَ الاعْتِقَادِ وَعَدَمُهَا مَعَهُ ، وَغَيْرُهُمَا لَيْسَ بِصِدْقٍ وَلَا كَذِبٍ ، بِدَلِيلِ (أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ)

المعنى إنهم لكاذبون [فى المشهود به] أعنى قولهم ـ إنك لرسول الله ـ لكن لا فى الواقع بل [فى زعمهم] الفاسد واعتقادهم الباطل ، لأنهم يعتقدون أنه غير مطابق للواقع ، فيكون كاذبا باعتقادهم وإن كان صادقا فى نفس الأمر ، فكأنه قيل ـ إنهم يزعمون أنهم كاذبون فى هذا الخبر الصادق ـ وحينئذ لا يكون الكذب إلا بمعنى عدم المطابقة للواقع ، فَلْيُتَأَمَّلْ لئلا يُتَوَهَّمَ أن هذا (١) اعتراف بكون الصدق والكذب راجعين إلى الاعتقاد .

[والجاحظ] أنكر انحصار الخبر فى الصدق والكذب ، وأثبت الواسطة ، وزعم أن صدق الخبر [مطابقته] للواقع [مع الاعتقاد] بأنه مطابق [و] كذب الخبر [عدمها] أى عدم مطابقته للواقع [معه] أى مع اعتقاد أنه غير مطابق [وغيرهما] أى غير هذين القسمين وهو أربعة : أعنى المطابقة مع اعتقاد عدم المطابقة ، أو بدون الاعتقاد أصلا ، وعدم المطابقة مع اعتقاد المطابقة ، أو بدون الاعتقاد أصلا [ليس بصدق ولا كذب] فَكُلٌّ من الصدق والكذب بتفسيره أخص منه بالتفسيرين السابقين ، لأنه اعتبر فى الصدق مطابقة الواقع والاعتقاد جميعا ، وفى الكذب عدم مطابقتهما جميعا ، بناء على أن اعتقاد المطابقة يستلزم مطابقة الاعتقاد ضرورة توافق الواقع والاعتقاد حينئذ ، وكذا اعتقاد عدم المطابقة يستلزم عدم مطابقة الاعتقاد، وقد اقْتُصِرَ فى التفسيرين السابقين على أحدهما (٢) [بدليل أفترى على الله كذبا أم به جنة] لأن الكفار حصروا إخبار النبى عليه السلام بالحشر والنشر على

(١) أى قول الخطيب ـ فى زعمهم (٢) وهو الواقع فى قول الجمهور ، والاعتقاد فى قول النظام .

لأَنَّ الْمُرَادَ بالثَّانى غَيْرُ الْكذب لأَنَّهُ قسيمُهُ ، وَغَيْرُ الصِّدْقِ لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْتَقِدُوهُ ، وَرُدَّ بأَنَّ الْمَعْنَى أَمْ لَمْ يَفْتَرِ ، فَعَبَّرَ عَنْهُ بِالْجِنَّةِ لأَنَّ الْمَجْنُونَ لَا افْتِرَاءَ لَهُ .

ما يدل عليـــه قوله تعالى (إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) فى الافتراء والاخبار حال الجِنَّة على سبيل منع الخلو (١) ولا شك [أن المراد بالثانى] أى الاخبار حال الجنـة لاقوله (أَمْ بِهِ جِنَّةٌ) على ماسـبق إلى بعض الأوهام [غـير الـكذب لأنه قسيمه] أى لان الثانى قسيم الـكذب ، إذ المعنى ا كَذَبَ أم أخبر حال الجنة ، وقسيم الشيء يجب أن يكون غيره [وغير الصدق لأنهم لم يعتقدوه] أى لأن الـكفار لم يعتقدوا صدقه ، فلا يريدون فى هذا المقام الصدق الذي هو بمراحل عن اعتقادهم ، ولو قال لأنهم اعتقدوا عدم صدقه لكان أظهر ، فمرادهم بكونه خبرا حال الجنة غير الصدق وغير الـكذب ، وهم عقلاء من أهل اللسان عارفون باللغة ، فيجب أن يكون من الخبر ماليس بصادق ولا كاذب حتى يكون هـذا منه بزعمهم ، وعلى هذا لا يتوجه ماقيل إنه لا يلزم من عدم اعتقادهم الصدق عدم الصدق ، لأنه لم يجعله دليلا على عدم الصدق بل على عدم إرادة الصدق ، فَلْيُتَأَمَّلْ [ورد] هذا الاستدلال [بأن المعنى] أى معنى - أَمْ بِهِ جِنَّةٌ [أم لم يفتر فعبر عنه] أي عدم الافتراء [بالجنـة لأن المجنون لاافتراء له] لأنه الـكذب عن عمد ، ولا عمد للمجنون ، فالثانى ليس قسيما للـكذب ، بل لما هو أخص منه ، أعنى الافتراء ، فيكون هـــذا حصرا للخبر الكاذب بزعمهم فى نوعيـه : أعنى الـكذب عَنْ عَمْد ، والـكذب لَا عَنْ عَمْد .

---

(١) هى مانعة جمع أيضاً ، لأن الـكذب لايكون فى حال الجنة ، إذ لا كذب مع عدم القصد .

أَحْوَالُ الاسْنَادِ الخَبَرِى

لَا شَكَّ أَنَّ قَصْدَ المُخْبِرِ

أحوال الاسناد الخبرى

وهو ضم كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى بحيث يفيد الحكم بأن مفهوم إحداها ثابت لمفهوم (١) الأخرى أو منفى عنه ، وإنما قدم بحث الخبر لعظم شأنه وكثرة مباحثه ، ثم قدم أحوال الاسناد على أحوال المسند اليه والمسند مع تأخر النسبة عن الطرفين لأن البحث فى علم المعانى إنما هو عن أحوال اللفظ الموصوف بكونه مسندا اليه أو مسندا ، وهذا الوصف إنما يتحقق بعد تحقق الاسناد ، والمتقدم على النسبة إنما هو ذات الطرفين ولا بحث لنا عنها .

[لا شك أن قصد المخبر] أى من يكون بصَدَد الاخبار والاعلام ، وإلا فالجملة الخبرية كثيرا ماتورد لأغراض أخر غير إفادة الحكم أولازمه ، مثل التحسر والتحزن فى قوله تعالى حكاية عن امرأة عمران (رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَى) وما أشبه ذلك (٢)

---

(١) المراد به مايفهم من اللفظ وهو الذات ، لان الحكم على الذات لاعلى المفهوم

(٢) ومنه إظهار الضعف والخشوع كقوله :

إلهى عَبْدُكَ العاصى أتاكَا ... مُقِرًّا بالذنوب وقد دعَاكا

ومنه توبيخ السامع كقوله :

أَنْتِ التى كَلَّفْتِنِى دُلَجَ السُّرَى ... وأَشْمَتَّ بِى من كان فيك يلومُ

ومنه إظهار الفرح والسرور كقوله :

هَنَاءٌ محاذاك العزاءَ الْمُقَدَّمَا ... فما عَبَسَ المحزونُ حتى تَبَسَّمَا

بِخَبَرِهِ إفادَةُ المُخاطَبِ إمَّا الحُكْمَ أَوْ كَوْنَهُ عالِمًا بِهِ ، وَيُسَمَّى الأَوَّلُ فائِدَةَ الخَبَرِ ، وَالثّانِي لازِمَها ، وَقَدْ يُنَزَّلُ العالِمُ بِهِما مَنْزِلَةَ الجاهِلِ لِعَدَمِ جَرْيِهِ عَلَى مُوجَبِ العِلْمِ ،

[بخبره] مُتَعَلِّقٌ بقصد [إفادة المخاطب] خبر إن [إما الحكم] مفعول الافادة [أو كونه] أى كون المخبر [عالما به] أي بالحكم ، والمراد بالحكم هنا وقوع النسبة أو لا وقوعها ، وكونه مقصودا للمخبر بخبره لا يستلزم تحققه فى الواقع (١) وهـذا مراد من قال : إن الخبر لايدل على ثبوت المعنى أو انتفائه على سبيل القطع ، وإلا فلايخفى (٢) أن مدلول قولنا ـ زيد قائم ـ ومفهومه أن القيام ثابت لزيد ، وعدم ثبوته له احتمالٌ عقليٌ لامدلولٌ ولا مفهومٌ للفظ ، فليفهم [ويسـمى الأول] أى الحكم الذى يقصـد بالخبر إفادته [فائدة الخبر والثانى] أى كون المخبر عالما به [لازمها] أى لازم فائدة الخبر ، لأنه كلما أفاد الحُكْمَ أفاد أنه عالم به ، وليس كلما أفاد أنه عالم بالحكم أفاد نفس الحكم ، لجواز أن يكون الحكم معلوما قبـل الاخبار ، كما فى قولنا لمن حفظ التوراة ـ قد حَفِظْتَ التوراة ـ وتسميةُ مثل هـذا الحكم فائدةَ الخـبر بناءٌ على أنه من شأنه أن يقصد بالخبر ويستفاد منه ، والمراد بكونه عالما بالحكم حصول صورة الحكم فى ذهنه ، وههنا أبحاث شريفة سمحنا بها فى الشرح .

[وقد ينزل] المخاطب [العالم بهما] أى بفائدة الخبر ولازمها [منزلة الجاهل] فَيُلْقَى اليه الخبر وإن كان عالما بالفائدتين [لعدم جريه على موجب العلم] فان من لايجرى على مقتضى علمه هو والجاهل سواء ، كما يقال للعالم التارك للصلاة ـ الصلاة واجبة ـ (٣)

---

(١) لجواز أن يكون الخبر كاذبا (٢) أي وإلا نقل هذا مراده ، بأن يكون مراده نفى دلالة الخبر على ثبوت الحكم أو انتفائه ، فلا يصح كلامه ، لأنه لا يخفى . . . .

(٣) ومن ذلك قول الفرزدق لهشام بن عبد الملك حين قال لسائله عن على زين العابدين إنه لا يعرفه وهو يعرفه .

فَيَنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ مِنَ التَّرْكِيبِ عَلَى قَدْرِ الحَاجَةِ ، فَإِنْ كَانَ خَالِيَ الذِّهْنِ مِنَ الحُكْمِ وَالتَّرَدُّدِ فِيهِ اسْتُغْنِيَ عَنْ مُؤَكِّدَاتِ الحُكْمِ ، وَإِنْ كَانَ مُتَرَدِّدًا فِيهِ طَالِبًا لَهُ حَسُنَ تَقْوِيَتُهُ بِمُؤَكِّدٍ ،

وتنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل به لاعتبارات خطابية كثير فى الكلام (١) منه قوله تعالى (وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) بل تنزيل وجود الشيء منزلة عدمه كثير ، منه قوله تعالى (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى) [فينبغى] أى اذا كان قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب ينبغى [أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة] حذرا عن اللغو [فان كان] المخاطب [خالى الذهن من الحكم والتردد فيه] أى لا يكون عالما بوقوع النسبة أَوْ لَاَ وُقُوعِهَا ولا مُتَرَدِّدًا فى أن النسبة هل هي واقعة أم لا ، وبهذا تبين فساد ماقيل - إن الخلو عن الحكم يستلزم الخلو عن التردد فيه ، فلا حاجة الى ذكره ، بل التحقيق إن الحكم والتردد فيه متنافيان [استغنى] على لفظ المبنى للمفعول [عن مؤكدات الحكم] لتمكن الحكم في الذهن حيث وجده خاليا [وإن كان] المخاطب [مترددا فيه] أى فى الحكم [طالبا له] بأن حضر في ذهنه طرفا الحكم ، وتحير فى أن الحكم بينهما وقوع النسبة أَوْ لَاَ وُقُوعُهَا [حسن تقويته] أى تقوية الحكم [بمؤكد] ليزيل ذلك المؤكد تردده ، ويتمكن

هذا ابْنُ خير عبادِ الله كُلِّهِمُ ... هذا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ العَلَمُ

هذا ابن فاطمة إن كنتَ جاهلَهُ ... بِجَدِّهِ أنبياءُ الله قد خُتِمُوا

(١) أى وإن لم يكن مما معنا من تنزيل العالم بفائدة الخبر ولازمها منزلة الجاهل بهما ، كما في هذه الآية ، لأنها ليست منه ، وإنما هى من تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل به مطلقا .

وَإِنْ كَانَ مُنْكِرًا وَجَبَ تَوْكِيدُهُ بِحَسَبِ الانكارِ ، كما قالَ تَعَالى حكَايَةً عَنْ رُسُلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ كُذِّبُوا فى المَرَّةِ الأُولَى (إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ) وَفِى الثانِيَةِ (إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) وَيُسَمَّى الضَّرْبُ الأَوَّلُ ابْتِدَائِيًّا ، وَالثَّانِى طَلَبِيًّا ، وَالثَّالِثُ إِنْكَارِيًّا ، وَإِخْرَاجُ الْكَلَامِ عَلَيْهَا إِخْرَاجًا عَلَى مُقْتَضَى الظَّاهِرِ ،

فيه الحكم ، لَكِنِ المذكورُ فى دلائل الاعجاز أنه انما يحسن التأكيد اذا كان للمخاطب ظَنٌّ فى خلاف حكمك [وإن كان] أى المخاطب [منكرا] للحكم [وجب توكيده] أى توكيد الحكم [بحسب الانكار] أي بقدره قوة وضعفا ، يعنى يجب زيادة التأكيد بحسب ازدياد الانكار إزالَةً له [كما قال الله تعالى حكاية عن رسل عيسى عليه السلام إذ كذبوا فى المرة الأولى - إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ] مؤكدا بإنَّ واسمية الجملة [وفى] المرة [الثانية] ربُّنا يعلمُ [إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ] مؤكدا بالقسم وإنَّ واللام واسمية الجملة ، لمبالغة المخاطبين فى الانكار ، حيث قالوا (مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ) وقوله إذ كذبوا مبنى على أن تكذيب الاثنين تكذيب للثلاثة والا فالمُكَذَّبُ أوّلاً اثنان (١) [ويسمى الضرب الأول ابتدائيا والثانى طلبيا والثالث إنكاريا و] يسمى [إخراج الكلام عليها] أى على الوجوه المذكورة ، وهى الخلو عن التأكيد فى الأول ، والتقوية بمؤكد استحسانا فى الثاني ، ووجوب التأكيد بحسب الانكار فى الثالث [إخراجا على مقتضى الظاهر] وهو أخص مطلقا من مقتضى الحال ، لأن معناه مقتضى ظاهر الحال ، فكل مقتضى الظاهر مقتضى الحال من غير

---

(١) لقوله تعالى (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) الآية .

وَكَثِيرًا ما يُخْرِجُ الْكَلَامُ عَلَى خلَافِه ، فَيُجعَلُ غَيرُ السَّائِل كالسَّائِل إذَا قُدِّمَ إلَيْـه ما يُلَوِّحُ لَهُ بالخَبَرِ ، فَيَسْتَشْرِفُ لَهُ اسْتِشْرَافَ المُتَرَدِّدِ الطَّالِب ، نَحْوُ (وَلَا تُخَاطِبْنِي

عكس (١) كما فى صورة إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، فانه يكون على مقتضى الحال ، ولا يكون على مقتضى الظاهر .

[و كثيراً مايخرج] الكلام [على خلافه] أى على خلاف مقتضى الظاهر [فيجعل غير السائل كالسائل إذا قدم اليـه] أي إلى غير السائل [مايلوح] أى يشير [له] أي لغير السائل [بالخبر فيستشرف] غَيْرُ السائل [له] أى للخبر يعنى ينظر اليـه ، يقال ـ

---

(١) لأن ظاهر الحال هو مايكون له ثبوت فى الواقع كانكار المنكر ونحوه ، أما الحال فقـد يكون ثابتا فى الواقع وقد يكون غير ثابت فيـه ، كتنزيل غير السائل منزلة السائل ، فهو أمر يعتبره المتكلم وليس له ثبوت فى الواقع .

تطبيقات على أغراض الخبر وأضربه :

(١) ذهب الذين يُعَاشُ فى أكنافهمْ وبَقِيتُ فى خَلَفٍ كَجِلْدِ الأجرب

(٢) لئن كنتُ محتاجًا الى الحلم إنَّنى إلى الجهل فى بعض الأحايين أحْوَجُ

فالأول يقصد منه إظهار الضعف ، والثانى من الضرب الانكارى ، والتأكيد فيه بلام القسم وإنَّ .

أمثلة أخرى :

(١) (إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) :

(٢) ظَمِئْتُ وفى فَمِي الأدبُ المُصَفَّى وَضِعتُ وفى يَدِى الكَنزُ الثَّمِينُ

(٣) أَمَا دون مصرٍ لِلْغِنَى مُتَطَلَّبٌ بَلَى إنَّ أسبابَ الغِنَى لَكَثِيرُ

فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ) وَغَيْرُ الْمُنْكِرِ كَالْمُنْكِرِ إِذَا لَاحَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمَارَاتِ الْإِنْكَارِ ، نَحْوُ :

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضًا رُمْحَهُ إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحْ

استشرف فلان الشيء - إذا رفع رأسه لينظر اليه ، وبسط كفه فوق الحاجب كالمستظل من الشمس [استشراف الطالب المتردد نحو ، ولا تخاطبني فى الذين ظلموا] أى ولا تدعني يا نوح فى شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك ، فهذا كلام يُلوِّح بالخبر تلويحًا ما ، ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب ، فصار المقام مقام أن يتردد المخاطب في أنهم هل صاروا محكوما عليهم بالاغراق أم لا ، فقيل [إنهم مغرقون] مُؤَكَّدًا ، أى محكوم عليهم بالاغراق .

[و] يجعل [غير المنكر كالمنكر إذا لاح] أي ظهر [عليه] أي على غير المنكر [شيء من أمارات الانكار ، نحو(١) جاء شقيق] اسم رجل [عارضاً رمحه] اى واضعا له على الْعَرْضِ (٢) فهو لا ينكر أن فى بنى عمه رماحا ، لَكِنَّ مجيئه واضعا الرمح على العرض من غير التفات وتَهَيُّؤٍ أَمَارَةٌ أنه يعتقد أنْ لَارُمْحَ فيهم ، بل كلهم عُزْلٌ لاسلاح معهم فنزل منزلة المنكر ، وخوطب خطاب التفات بقوله [إن بنى عمك فيهم رماح] مؤكدا بان ، وفى البيت على ماأشاراليه الامام المرزوقى تهكم واستهزاء ، كأنه يرميه بأن فيه من الضعف والجبن بحيث لو علم أن فيهم رماحا لما التفت لِفْتَ الكفاح ، ولم تقو يده على حمل الرماح ، على طريقة قوله :

فقلتُ لِمُحْرِزٍ لَمَّا التقينا تَنَكَّبْ لايُقَطِّرْكَ الزِّحَامُ (٣)

---

(١) البيت لحجل بن نضلة (٢) يريد عرض الرمح ، بأن جعله على فخذيه بحيث يكون عرض الرمح فى جهتهم ، وهذا من أمارة عدم التصدى للحرب (٣) هو لأبى ثمامة البراء بن عازب

وَالْمُنْكِرُ كَغَيْرِ الْمُنْكِرِ إِذَا كَانَ مَعَهُ مَا إِنْ تَأَمَّلَهُ ارْتَدَعَ ، نَحْوُ (لَا رَيْبَ فِيهِ)

يرميه بأنه لم يباشر الشدائد ، ولم يدفع إلى مضائق المجامع ، كأنه يخاف عليه أن يُدَسَّ بالقوائم كما يخاف على الصبيان والنساء ، لقلة غَنَائه ، وضعف بنائه .

[و] يجعل [المنكر كغير المنكر إذا كان معه] أى مع المنكر [ما إن تأمله] أي شىء من الدلائل والشواهد إن تأمل المنكر ذلك الشىء [ارتدع] عن إنكاره ، ومعنى كونه معه أن يكون معلوما له ومشاهدا عنده ، كما تقول لمنكر الاسلام - الاسلام حق - من غير تأكيد ، لان مع ذلك المنكر دلائل دالة على حَقِّيَّة الاسلام ، وقيل معنى كونه معه أن يكون موجودا فى نفس الأمر ، وفيه نظر لأن مجرد وجوده لا يكفي فى الارتداع مالم يكن حاصلا عنده ، وقيل معنى ما إن تأمله شيء من العقل ، وفيه نظر لأن المناسب حينئذ أن يقال - ما إن تأمل به - لأنه لا يتأمَّلُ العقل بل يُتأمَّل به [نحو لا ريب فيه] ظاهر هذا الكلام أنه مثال لجعل منكر الحكم كغيره ، وترك التأكيد لذلك ، وبيانه أن معنى لا ريب فيه ليس القرآن بمظنة للريب ، ولا ينبغى أن يرتاب فيه ، وهذا الحكم مما ينكره كثير من المخاطبين ، لكن نزل إنكارهم منزلة عدمه ، لما معهم من الدلائل الدالة على أنه ليس مما ينبغى أن يرتاب فيه ، والأحسن أن يقال - إنه نظير لتنزيل وجود الشيء منزلة عدمه بناء على وجود ما يزيله (١) فانه نزل ريب المرتابين منزلة عدمه تعويلا على

الأنصاري ، ومحرز اسم رجل من بنى ضبة ، وتنكب تجنب القتال ، ويقطرك يلقك على الأرض (١) إنما كان هذا أحسن لأن الظاهر أن المنفى نفس الريب لا كون القرآن محلا للريب كما فى الأول ، ولأنه لو كان هذا تمثيلا لا تنظيرا لتناقض مع قوله بعد - وهكذا اعتبارات النفى - لأن هذا المثال من هذه الاعتبارات على التقدير الأول .

تطبيقات على تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر :

(١) بَكِّرَا صَاحِبَيَّ قبل الهَجِيرِ إِنَّ ذَاكَ النجاحَ فى التَّبْكِيرِ

وَهكَذَا اُعْتِبارَاتُ النَّفْيِ .

ثُمَّ الاسْنَادُ مِنْهُ حَقِيقَةٌ عَقْلِيَّةٌ ،

وجود ما يزيله ، حتى صح نفي الريب على سبيل الاستغراق ، كما نزل الانكار منزلة عدمه لذلك ، حتى صح ترك التأكيد [وهكذا] أى مثل اعتبارات الاثبات [اعتبارات النفى] من التجريد عن المؤكدات فى الابتدائى ، وتقويته بمؤكد استحسانا فى الطلبى ، ووجوب التأكيد بحسب الانكار فى الانكارى ، تقول لخالى الذهن - ما زيد قائما - أو ليس زيد قائما - وللطالب - ما زيد بقائم - وللمنكر - والله ما زيد بقائم - وعلى هذا القياس .

الاسناد الحقيقى والمجازى

[ثم الاسناد] مطلقا سواء كان إنشائيا أو إخباريا [منه حقيقة عقلية] لم يقل إما حقيقة وإما مجاز لأن بعض الاسناد عنده ليس بحقيقة ولا مجاز (١) كقولنا - الحيوان

---

(٢) (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) .

فالأول من تنزيل غير السائل منزلة السائل ، وقوله تعالى (وإلهنا وإلهكم واحد) من تنزيل المنكر منزلة غير المنكر .

أمثلة أخرى :

(١) عليكَ باليأسِ من النَّاسِ   إنَّ غِنَى نفسك فى اليَأْسِ

(٢) (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) .

(١) وهو إسناد غير الفعل أو معناه كما فى المثالين ، وقد حصر السكاكى الاسناد فى الحقيقة والمجاز ، ولهذا قال فى تعريفهما - إسناد الشيء الى ما هو له أو إلى غير ما هو له ، والشيء أعم من الفعل وغيره .

وَهِىَ : إِسْنَادُ الْفِعْلِ أَوْ مَعْنَاهُ إِلَى مَاهُوَ لَهُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ فِى الظَّاهِرِ ، كَقَوْلِ الْمُؤْمِنِ ـ أَنْبَتَ اللهُ الْبَقْلَ ـ وَقَوْلِ الْجَاهِلِ ـ أَنْبَتَ الرَّبِيعُ الْبَقْلَ ـ وَكَقَوْلِكَ ـ جَاءَ زَيْدٌ ـ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَجِىءْ

جسم ، والانسان حيوان ـ وجعل الحقيقة والمجاز صفتى الاسناد دون الكلام لأن اتصاف الكلام بهما إنما هو باعتبار الاسناد (١) ، وأوردهما فى علم المعاني لأنهما من أحوال اللفظ فيدخلان فى علم المعانى [وهى] أى الحقيقة العقلية [إسناد الفعل أو معناه] كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والظرف [إلى ما] أى إلى شيء [هو] أى الفعل أو معناه [له] أى لذلك الشيء ، كالفاعل فيما بنى له نحو ـ ضَرَبَ زيدٌ عمراً ـ أو المفعول فيما بني له نحو ـ ضُرِبَ عَمْرٌو ـ فان الضاربية لزيد والمضروبية لعمرو [عند المتكلم] مُتَعَلِّقٌ بقوله ـ له ـ وبهذا دخل فيه مايطابق الاعتقاد دون الواقع [فى الظاهر] وهو أيضاً متعلق بقوله ـ له ـ وبهذا يدخل فيه مالا يطابق الاعتقاد ، والمعنى إسناد الفعل أو معناه إلى ما يكون هو له عند المتكلم فيما يفهم من ظاهر حاله ، وذلك بأن لا ينصب قرينة دالة على أنه غير ماهو له فى اعتقاده ، ومعنى كونه له أن معناه قائم به ووصف له وحقه أن يسند اليه ، سواء كان مخلوقا لله تعالى أو لغيره ، وسواء كان صادرا عنه باختياره كضرب ، أو لا كمات ومرض ، وأقسام الحقيقة العقلية على مايشمله التعريف أربعة : الأول مايطابق الواقع والاعتقاد جميعا [كقول المؤمن أنبت الله البقل و] الثانى مايطابق الاعتقاد فقط نحو [قول الجاهل أنبت الربيع البقل] والثالث مايطابق الواقع فقط كقول المعتزلى لمن لايعرف حاله وهو يخفيها منه ـ خالق الله تعالى الأفعال كلها ـ وهذا المثال متروك فى المتن [و] الرابع مالا يطابق الواقع ولا الاعتقاد [نحو قولك جاء زيد وأنت] أى والحال أنك خاصة [تعلم أنه لم يجىء] دون المخاطب ، إذ لو علمه المخاطب أيضا لما تعين كونه حقيقة ، لجواز أن يكون المتكلم قد

وَمِنْهُ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ ، وَهُوَ : إِسْنَادُهُ إِلَى مُلَابِسٍ لَهُ غَيْرِ مَا هُوَ لَهُ بِتَأَوُّلٍ ، وَلَهُ مُلَابَسَاتٌ شَتَّى ، يُلَابِسُ الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ وَالْمَصْدَرَ وَالزَّمَانَ وَالْمَكَانَ وَالسَّبَبَ ،

جعل علم السامع بأنه لم يجيء قرينة على أنه لم يرد ظاهره (١) فلا يكون الاسناد إلى ماهو له عند المتكلم فى الظاهر .

[ومنه] أى ومن الاسناد [مجاز عقلى] ويسمى مجازا حُكْمِيًّا ومجازا فى الاثبات وإسنادا مجازيا [وهو إسناده] أى إسناد الفعل أو معناه [إلى ملابس له] أى للفعل أو معناه [غير ماهو له] أى غير الملابس الذى ذلك الفعل أو معناه مَبْنِيٌّ له ، يعنى غير الفاعل فى المبنى للفاعل ، وغير المفعول به فى المبنى للمفعول به ، سواء كان ذلك الغير غيرا فى الواقع أو عند المتكلم فى الظاهر ، وبهذا سقط ما قيل ـ إنه إن أراد به غير ماهو له عند المتكلم فى الظاهر فلا حاجة إلى قوله ـ بتأَوُّل ـ وهو ظاهر ، وإن أراد به غير ماهو له فى الواقع خرج عنه مثل قول الجاهل ـ أنبت الله البقل ـ مجازا باعتبار الاسناد الى السبب [بتأول] مُتَعَلِّقٌ باسناده ، ومعنى التأول تَطَلُّبُ مايؤول اليه من الحقيقة ، أو المَوْضِعِ الذى يؤول اليه من العقل (٢) وحاصله أن ينصب قرينة صارفة عن أن يكون الاسناد الى ماهو له .

[وله] أي للفعل وهذا إشارة إلى تفصيل وتحقيق للتعريفين [ملابسات شتى] أى مختلفة ، جمع شَتِيت كمريض ومرضى [يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والسبب] ولم يتعرض للمفعول معه والحال ونحوهما لأن الفعل

---

(١) أي ويجوز ألا يكون قد جعل هذا قرينة على أنه لم يرد ظاهره ، فيكون حقيقة كاذبة (٢) وعلى هذا لا يلزم أن يكون المجاز حقيقة كما سيأتى فى نحو ـ أَقْدَمَنِي بَلَدَكَ حَقٌّ لِي عَلَى فُلَانٍ ، بخلاف المعنى الأول .

فاسْناده إلى الفاعل أو المَفْعُول به إذا كانَ مبنياً له حقيقةٌ كما مرَّ ، وإلى غيرهما للملابسة مجازٌ ، كقولهم ـ عيشةٌ راضيةٌ ـ وسيلٌ مفعمٌ ـ وشعرٌ شاعرٌ ـ ونهاره صائمٌ ـ ونهرٌ جارٍ ـ وبنَى الأميرُ المدينةَ ـ

لايسند اليها [فاسناده إلى الفاعل أو المفعول به إذا كان مبنيا له] أى للفاعل أو المفعول به ، يعني أن إسناده إلى الفاعل اذا كان مبنيا للفاعل ، أو الى المفعول به اذا كان مبنيا للمفعول به [حقيقة كما مر] من الأمثلة [و] إسناده [الى غيرهما] أى غير الفاعل أو المفعول به ، يعني غير الفاعل في المبنى للفاعل ، وغير المفعول به في المبنى للمفعول به [للملابسة] يعني لأجل أن ذلك الغير يشابه ماهو له في ملابسة الفعل [مجاز كقولهم عيشة راضيـــة] فيما بني للفاعل وأسند الى المفعول به ، إذ العيشة مَرْضيَّة [وسيل مفعم] في عكسه ، أعنى فيما بني للمفعول وأسند الى الفاعل ، لأن السيل هو الذي يُفْعِمُ أى يَمْلأُ ، من أفعمْتُ الاناء اي ملأته [وشعر شاعر] في المصدر (١) والأولى التمثيل بنحو ـ جَدَّ جِدُّه ـ لأن الشعر هنا بمعنى المفعول (٢) [ونهاره صائم] في الزمان [ونهر جار] في المكان ، لأن الشخص صائم في النهار ، والماء جار في النهر [وبنى الأمير المدينة] في السبب ، وينبغى أن يعلم أن المجاز العقلي يجرى في النسبة الغير الاسنادية أيضا من الاضافية والايقاعية (٣) نحو ـ أعجبنى إنْبَاتُ الربيعِ البَقْلَ وجَرْيُ الأنْهَارِ ـ قال الله تعالى (فَإنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا) و (مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) ونحو ـ نَوَّمْتُ اللَّيْلَ ، وَأجْرَيْتُ النَّهَرَ ، قال الله تعالى (وَلَا تُطِيعُوا أمْرَ الْمُسْرِفِينَ) والتعريف

---

(١) أي فيما بنى للفاعل وأسند الى المصدر ، وكذا يقال فيما يأتي .

(٢) وهو الكلام المنظوم ، فيكون هذا من باب ـ عيشةٌ راضيةٌ .

(٣) النسبة الايقاعية هى نسبة الفعل الى المفعول به .

وَقولنا بتأوُّل يُخرِج نحوَ ما مرَّ من قول الجاهل ، ولهذا لم يُحمل نحوُ قوله :

أشابَ الصّغيرَ وأفنَى الكبيـ ـرَ كرُّ الغَداة ومرُّ العَشِيّ

عَلَى المجاز مالم يُعلَم او يُظنّ أنّ قائله لم يعتقد ظاهره ،

المذكور إنما هو للاسنادى ، اللهم إلا أن يراد بالاسناد مطلق النسبة ، وههنا مباحث نفيسة وشحنا بها الشرح [وقولنا] فى التعريف [بتأول يخرج نحو مامر من قول الجاهل] - أنبت الربيع البقل - رائيا الانبات من الربيع ، فان هذا الاسناد وإن كان الى غير ماهو له في الواقع ، لكنْ لاَ تأوُّلَ فيه ، لأنه مراده ومعتقده ، وكذا - شفى الطبيب المريض ونحو ذلك - فقوله - بتأول - يخرج ذلك كما يخرج الأقوال الكاذبة ، وهذا تعريض بالسكاكى حيث جعل التأول لاخراج الأقوال الكاذبة فقط ، وللتنبيه على هذا تَعَرَّضَ المصنف فى المتن لبيان فائدة هذا القيد ، مع أنه ليس ذلك من دأبه فى هذا الكتاب ، وَاقتصَرَ على بيان إخراجه لنحو قول الجاهل مع أنه يخرج الأقوال الكاذبة أيضا [ولهذا] أي ولأن مثل قول الجاهل خارج عن المجاز لاشتراط التأول فيه [لم يحمل نحو قوله :

أشابَ الصغير وأفنى الكبيـ ـر كرُّ الغداة ومرُّ العشِيّ (١)]

[على المجاز] أى على أن إسناد أشاب وأفنى الى كرِّ الغداة ومرِّ العشى مجاز [ما] دام [لم يعلم أو] لم [يظن أن قائله] أى قائل هذا القول [لم يعتقد ظاهره] أى ظاهر

---

(١) هو للصلتان العبدى من شعراء الدولة الأموية ، واسمه قثم بن حبيبة بن عبد القيس وقيل لغيره ، وبعد هذا البيت :

إذا ليلةٌ أهرمتْ يومها أتى بعد ذلك يومٌ فتِي

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجةُ من عاش لاتنقضى

كما اسْتَدلَّ عَلَى أَنَّ إسناد ـ مَيَّزَ ـ في قول أبي النَّجْمِ :

مَيَّزَ عَنْــهُ قُنزعاً عَنْ قُنزعِ جَذْبُ اللَّيالى أَبْطِئِ أَوْ أَسْرِعِي

مَجَازٌ بِقَوْلِهِ عَقِيبَهُ :

• أَفْنَاهُ قِيلُ اللهِ لِلشَّمسِ اطْلُعِي •

الاسناد ، لانتفاء التأول حينئذ ، لاحتمال أن يكون هو معتقدا للظاهر ، فيكون من قبيل قول الجاهل ـ أنبت الربيع البقل [كما استدل] يعنى مالم يعلم ولم يستدل بشيء على أنه لم يرد ظاهره مثل الاستدلال [على أن إسناد ميز] الى جَذْبِ الليالى [فى قول أبى النجم(١) ميز عنه] أى عن الرأس [قنزعا عن قنزع] هو الشعر المجتمع فى نواحى الرأس [جذب الليالى] أى مُضِيُّهَا واختلافها [أبطئ أو أسرعى] هو حال من الليالى على تقدير القول (٢) أى مَقُولاً فيها ، ويجوز أن يكون الأمر بمعنى الخبر [مجاز] خبر إن ، أى استدل على أن إسناد مَيَّزَ الى جذب الليالى مجاز [بقوله] مُتَعَلِّقٌ باستدل ، أى بقول أبى النجم [عقيبه] أى عقيب قوله ـ ميز عنه قنزعا عن قنزع [أفناه] أي أبا النجم أو شعر رأسه [قيل الله] أي أمر الله تعالى وإرادته [للشمس اطلعى] فانه يدل على أنه يعتقد أنه فعل

---

(١) اسمه الفضل بن قدامة من شعراء الدولة الأموية ، وهذا البيت من قوله :

قد أصبحتْ أمُّ الخيــار تَدَّعى عَلَيَّ ذنباً كُلُّــهُ لم أصْنَعِ

من أنْ رأتْ رأسى كرأس الأصلع مَيَّزَ عنه قُنزعاً عن قُنْزعِ

جَذْبُ الليالى أبْطِئِي أو أسْرِعي أفناه قِيلُ الله للشمس اطْلُعِي

حتى إذا وَارَاكِ أُفْقٌ فارجعى

(٢) لأن الجملة الطلبية إذا وقعت حالاً وجب فيها تقدير القول على نحو ما قدر هنا ، لأنها وصف فى المعنى ، والوصف لايكون جملة طلبية

وأقسامه أربعة : لأن طرفيه إما حقيقتان ، نحو - أنبت الربيع البقل - أو مجازان ، نحو - أحيا الأرض شباب الزمان - أو مختلفان ، نحو - أنبت البقل شباب الزمان ، وأحيا الأرض الربيع .

- وهو فى القرآن كثير - وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا - يذبح أبناءهم -

---

الله وأنه المبدىء والمعيد والمنشىء والمفنى ، فيكون الاسناد الى جذب الليالى بتأول بناء على أنه زمان أو سبب .

[وأقسامه] أى أقسام المجاز العقلى باعتبار حقيقية الطرفين ومجازيتهما [أربعة لأن طرفيه] وهما المسند اليه والمسند [إما حقيقتان] لغويتان [نحو أنبت الربيع البقل أو مجازان] لغويان [نحو أحيا الأرض شباب الزمان] فان المراد باحياء الأرض تهييج القوى النامية فيها ، وإحداث نضارتها بأنواع النبات ، والاحياء فى الحقيقة إعطاء الحياة ، وهى صفة تقتضى الحس والحركة الارادية ، وكذا المراد بشباب الزمان زمان ازدياد قواها النامية ، وهو فى الحقيقة عبارة عن كون الحيوان فى زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة ، أى قوية مشتعلة [أو مختلفان] بأن يكون أحد الطرفين حقيقة والآخر مجازا [نحو أنبت البقل شباب الزمان] فيما المسند حقيقة والمسند اليه مجاز [وأحيا الأرض الربيع] فى عكسه ، ووجه الانحصار فى الأربعة علي ماذهب اليه المصنف ظاهر ، لأنه اشترط فى المسند أن يكون فعلا أو فى معناه ، فيكون مفردا ، وكل مفرد مستعمل إما حقيقة أو مجاز .

[وهو] أى المجاز العقلى [فى القرآن كثير] أي كثير فى نفسه لا بالاضافة إلى مقابله حتى تكون الحقيقة العقلية قليلة ، وتقديم فى القرآن على كثير لمجرد الاهتمام ، كقوله تعالى [وإذا تليت عليهم آياته] أى آيات الله [زادتهم إيمانا] أسند الزيادة وهى فعل الله تعالى إلى الآيات لكونها سببا [يذبح أبناءهم] نسب التذبيح الذى هو

يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ـ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ـ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ـ وَغَيْرُ مُخْتَصٍّ بِالْخَبَرِ ، بَلْ يَجْرِى فِى الْإِنْشَاءِ نَحْوُ ـ يَاهَامَانُ ابْنِ لِى صَرْحًا ـ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَرِينَةٍ لَفْظِيَّةٍ كَمَا مَرَّ ، أَوْ مَعْنَوِيَّةٍ ، كَاسْتِحَالَةِ قِيَامِ الْمُسْنَدِ بِالْمَذْكُورِ

فعل الجيش إلى فرعون لأنه سبب آمر [ينزع عنهما لباسهما] نَسَبَ نَزْعَ اللباس عن آدم وحواء ـ وهو فعل الله تعالى حقيقة ـ إلى إبليس ، لأن سببه الأكل من الشجرة ، وسبب الأكل وسوسته ومقاسمته إياهما إنه لهما لمن الناصحين [يوما] نصب على أنه مفعول به ـ لتتَّقُونَ ـ أى كيف تتقون يوم القيامة إن بقيتم على الكفر يوما [يجعل الولدان شيبا] نسب الفعل إلى الزمان وهو لله تعالى حقيقة ، وهذا كناية عن شدته وكثرة الهموم والأحزان فيه ، لأن الشيب مما يتسارع عند تفاقم الشدائد والمحن ، أو عن طوله وأن الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة [وأخرجت الأرض أثقالها] أي مافيها من الدفائن والخزائن ، نسب الاخراج إلى مكانه وهو فعل الله تعالى حقيقة

[وغير مختص بالخبر] عَطْفٌ على قوله ـ كثير ـ أى وهو غير مختص بالخبر ، وإنما قال ذلك لأن تسميته بالمجاز فى الاثبات وإيراده فى أحوال الاسناد الخبرى يوهم اختصاصه بالخبر [بل يجرى فى الانشاء نحو يا هامان ابن لى صرحا] لأن البناء فعل العملة ، وهامان سبب آمر ، وكذا قولك ـ لِيُنْبِتِ الرَّبِيعُ مَاشَاءَ ـ وَلْيَصُمْ نَهَارُكَ ـ وَلْيَجِدَّ جِدُّكَ ـ وماأشبه ذلك مما أسند فيه الأمر أو النهى إلى ماليس المطلوب فيه صدور الفعل أو الترك عنه ، وكذا قولك ـ لَيْتَ النَّهَرَ جَارٍ ـ وقوله تعالى (أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ)

[ولابدله] أى للمجاز العقلى [من قرينة] صارفة عن إرادة ظاهره ، لأن المتبادر إلى الفهم عند انتفاء القرينة هو الحقيقة [لفظية كما مر] فى قول أبى النجم من قوله ـ أَفْنَاهُ قِيلُ اللهِ ـ [أو معنوية كاستحالة قيام المسند بالمذكور] أى بالمسند اليه المذكور

عَقْلاً ، كَقَوْلِكَ ـ مَحَبَّتُكَ جاءَتْ بِى إلَيْكَ ـ أَوْ عادَةً نَحْوُ ـ هَزَمَ الأَمِيرُ الجُنْدَ ـ وَصُدُورِهِ عَنِ المُوَحِّدِ فى مِثْلِ ـ أَشابَ الصَّغِيرَ ـ.

وَمَعْرِفَةُ حَقِيقَتِهِ إِمَّا ظاهِرَةٌ ، كَما فى قَوْلِهِ تَعالَى (فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ) أَىْ فَما رَبِحُوا فى تِجارَتِهِمْ ، وَإِمَّا خَفِيَّةٌ ، كَما فى قَوْلِكَ ـ سَرَّتْنِى رُؤْيَتُكَ ـ أَىْ سَرَّنِى اللهُ عِنْدَ رُؤْيَتِكَ ، وَقَوْلِهِ :

مع المسند [عقلا] أى من جهة العقل ، يعنى أن يكون بحيث لايدّعى أحد من المحقِّقين والمُبْطلِينَ أنه يجوز قيامه به ، لأن العقل إذا خُلِّيَ ونفسه يعده محالا [كقولك محبتك جاءت بى اليك] لظهور استحالة قيام المجىء بالمحبة [أو عادة] أى من جهة العادة [و هزم الأمير الجند] لاستحالة قيام هزم الجند بالأمير وحده عادة ، وإن كان ممكنا عقلا ، وإنما قال ـ قيامه به ـ ليعم الصدور عنه مثل ـ ضَرَبَ وهَزَمَ ـ وغيره مثل ـ قَرُبَ وبَعُدَ ـ [وصدوره] عطفٌ على ـ استحالة ـ أي وكصدور الكلام[عن الموحد فى مثل أشاب الصغير] وأفنى الكبير ـ البيت ـ فانه يكون قرينة معنوية على أن إسناد ـ أشَابَ وأفْنَى ـ إلى كَرِّ الغداه ومَرِّ العشى مجاز ، لايقال هذا داخل فى الاستحالة ، لأنا نقول لا نسلم ذلك ، كيف وقد ذهب اليه كثير من ذوى العقول ، واحتجنا فى إبطاله إلى الدليل .

[ومعرفة حقيقته] يعنى أن الفعل فى المجاز العقلى يجب أن يكون له فاعل أو مفعول به إذا أسند اليه يكون الاسناد حقيقة ، فمعرفة فاعله أو مفعوله الذى إذا أسند اليه يكون الاسناد حقيقة [إما ظاهرة كما فى قوله تعالى ـ فما ربحت تجارتهم ـ أى فما ربحوا فى تجارتهم ـ وإما خفية] لاتظهر إلا بعد نظر وتأمل [كما فى قولك ـ سرتنى رؤيتك ـ أى سرنى الله عند رؤيتك ـ وقوله] :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرًا

أَىْ يَزِيدُكَ اللهُ حُسْنًا فِى وَجْهِهِ .

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا (١)

[أى يزيدك الله حسنافي وجهه] لِمَا أُودِعَهُ من دقائق الحسن والجمال ، تظهر بعد التأمل والامعان ، وفى هذا تعريض بالشيخ عبد القاهر ورد عليه ، حيث زعم أنه لا يجب فى المجاز العقلى أن يكون للفعل فاعل يكون الاسناد إليه حقيقة ، لأنه ليس - لسرتنى - فى - سرتنى رؤيتك - ولا - ليزيدك - فى - يزيدك وجهه حسنا - فاعل يكون الاسناد اليه حقيقة ، و كذا - أقدمنى بلدك حق لى على فلان - بل الموجود ههنا هو السرور والزيادة والقدوم (٢) واعترض عليه الامام فخر الدين الرازى بأن الفعل لابد أن يكون له فاعل حقيقة ، لامتناع صدور الفعل لا عن فاعل ، فهو إن كان ما أسند اليه الفعل فلا مجاز ، وإلا فيمكن تقديره ، فزعم صاحب المفتاح أن اعتراض الامام حق ، وأن فاعل هذه الأفعال هو الله تعالى ، وأن الشيخ لم يعرف حقيقتها لخفائها ، فتبعه المصنف ، وفى ظني أن هذا تكلف ، والحق ما ذكره الشيخ (٣) .

---

(١) هو لأبى نواس من شعراء الدولة العباسية من قصيدة له يذم فيها العرب ، ويفضل تعشق الغلمان على النساء ، وأولها :

دَعِ الرَّسْمَ الذى دَثَرَا يُقَاسِى الرِّيحَ وَالْمَطَرَا

وكن رجلا أضاعَ الْعُمْ رَ فى اللَّذَّاتِ والْخَطَرَا

(٢) أى التي هى معانى الأفعال اللازمة ، أما معانى الأفعال المتعدية من الاسرار والاقدام والزيادة فلا وجود لها ، لأنها أمور اعتبارية ، فلا يكون لها فاعل حقيقى .

(٣) لأن هذه الأفعال لكونها أمورا اعتبارية ألغى عرفا استعمالها لما هى له ، فمراد الشيخ أنها لم يستعمل لها فاعل فى العرف ، لا أنها لا موصوف لها فى نفس الأمر يكون إسنادها اليه حقيقة .

وَأَنْكَرَهُ السَّكَّاكِيُّ ذَاهِبًا إِلَى أَنَّ مَا مَرَّ وَنَحْوَهُ اسْتِعَارَةٌ بِالْكِنَايَةِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالرَّبِيعِ الْفَاعِلُ الْحَقِيقِيُّ بِقَرِينَةِ نِسْبَةِ الانْبَاتِ إِلَيْهِ، وَعَلَى هٰذَا الْقِيَاسِ غَيْرُهُ، وَفِيهِ نَظَرٌ لأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِعِيشَةٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) صَاحِبَهَا لِمَا سَيَأْتِي،

[وأنكره] أى المجاز العقلى [السكاكى] وقال: الذي عندى نَظْمُهُ في سلك الاستعارة بالكناية، بِجَعْلِ الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقى بواسطة المبالغة فى التشبيه، وجَعْلِ نسبة الانبات اليه قرينة للاستعارة، وهذا معنى قوله [ذاهبا إلى أن مامر] من الأمثلة [ونحوه استعارة بالكناية] وهى عند السكاكى أن تذكر المشبه وتريد المشبه به بواسطة قرينة، وهى أن تنسب اليه شيئا من اللوازم المساوية للمشبه به، مثل أن تشبه المنية بالسبع ثم تفردها بالذكر وتضيف اليها شيئا من لوازم السبع، فتقول - مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ نَشِبَتْ بِفُلَانٍ - [بناء على أن المراد بالربيع الفاعل الحقيقى] للانبات، يعنى القادر المختار [بقرينة نسبة الانبات] الذى هو من اللوازم المساوية للفاعل الحقيقى [إليه] أى الى الربيع [وعلى هذا القياس غيره] أى غير هذا المثال، وحاصله أن يُشَبَّهَ الفاعل المجازي بالفاعل الحقيقي فى تَعَلُّقِ وجود الفعل به، ثم يفرد الفاعل المجازى بالذكر وينسب إليه شىء من لوازم الفاعل الحقيقى [وفيه] أى فيما ذهب اليه السكاكى [نظر لأنه يستلزم أن يكون المراد بعيشة فى قوله تعالى فى عيشة راضية صاحبها لما سيأتى] فى الكتاب من تفسير الاستعارة بالكناية على مذهب السكاكي وقد ذكرناه، وهو يقتضى أن يكون المراد بالفاعل المجازى هو الفاعل الحقيقى، فيلزم أن يكون المراد بعيشة صاحبها، واللازم باطل، إذ لا معنى لقولنا - فهو فى صاحب عيشة راضية -

وَأَلَّا تَصِحَّ الاضافَةُ فى نَحْوِ ـ نَهَارُهُ صائِمٌ ـ لِبُطْلَانِ إضَافَةِ الشَّىْءِ إلَى نَفْسِهِ، وَأَلَّا يَكُونَ الامْرُ بِالْبِناءِ لِهَامَانَ، وَأَنْ يَتَوَقَّفَ نَحْوُ ـ أَنْبَتَ الرَّبِيعُ الْبَقْلَ ـ عَلَى السَّمْعِ، وَاللَّوازِمُ كُلُّها مُنْتَفِيَةٌ،

وهذا مبنى على أن المراد بعيشة وضمير راضية واحد (١) [و] يستلزم [ألا تصح الاضافة فى] كل ما أضيف الفاعل المجازى إلى الفاعل الحقيقى [نحو نهاره صائم، لبطلان إضافة الشىء إلى نفسه] اللازمة من مذهبه، لأن المراد بالنهار حينئذ فُلَانٌ نفسه، ولاشك فى صحة هذه الاضافة ووقوعها، كقوله تعالى (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) وهذا أولى بالتمثيل (٢) [و] يستلزم [ألا يكون الأمر بالبناء] فى قوله تعالى (يا هَامَانُ ابْنِ لِى صَرْحًا) [لهامان] لأن المراد به حينئذ هو العملة أنفسهم، واللازم باطل، لأن النداء له والخطاب معه [و] يستلزم [أن يتوقف نحو أنبت الربيع البقل] وشَفَى الطَّبِيبُ الْمَرِيضَ، وسَرَّتْنِى رُؤْيَتُكَ، مما يكون الفاعل الحقيقى هو الله تعالى [على السمع] من الشارع، لأن اسماء الله تعالى توقيفية، واللازم باطل، لأن مثل هذا التركيب صحيح شائع ذائع عند القائلين بأن أسماء الله تعالى توقيفية وغيرهم، سُمِعَ من الشارع أو لم يُسْمَعْ [واللوازم كلها منتفية] كما ذكرنا، فينتفى كونه من باب الاستعارة بالكناية، لأن انتفاء اللازم يوجب انتفاء الملزوم، والجواب أن مبنى هذه الاعتراضات على أن مذهب السكاكى فى الاستعارة بالكناية أن يُذْكَرَ المشبه ويراد

(١) فان أريد بلفظ عيشة حقيقتها وبضميرها صاحبها على الاستخدام لم يلزم هذا البطلان، لأن الاستعارة فى ضميرها لا فى لفظها.

(٢) أى من قوله ـ نَهَارُهُ صَائِمٌ ـ لأنه يمكن أن يراد بلفظ نهار فيه حقيقته وبضميره صاحبه، على نحو ماقيل فى المثال السابق.

وَلأنَّه يَنْتَقِضُ بنَحْوِ ـ نَهارُهُ صائِمٌ ـ لاشْتِماله عَلَى ذِكْرِ طَرَفَى التّشْبِيه .

المشبه به حقيقة ، وليس كذلك ، بل مذهبه أن يراد المشبه به ادّعاءً ومُبالَغَةً ، لظهور أن ليس المراد بالمنية فى قولنا ـ مَخَالِبُ المَنِيَّةِ نَشَبَتْ بفُلَانٍ ـ هو السبع حقيقة ، والسكاكى مصرح بذلك فى كتابه ، والمصنف لم يطلع عليه [ولأنه] أى ماذهب اليه السكاكى [ينتقض بنحو نهاره صائم] ولَيْلُه قائمٌ ، وما أشبه ذلك مما يشتمل على ذكر الفاعل الحقيقى [لاشتماله على ذكر طرفى التشبيه] وهو مانع من حمل الكلام على الاستعارة كما صرح به السكاكى ، والجواب أنه إنما يكون مانعا إذا كان ذكرهما على وجه ينبيء عن التشبيه ، بدليل أنه جعل قوله :

لاتعجبوا من بِلَى غِلَالَتِـــه ... قد زَرَّ أزْرارَهُ على القَمَرِ (١)

من باب الاستعارة مع ذكر الطرفين ، وبعضهم لمّا لم يَقِفْ على مراد السكاكى

(١) هو لمحمد بن طباطبا العلوى من شعراء الدولة العباسية ، وسيأتى فى فصل الحقيقة والمجاز من علم البيان .

تطبيقات على المجاز العقلى :

(١) إن البَلِيَّةَ من تَمَلُّ كلامَهُ ... فانْقَعْ فؤادَكَ من حديث الوامق

(٢) مَلَكْنَا فكان العَفْوُ منا سَجِيَّةً ... فلمّا ملكتم سال بالدَّم أبْطَحُ

(٣) نِعْمَ المعينُ على المروءَةِ للفَتَى ... مَالٌ يصون عن التَّبَذُّلِ نفسَهُ

فى الأول إسناد ـ الوامق ـ إلى المفعول ، وهو مجاز عقلى علاقته المفعولية ، لأن المراد ـ انقع فؤادك من حديث الموموق ، وفى الثانى إسناد ـ سَالَ ـ إلي ـ أبْطَح ـ وهو مجاز عقلى علاقتـه المكانية ، وفي الثالث إسناد الاعانة والصيانة إلى المال ، وهو مجاز عقلى علاقته السببية .

أَحْوَالُ المُسْنَدِ إلَيْهِ

أَمَّا حَذْفُهُ فَلِلاحْتِرَازِ عَنِ الْعَبَثِ، بناءً عَلَى الظَّاهِرِ ، أَوْ تَخْيِيلِ الْعُدُولِ إِلَى أَقْوَى الدَّلِيلَيْنِ مِنْ الْعَقْلِ وَاللَّفْظِ ،

بالاستعارة بالكناية أجاب عن هذه الاعتراضات بما هو بريء عنه ، ورأينا تركه أولى

أحوال المسند إليه

أي الأمور العارضة له من حيث إنه مسند اليه ، وقدم المسند إليه على المسند لما سيأتي .

[أما حذفه] قَدَّمَهُ على سائر الأحوال لكونه عبارة عن عدم الاتيان به ، وعدم الحادث سابق على وجوده ، وذكره ههنا بلفظ الحذف وفي المسند بلفظ الترك تنبيها على أن المسند اليه هو الركن الأعظم الشديد الحاجة اليه ، حتى إنه إذا لم يُذْكَرْ فكأنه أتى به ثم حذف ، بخلاف المسند فانه ليس بهذه المثابة ، فكأنه تُرِكَ من أصله [فللاحتراز عن العبث بناء (١) على الظاهر] لدلالة القرينة عليه ، وإن كان في الحقيقة ركنا من الكلام [أو تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ] فان

أمثلة أخرى :

(١) قوله تعالى - إنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِياًّ :

(٢) بَنَاتِ الشعر بالنَّفَحَاتِ جُودي فهذا يومُ شاعرك المُجِيد

(٣) الدَّهْرُ يفترس الرجالَ فلا تكن ممن تُطيشُهُمُ المناصبُ والرُّتَبُ

(١) حال من العبث ، أي حال كون العبث مبينا على الظاهر من إغناء القرينة عنه

كَقَوْلِهِ :

* قالَ لى كيفَ أَنْتَ قلتُ عليلُ *

أَوِ اخْتِيارِ تَنَبُّهِ السّامِعِ عِنْدَ الْقَرِينَةِ ، أَوْ مِقْدَارِ تَنَبُّهِهِ ، أَوْ إِيهَامِ صَوْنِهِ عَنْ لِسَانِكَ ، أَوْ عَكْسِهِ

الاعتماد عند الذكر على دلالة اللفظ من حَيْثُ الظاهر ، وعند الحذف على دلالة العقل ، وهو أقوي لافتقار اللفظ إليـه ، وإنما قال ـ تخييل ـ لأن الدال حقيقة عنـد الحذف أيضاً هو اللفظ المدلول عليه بالقرائن [كقوله : قال لى كيف أنت قلت عليل (١)] ولم يقل ـ أنَا عَلِيلٌ ـ للاحتراز والتخييل المذكورين [أو اختيار تنبـه السامع عنـد القرينة] هل يتنبه أم لا (٢) [أو] اختيار [مقدار تنبهه] هل يتنبه بالقرائن الخفية أم لا (٣) [أو إيهام صونه] أى صون المسند اليه [عن لسانك] تعظيما له (٤) [أو عكسه] أى

(١) هو من قول شاعر لم يعرف اسمه :

قالَ لى كيفَ أنْتَ قلتُ عَليلُ سَهَرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلُ

وفيه حذف المسند اليه أيضا فى الشطر الثانى ، والتقدير ـ حَالِى سَهَرٌ دائمٌ .

(٢) وهـذا كأن يحضر عندك صاحب الك مع آخر لا تعرفه ، فتقول لمن معك (وَفِيٌّ) تريد ـ الصَّاحِبُ وَفِيٌّ ـ فحذفته لتعرف هل يتنبه له سامعك أو لا يتنبه (٣) وهذا كأن يحضر عندك صاحبان أحدهما أقدم صحبة فتقول لمن معك (حَقِيقٌ بالْأَحْسَانِ) تريد ـ الْأَقْدَمُ صُحْبَةً حَقِيقٌ بالْأَحْسَانِ ـ فتحذفه لذلك .

(٤) مثل قول الشاعر فى ممدوحه :

قَوَّالُ مُحْكَمَةٍ نَقَّاضُ مُبْرَمَةٍ فَتّاحُ مُبْهَمَةٍ حَبَّاسُ أَوْرَادِ

أَوْ تَأَتِّي الانْكارَ لَدَى الحاجَة ، أَوْ تَعيّنه ، أَو ادِّعَاء التّعيُّن ، أَوْ نَحوِ ذَلِكَ .

إيهام صون لسانك عنه تحقيراً له (١) [أو تأتى الانكار] أي تيسره [لدى الحاجة] نحو - فَاسِقٌ فَاجِرٌ - عند قيام القرينة على أن المراد زيد ، ليتأتى لك أن تقول ما أردت زيدا بل غيره [أو تعينه] والظاهر أن ذكر الاحتراز عن العبث يغني عن ذلك ، لَكِنْ ذكره لأمرين : أحدهما الاحتراز عن سوء الأدب فيما ذكروا له من المثال وهو - خَالِقٌ لِمَا يَشَاءُ وفَاعِلٌ لِمَا يُرِيدُ - أي الله تعالى ، والثانى التوطئة والتمهيد لقوله [أو ادعاء التعين] له نحو - وَهَّابُ الأُلُوفِ - أى السلطان [أو نحو ذلك] كضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب ضَجَرٍ ، أو سآمة ، أو فوات فرصة ، أو محافظة على وزن أو سجع أو قافية ، أو نحو ذلك ، كقول الصياد - غَزَالٌ - أي - هَذَا غَزَالٌ - وكالاخفاء عن غير السامع من الحاضرين مثل - جاء - وكاتباع الاستعمال الوارد على تركه مثل - رَمْيَةٌ مِنْ غَيْرِ رَامٍ - أو ترك نظائره (٢) مثل الرفع على المدح أو الذم أو الترحم

---

(١) كقول الأقيشر الأسدي فى ابن عم له يهجوه .

سَرِيعٌ إلى ابنِ العَمِّ يلطم وَجهَهُ ... وليس إلى داعي النَّدَى بِسَرِيعِ

(٢) الفرق بين هذا وما قبله أنه فى الأول يكون الكلام فى الاستعمالين واحدا ولو لم يكن قياسيا ، وهذا بخلاف الثانى ، فان الكلام الثانى فيه غير الأول ، ولابد أن يكون الكلام الأول قياسيا ،

تطبيقات على الحذف :

(١) سألوني فى سقامى ... كيف حالى قلتُ نِضْوُ

(٢) وما المالُ والأهلون إلّا ودائعُ ... ولا بدَّ يوماً أن تُرَدَّ الودائعُ

وَأَمَّا ذِكْرُهُ فَلِكَوْنِهِ الأَصْلَ وَلَا مُقْتَضِيَ لِلْعُدُولِ عَنْهُ، أَوْ لِلاحْتِيَاطِ لِضَعْفِ التَّعْوِيلِ عَلَى الْقَرِينَةِ، أَوِ التَّنْبِيهِ عَلَى غَبَاوَةِ السَّامِعِ، أَوْ زِيَادَةِ الإِيضَاحِ وَالتَّقْرِيرِ، أَوْ إِظْهَارِ تَعْظِيمِهِ

[وأما ذكره] أى ذكر المسند اليه [فلكونه] أى الذكر [الأصل ولا مقتضى للعدول عنه أو للاحتياط لضعف التعويل] أى الاعتماد [على القرينة (١) أو للتنبيه على غباوة السامع أو زيادة الايضاح والتقرير] وعليه قوله تعالى ـ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢) [أو إظهار تعظيمه] لكون اسمه مما يدل على التعظيم ،

---

(٣) مَنْ طَابَتْ سَرِيرَتُهُ، حُمِدَتْ سِيرَتُهُ.

ففى الأول حذف المسند اليه لضيق المقام بضجر المتكلم ، وتقدير الكلام ـ أَنَا نِضْوٌ ـ وفى الثانى حذف المسند اليه وهو الفاعل وأنيب المفعول عنه فى قوله (ولابد يوما أن ترد الودائع) للمحافظة على القافية ، وفى الثالث حذف المسند اليه كذلك للمحافظة على السجع .

أمثلة أخرى :

(١) ـ قوله تعالى ـ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ، نَارٌ حَامِيَةٌ .

(٢) لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّى وِشَايَةً ... لَمُبْلِغُكَ الواشى أغشُّ وأكذبُ

(٣) وإنّي رأيتُ البخل يُزْرى بأهله ... فأكرمتُ نفسى أن يقال بَخِيلُ

(١) وهذا عند خفائها ، كما تقول ـ من حضر ومن سافر ـ فيقال ـ الَّذِى حَضَرَ زَيْدٌ وَالَّذِى سَافَرَ عَمْرٌو ـ ولا يقال ـ زَيْدٌ وعَمْرٌو ـ لأن السامع قد لايعرف من السؤال تعيين ذلك (٢) الشاهد فى تكرير اسم الاشارة لزيادة الايضاح والتقرير لثبوت ذلك لهم .

أَوْ إِهَانَتِهِ ، أَوِ التَّبَرُّكِ بِذِكْرِهِ ، أَوِ اسْتِلْذَاذِهِ ، أَوْ بَسْطِ الْكَلَامِ حَيْثُ الْإِصْغَاءُ مَطْلُوبٌ ، نَحْوُ

نحو ـ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَاضِرٌ ـ [أو إهانته] أى إهانة المسند اليه لكون اسمه مما يدل على الاهانة ، مثل ـ السَّارِقُ اللَّئِيمُ حَاضِرٌ ـ [أو التبرك بذكره] مثل ـ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِلُ هَذَا الْقَوْلِ [أو استلذاذه] مثل ـ الْحَبِيبُ حَاضِرٌ [أو بسط الكلام حيث الاصغاء مطلوب] أى فى مَقَامٍ يكون إصغاء السامع مطلوبا للمتكلم لعظمته وشرفه ، ولهذا يُطَالُ الكلام مع الأحبّاء ، وعليه [نحو] قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام

تطبيقات على الذكر :

(١) هذا ابْنُ خيرِ عبادِ الله كُلِّهِمُ   هذا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ

(٢) فعبَّاسٌ يَصُدُّ الخطبَ عَنَّا   وعباسٌ يُجِيرُ من استجارَا

(٣) وإنِّي لَحُلْوٌ تعترِينى مَرَارَةٌ   وإنى لَتَرَّاكٌ لِمَا لم أُعَوَّدِ

فذكر المسند اليه فى الأول للتسجيل على السامع حتى لا يتأتى له الانكار ، وفى الثانى لاستلذاذ ذكره ، وفى الثالث لبسط الكلام فى مقام الفخر .

أمثلة أخرى :

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

أنا النَّبِيُّ لا كَذِبْ   أنا ابْنُ عبدِ الْمُطَّلِبْ

وقال حافظ إبراهيم فى وصف الشمس :

هِيَ أُمُّ الأرض فى نسبتها   هى أُمُّ الْكَوْنِ والكونُ جَنِينْ

هى أُمُّ النَّارِ والنُّورِ معًا   هى أُمُّ الرِّيحِ والماءِ الْمَعِينْ

هِيَ عَصَايَ .

وَأَمَّا تَعْرِيفُهُ فَبِالإِضْمَارِ لِأَنَّ المَقَامَ لِلتَّكَلُّمِ أَوِ الخِطَابِ أَوِ الغَيْبَةِ ،

[هِيَ عَصَايَ] أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ، وقد يكون الذكر للتهويل ، أو التعجب ، أو الاشهاد في قضية ، أو التسجيل على السامع حتى لا يكون له سبيل إلى الانكار .

[وأما تعريفه] أي إيراد المسند اليه معرفة ، وإنما قدم ههنا التعريف وفي المسند التنكير لأن الأصل في المسند اليه التعريف وفي المسند التنكير [فبالاضمار لأن المقام للتكلم] نحو ـ أَنَا ضَرَبْتُ [أو الخطاب] نحو ـ أَنْتَ ضَرَبْتَ [أو الغيبة] نحو ـ هو ضَرَبَ ـ لتقدم ذكره إما لفظا تحقيقا أو تقديرا ، وإما معنى لدلالة لفظ عليه أو قرينة حال ، وإما حكما (١) .

(١) وهذه أمثلة ذلك على الترتيب ـ زَيْدٌ يَضْرِبُ ، في دَارِهِ زَيْدٌ ، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ـ أي العدل ، فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ـ أي الميت ـ رُبَّهُ فتى

تطبيقات على التعريف بالاضمار :

(١) أنا المُرَعَّثُ لا أخفى على أحدٍ ذَرَّتْ بِيَ الشمسُ للقاصي وللداني

(٢) إذا أنت لم تعرفْ لنفسك حقَّها هَوَاناً بها كانتْ على الناس أهْوَنَا

ففي الأول عرف المسند اليه بضمير المتكلم لأن المقام للتكلم ، وفي الثاني خوطب به غير معين لأن ذلك الحكم لا يختص به شخص من المخاطبين دون غيره .

أمثلة أخرى :

(١) ـ قوله تعالى ـ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ

(٢) هي الدُّنيا تقول بملء فيها حذارِ حذارِ من بَطْشي وفَتْكي

وَأَصْلُ الخطَابِ أَنْ يَكُونَ لِمُعَيَّنٍ وَقَدْ يُتْرَكُ إِلَى غَيْرِهِ لِيَعُمَّ كُلَّ مُخَاطَبٍ ، نَحْوُ - وَلَوْ تَرَى إِذِ المجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، أَيْ تَنَاهَتْ حَالُهُمْ فِى الظُّهُورِ فَلَا يَخْتَصُّ بِهِ مُخَاطَبٌ .

أَوْ بِالْعَلَمِيَّةِ لِإِحْضَارِهِ بِعَيْنِهِ فِى ذِهْنِ السَّامِعِ ابْتِدَاءً بِاسْمٍ مُخْتَصٍّ بِهِ ،

[وأصل الخطاب أن يكون لمعين] واحدا كان أو أكثر ، لأن وضع المعارف على أن تستعمل لِمُعَيَّن ، مع أن الخطاب هو توجيه الكلام الى حاضر [وقد يترك] الخطاب مع معين [إلى غيره] أى غير معين [ليعم] الخطاب [كل مخاطب] على سبيل البدل [نحو - ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم] لايريد بقوله - ولو ترى إذ المجرمون - مُخَاطَباً مُعَيَّناً قصدا إلى تفظيع حالهم [أى تناهت حالهم فى الظهور] لأهل المحشر إلى حيث يمتنع خفاؤها ، فلا يختص بها رؤية راء دون راء ، وإذا كان كذلك [فلا يختص به] أى بهذا الخطاب [مخاطب] دون مخاطب ، بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل فى هذا الخطاب ، وفى بعض النسخ - فلا يختص بها - أى برؤية حالهم مخاطب ، أو بحالهم رؤية مخاطب ، على حَذْفِ المضاف .

[وبالعلمية] أى تعريف المسند إليه بايراده عَلَماً ، وهو ما وُضِعَ لشىء مع جميع مُشَخِّصَاتِهِ [لاحضاره] أى المسند إليه [بعينه] أى بشخصه بحيث يكون متميزا عن جميع ما عداه ، واحترز بهذا عن إحضاره باسم جنسه ، نحو - رَجُلٌ عَالِمٌ جَاءَنِى [في ذهن السامع ابتداء] أى أول مرة ، واحترز به عن نحو - جَاءَنِى زَيْدٌ وَهُوَ رَاكِبٌ [باسم مختص به] أى بالمسند إليه بحيث لايطلق باعتبار هذا الوضع على غيره ، واحترز به عن إحضاره بضمير المتكلم . أو المخاطب ، واسم الاشارة ، والموصول ، والمعرف

نَحْوُ ـ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، أَوْ تَعْظِيمٍ ، أَوْ إِهَانَةٍ ، أَوْ كِنَايَةٍ ،

بلام العهد ، والاضافة ، وهذه القيود لتحقيق مقام العلمية ، وإلاَّ فالقيد الأخير مُغْن عما سبق ، وقيل : احترز بقوله ـ ابتداء ـ عن الاحضار بشرط ، كما فى المضمر الغائب ، والمعرف بلام العهد ، فانه يشترط تقدم ذكره ، والموصول فانه يشترط تقدم العلم بالصلة ، وفيه نظر لأن جميع طرق التعريف كذلك حتى الْعَلَمَ ، فانه مشروط بتقدم العلم بالوضع [نحو قل هو الله أحد] فالله أصله الاله ، حذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف (١) ثم جعل عَلَماً للذات الواجب الوجود الخالق للعالم ، وزعم بعضهم أنه اسم لمفهوم الواجب لذاته ، أو الْمُسْتَحِقِّ للعُبُودِيَّةِ له ، وكل منهما كُلِّيٌّ انحصر فى فرد فلا يكون عَلَماً ، لأن مفهوم العلم جُزْئِيٌّ ، وفيه نظر لأنا لانسلم أنه اسم لهذا المفهوم الكلى ، كيف وقد أجمعوا على أن قولنا ـ لاإله إلا الله ـ كلمة توحيد ، ولو كان الله إسما لمفهوم كلي لما أفادت التوحيد ، لأن الكلى من حيث إنه كلي يحتمل الكثرة [أو تعظيم أو إهانة] كما فى الألقاب الصالحة لذلك ، مثل ـ رَكِبَ عَلِيٌّ ، وَهَرَبَ مُعَاوِيَةُ [أو كناية] عن معنى يصلح العلم له ، نحو ـ أَبُو لَهَبٍ فَعَلَ كَذَا ـ كناية عن كونه جَهَنَّمِيّاً بالنظر إلى الوضع الأول ، أعنى الاضافي ، لأن معناه مُلاَزِمُ النار ومُلاَبِسُهَا ، ويلزمه أنه جهنمى ، فيكون انتقالا من الملزوم إلى اللازم باعتبار الوضع الأول ، وهذا القدر كاف فى الكناية ، وقيل فى هذا المقام : إن الكناية كما يقال ـ جَاءَ حَاتِمٌ ـ ويراد به لازمه (٢) أي جَوَادٌ ، لا الشخص المسمى بحاتم ، ويقال ـ رَأَيْتُ أَبَا لَهَبٍ ، أى جهنميا ، وفيه

---

(١) يريد أنه قصد ذلك التعويض ، لأن حرف التعريف موجود قبل حذف الهمزة ، ولم يكن غير موجود ثم أتى به للتعويض (٢) بأن يستعمل اللفظ ابتداء فى ذلك اللازم ، وهذا جاء الاعتراض عليه بأنه يكون استعارة لا كناية .

أَوْ إِيهَامِ اسْتِلْذَاذِهِ ،

نظر لأنه حينئذ يكون استعارة لا كناية على ماسيجيء ، ولو كان المراد ماذكره لكان قولنا - فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ كَذَا - مشيرا الى كافر ، وقولنا - أَبُو جَهْلٍ فَعَلَ كَذَا - كناية عن الجهنمى ، ولم يقل به أحد ، ومما يدل على فساد ذلك أنه مَثَّلَ صَاحِبُ المفتاح وغيره فى هذه الكناية بقوله تعالى - تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ - ولا شك أن المراد به الشخص المسمى بأبى لهب لا كافر آخر [أو إيهام استلذاذه] أي وِجْدَانِ الْعَلَمِ لذيذا ، نحو قوله .

بِاللهِ يَاظَبَيَاتِ القاعِ قُلْنَ لنا لَيْلَايَ منكُنَّ أَمْ لَيْلَى من البَشَرِ (١)

---

(١) هو لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان المعروف بالعرجى من شعراء الدولة الأموية ، والقاع هو الأرض السهلة المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، والمسند اليه فيه ليلى ، وهو اسم مستلذ له ، وقيل إن البيت لمجنون ليلى .

تطبيقات على التعريف بالعلمية :

(١) أَبُو مالكٍ قاصرٌ فقرَهُ على نفسه ومُشِيعٌ غِنَاهُ

(٢) - قوله تعالى (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ من رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عليما) .

ففى الأول عرف المسند اليـــه بالعلمية لاحضاره باسمه المختص به ، وفى الثانى للتسجيل على السامع حتى لا يتأتى له إنكاره .

أمثلة أخرى :

(١) اللهُ يعلم ما تركتُ قتالهم حتَّى عَلَوْا فَرَسِي بأَشْقَرَ مُزْبِدِ

(٢) - قوله تعالى (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) .

أَوْ التَّبَرُّكِ بِهِ .

وَبِالْمَوْصُولِيَّةِ لِعَدَمِ عِلْمِ الْمُخَاطَبِ بِالأَحْوَالِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ سِوَى الصِّلَةِ ، كَقَوْلِكَ — الَّذِي كَانَ مَعَنَا أَمْسِ رَجُلٌ عَالِمٌ ، أَوِ اسْتِهْجَانِ التَّصْرِيحِ بِالاسْمِ ، أَوْ زِيَادَةِ التَّقْرِيرِ ، نَحْوُ — وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ،

[أو التبرك به] نحو — اللهُ الْهَادِي ، وَمُحَمَّدٌ الشَّفِيعُ [أو نحو ذلك] كالتفاؤل ، والتَّطَيُّرِ ، والتسجيل على السامع ، وغيره مما يناسب اعتباره في الأعلام .

[وبالموصولية] أي تعريف المسند اليه بإيراده اسم موصول [لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة كقولك الذي كان معنا أمس رجل عالم] ولم يتعرض المصنف لما لا يكون للمتكلم أو لكليهما عِلْمٌ بغير الصلة ، نحو — الَّذِينَ فِي بِلَادِ الْمَشْرِقِ لَا أَعْرِفُهُمْ ، أَوْ لَا نَعْرِفُهُمْ — لقلة جَدْوَى مثل هذا الكلام [أو استهجان التصريح بالاسم ، أو زيادة التقرير] أي تقرير الغرض الْمَسُوقِ له الكلام ، وقيل تقرير المسند ، وقيل المسند اليه [نحو وراودته] أي يوسف عليه السلام ، والمراودة مفاعلة من — رَادَ يَرُودُ جَاءَ وَذَهَبَ — وكأن المعنى — خادعته عن نفسه ، وفعلت فعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرجه من يده ، يحتال عليه أن يغلبه ويأخذه منه ، وهي عبارة عن التَّمَحُّلِ لمواقعته إياها ، والمسند اليه هو قوله [التي هو في بيتها عن نفسه] مُتَعَلِّقٌ براودته ، فالغرض المسوق له الكلام نزاهة يوسف عليه السلام وطهارة ذيله ، والمذكور أدل عليه من — امرأةُ العزيز أَوْ زَلِيخَا — لأنه إذا كان في بيتها وتمكن من نيل المراد منها ولم يفعل كان غاية في النزاهة ، وقيل هو تقرير للمراودة (١) لما فيه

---

(١) وهي المسند .

أَوِ التَّفْخِيمِ ، نَحْوُ ـ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَاغَشِيَهُمْ ، أَوْ تَنْبِيهِ الْمُخَاطَبِ عَلَى الْخَطَأِ ، نَحْوُ :

إِنَّ الَّذِينَ تُرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ ۞ يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا

أَوِ الْإِيمَاءِ إِلَى وَجْهِ بِنَاءِ الْخَبَرِ ، نَحْوُ ـ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ .

من فرط الاختلاط والألفة ، وقيل تقرير للمسند إليه لامكان وقوع الابهام والاشتراك فى امرأة العزيز أو زليخا ، والمشهور أن الآية مثال لزيادة التقرير فقط ، وظنى أنها مثال لها ولاستهجان التصريح بالاسم (١) وقد بينته فى الشرح [أو التفخيم] أي التعظيم والتهويل [نحو ـ فغشيهم من اليم ما غشيهم] فان في هذا الابهام من التفخيم مالا يخفى [أو تنبيه المخاطب على الخطأ ، نحو ـ إن الذين ترونهم] أى تظنونهم [إخوانكم ۞ يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا (٢)] أى تهلكوا أو تصابوا بالحوادث ، ففيه من التنبيه على خطئهم فى هذا الظن ماليس فى قولك ـ إِنَّ الْقَوْمَ الْفُلَانِيَّ [أو الايماء] أي الاشارة [إلى وجه بناء الخبر] أى إلى طريقه ، تقول ـ عملت هذا العمل على وجه عملك وعلى جهته ، أى على طرزه وطريقته ، يعنى ـ تَأَتِّي بالموصول والصلة للاشارة إلى أن بناء الخبر عليه من أىِّ وجه وأىِّ طريق من الثواب والعقاب ، والمدح والذم ، وغير ذلك [نحو ـ إن الذين يستكبرون عن عبادتى] فان فيه إيماءً إلى أنَّ الخبر الْمَبْنِيَّ عليه أمر من جنس العقاب والاذلال ، وهو قوله تعالى [سيدخلون جهنم داخرين] ومن الخطأ فى هذا المقام تفسير الوجه فى قوله ـ إلى وجه بناء الخبر ـ بالعلة والسبب ، وقد استوفينا ذلك فى الشرح .

---

(١) لاستحسان طلب التستر فى مثل هذا (٢) هو لعبدة بن الطبيب من الشعراء المخضرمين ، ويجوزأن يكون ـ ترونهم ـ من أرى المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل ، فلا يكون بمعنى تظن ، ومفعوله الأول نائب الفاعل ، والثانى ـ هم ـ والثالث ـ إخوانكم ـ والغليل الحقد

ثُمَّ إِنَّهُ رُبَّمَا جُعِلَ ذَرِيعَةً إِلَى التَّعْرِيضِ بِالتَّعْظِيمِ لِشَأْنِهِ ، نَحْوُ :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

أَوْ شَأْنِ غَيْرِهِ ، نَحْوُ ـ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ، وَقَدْ يُجْعَلُ ذَرِيعَةً إِلَى تَحْقِيقِ الْخَبَرِ .

[ثم إنه] أي الايماء إلى وجه بناء الخبر ، لا مُجَرَّدُ جَعْلِ المسند إليه موصولا كما سبق إلى بعض الأوهام [ربما جعل ذريعة] أى وسيلة [إلى التعريض بالتعظيم لشأنه] أى لشأن الخبر [نحو ـ إن الذى سمك] أى رفع [السماء بنى لنا بيتا] أراد به الكعبة ، أو بيت الشرف والمجد [دعائمه أعز وأطول (١)] من دعائم كل بيت ، ففى قوله ـ إن الذى سمك السماء ـ إيماء إلى أن الخبر المبنى عليه أمر من جنس الرفعة والبناء عند من له ذوق سليم ، ثم فيه تعريض بتعظيم بناء بيته ، لكونه فعل من رفع السماء التى لا بناء أعظم منها وأرفع [أو] ذريعة إلى تعظيم [شأن غيره] أى غير الخبر [نحو ـ الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين] ففيه إيماء إلى أن الخبر المَبْنِيَّ عليه مما ينبيء عن الخيبة والخسران ، وتعظيم لشأن شعيب عليه السلام ، وربما يجعل ذريعة إلى الاهانة لشأن الخبر ، نحو ـ إِنَّ الَّذِى لَا يُحْسِنُ مَعْرِفَةَ الْفِقْهِ قَدْ صَنَّفَ فِيهِ ـ أو لشأن غيره ، نحو ـ إِنَّ الَّذِى يَتَّبِعُ الشَّيْطَانَ خَاسِرٌ [وقد يجعل ذريعة إلى تحقيق الخبر] أى جعله محققا ثابتا ، نحو :

إِنَّ التى ضربتْ بيتا مُهَاجِرَةً بكوفة الجند غالتْ ودَّها غُولُ (٢)

---

(١) هو للفرزدق من قصيدة له يفتخر فيها على جرير ببيته فى تميم ، ولهذا . يكون حمل البيت على بيت الشرف والمجد أولى من حمله على الكعبة (٢) هو لعبدة بن الطبيب ، وكوفة

وَبالاشارَة لتَمْييزه أَكْمَل تَمْييز ، نَحْوُ قَوْله :

* هٰذَا أَبُو الصَّقر فَرْدًا فى مَحَاسِنه *

فان فى ضَرْب البيت بكوفة الجند والمهاجرة إليها إيماءً إلى أن طريق بناء الخبر مما ينبيء عن زوال المحبة وانقطاع المودة ، ثم إنه يحقق زوال المودة ويقرره ، حتى كأنه برهان عليه ، وهذا معنى تحقيق الخبر ، وهو مفقود فى مثل - إن الذى سمك السماء - إذ ليس فى رَفْعِ الله السماءَ تحقيق وتثبيت لبنائه لهم بيتا ، فظهر الفرق بين الايماء وتحقيق الخبر .

[وبالاشارة] أى تعريف المسند إليه بايراده اسم إشارة [لتمييزه] أي المسند إليه [أكمل تمييز] لغرض من الأغراض [نحو - هذا أبو الصقر فردا] نصب على المدح أو الحال [فى محاسنه] .

الجند هى مدينة الكوفة المعروفة بالعراق ، وغالت أكلت ، والغول حيوان خرافى ، ويطلق أيضا على الداهية .

تطبيقات على التعريف بالموصولية :

(١) مَضَى بها مامَضَى من عقل شاربها وفى الزُّجاجة بَاقٍ يطلب الباقى

(٢) إنَّ الَّذى الوحشةُ فى داره تؤنسه الرَّحمةُ فى لَحْـــده

ففي الأول عرف المسند اليه بالموصولية لافادة التفخيم ، وفى الثانى للايماء إلى وجه بناء الخبر وكونه مدحا للمحدث عنه .

أمثلة أخرى :

(١) والَّذى حارت البريَّةُ فيه حيوانٌ مُسْتَحْدَثٌ من جَمَاد

(٢) وأخذتُ ماجادَ الأمير به وقضيتُ حاجاتى كما أهْوَى

أَوِ التَّعْرِيضِ بِغَبَاوَةِ السامع ، كَقَوْلِه :

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ   إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

أَوْ بَيَانِ حَالِهِ فِي الْقُرْبِ أَوِ الْبُعْدِ أَوِ التَّوَسُّطِ ، كَقَوْلِكَ . هَذَا أَوْ ذَلِكَ أَوْ ذَاكَ زَيْدٌ ، أَوْ تَحْقِيرِهِ بِالْقُرْبِ نَحْوُ - أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ، أَوْ تَعْظِيمِهِ بِالْبُعْدِ، نَحْوُ - أَلم ، ذَلِكَ الْكِتَابُ ،

مِنْ نسل شيبانَ بين الضَّال والسَّلَمِ (١)

وهما شجرتان بالبادية ، يعنى يقيمون بالبادية ، لأن فقد العز فى الحضر [أو التعريض بغباوة السامع] حتى كأنه لا يدرك غير المحسوس [كقوله :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم   إذاجمعتنا ياجرير المجامع (٢)

أو بيان حاله] أي المسند إليه [فى القرب أو البعد أو التوسط كقولك - هذا أو ذلك أو ذاك زيد] وَأخَّرَ ذكر التوسط لأنه إنما يتحقق بعد تحقق الطرفين ، وأمثال هذه المباحث تنظر فيها اللغة من حيث إنها تبين أن هذا مثلا للقريب ، وذاك للمتوسط ، وذلك للبعيد ، وعلم المعاني من حيث إنه إذا أريد بيان قرب المسند إليه يؤتى بهذا ، وهو زائد على أصل المراد الذى هو الحكم على المسند اليه المذكور الْمُعَبَّر عنه بشيء يوجب تصوره على أيِّ وجه كان(٣) [أو تحقيره] أى تحقيرالمسنداليه [بالقرب نحو - أهذا الذى يذكرآلهتكم ، أو تعظيمه بالبعد نحو - ألم ، ذلك الكتاب] تنزيلا لبعد

---

(١) هولابن الرومى من شعراء الدولةالعباسية فى مدح أبىالصقرالشيبانى ، والضال شجر السدر البرى ، والسلم شجر ذو شوك (٢) هو للفرزدق ، والأمر فى قوله - فجئنى للتعجيز ، وإنما كان فى اسم الاشارة تعريض بغباوته ، لأن المراد منه آباء الفرزدق وهم غائبون لا يحسون (٣) هذا تكلف والحق أنه معنى أصلى لا ثانوى .

أَوْ تَحْقِيرِه ، كَمَا يُقَالُ ـ ذَلِكَ اللَّعِينُ فَعَلَ كَذَا ، أَوْ لِلتَّنْبِيهِ عِنْدَ تَعْقِيبِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ بِأَوْصَافٍ

درجته ورفعة محله منزلة بعد المسافة [أو تحقيره بالبعد كما يقال ـ ذلك اللعين فعل كذا] تنزيلا لبعده عن ساحة عزّ الحضور والخطاب منزلة بعد المسافة ، ولفظ ذلك صالح للاشارة إلى كل غائب عينا كان أو معنى ، وكثيراً ما يذكر المعنى الحاضر المتقدم بلفظ ذلك ، لأن المعنى غير مدرك بالحس فكأنه بعيد (١) [أو للتنبيه] أى تعريف المسند اليه بالاشارة للتنبيه [عند تعقيب المشار اليه بأوصاف] أى عند إيراد الأوصاف على عَقب المشار اليه ، يقال ـ عَقَّبَهُ فُلَانٌ إذا جاء على عقبه ، ثم تُعَدِّيه بالباء إلى المفعول الثانى وتقول ـ

---

(١) كقوله تعالى ـ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ـ فان ذلك إشارة إلى ضرب المثل الحاضر المتقدم ذكره قريبا فى قوله ـ (ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاتَّبَعُوا الْبَاطِلَ) الآية .

تطبيقات على التعريف بالاشارة :

(١) تقول ودقّت نحرها بيمينها أبعلِيَ هـذا بالرَّحَا الْمُتَقَاعِسُ

قوله تعالى ـ (قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ) .

عرف المسند اليـه بالاشارة فى الأول لافادة التحقير ، وفى الثاني لافادة التعظيم

أمثلة أخرى :

(١) ـ قوله تعالى (وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً)

(٢) أولئك قومٌ إنْ بنوا أحسنوا الْبِنَا وإن عاهدوا أوْفَوْا وإن عقدوا شَدُّوا

عَلَى أَنَّهُ جَدِيرٌ بِمَا يَرِدُ بَعْدَهُ مِنْ أَجْلِهَا ، نَحْوُ ـ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

وَبِاللَّامِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى مَعْهُودٍ ، نَحْوُ ـ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ، أَيْ لَيْسَ الَّذِي طَلَبَتْ كَالَّتِي وُهِبَتْ لَهَا ،

عَقَّبْتُهُ بالشيء إذا جعلت الشيء على عقبه ، وبهذا ظهر فساد ماقيل : إنَّ معناه عند جَعْلِ اسم الاشارة بعَقِبِ أوصاف [على أنه] متعلق بالتنبيه ، أى للتنبيه على أن المشار اليه [جدير بما يرد بعـده] أى بعد اسم الاشارة [من أجلها] متعلق بجدير ، أي حقيق بذلك لأجل الأوصاف التي ذكرت بعد المشار اليه [نحو] (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) ـ إلى قوله [أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] عَقَّبَ المشار اليه وهو ـ (الذين يؤمنون) بأوصاف متعددة من الايمان بالغيب ، وإقامة الصلاة ، وغير ذلك ، ثم عَرَّفَ المسند اليه بالاشارة تنبيها على أن المشار اليهم أحقَّاءُ بما يرد بعد أولئك ، وهو كَوْنُهُمْ على الهدي عاجلا ، والفوز بالفلاح آجلا ، من أجل اتصافهم بالأوصاف المذكورة .

[وباللام] أى تعريف المسند اليه باللام (١) [للاشارة إلى معهود] أى إلى حصة من الحقيقة معهودة بين المتكلم والمخاطب واحـدا كان أو اثنين أو جماعة ، يقال عهدت فلانا إذا أدركته ولقيته ، وذلك لتقـدم ذكره صريحا أو كناية [نحو ـ وليس الذكر كالأنثي ـ أى ليس] الذكر [الذى طلبت] امرأةُ عِمْرَانَ [كالتى] أى كالأنثى التى [وهبت] تلك الأنثى [لها] أى لامرأة عمران ، فالأنثى إشارة إلى ماتقدم ذكره صريحا فى قوله تعالى

---

(١) وقيل إن المعرف أل لا اللام وحدها .

أَوْ إلى نَفْس الحَقِيقة ، كَقَوْلكَ ـ الرَّجلُ خَيرٌ من المرأةِ ، وقَدْ يأْتى لواحـــد باعْتبار عَهْديّته فى الذِّهْنِ ، كَقَوْلكَ ـ اُدْخُل السُّوقَ ، حَيْث لاَ عَهْدَ ، وَهَـذَا فى المَعْنى كالنَّكِرَة ،

(قَالَتْ رَبِّ إنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَى) ـ لكنه ليس بمسند اليه ، والذكر إشارة إلى ماسبق ذكره كناية فى قوله تعالى (رَبِّ إنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَافى بَطْنِى مُحَرَّرًا) ـ فان لفظة ما ـ وإن كان يعم الذكور والاناث ، لكن التحرير ـ وهو أن يعتق الولد لخدمة بيت المقدس ـ إنما كان للذكور دون الاناث ، وهو مسند اليـه (١) وقد يستغنى عن ذكره لتقدم علم المخاطب به ، نحو ـ خَرَجَ الأَمِيرُ ـ إذا لم يكن فى البلد إلا أميرواحد [أو] للاشارة [إلى نفس الحقيقة] ومفهوم المسمى من غير اعتبار لما صدق عليه من الافراد [كقولك الرجل خير من المرأة] .

[وقد يأتى] المعرف بلام الحقيقة (٢) [لواحد] من الأفراد [باعتبار عهديته فى الذهن] لُمطابَقَةَ ذلك الواحد الحقيقةَ ، يعنى يطلق المعرف بلام الحقيقة الذي هو موضوع للحقيقة المتحدة فى الذهن على فَرْدما مَوْجُود من الحقيقة باعتبار كونه معهودا في الذهن وجُزْئيًّا من جزئيات تلك الحقيقة مطابقا إياها ، كما يطلق الْكُلِّىُّ الطبيعى (٣) على كل جزئي من جزئياته ، وذلك عند قيام قرينة دالة على أنه ليس القصد إلي نفس الحقيقة من حيث هى هى بل من حيث الوجود ، ولا من حيث وجودها فى ضمن جميع الافراد بل بعضها [كقولك ـ ادخل السوق ـ حيث لاعهد] فى الخارج ، ومثله قوله تعالى (وأخاف أن يأكله الذئب) [وهذا فى المعنى كالنكرة] وإن كان فى اللفظ يجري عليه

---

(١) لأنه اسم ليس (٢) يشير إلى أن هذا هو القسم الثانى من لام الحقيقة ، وتسمى اللام فيه لام العهد الذهنى ، وتسمى فى القسم الأول لام الجنس ، وتسمى فى القسم الثالث الآتي لام الاستغراق (٣) هو اسم الجنس المجرد من اللام .

وَقَدْ يُفِيدُ الاستغْرَاقَ ، نَحْوُ - إِنَّ الانسانَ لَفِى خُسْرٍ .

أحكام المعارف من وقوعه مبتدءا وذا حال ووصفا للمعرفة وموصوفا بها ونحو ذلك ، وإنما قال - كالنكرة - لما بينهما من تَفَاوُت ما ، وهو أن النكرة معناه بعض غير معين من جملة الحقيقة ، وهذا معناه نفس الحقيقة ، وإنما تستفاد البعضية من القرينة كالدخول والأكل فيما مر ، فالمجرد وذو اللام بالنظر إلى القرينة سواء ، وبالنظر إلى أنفسهما مختلفان ، ولكونه فى المعنى كالنكرة قد يعامل معاملة النكرة ويوصف بالجملة ، كقوله :

« ولقد أَمُرُّ على اللئيم يسبُّنى » (١)

[وقد يفيد] الْمُعَرَّفُ باللام الْمُشَار بها إلى الحقيقة [الاستغراق نحو - إن الانسان لفى خسر] أشير باللام إلى الحقيقة ، لكن لم يقصد بها الماهية من حيث هى هى ، ولا من حيث تحققها فى ضمن بعض الأفراد ، بل فى ضمن الجميع ، بدليل صحة الاستثناء الذي شرطه دخول المستثنى فى المستثنى منه لو سكت عن ذكره ، فاللام التى لتعريف العهد الذهنى أو الاستغراق هى لام الحقيقة حُمِلَ (٢) على ما ذكرنا بحسب المقام والقرينة ، ولهذا قلنا : إن الضمير فى قوله - يأتى ، وقد يفيد - عائد إلى المعرف باللام المشار بها إلى الحقيقة ، ولابد فى لام الحقيقة من أن يقصد بها الاشارة إلى الماهية باعتبار حضورها فى الذهن ، ليتميز (٣) عن أسماء الأجناس النكرات ، مثل - الرُّجْعَى ، ورُجْعَى - وإذا

---

(١) هو لعُمَيْرَةَ بن جابر الحنفى من قوله :

ولقد أمرّ على اللئيم يسبّنى   فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يَعْنِينِى

وثمت حرف عطف لحقتها تاء التأنيث ، وإنما قال - فمضيت - ولم يقل فأمضى للاشارة إلى تحقق هذا منه ، والشاهد فى قوله - يسبنى - فهو جملة فى محل جر صفة المجرور قبله ، ولا يعرب حالا منه .

(٢) أي مدخولهما (٣) أى اسم الجنس المعرف .

وَهوَ ضَرْبان : حقيقيٌّ ـ نحوُعالمُ الْغَيْبِ وَالشهادةَ ، أَىْ كُلِّ غَيْبٍ وَشَهادَة ، وعُرْفِىٌّ كقَوْلنا ـ جمعَ الأَميرُ الصَّاغَةَ، أَىْ صَاغَةَ بَلَدِه أَوْ مَمْلَكَتِه .

وَاستغرَاقُ المُفرَدِ أَشْمَلُ بدَليل صحّةِ ـ لَا رجالَ فى الدَّار ، إذَا كَانَ فيها

اعتبر الحضور فى الذهن فوجه امتيازه عن تعريف العهد أن لام العهد إشارة إلى حصة معينة من الحقيقة واحدا كان أو اثنين أو جماعة ، ولام الحقيقة إشارة إلى نفس الحقيقة من غير نظر إلى الأفراد ، فَلْيتأمل .

[وهو] أى الاستغراق [ضربان حقيقى] وهو أن يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب اللغة [نحو ـ عالم الغيب والشهادة ـ أى كل غيب وشهادة ، وعرفى] وهو أن يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب مُتَفَاهَمِ العُرْفِ [نحو ـ جمع الأمير الصاغة ـ أى صاغة بلده أو] أطراف [مملكته] لأنه المفهوم عرفا لاصاغة الدنيا ، قيل المثال مبنى على مذهب المازنى ، وإلا فاللام فى اسم الفاعل عند غيره موصول ، وفيه نظر لأن الخلاف إنما هو فى اسم الفاعل والمفعول بمعنى الحدوث دون غيره (١) نحو المؤمن والكافر والعالم والجاهل ، لأنهم قالوا هذه الصفة فعل فى صورة الاسم فلا بد فيه من معنى الحدوث ، ولو سلم فالمراد تقسيم مطلق الاستغراق سواء كان بحرف التعريف أو غيره والموصول أيضا مما يأتى للاستغراق ، نحو ـ أَكْرِمِ الذِّينَ يَأْتُونَكَ إلاَّ زَيْداً ، وَاضْرِبِ القَائمينَ إلاَّ عَمْراً .

[واستغراق المفرد] سواء كان بحرف التعريف أو غيره [أشمل] من استغراق المثنى والمجموع ، بمعنى أنه يتناول كل واحد واحد من الأفراد ، والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين ، والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة [بدليل صحة لا رجال في الدار إذا كان فيها

---

(١) وهو مايدل على الدوام والثبات ، لأنه حينئذ من الصفة المشبهة ، كما فى المثال ـ جمع الأمير الصاغة .

رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ ، دُونَ لَا رَجُلَ ، وَلَا تَنَافِيَ بَيْنَ الاسْتِغْرَاقِ وَإِفْرَادِ الاسْمِ ، لأَنَّ الْحَرْفَ إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مُجَرَّدًا عَنْ مَعْنَى الْوَحْدَةِ ، وَلأَنَّهُ بِمَعْنَى كُلِّ فَرْدٍ لَا مَجْمُوعِ الأَفْرَادِ ، وَلِهَذَا امْتَنَعَ وَصْفُهُ بِنَعْتِ الْجَمْعِ

رجل أو رجلان دون لا رجل] فانه لا يصح إذا كان فيها رجل أو رجلان ، وهذا فى النكرة المنفية مُسَلَّمٌ ، وأما فى المعرف باللام فلا ، بل الجمع المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد على ما ذكره أكثر أئمة الأصول والنحو ، ودل عليه الاستقراء ، وأشار إليه أئمة التفسير ، وقد أشبعنا الكلام فى هذا المقام فى الشرح فليطالع ثَمَّةَ

ولما كان ههنا مظنة اعتراض وهو أن إفراد الاسم يدل على وحدة معناه ، والاستغراق يدل على تعدده ، وهما متنافيان ، أجاب عنه بقوله [ولا تنافى بين الاستغراق وإفراد الاسم ، لأن الحرف] الدال على الاستغراق كحرف النفى ولام التعريف [إنما يدخل عليه] أى على الاسم المفرد حال كونه [مجردا عن] الدلالة على [معنى الوحدة] وامتناعُ وصفه بنعت الجمع للمحافظة على التشاكل اللفظى [ولأنه] أي المفرد الداخل عليه حرف الاستغراق [بمعنى كل فرد لا مجموع الأفراد (١) ولهذا امتنع وصفه بنعت الجمع]

---

(١) وعلى هذا الجواب الثانى لا تنافى الدلالة على الوحدة الدلاله على التعدد ، لأنه على طريق البدل ، فيبقيان معا بعد دخول حرف الاستغراق ، ولا يتجرد اللفظ عن الدلالة على الوحدة كما فى الجواب الأول .

تطبيقات على التعريف باللام :

(١) وَالْخِلُّ كَالْمَاءِ يُبْدِى لِى ضَمَائِرَهُ ... مَعَ الصَّفَاءِ وَيُخْفِيهَا مَعَ الْكَدَرِ

(٢) ـ قوله تعالى ـ (وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) .

فاللام في الأول ـ الخل ـ للجنس ، واللام فى الآية للاستغراق ، بدليل الاستثناء

وَبِالْإِضَافَةِ لِأَنَّهَا أَخْصَرُ طَرِيقٍ ، نَحْوُ :

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ

أَوْ لِتَضَمُّنِهَا تَعْظِيمًا لِشَأْنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ أَوِ الْمُضَافِ أَوْ غَيْرِهِمَا ، كَقَوْلِكَ - عَبْدِي حَضَرَ وَعَبْدُ الْخَلِيفَةِ رَكِبَ وَعَبْدُ السُّلْطَانِ عِنْدِي ،

عند الجمهور وإن حكاه الأخفش فى نحو - أَهْلَكَ النَّاسَ الدِّينَارُ الصُّفْرُ وَالدِّرْهَمُ الْبِيضُ.

[وبالاضافة] أي تعريف المسند اليه بالاضافة إلى شيء من المعارف [لأنها] أي الاضافة [أخصر طريق] إلى إحضاره فى ذهن السامع [نحو - هواي] أى مَهْوِيِّ ، وهـذا أخصر من - الذى أهواه ونحو ذلك - والاختصار مطلوب لضيق المقام وفرط السآمة ، لكونه في السجن والحبيب على الرحيل [مع الركب اليمانين مصعد] أى مُبْعِدٌ ذاهب فى الأرض ، وتمامه :

جَنِيبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثَقُ

الجنيب المجنوب الْمُسْتَتْبَعُ ، والجثمان الشخص ، والموثق المقيد ، ولفظ البيت خبر ومعناه تأسف وتحسّر [أو لتضمنها] أى لتضمن الاضافة [تعظيما لشأن المضاف اليه أو المضاف أو غيرهما كقولك] فى تعظيم المضاف اليه [عبدى حضر] تعظيما لك بأن لك عبدا [أو] فى تعظيم المضاف [عبد الخليفة ركب] تعظيما للعبد بأنه عبد الخليفة [أو] فى تعظيم غير المضاف والمضاف اليه [عبد السلطان عندي] تعظيما للمتكلم بأن عبد

أمثلة أخرى :

(١) قوله تعالى - (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) .

(٢) الْمُحْسِنُونَ هُمُ اللُّبَـــا بُ وَسَائِرُ النَّاسِ النُّقَـــايَهْ

أَوْ تَحْقِيرًا نَحْوُ - وَلَدُ الْحَجَّامِ حَاضِرٌ.

وَأَمَّا تَنْكِيرُهُ فَلِلْأَفْرَادِ

السلطان عنده ، وهو غير المسند اليه المضاف وغير ما أضيف اليه المسند اليه ، وهذا معنى قوله - أو غيرهما [أو] لتضمنها [تحقيراً] للمضاف [نحو ولد الحجام حاضر] أو المضاف اليه نحو - ضَارِبُ زَيْدٍ حَاضِرٌ - أو غيرهما نحو - وَلَدُ الْحَجَّامِ جَلِيسُ زَيْدٍ - أو لاغنائها عن تفصيل متعذر ، نحو - اتَّفَقَ أَهْلُ الْحَقِّ عَلَى كَذَا - أو متعسر نحو - أَهْلُ الْبَلَدِ فَعَلُوا كَذَا - أو لأنه يمنع عن التفصيل مانع مثل تقديم البعض على بعض نحو - عُلَمَاءُ الْبَلَدِ حَاضِرُونَ - إلى غير ذلك من الاعتبارات (١) .

[وأما تنكيره] أى تنكير المسند اليه [فللافراد] أي للقصد إلى فرد مما يقع عليه

---

(١) وهذا كالتصريح بالذم للمسند اليه نحو - علماء الدنيا لا يعملون بعلمهم - وكاغناء الاضافة عن تفصيل تركه أولى لسبب من الأسباب ، كما فى قول الشاعر :

قومى هُمُ قَتَلوا أُمَيْمَ اخى ... فاذا رميتُ يصيبنى سهمى

فلم يصرح بأسمائهم اتقاء لنفرتهم منه ، وبعدا عن التصريح بذمهم .

تطبيقات على التعريف بالاضافة :

(١) بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللِّقاء كأنهم ... اسودٌ لهـا في غيل خَفَّانَ أَشْبُلُ

(٢) قوله تعالى - (إنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ)

فالاضافة فى الأول للاغناء عن تفصيل متعذر ، وفي الثانى لتعظيم شأن المضاف .

أمثلة أخرى :

(١) أبوك حُبابٌ سَارِقُ الضَّيْفِ بُرْدَهُ ... وجَدِّى يَا حَجَّاجُ فَارِسُ شَمَّرَا

(٢) قوله تعالى - (إنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) .

نحوُ - وجاء رجلٌ من أقصى المدينةِ يسعى ، أو النَّوعيَّة نحو - وعلى أبصارهم غشاوةٌ ، أو التعظيم أو التَّحقير كقوله: له حاجبٌ في كلِّ أمرٍ يشينه ٭ وليس له عن طالب العرف حاجبٌ: أو التَّكثير كقولهم — إنَّ له لَإبلًا وإنَّ له لغنمًا ، أو التَّقليل نحو - ورضوانٌ من الله أكبر ،

اسم الجنس [نحو - وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى - أو النوعية] أى للقصد إلى نوع منه [نحو - وعلى أبصارهم غشاوة] أي نوع من الأغطية ، وهو غطاء التعامي عن آيات الله تعالى ، وفي المفتاح أنه للتعظيم ، أى غشاوة عظيمة [أو التعظيم أو التحقير كقوله (١) له حاجب] أي مانع عظيم [في كل أمر يشينه] أى يعيبه [وليس له عن طالب العرف حاجب] أى مانع حقير فكيف بالعظيم [أو التكثير كقولهم - إن له لابلا ، وإن له لغنما . أو التقليل نحو - ورضوان من الله أكبر] والفرق بين التعظيم والتكثير أن التعظيم بحسب ارتفاع الشأن وعلو الطبقة ، والتكثير باعتبار الكميات

(١) البيت لأبي الطمحان حنظلة بن الشرقي مولى بن أبي السمط من الشعراء المخضرمين .

تطبيقات على تنكير المسند اليه :

(١) وللهِ منِّي جانبٌ لا أضيعهُ ٭ وللَّهوِ منِّي والخلاعة جانبُ

(٢) وفي السَّماء نجومٌ لا عدادَ لها ٭ وليس يكسفُ إلَّا الشَّمسُ والقمرُ

نكر المسند اليه في البيت الأول - وهو جانب - للتعظيم في أوله والتحقير في آخره ، وفي البيت الثاني وهو - نجوم - للدلالة على التكثير .

أمثلة أخري :

(١) - قوله تعالى - (وأمطرنا عليهم مطرًا فساء مطرُ المُنذَرين) :

(٢) شقَّت لِمَنظَرِكَ الجيوبَ عقائلٌ ٭ وبكتكَ بالدَّمعِ الهتونِ غَوَانِ

وَقَدْ جَاءَ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّكْثِيرِ نَحْوُ ـ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ ، أَىْ ذَوُو عَدَدٍ كَثِيرٍ وَآيَاتٍ عِظَامٍ ، وَمِنْ تَنْكِيرِ غَيْرِهِ لِلْإِفْرَادِ أَوِ النَّوْعِيَّةِ نَحْوُ ـ وَاللهُ خَالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، وَلِلتَّعْظِيمِ نَحْوُ ـ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَلِلتَّحْقِيرِ ـ نَحْوُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا .

والمقادير ، تحقيقا كما فى الابل ، أو تقديرا كما فى الرضوان ، وكذا التحقير والتقليل ، وللاشارة إلى أن بينهما فرقا قال [وقد جاء] التنكير [للتعظيم والتكثير نحو ـ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ] من قبلك [أي ذوو عدد كثير] هذا ناظر إلى التكثير [و] ذوو [آيات عظام] هـذا ناظر إلى التعظيم ، وقد يكون للتحقير والتقليل معا ، نحو ـ حَصَلَ لى مِنْهُ شَيْءٌ ـ أى حقير قليل .

[ومن تنكير غيره] أى غير المسند اليه [للافراد أو النوعية نحو ـ والله خالق كل دابة من ماء] أى كل فرد من أفراد الدواب من نطفة معينة هى نطفة أبيه المختصة به ، أو كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياه ، وهو نوع النطفة التى تختص بذلك النوع من الدابة [و] من تنكير غـيره [للتعظيم نحو ـ فأذنوا بحرب من الله ورسوله] أى حرب عظيم [وللتحقير نحو ـ إن نظن إلا ظنا] أى ظنا حقيرا ضعيفا ، إذ الظن ممـا يقبل الشدة والضعف ، فالمفعول المطلق ههنا للنوعية لا للتأكيد ، وبهـذا الاعتبار صح وقوعه بعـد الاستثناء مُفَرَّغًا مع امتناع نحو ـ ما ضربته إلا ضربا ـ على أن يكون المصدر للتأكيد ، لأن مصدر ـ ضَرَبْتُهُ ـ لا يحتمل غير الضرب ، والمستثنى منـه يجب أن يكون متعددا يحتمل المستثنى وغيره ، واعلم أنه كما أن التنكير الذى فى معنى البعضية يفيد التعظيم فكذلك صريح لفظة البعض ، كما فى قوله تعـالى ـ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ـ أراد محمـدا صلى الله عليه وسلم ، ففي هـذا الابهام من تفخيم فضله

وَأَمَّا وَصْفُهُ فَلِكَوْنِهِ مُبَيِّنًا لَهُ كَاشِفًا عَنْ مَعْنَاهُ ، كَقَوْلِكَ - الْجِسْمُ الطَّوِيلُ الْعَرِيضُ الْعَمِيقُ يَحْتَاجُ إِلَى فَرَاغٍ يَشْغَلُهُ ، وَنَحْوُهُ فِي الْكَشْفِ قَوْلُهُ :

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّـ ... ـنَّ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

أَوْ مُخَصِّصًا

وإعلاء قدره مالا يخفى .

[وأما وصفه] أى وصف المسند اليه ، والوصف قد يطلق على نفس التابع المخصوص ، وقد يطلق بمعنى المصدر ، وهو أنسب ههنا وأوفق بقوله - وأما بيانه ، وأما الابدال منه - أى وأما ذكر النعت له [فلكونه] أي الوصف بمعنى المصدر ، والأحسن أن يكون بمعني النعت ، على أن يراد باللفظ أحد معنييه وبضميره معناه الآخر على ما سيجيء فى البديع (١) [مبينا له] أى للمسند اليه [كاشفا عن معناه ، كقولك - الجسم الطويل العريض العميق يحتاج إلى فراغ يشغله] فان هذه الأوصاف مما يوضح الجسم ويقع تعريفا له [ونحوه فى الكشف] أى مثل هذا القول فى كون الوصف للكشف والايضاح وإن لم يكن وصفا للمسند اليه [قوله

الألمعى الذى يظن بك الظـ ... ـن كأن قد رأى وقد سمعا(٢)]

فان الألمعى معناه الذكى المتوقد ، والوصف بعده مما يكشف معناه ويوضحه ، لكنه ليس بمسند اليه لأنه إما مرفوع على أنه خبر إن فى البيت السابق ، أعنى قوله .

إِنَّ الَّذِي جَمَعَ السَّمَاحَةَ وَالنَّجْـ ... ـدَةَ وَالْبِرَّ وَالتُّقَى جُمَعَا (٣)

أومنصوب على أنه صفة لاسم إن، أوبتقدير أعني (٤) [أو] لكون الوصف [مخصصا]

---

(١) لأنه من الاستخدام المعدود من المحسنات البديعية (٢) هو لأوس بن حجر من شعراء الجاهلية (٣) هو توكيد للأربعة قبله (٤) وخبر إن على هذا قوله بعد عدة أبيات .

أَوْدَى فلا تنفع الاشاحةُ من ... أمرٍ لمرءٍ يُحَاوِلُ الْبِدَعَا

نَحْوُ - زَيْدٌ التَّاجِرُ عِنْدَنَا ، أَوْ مَدْحًا أَوْ ذَمًّا ، نَحْوُ - جَاءَنِي زَيْدٌ الْعَالِمُ أَوِ الْجَاهِلُ
حَيْثُ يَتَعَيَّنُ الْمَوْصُوفُ قَبْلَ ذِكْرِهِ ، أَوْ تَأْكِيدًا ، نَحْوُ - أَمْسِ الدَّابِرُ كَانَ يَوْمًا عَظِيمًا
وَأَمَّا تَوْكِيدُهُ فَلِلتَّقْرِيرِ

للمسند اليه ، أى مقللا اشتراكه أو رافعا احتماله ، وفى عرف النحاة التخصيص عبارة عن تقليل الاشتراك فى النكرات ، والتوضيح عبارة عن رفع الاحتمال الحاصل فى المعارف [نحو - زيد التاجر عندنا] فان وصفه بالتاجر يرفع احتمال التاجر وغيره [أو] لكون الوصف [مدحا أو ذما نحو - جاءنى زيد العالم أو الجاهل - حيث يتعين الموصوف] أعنى زيدا [قبل ذكره] أي ذكر الوصف ، وإلا لكان الوصف مخصصا [أو] لكونه [تأكيدا نحو - أمس الدابر كان يوما عظيما] فان لفظ الأمس مما يدل على الدبور ، وقد يكون الوصف لبيان المقصود وتفسيره ، كقوله تعالى - (وَمَامِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ) حيث وصفت - دابة وطائر - بما هو من خواص الجنس لبيان أن القصد منهما إلى الجنس دون الفرد ، وبهذا الاعتبار أفاد هذا الوصف زيادة التعميم والاحاطة (١) .

[وأما توكيده] أى توكيد المسند اليه [فللتقرير] أى تقرير المسند اليه ، أى تحقيق

(١) أما أصل التعميم فحاصل من وقوع النكرة فى سياق النفى ، ولكنه يجوز أن يراد دواب أرض واحدة وطيور جو واحد ، فنفي الوصف هذا الاحتمال .

تطبيقات على تقييد المسند اليه بالوصف :

(١) إلهى عَبْدُكَ العاصى اتَاكَا ... مُقرًّا بالذُّنُوب وقد دعَاكَا
(٢) لَا يَبْعَدَنَّ قَوْمِى الَّذِينَ هُمُ ... سُمُّ العُـــداةِ وآفةُ الجُزُرِ

فوصف المسند اليه فى البيت الأول بقوله - العاصى - لقصد الترحم ، وفى الثانى بقوله - الذين هم سم العداة - لقصد المدح .

أَوْ دَفْعِ تَوَهُّمِ التَّجَوُّزِ أَوِ السَّهْوِ أَوْ عَدَمِ الشُّمُولِ .

مفهومه ومدلوله ، أعنى جعله مستقرا محققا ثابتا بحيث لا يُظَنّ به غيره ، نحو - جَاءَنِى زَيْدٌ زَيْدٌ - إذا ظن المتكلم غفلة السامع عن سماع لفظ المسند اليه أو عن حمله على معناه ، وقيل المراد تقرير الحكم ، نحو - أَنَا عَرَفْتُ - أو المحكوم عليه نحو - أَنَا سَعَيْتُ فِى حَاجَتِكَ وَحْدِي أَوْ لَا غَيْرِى - وفيه نظر لأنه ليس من تأكيد المسند اليه فى شىء (١) وتأكيد المسند اليه لا يكون لتقرير الحكم قط ، وسيصرح المصنف رحمه الله بهذا [أو لدفع توهم التجوز] أى التكلم بالمجاز ، نحو - قَطَعَ اللِّصَّ الأَمِيرُ الأَمِيرُ ، أَوْ نَفْسُهُ ، أَوْ عَيْنُهُ - لئلا يتوهم أن إسناد القطع إلى الأمير مجاز ، وإنما القاطع بعض غلمانه [أو] لدفع توهم [السهو] نحو - جَاءَنِى زَيْدٌ زَيْدٌ - لئلا يتوهم أن الجائى غير زيد ، وإنما ذكر زيد على سبيل السهو [أو] لدفع توهم [عدم الشمول] نحو - جَاءَنِي الْقَوْمُ كُلُّهُمْ أَوْ أَجْمَعُونَ - لئلا يتوهم أن بعضهم لم يجىء إلا أنك لم تعتد بهم ، أو أنك جعلت الفعل الواقع من البعض كالواقع من الكل ، بناء على أنهم فى حكم شخص واحد ، كقولك - بنو فلان قتلوا زيدا ، وإنما قتله واحد منهم .

---

(١) وإنما هو من تأكيد الحكم أو تأكيد التخصيص على ماسيأتى .

تطبيقات على تقييد المسند اليه بالتوكيد :

(١) - قوله تعالى (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) .

(٢) فِدَاكَ حَيُّ خَوْلَانٍ جَمِيعُهُمْ وَهَمْدَانُ

التوكيد فيها لدفع توهم عدم الشمول .

وَأَمَّا بَيَانُهُ فَلإيضَاحِهِ بِاسْمٍ مُخْتَصٍّ بِهِ ، نَحْوُ - قَدِمَ صَدِيقُكَ خَالِدٌ .

وَأَمَّا الإِبْدَالُ مِنْهُ فَلِزِيَادَةِ التَّقْرِيرِ ، نَحْوُ - جَاءَنِي أَخُوكَ زَيْدٌ وَجَاءَ

[وأما بيانه] أى تعقيب المسند اليه بعطف البيان [فلايضاحه باسم مختص به نحو . قدم صديقك خالد] ولا يلزم أن يكون الثانى أوضح ، لجواز أن يحصل الايضاح من اجتماعهما ، وقد يكون عطف البيان بغير اسم مختص به ، كقوله :

والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيرَ يمسحُهَا ركبانُ مكة بين الغَيْلِ والسَّنَدِ (١)

فان الطير عطف بيان للعائذات مع أنه ليس اسما مختصا بها ، وقد يجىء عطف البيان لغير الايضاح كما فى قوله تعالى (جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ) ذكر صاحب الكشاف أن البيت الحرام عطف بيان للكعبة ، جىء به للمدح لا للايضاح كما تجىء الصفة لذلك .

[وأما الابدال منه] أى من المسند اليه [فلزيادة التقرير] من إضافة المصدر إلى المعمول ، أو من إضافة البيان أى الزيادة التى هى التقرير ، وهذا من عادة افتنان صاحب المفتاح حيث قال فى التأكيد - للتقرير - وههنا - لزيادة التقرير - ومع هذا فلايخلو عن نكتة لطيفة وهى الايماء إلى أن الغرض من البدل هو أن يكون مقصودا بالنسبة ، والتقرير زيادة تحصل تبعا وضمنا ، بخلاف التأكيد فان الغرض منه نفس التقرير والتحقيق [نحو جاءنى أخوك زيد] فى بدل الكل ، ويحصل التقرير بالتكرير [وجاءنى

---

(١) هو للنابغة الذبيانى فى الاعتذار للنعمان بن المنذر ، والواو فى قوله - والمؤمن - للقسم ، وجواب القسم فى قوله بعد هذا البيت :

مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَىْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ إِذَنْ فَلَا رَفَعَتْ سَوْطًا إِلَىَّ يَدِى

والغيل والسند موضعان فى جانب الحرم فيهما ماء .

القَوْمُ أَكْثَرُهُمْ وسُلِبَ زَيْدٌ ثَوْبُهُ :

وَأَمَّا الْعَطْفُ فَلِتَفْصِيلِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ مَعَ

القوم أكثرهم] فى بدل البعض [وسلب زيد ثوبه] فى بدل الاشتمال ، وَبَيَانُ التقرير فيهما أن المتبوع يشتمل على التابع إجمالا حتى كأنه مذكور ، أما فى البعض فظاهر ، وأما فى الاشتمال فلأن معناه أن يشتمل المبدل منه على البدل لا كاشتمال الظرف على المظروف ، بل من حيث كَوْنُهُ مشعرا به إجمالا ومتقاضيا له بوجه ما ، بحيث تبقى النفس عند ذكر المبدل منه متشوقة إلى ذكره منتظرة له ، وبالجملة يجب أن يكون المتبوع فيه بحيث يطلق ويراد به التابع ، نحو ـ أعجبنى زيد ـ إذا أعجبك علمه ، بخلاف ـ ضربت زيدا ـ إذا ضربت حماره ، ولهذا صرحوا بأن نحو ـ جاءنى زيد أخوه ـ بدل غلط لا بدل اشتمال كما زعم بعض النحاة ، ثم بدل البعض والاشتمال بل بدل الكل أيضا لا يخلو عن إيضاح وتفسير ، ولم يتعرض لبدل الغلط لأنه لا يقع في فصيح الكلام (١) [وأما العطف] أي جعل الشيء معطوفا على المسند اليه [فلتفصيل المسند اليه مع

---

(١) وقد يقع فيه إذا كان بدل بداء ، وهو أن تذكر المبدل منه عن قصد ثم تذكر البدل بعده فتوهم أنك غالط لقصد المبالغة والتفنن ، فيستحسن البدل فى هذا كما يستحسن فى العطف ببل ، نحو قوله :

أَلَمْعُ برق سَرَى أم ضوءُ مصباحِ ... ام ابتسامتُهَا بالمنظر الضَّاحي

تطبيقات على تقييد المسند اليه بالبدل :

(١) ـ قوله تعالى (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ الَيْهِ سَبِيلاً) .

(٢) بلغنا السماءَ مَجْدُنَا وَسَنَاؤُنَا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مَظْهَرَا

أبدل فى الأول لفظ ـ من استطاع ـ من المسند اليه بدل اشتمال ، وفى الثانى لفظ ـ مجدنا ـ بدل اشتمال أيضا ، لزيادة التقرير والايضاح .

اُخْتِصَار ، نَحْوُ ـ جَاءَنِى زَيْدٌ وَعَمْرٌو ، أَوِ الْمُسْنَدِ كَذٰلِكَ ، نَحْوُ ـ جَاءَنِى زَيْدٌ فَعَمْرٌو أَوْ ثُمَّ عَمْرٌو أَوْ جَاءَنِى الْقَوْمُ حَتَّى خَالِدٌ ،

اختصار نحو ـ جاءنى زيد وعمرو] فان فيه تفصيلا للفاعل بأنه زيد وعمرو من غير دلالة على تفصيل الفعل بأن المجيئين كانا معا أو مرتبين مع مهلة أو بلا مهلة ، واحترز بقوله ـ مع اختصار ـ عن نحو ـ جاءنى زيد وجاءنى عمرو ـ فان فيه تفصيلا للمسند اليه مع أنه ليس من عطف المسند اليه بل من عطف الجمل ، وما يقال من أنه احتراز عن نحو ـ جاءنى زيد جاءنى عمرو ـ من غير عطف فليس بشيء ، إذ ليس فيه دلالة على تفصيل المسند اليه ، بل يحتمل أن يكون إضرابا عن الكلام الأول ، نص عليه الشيخ فى دلائل الاعجاز [أو] لتفصيل [المسند] بأنه قد حصل من أحد المذكورين أوّلا ومن الآخر بعده مع مهلة أو بلا مهلة [كذلك] أى مع اختصار ، واحترز بقوله ـ كذلك ـ عن نحو ـ جاءنى زيد وعمرو بعده بيوم أو سنة [نحو جاءنى زيد فعمرو ، أو ثم عمرو ، أو جاءنى القوم حتى خالد] فالثلاثة تشترك فى تفصيل المسند إلا أن الفاء تدل على التعقيب من غير تَرَاخٍ ، وثم على التراخى ، وحتى على أن أجزاء ماقبلها مترتبة في الذهن من الأضعف إلي الأقوى أو بالعكس ، فمعنى تفصيل المسند فيها أن يُعتبرَ تعلقُه بالمتبوع أوّلا وبالتابع ثانيا ' من حيث إنه أقوى أجزاء المتبوع أو أضعفها ، ولا يشترط فيها الترتيب الخارجى (١) فان قلت فى هذه الثلاثة أيضا تفصيل للمسند اليه فلم لم يقل

---

(١) لأنه يجوز أن تقول فيها ـ مات كل أب لى حتي آدم عليه السلام .

تطبيقات على تقييد المسند اليه بالعطف :

(١) ـ قوله تعالى ـ (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) .

(٢) وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بأَنِّىَ فاجرٌ لنفسى تُقَاها أو عليها فجورُهَا

أَوْ رَدِّ السَّامِعِ إِلَى الصَّوَابِ ، نَحْوُ ـ جَاءَنِي زَيْدٌ لَا عَمْرٌو ، أَوْ صَرْفِ الْحُكْمِ إِلَى آخَرَ ، نَحْوُ ـ جَاءَنِي زَيْدٌ بَلْ عَمْرٌو وَمَا جَاءَنِي عَمْرٌو بَلْ زَيْدٌ ،

أو لتفصيلهما معا ، قلت فَرْقٌ بين أن يكون الشيء حاصلا من شيء وبين أن يكون مقصودا منه ، وتفصيل المسند اليه فى هذه الثلاثة وإن كان حاصلا ، لٰكنْ ليس العطف بهذه الثلاثة لأجله ، لأن الكلام اذا اشتمل على قيد زائد على مجرد الاثبات أو النفي فهو الغرض الخاص والمقصود من الكلام ، ففى هذه الأمثلة تفصيل المسند اليه كأنه أمر كان معلوما ، وإنما سيق الكلام لبيان أن مجيء أحدهما كان بعد الآخر ، فَلْيُتَأَمَّلْ ، وهذا البحث مما أورده الشيخ فى دلائل الاعجاز ووصى بالمحافظة عليه [أو رد السامع] عن الخطأ فى الحكم [إلى الصواب نحو ـ جاءنى زيد لا عمرو] لمن اعتقد أن عمرا جاءك دون زيد ، أو أنهما جاآك جميعا ، ولٰكنْ أيضاً للرد إلى الصواب إلا أنه لا يقال لنفي الشركة ، حتى إن نحو ـ ما جاءنى زيد لكن عمرو ـ إنما يقال لمن اعتقد أن زيدا جاءك دون عمرو ، لا لمن اعتقد أنهما جاآك جميعا ، وفى كلام النحاة ما يشعر بأنه إنما يقال لمن اعتقد انتفاء المجيء عنهما جميعا [أو صرف الحكم] عن محكوم عليه [إلى] محكوم عليه [آخر نحو ـ جاءنى زيد بل عمرو ، أو ما جاءنى عمرو بل زيد] فان بل للاضراب عن المتبوع وصرف الحكم إلى التابع ، ومعنى الاضراب عن المتبوع أن يجعل فى حكم المسكوت عنه لا أن ينفى عنه

---

(٣) عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا   بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

فَمَدَافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا   خَلَقًا كَمَا ضَمِنَ الْوُحِيَّ سِلَامُهَا

عطف المسند إليه بالواو فى الأول لأجل تفصيله مع الاختصار ، وبأو فى الثانى لافادة الابهام والتلطف مع محبوبته ، وبالفاء فى الثالث لأجل تفصيل المسند مع الاختصار .

أَوِ الشَّكُّ أَوِ التَّشْكِيكُ ، نَحْوُ ـ جَاءَنِي زَيْدٌ أَوْ عَمْرٌو .

وَأَمَّا فَصْلُهُ فَلِتَخْصِيصِهِ بِالْمُسْنَدِ .

الحكم قطعا خلافا لبعضهم ، ومعنى صرف الحكم في المثبت ظاهر ، وكذا فى المنفى إن جعلناه بمعنى نفى الحكم عن التابع والمتبوعُ فى حكم المسكوت عنه او مُتحقَّق الحكم له ، حتى يكون معنى ـ ماجاءنى زيد بل عمرو ـ أن عمرا لم يجىء ، وعدم مجىء زيد ومجيئه على الاحتمال ، أو مجيئه محقق ، كما هو مذهب المبرد ، وإن جعلناه بمعنى ثبوت الحكم للتابع ، حتى يكون معنى ـ ماجاءنى زيد بل عمرو ـ أن عمرا جاءك كما هو مذهب الجمهور ففيه إشكال [أو الشك] من المتكلم [أو التشكيك للسامع] أى إيقاعه في الشك [نحو جاءنى زيد أو عمرو] أوللابهام نحو قوله تعالى (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) أو للتخيير أو للاباحة نحو ـ لِيَدْخُلِ الدَّارَ زَيْدٌ أَوْ عَمْرٌو ـ والفرق بينهما أن فى الاباحة يجوز الجمع بينهما بخلاف التخيير .

[وأما فصله] أى تعقيب المسند اليه بضمير الفصل ، وإنما جعله من أحوال المسند اليه لأنه يقترن به أولًا ، ولأنه فى المعنى عبارة عنه وفى اللفظ مطابق له [فلتخصيصه] أى المسند اليه [بالمسند] يعنى لقصر المسند على المسند اليه (١) لأن معنى قولنا ـ زيدٌ

---

(١) فتكون الباء فى قوله ـ فلتخصيصه بالمسند ـ داخلة على المقصور لا على المقصور عليه .

تطبيقات على تقييد المسند إليه بضمير الفصل :

(١) ـ قوله تعالى ـ (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) :

(٢) وَكَائِنْ بالأباطح من صديقٍ   تراه لو أُصِبْتُ هـــو المُصَابَا

أتى بضمير الفصل فى الأول لقصر المسند وهو ـ الرزاق ـ على المسند إليه وهو

وَأَمَّا تَقْدِيمُهُ فَلِكَوْنِ ذِكْرِهِ أَهَمَّ ، إِمَّا لِأَنَّهُ الأَصْلُ وَلَا مُقْتَضِيَ لِلْعُدُولِ عَنْهُ ، وَإِمَّا لِيَتَمَكَّنَ الْخَبَرُ فِي ذِهْنِ السَّامِعِ ، لِأَنَّ فِي الْمُبْتَدَإِ تَشْوِيقًا إِلَيْهِ ، كَقَوْلِهِ :

وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادِ

هُوَ الْقَائِمُ - أن القيام مقصور على زيد لا يتجاوزه إلى عمرو ، فالباء فى قوله - فلتخصيصه بالمسند - مثلها فى قولهم - خَصَصْتُ فلانا بالذكر - أى ذكرته دون غيره ، كأنك جعلته من بين الأشخاص مختصا بالذكر ، أى منفردا به ، والمعنى ههنا جعل المسند اليه من بين ما يصح اتصافه بكونه مسندا اليه مختصا بأن يثبت له المسند ، كما يقال فى - إِيَّاكَ نَعْبُدُ - معناه نخصك بالعبادة ولا نعبد غيرك .

[وأما تقديمه] أى تقديم المسند اليه [فلكون ذكره أهم] ولا يكفى فى التقديم مجرد ذكر الاهتمام ، بل لابد من أن يبين أن الاهتمام من أى جهة وبأى سبب ، فلذا فصله بقوله [إما لأنه] أى تقديم المسند اليه [الأصل] لأنه المحكوم عليه ، ولابد من تحققه قبل الحكم ، فقصدوا أن يكون فى الذكر أيضا مقدما [ولا مقتضى للعدول عنه] أى عن ذلك الأصل ، إذ لو كان أمر يقتضى العدول عنه فلا يقدم كما فى الفاعل ، فان مرتبة العامل التقدم على المعمول [وإما ليتمكن الخبر فى ذهن السامع لأن فى المبتدإ تشويقا اليه] أى الخبر [كقوله :

(والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد (١)]

يعنى تحيرت الخلائق فى المعاد الجسمانى ، والنشور الذى ليس بنفسانى ، بدليل ما قبله :

بَانَ أَمْرُ الإِلَهِ وَاخْتَلَفَ النَّا سُ فَدَاعٍ إِلَى ضَلَالٍ وَهَادِ

- لفظ الجلالة - وفى الثانى لقصر المسند وهو - المصاب - على المسند إليه وهو ضمير الغائب في قوله - تراه - .

(١) هو لأبى العلاء أحمد بن عبد الله المعرى من شعراء الدولة العباسية .

وَإمَّا لتَعْجِيل المَسَرَّة أو المساءَة للتَّفَاؤُل أو التَّطَيُّر ، نَحْوُ ـ سَعْدٌ فى دَارِكَ ، والسَّفَّاحُ فى دَارِ صَدِيقِكَ ـ وَإمَّا لإيهام أنَّهُ لا يَزُولُ عَنِ الخَاطِرِ ، أوْ أنَّه يُسْتَلَذُّ به،وَإمَّا لِنَحْوِ ذَلِكَ .

قَالَ عَبْدُ القَاهِرِ : وَقَدْ يُقَدَّمُ لِيُفِيدَ تَخْصِيصَهُ بالخَبَرِ الفِعْلِيِّ إنْ وَلِىَ حَرْفَ النَّفْىِ ، نَحْوُ ـ مَا أنَا قُلْتُ هٰذَا ـ أى لَمْ أقُلْه مَعَ أنَّهُ مَقُولٌ لِغَيْرِى ،

يعنى بعضهم يقول بالمعاد ، وبعضهم لا يقول به [وإما لتعجيل المسرة أو المساءة للتفاؤل] علّةٌ لتعجيل المسرة [أو التطير] علة لتعجيل المساءة [نحو ـ سعد فى دارك] لتعجيل المسرة [والسفاح فى دار صديقك] لتعجيل المساءة [وإما لايهام أنه] أي المسند اليه [لايزول عن الخاطر] لكونه مطلوبا [أو أنه يستلذ به] لكونه محبوبا [وإمالنحو ذلك] كاظهار تعظيمه أو تحقيره أو ما أشبه ذلك (١) .

[قال عبد القاهر : وقد يقدم] المسند اليه [ليفيد] التقديم [تخصيصه بالخبرالفعلى] أي قصر الخبر الفعلى عليه [إن ولى] المسند اليه [حرف النفي] أى وقع بعدها بلا فصل (٢) [نحو ماأنا قلت هذا أي لم أقله مع أنه مقول لغيرى] ، فالتقديم يفيد نفى

---

(١) ومن التقديم للاستلذاذ بالمسند إليه قول جميل :

بُثَيْنَةُ ما فيها إذا ما تبصَّرتْ مَعَابٌ ولا فيها إذا نسبت أَشْبُ

ومن التقديم لتعظيمه قوله تعالى (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) ومن التقديم لتحقيره قول الشاعر :

أبوك حُبَابٌ سارقُ الضَّيفِ بُرْدَهُ وَجَدِّىَ ياحجَّاج فارسُ شَمَّرَا

(٢) عدم الفصل ليس بشرط ، فيدخل فى هذا نحو ـ ما زيدًا أنا ضربتُ ـ وقد أنث الضمير فى قوله ـ بعدها ـ باعتبار أن حرف النفى أداة أو كلمة .

وَهٰذَا لَمْ يَصِحَّ - مَا أَنَا قُلْتُ وَلَا غَيْرِى ، وَلَا مَا أَنَا رَأَيْتُ أَحَدًا ، وَلَا مَا أَنَا ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا - وَإِلَّا فَقَدْ يَأْتِى لِلتَّخْصِيصِ رَدًّا عَلَى مَنْ زَعَمَ انْفِرَادَ غَيْرِهِ بِهِ أَوْ مُشَارَكَتَهُ فِيهِ ، نَحْوُ - أَنَا سَعَيْتُ فِى حَاجَتِكَ - وَيُؤَكَّدُ عَلَى الْأَوَّلِ

الفعل عن المتكلم وثبوته لغيره على الوجه الذي نفى عنه من العموم أو الخصوص ، ولا يلزم ثبوته لجميع من سواك ، لأن التخصيص ههنا إنما هو بالنسبة إلى من توهم الْمُخَاطَبُ اشتراكك معه فى القول أو انفرادك به دونه [ولهذا] أي ولأن التقديم يفيد التخصيص ونفى الحكم عن المذكور مع ثبوته للغير [لم يصح - ما أنا قلت] هذا [ولاغيرى] لأن مفهوم - ماأنا قلت - ثبوت قائلية هذا القول لغير المتكلم ، ومنطوق لا غيرى نفيها عنه ، وهما متناقضان [ولاما أنا رأيت أحدا] لأنه يقتضى أن يكون إنسان غير المتكلم قد رأي كل أحد من الانسان ، لأنه قد نفى عن المتكلم الرؤية على وجه العموم فى المفعول ، فيجب أن يثبت لغيره على وجه العموم فى المفعول ، ليتحقق تخصيص المتكلم بهذا النفى [ولا ما أنا ضربت إلا زيدا] لأنه يقتضى أن يكون إنسان غيرك قد ضرب كل أحد سوى زيد ، لأن المستثنى منه مقدر عام ، وَكُلُّ ما نفيته عن المذكور على وجه الحصر يجب ثبوته لغيره تحقيقا لمعنى الحصر ، إِنْ عَامًّا فَعَامٌّ وإن خاصًّا فخاصٌّ ، وفى هذا المقام مباحث نفيسة وشحنا بها فى الشرح .

[وإلا] أى وإن لم يَلِ المسند اليه حرف النفى ، بأن لا يكون فى الكلام حرف النفى ، أو يكون حرف النفى متأخرا عن المسند اليه [فقد يأتى] التقديم [للتخصيص رَدًّا على من زعم انفراد غيره] أى غير المسند اليه المذكور [به] أى بالخبر الفعلى [أو] زعم [مشاركته] أى مشاركة الغير [فيه] أى فى الخبر الفعلى [نحو أنا سعيت فى حاجتك] لمن زعم انفراد الغير بالسعي ، فيكون قصر قلب ، أو زعم مشاركته لك فى السعى ، فيكون قصر إفراد [ويؤكد على الأول] أى على تقدير كَوْنِهِ رَدًّا على من

بنحو - لَا غَيْرِى - وَعَلَى الثانى بنحو - وحدى - وَقَدْ يأتى لتَقَوِّى الحُكْمِ نَحْوُ - هُوَ يُعطى الجَزِيلَ - وَكَذَا إذَا كَانَ الفِعْلُ مَنْفِيًّا نَحْوُ - أَنْتَ لَا تَكْذِبُ - فَانَّهُ أَشَدُّ لِنَفْيِ الْكَذِبِ مِنْ - لَا تَكْذِبُ - وَكَذَا مِنْ - لَا تَكْذِبُ أَنْتَ - لِأَنَّهُ لِتَأْكِيد المَحْكُومِ عَلَيْهِ لَا الحُكْمِ .

زعم انفراد الغير [بنحو - لا غيرى] مثل - لا زَيْدٌ ولا عَمْرٌو ولا من سواى ، لأنه الدال صريحا على نفي شبهة أنّ الفعل صدر عن الغير [و] يؤكد [على الثانى] أى على تقدير كونه ردا على من زعم المشاركة [بنحو وحدى] مثل - منفرداً ، أو متوحدًا ، أو غير مشارك ، أو غير ذلك ، لأنه الدال صريحا على إزالة شبهة اشتراك الغير فى الفعل ، والتأكيد إنما يكون لدفع شبهة خالجت قلب السامع [وقد يأتى لتقوى الحكم] وتقريره فى ذهن السامع دون التخصيص [نحو - هو يعطى الجزيل] قَصْدًا إلى تحقيق أنه يفعل إعطاء الجزيل ، وسيرد عليك تحقيق معنى التَّقَوِّى .

[وكذا إذا كان الفعل منفيا] فقد يأتى التقديم للتخصيص ، وقد يأتى للتَّقَوِّى ، فالأول نحو - أنت ما سعيت في حاجتى - قصدا إلى تخصيصه بعدم السعى ، والثانى [نحو - أنت لا تكذب] وهو لتقوية الحكم المنفي وتقريره [فانه أشد لنفى الكذب من - لا تكذب] لما فيه من تكرار الاسناد المفقود فى - لا تكذب - واقتصر المصنف على مثال التَّقَوِّى ليفرع عليه التفرقة بينه وبين تأكيد المسند اليه ، كما أشار اليه بقوله [وكذا من - لا تكذب أنت] يعنى أنه أشد لنفى الكذب من - لا تكذب أنت - مع أن فيه تأكيدا [لأنه] أي لأن لفظ - أنت - أو لأن لفظ - لا تكذب أنت - [لتأكيد المحكوم عليه] بأنه ضمير المخاطب تحقيقا ، وليس الاسناد اليه على سبيل السهو أو التجوز أو النسيان [لا] لتأكيد [الحكم] لعدم تكرر الاسناد .

وهذا الذى ذكر من أن التقديم للتخصيص تارة وللتَّقَوِّى أخرى إذا بنى الفعل على

وَإِنْ بُنِيَ الْفِعْلُ عَلَى مُنَكَّرٍ أَفَادَ تَخْصِيصَ الْجِنْسِ أَوِ الْوَاحِدِ بِهِ ، نَحْوُ ـ رَجُلٌ جَاءَنِي ـ أَيْ لَا امْرَأَةٌ أَوْ لَا رَجُلَانِ ، وَوَافَقَهُ السَّكَّاكِيُّ عَلَى ذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : التَّقْدِيمُ يُفِيدُ الْاُخْتِصَاصَ إِنْ جَازَ تَقْدِيرُ كَوْنِهِ فِي الْأَصْلِ

مُعَرَّفٍ [وإن بني الفعل على منكر أفاد] التقديم [تخصيص الجنس أو الواحد به] أى بالفعل [نحو ـ رجل جاءنى ـ أى لا امرأة] فيكون تخصيص جنس [أو لا رجلان] فيكون تخصيص واحد ، وذلك أن اسم الجنس حامل لمعنيين : الجنسية والعدد المعين ، أعنى الواحد إن كان مفردا ، والاثنين إن كان مثنى ، والزائد عليه إن كان جمعا ، فأصل النكرة المفردة أن تكون لواحد من الجنس ، فقد يقصد به الجنس فقط ، وقد يقصد به الواحد فقط ، والذى يشعر به كلام الشيخ فى دلائل الاعجاز أنه لا فرق بين المعرفة والنكرة فى أن البناء عليه قد يكون للتخصيص ، وقد يكون للتَّقَوِّى (١) .

[ووافقه] أى عَبْدَ القاهر [السكاكى على ذلك] أى على أن التقديم يفيد التخصيص ، لكن خالفه فى شرائط وتفاصيل ، فإن مذهب الشيخ أنه إنْ وَلِيَ حَرْفَ النفى فهو للتخصيص قطعا ، وإلا فقد يكون للتخصيص ، وقد يكون للتَّقَوِّى ، مضمرا كان الاسم أو مظهرا ، معرفا كان أو منكرا ، مثبتا كان الفعل أو منفيا ، ومذهب السكاكى أنه إن كان نكرةً فهو للتخصيص إن لم يمنع منه مانع ، وإن كان معرفةً فإنْ كان مظهرا فليس إلا للتَّقَوِّى ، وإن كان مضمرا فقد يكون للتَّقَوِّى ، وقد يكون للتخصيص ، من غير تفرقة بين مايَلِي حَرْفَ النفى وغيره ، وإلى هذا أشار بقوله [إلا أنه] أى السكاكى [قال : التقديم يفيد الاختصاص إن جاز تقدير كونه] أى المسند اليه [فى الأصل

---

(١) هذا غير صحيح ، لأن كلام الشيخ فى دلائل الاعجاز صريح فى أن البناء على النكرة لا يكون إلا للتخصيص كما ذكره هنا الخطيب .

مُؤَخَّرًا عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ مَعْنًى فَقَطْ ، نَحْوُ ـ أَنَا قُمْتُ ـ وَقُدِّرَ ، وَإِلَّا فَلَا يُفِيدُ إِلَّا تَقَوِّيَ الْحُكْمِ ، سَوَاءٌ جَازَ كَمَا مَرَّ وَلَمْ يُقَدَّرْ ، أَوْ لَمْ يَجُزْ ، نَحْوُ ـ زَيْدٌ قَامَ ـ وَاسْتَثْنَى الْمُنْكَّرَ ـ بِجَعْلِهِ مِنْ بَابِ ـ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ـ أَيْ عَلَى الْقَوْلِ بِالْإِبْدَالِ مِنَ الضَّمِيرِ ، لِئَلَّا يَنْتَفِيَ التَّخْصِيصُ إِذْ لَا سَبَبَ لَهُ سِوَاهُ

مؤخرا على أنه فاعل معني فقط] لالفظا [نحو ـ أنا قمت] فانه يجوز أن يقدر أن أصله ـ قمت أنا ـ فيكون ـ أنا ـ فاعلا معنى تأكيدا لفظا [وقدر] عَطْفٌ على جاز ، يعنى أن إفادة التخصيص مشروط بشرطين : أحدهما جواز التقدير ، والآخر أن يعتبر ذلك ، أي يُقَدَّرَ أنه كان فى الأصل مؤخرا [وإلا] أى وإن لم يوجد الشرطان [فلا يفيد] التقديم [إلا تقوى الحكم] سواء [جاز] تقدير التأخير [كما مر] فى نحو ـ أنا قمت [ولم يقدر أو لم يجز] تقدير التأخير أصلا [نحو ـ زيد قام] فانه لا يجوز أن يقدر أن أصله ـ قام زيد ـ فَقُدِّمَ لما سنذكره ، ولما كان مقتضى هذا الكلام ألا يكون نحو ـ رجل جاءنى ـ مفيدا للتخصيص لأنه إذا أُخِّرَ فهو فاعل لفظا لا معنى(١) استثناه السكاكى ، وأخرجه من هذا الحكم ، بأن جعله فى الأصل مؤخَّرا على أنه فاعل معنى لا لفظا ، بأن يكون بدلا من الضمير الذي هو فاعل لفظا ، وهذا معنى قوله [واستثنى] السكاكى [المنكر بجعله من باب ـ وأسروا النجوى الذين ظلموا ـ أى على القول بالابدال من الضمير] يعنى قَدَّرَ أنَّ اصل ـ رجل جاءني ـ جاءني رجل ـ على أنَّ ـ رجل ـ ليس بفاعل ، بل هو بدل من الضمير فى جاءنى ، كما ذكر فى قوله تعالى ـ وأسروا النجوى الذين ظلموا ـ أن الواو فاعل والذين ظلموا بدل منه ، وإنما جعله من هذا الباب [لئلا ينتفى التخصيص إذلا سبب له] أى للتخصيص [سواه] أي سوى تقدير

---

(١) المراد فهو فاعل لفظا ومعنى لا معنى فقط .

بخلاف المُعَرَّف - ثُمَّ قالَ : وشَرْطُهُ أَلَّا يَمْنَعَ مِنَ التَّخْصِيصِ مانِعٌ كَقَوْلِنَا - رَجُلٌ جاءَنِي - عَلَى ما مَرَّ ، دُونَ - قَوْلِهِمْ - شَرٌّ أَهَرَّ ذَا نَابٍ - أَمَّا عَلَى التَّقْدِيرِ الأَوَّلِ فَلامْتِناعِ أَنْ يُرادَ المُهِرُّ شَرٌّ لَا خَيْرٌ ، وَأَمَّا عَلَى الثَّانِي فَلِنُبُوِّهِ عَنْ مَظَانِّ اسْتِعْمالِهِ ، وَإِذْ قَدْ صَرَّحَ الأَئِمَّةُ بِتَخْصِيصِهِ حَيْثُ تَأَوَّلُوهُ - بِمَا أَهَرَّ ذَا نابٍ إِلَّا شَرٌّ - فَالْوَجْهُ

كَوْنه مؤخرا فى الأصل على أنه فاعل معنى ، ولولا أنه مُخَصَّصٌ لما صح وقوعه مبتدءا [بخلاف المعرف] فانه يجوز وقوعه مبتدءا من غير اعتبار التخصيص ، فلزم ارتكاب هذا الوجه البعيد فى المنكر دون المعرف ، فان قيل فيلزمه إبراز الضمير فى مثل - جاآنى رجلان ، وجاؤونى رجال والاستعمال بخلافه ، قلنا ليس مراده أن المرفوع فى قولنا - جاءنى رجل - بدل لافاعل ، فانه مما لا يقول به عاقل فضلا عن فاضل ، بل المراد أنَّ فى مثل قولنا - رجل جاءنى - يُقَدَّرُ (١) أن الأصل - جاءنى رجل - على أن - رجل - بدل لا فاعل ، ففى مثل - رجال جاؤونى - يقدر أن الأصل - جاؤونى رجال - فليتأمل .

[ثم قال] السكاكى [وشرطه] أي وشرط كون المنكر من هذا الباب واعتبار التقديم والتأخير فيه [ألا يمنع من التخصيص مانع كقولك - رجل جاءنى - على مامر] أن معناه رجل جاءنى لاامرأة أولا رجلان [دون قولهم شرأهرذا ناب] فان فيه مانعا من التخصيص [أما على التقدير الأول] يعنى تخصيص الجنس [فلامتناع أن يراد أن المهر شر لاخير] لأن المهر لايكون إلا شرا [وأما على] التقدير [الثانى] يعنى تخصيص الواحد [فلنبوه عن مظان استعماله] أى لنبو تخصيص الواحد عن مواضع استعمال هذا الكلام ، لأنه لا يقصد به أن المهر شر لا شرَّان ، وهذا ظاهر [وإذ قد صرح الأئمة بتخصيصه حيث تأولوه بما أهر ذاناب إلا شر فالوجه] أى وجه

(١) وهذا كما يقدر المحال فلا يلزم وقوعه بالفعل .

تَفْظِيعُ شَأْنِ الشَّرِّ بِتَنْكِيرِه ، وَفِيهِ نَظَرٌ - إِذِ الْفَاعِلُ اللَّفْظِيُّ وَالْمَعْنَوِيُّ سَوَاءٌ فِي امْتِنَاعِ التَّقْدِيمِ مَا بَقِيَا عَلَى حَالِهِمَا ، فَتَجْوِيزُ تَقْدِيمِ الْمَعْنَوِيِّ دُونَ اللَّفْظِيِّ تَحَكُّمٌ ، ثُمَّ لَا نُسَلِّمُ انْتِفَاءَ التَّخْصِيصِ لَوْلَا تَقْدِيرُ التَّقْدِيمِ لِحُصُولِه بِغَيْرِه كَمَا ذَكَرَهُ ،

الجمع بين قولهم بتخصيصه وقولنا بالمانع من التخصيص [تفظيع شأن الشر به بتنكيره] أى جعل التنكير للتعظيم والتهويل ، ليكون المعنى - شر عظيم فظيع أهر ذا ناب لا شر حقير - فيكون تخصيصا نوعيا ، والمانع إنما كان من تخصيص الجنس أو الواحد [وفيه] أى فيما ذهب اليه السكاكى [نظر إذ الفاعل اللفظى والمعنوى] كالتأكيد والبدل [سواء فى امتناع التقديم مابقيا على حالهما] أى مادام الفاعل فاعلا والتابع تابعا ، بل امتناع تقديم التابع أولى [فتجويز تقديم المعنوى دون اللفظى تحكم] وكذا تجويز الفسخ فى التابع دون الفاعل تحكم ، لأن امتناع تقديم الفاعل إنما هو عند كونه فاعلا ، وإلا فلا امتناع فى أن يقال فى نحو - زيد قام - إنه كان فى الأصل - قام زيد - فقدم زيد وجعل مبتدا كما يقال فى - جرد قطيفة - إنَّ جردا كان فى الأصل صفة فقدم وجعل مضافا ، وامتناع تقديم التابع حال كونه تابعا مما أجمع عليه النحاة إلا فى العطف فى ضرورة الشعر (١) فمنع هذا مكابرة ، والقول بأنه فى حالة تقديم الفاعل ليجعل مبتدا يلزم خلو الفعل عن الفاعل وهو محال بخلاف الخلو عن التابع فاسد ، لأن هذا اعتبار محض [ثم لانسلم انتفاء التخصيص] فى نحو - رجل جاءنى [لولا تقدير التقديم لحصوله] أى التخصيص [بغيره] أى بغير تقدير التقديم [كما ذكره] السكاكى من التهويل وغيره كالتحقير والتكثير والتقليل ، والسكاكى وإن لم يصرح بأن لا سبب للتخصيص سواه ، لكن لزم ذلك من كلامه حيث قال : إنما يرتكب

---

(١) كما فى قول الشاعر :

ألا يانخلةً من ذات عِرْقٍ عليكِ ورحمةُ اللهِ السلامُ

فان الأصل - عليك السلام ورحمة الله .

ثُمَّ لَا نُسَلِّمُ امْتِنَاعَ أَنْ يُرَادَ الْمُهِرُّ شَرٌّ لَا خَيْرٌ ،

ذلك الوجه البعيد عند المنكر لفوات شرط الابتداء ، ومن العجائب أن السكاكى إنما ارتكب فى مثل ـ رجل جاءنى ـ ذلك الوجه البعيد لئلا يكون المبتدأ نكرة محضة ، وبعضهم يزعم أنه عند السكاكى بدل مقدم لا مبتدأ ، وأن الجملة فعلية لا اسمية ، ويتمسك فى ذلك بتلويحات بعيدة من كلام السكاكى ، وبما وقع من السهو للشارح العلامة فى مثل ـ زيد قام وعمرو قعد ـ أن المرفوع يحتمل أن يكون فاعلا مقدما أو بدلا مقدما ، ولا يلتفت الى تصريحاتهم بامتناع تقديم التوابع ، حتى قال الشارح العلامة فى هذا المقام : إن الفاعل هو الذي لا يتقدم بوجه ما ، وأما التوابع فتحتمل التقديم على طريق الفسخ ، وهو أن يفسخ كونه تابعا ويقدم ، وأما لا على طريق الفسخ فيمتنع تقديمها أيضا ، لاستحالة تقديم التابع على المتبوع من حيث هو تابع ، فافهم [ثم لا نسلم امتناع أن يراد ـ المهر شر لا خير] كيف وقد قال الشيخ عبد القاهر : قدم ـ شر ـ لأن المعنى أن الذى أَهَرَّهُ من جنس الشر لا من جنس الخير (١) .

---

(١) لأن الهرير صوت الكلب مطلقا لخير أو لشر ، فيتأتى تخصيصه بأحدهما .

تطبيقات على تقديم المسند إليه :

(١) قوله تعالي ـ (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) .

(٢) المشرقان عليك ينتحبان ... قاصيهما فى مَأْتَمٍ والدانى

(٣) وما أنا أسقمتُ جسمى به ... ولا أنا أضرمتُ فى القلب نَارَا

فتقديمه فى الأول للاهتمام والتعظيم ، وفى الثانى لتقوية الحكم ، وفى الثالث للتخصيص بالخبر الفعلى :

أمثلة أخرى :

(١) هما يلبسان المجد أحسن لِبْسَةٍ ... شحيحان ما اسْطَاعَا عليه كلاهُمَا

ثُمَّ قَالَ : وَيَقْرُبُ مِنْ - هُوَ قَامَ - زَيْدٌ قَائِمٌ - فِي التَّقَوِّي لِتَضَمُّنِهِ الضَّمِيرَ ، وَشَبَهِهِ بِالْخَالِي عَنْهُ مِنْ جِهَةِ عَدَمِ تَغَيُّرِهِ فِي التَّكَلُّمِ وَالْخِطَابِ وَالْغَيْبَةِ ، وَلِهَذَا لَمْ يُحْكَمْ بِأَنَّهُ جُمْلَةٌ ، وَلَا عُومِلَ مُعَامَلَتَهَا فِي الْبِنَاءِ .

وَمِمَّا يُرَى تَقْدِيمُهُ كَاللَّازِمِ لَفْظُ مِثْلٍ وَغَيْرٍ فِي نَحْوِ - مِثْلُكَ لَا يَبْخَلُ ، وَغَيْرُكَ

[ثم قال] السكاكى [ويقرب من] قَبِيل [هو قام - زيد قائم - فى التقوي لتضمنه] أى لتضمن - قائم - [الضمير] مثل - قام - فيحصل للحكم تَقَوٍّ [وشبهه] أى شبه السكاكى مثل - قائم - المتضمن للضمير [بالخالى عنه] أي عن الضمير من جهة [عدم تغيره فى التكلم والخطاب والغيبة] نحو - أنا قائم ، وأنت قائم ، وهو قائم - كما لا يتغير الخالى عن الضمير ، نحو - أنا رجل ، وأنت رجل ، وهو رجل - وبهذا الاعتبار قال - يقرب - ولم يقل نظيره ، وفى بعض النسخ - وشَبَهِه - بلفظ الاسم مجرورا عطفا على - تَضَمُّنِه - يعنى أن قوله - يقرب - مشعر بأن فيه شيئا من التَّقَوِّي وليس مثل التقوى فى - زيد قام - فالأول لتضمنه الضمير والثانى لشَبَهِه بالخالى عن الضمير [ولهذا] أي ولشبهه بالخالى عن الضمير [لم يحكم بأنه] أى مثل - قائم - مع الضمير ، وكذا مع فاعله الظاهر أيضا [جملة ولا عومل] قائم مع الضمير [معاملتها] أي معاملة الجملة [فى البناء] حيث أعرب فى مثل - رجل قائم ، ورجلا قائما ، ورجل قائم .

[ومما يرى تقديمه] أى من المسند اليه الذى يري تقديمه على المسند [كاللازم لفظ مثل وغير] إذا استعملا على سبيل الكناية [فى نحو - مثلك لا يبخل ، وغيرك

---

(٢) لستُ بكفِّي كَفَّهُ أَبتغي الغنى ولم أدر أن الْجُودَ من كَفِّه يُعْدِي
فلا أنا منه ماأفاد ذَوُوا الغنى أفدتُ وأعداني فأتلفتُ ماعندي

لَا يَجُودُ ـ بِمَعْنَى ـ أَنْتَ لَا تَبْخَلُ وَأَنْتَ تَجُودُ ـ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةِ تَعْرِيضٍ بِغَيْرِ الْمُخَاطَبِ، لِكَوْنِهِ أَعْوَنَ عَلَى الْمُرَادِ بِهِمَا .

قِيلَ وَقَدْ يُقَدَّمُ لِأَنَّهُ دَالٌّ عَلَى الْعُمُومِ نَحْوُ ـ كُلُّ إِنْسَانٍ لَمْ يَقُمْ ـ بِخِلَافِ مَالَوْ أُخِّرَ نَحْوُ ـ لَمْ يَقُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ ـ فَإِنَّهُ يُفِيدُ نَفْيَ الْحُكْمِ عَنْ جُمْلَةِ الْأَفْرَادِ

لا يجود ـ بمعنى أنت لا تبخل وأنت تجود من غير إرادة تعريض بغير المخاطب] بأن (١) يراد بالمثل والغير إنسان آخر مماثل للمخاطب أو غير مماثل ، بل المراد نفى البخل عنه على طريق الكناية ، لأنه إذا نفى عمن كان على صفته من غير قصد إلى مماثل لزم نفيه عنه ، وإثبات (٢) الجود له بنفيه عن غيره مع اقتضائه محلا يقوم به ، وإنما يرى التقديم فى مثل هذه الصورة كاللازم [لكونه] أى التقديم [أعون على المراد بهما] أي بهذين التركيبين ، لأن الغرض منهما إثبات الحكم بطريق الكناية التى هى أبلغ من التصريح، والتقديم لافادته التَّقَوِّى أعون على ذلك ، وليس معنى قوله ـ كاللازم ـ أنه قد يقدم وقد لا يقدم ، بل المراد أنه كان مقتضى القياس أن يجوز التأخير لكن لم يرد الاستعمال إلا على التقديم كما نص عليه فى دلائل الاعجاز .

[قيل وقد يقدم] المسند اليه الْمُسَوَّرُ بكل على المسند المقرون بحرف النفي [لأنه] أى التقديم [دال على العموم] أي على نفى الحكم عن كل فرد من أفراد ما أضيف اليه لفظ كل [نحو ـ كل إنسان لم يقم] فانه يفيد نفى القيام عن كل واحد من أفراد الانسان [بخلاف مالو أخر نحو ـ لم يقم كل إنسان ـ فانه يفيد نفى الحكم عن جملة الأفراد

---

(١) هذا تصوير للتعريض المنفى (٢) عطف على نفى البخل لا على قوله نفيه عنه .
ومما جاء من تقديم لفظ مثل وغير فى الكناية بهما عن ذلك المعنى :

مِثْلُكَ يَثْنِي الحزن عن صَوْبِه ... ويستردُّ الدمع عن غَرْبِه

وغيرى يأكل المعروف سُحْتًا ... وَيَشْحَبُ عنده بيض الأيادي

لَا عَنْ كُلِّ فَرْدٍ ، وَذَلِكَ لِئَلَّا يَلْزَمَ تَرْجِيحُ التَّأْكِيدِ عَلَى التَّأْسِيسِ ، لِأَنَّ الْمُوجَبَةَ الْمُهْمَلَةَ الْمَعْدُولَةَ الْمَحْمُولِ فِي قُوَّةِ السَّالِبَةِ الْجُزْئِيَّةِ الْمُسْتَلْزِمَةِ نَفْيَ الْحُكْمِ عَنِ الْجُمْلَةِ

لاعن كل فرد] فالتقديم يفيد عموم السلب وشمول النفى ، والتأخير لايفيد إلا سلب العموم و نفى الشمول ، وذلك أى كون التقديم مفيدا للعموم دون التأخير [لئلا يلزم ترجيح التأكيد] وهو أن يكون لفظ كل لتقرير المعنى الحاصل قبله[على التأسيس] وهو أن يكون لافادة معنى جديد ، مع أن التأسيس راجح ، لأن الافادة خير من الاعادة ، وبيان لزوم ترجيح التأكيد على التأسيس أماَّ في صورة التقديم فلأن قولنا ـ إنسان لم يقم ـ موجبة مهملة ، أما الايجاب فلأنه حكم فيها بثبوت عدم القيام لانسان ، لا بنفى القيام عنه ، لأن حرف السلب وقع جزءا من المحمول ، وأما الاهمال فلأنه لم يذكر فيها مايدل على كَمِّيَّةِ أفراد الموضوع ، مع أن الحكم فيها على ماصدق عليه الانسان (١) وإذا كان ـ إنسان لم يقم ـ موجبة مهملة يجب أن يكون معناه نفي القيام عن جملة الأفراد لا عن كل فرد [لأن الموجبة المهملة المعدولة المحمولة فى قوة السالبة الجزئية] عند وجود الموضوع ، نحو ـ لم يقم بعض الانسان ـ بمعنى أنهما متلازمان فى الصدق ، لأنه قد حكم فى المهملة بنفى القيام عما صدق عليه الانسان أعَمّ من أن يكون جميع الأفراد أو بعضها ، وأياًّما كان يصدق نفى القيام عن البعض ، وكلما صدق نفي القيام عن البعض صدق نفيه عمـا صدق عليه الانسان فى الجملة ، فهي فى قوة السالبة الجزئية [المستلزمة نفى الحكم عن الجملة] لأن صدق السالبة الجزئيـة الموجودة الموضوع إماَّ بنفي الحكم عن كل فرد أو نفيـه عن البعض مع ثبوته للبعض ، وأياًّ ما كان يلزمها نفى

---

(١) هذا من تتمة الدليل على أنها مهملة ، ولو لم يذكره لوردت القضية الطبيعية مثل ـ الانسان نوع ـ فانه لم يذكر فيها ما يدل على كمية الأفراد أيضا ، ولكن الحكم فيها ليس على ماصدق عليه الانسان .

دُونَ كُلِّ فَرْدٍ ، وَالسَّالِبَةُ الْمُهْمَلَةُ فِى قُوَّةِ السَّالِبَةِ الْكُلِّيَةِ الْمُقْتَضِيَةِ لِلنَّفْىِ عَنْ كُلِّ فَرْدٍ ، لِوُرُودِ مَوْضُوعِهَا فِى سِيَاقِ النَّفْىِ ، وَفِيهِ نَظَرٌ - لِأَنَّ النَّفْىَ عَنِ الْجُمْلَةِ فِى الصُّورَةِ الْأَوْلَى وَعَنْ كُلِّ فَرْدٍ فِى الثَّانِيَةِ إِنَّمَا أَفَادَهُ الْإِسْنَادُ إِلَى مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ كُلٌّ وَقَدْ ، زَالَ ذَلِكَ

الحكم عن جملة الأفراد [دون كل فرد] لجواز أن يكون منفيا عن البعض ثابتا للبعض ، وإذا كان - إنسان لم يقم - بدون كل معناه نفي القيام عن جملة الأفراد لا عن كل فرد ، فلو كان بعد دخول كل أيضا معناه كذلك كان كل لتأكيد المعنى الأول ، فيجب أن يحمل على نفى الحكم عن كل فرد ليكون كل لتأسيس معنى آخر ترجيحا للتأسيس على التأكيد .

وأما فى صورة التأخير فلأن قولنا - لم يقم إنسان - سالبة مهملة لا سور فيها [والسالبة المهملة في قوة السالبة الكلية المقتضية للنفى عن كل فرد] نحو - لا شيء من الانسان بقائم - ولما كان هـذا مخالفا لما عندهم من أن المهملة فى قوة الجزئية بينه بقوله [لورود موضوعها] أى موضوع المهملة [فى سياق النفى] حال كونه نكرة غير مصدرة بلفظ كل ، فانه يفيد نفى الحكم عن كل فرد ، وإذا كان - لم يقم إنسان - بدون كل معناه نفى القيام عن كل فرد فلوكان بعد دخول كل أيضا كذلك كان كل لتأكيد المعنى الأول ، فيجب أن يحمل على نفى القيام عن جملة الأفراد ، لتكون كل لتأسيس معنى آخر ، وذلك لأن لفظ كل فى هـذا المقام لا يفيد إلا أحد هذين المعنيين ، فعند انتفاء أحدهما يثبت الآخر ضرورة ، والحاصل أن التقديم بدون كل لسلب العموم ونفى الشمول والتأخير لعموم السلب وشمول النفى ، فبعد دخول كل يجب أن يعكس هذا ليكون كل للتأسيس الراجح دون التأكيد المرجوح [وفيه نظر لأن النفى عن الجملة فى الصورة الأولى] يعنى الموجبة المهملة المعدولة المحمول ، نحو - إنسان لم يقم [وعن كل فرد فى] الصورة [الثانية] يعنى السالبة المهملة ، نحو - لم يقم إنسان [إنما أفاده الاسناد إلى ما أضيف إليه كل] وهو لفظ إنسان [وقد زال ذلك] الاسناد

بالْاسْنَاد إِلَيْها ، فَيَكُونُ تَأْسِيسًا لا تَأْكِيدًا ، وَلأَنَّ الثَّانِيَةَ إِذَا أَفادَت النَّفْيَ عَنْ كُلّ فَرْدٍ فَقَدْ أَفادَتِ النَّفْيَ عَنِ الجُمْلَةِ ، فَإِذَا حُمِلَتْ عَلَى الثَّانِي لَا يَكُونُ كُلّ تَأْسِيسًا ،

المفيد لهذا المعنى [بالاسناد اليها] أي إلى كل ، لأن إنسانا صار مضافا إليه فلم يبق مسندا إليه [فيكون] أى على تقدير أن يكون الاسناد إلى كل أيضا مفيدا للمعنى الحاصل من الاسناد إلى إنسان يكون كل [تأسيسا لا تأكيدا] لأن التأكيد لفظ يفيد تقوية ما يفيده لفظ آخر ، وهذا ليس كذلك ، لأن هذا المعنى (١) حينئذ إنما أفاده الاسناد إلى لفظ كل لاشيء آخر حتى يكون كل تأكيداً له ، وحاصل هذا الكلام أنا لانسلم أنه لو حمل الكلام بعد دخول كل على المعنى الذى حمل عليه قبل كل كان كل للتأكيد ، ولا يخفى أن هذا إنما يصح على تقدير أن يراد به التأكيد الاصطلاحى ، أما لو أريد بذلك أن يكون كل لافادة معنى كان حاصلا بدونه فاندفاع المنع ظاهر ، وحينئذ يتوجه ما أشار إليه بقوله [ولأن] الصورة [الثانية] يعني السالبة المهملة نحو - لم يقم إنسان [إذا أفادت النفي عن كل فرد فقد أفادت النفى عن الجملة فاذا حملت] كل [على الثانى] أى على إفادة النفي عن جملة الأفراد ، حتى يكون معنى - لم يقم كل إنسان - نفي القيام عن الجملة لا عن كل فرد [لا يكون] كل [تأسيسا] بل تأكيدا ، لأن هذا المعنى كان حاصلا بدونه ، وحينئذ فلو جعلنا - لم يقم كل إنسان - لعموم السلب مثل - لم يقم إنسان - لم يلزم ترجيح التأكيد على التأسيس ، إذلا تأسيس أصلا ، بل إنما يلزم ترجيح أحد التأكيدين علي الآخر ، ومايقال إن دلالة - لم يقم إنسان - على النفى عن الجملة بطريق الالتزام ودلالة - لم يقم كل إنسان - عليه بطريق المطابقة فلا يكون تأكيدا ففيه نظر ، إذ لو اشترط فى التأكيد اتحاد الدلالتين لم يكن حينئذ - كل إنسان لم يقم - على تقدير كونه لنفي الحكم عن الجملة تأكيدا ، لأن دلالة - إنسان لم يقم -

---

(١) وهو النفى عن كل فرد فى الصورة الثانيـــة ، والنفى عن الجملة فى الصورة الأولى .

وَلأَنَّ النَّكِرَةَ المَنفِيَّةَ اذا عَمَّت كَانَ قَوْلُنا ـ لَمْ يَقُمْ إنسانٌ ـ سَالِبَةً كُلِّيَةً لا مُهْمَلَةً .

وَقَالَ عَبْدُ القَاهِرِ : إنْ كَانَتْ كُلٌّ دَاخِلَةً فِي حَيِّزِ النَّفْيِ بِأَنْ أُخِّرَتْ عَنْ أَدَاتِه نَحْوُ :

« مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ »

أَوْ مَعْمُولَةً لِلفِعْلِ المَنْفِيِّ

على هذا المعنى التزام (١) [ولأن النكرة المنفية إذا عمت كان قولنا ـ لم يقم إنسان ـ سالبة كلية لا مهملة] كما ذكره هذا القائل ، لأنه قد بُيِّنَ فيها أن الحكم مسلوب عن كل واحد من الأفراد ، والبيان لابد له من مُبيِّن ، ولا محالة ههنا شيء (٢) يدل على أن الحكم فيها على كُلِّيَّة أفراد الموضوع ، ولا نعني بالسور سوى هذا ، وحينئذ يندفع ماقيل سماها مهملة باعتبار عدم السور .

[وقال عبد القاهر : إن كانت] كلمة [كل داخلة فى حيز النفى بأن أخرت عن أداته] سواء كانت معمولة لأداة النفى أولا ، وسواء كان الخبر فعلا [نحو ـ ما كل ما يتمنى المرء يدركه] .

تجري الرياح بما لا تشتهى السفُنُ (٣)

أو غير فعل ، نحو قولك ـ ما كل مُتَمَنَّى المرء حاصلا [أو معمولة للفعل المنفى] الظاهر أنه عَطْفٌ على ـ داخلة ـ وليس بسديد ، لأن الدخول فى حيز النفى شامل لذلك ، وكذا لو عطفتها على أخرت بمعنى ـ أو جعلت معمولة ـ لأن التأخير عن

---

(١) لأن مدلوله المطابقى ثبوت النفى عن إنسان ما ويلزمه النفي عن الجملة .

(٢) وهو وقوع النكرة فى سياق النفى ـ وبعد فهذا البحث على طوله لا طائل تحته ، ولا يليق الاشتغال به فى علوم البلاغة (٣) هو لأبى الطيب المتنبي .

نَحْوُ - مَا جَاءَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ ، أَوْ مَا جَاءَ كُلُّ الْقَوْمِ ، وَلَمْ آخُذْ كُلَّ الدَّرَاهِمِ ، أَوْ كُلَّ الدَّرَاهِمِ لَمْ آخُذْ - تَوَجَّهَ النَّفْيُ إِلَى الشُّمُولِ خَاصَّةً ، وَأَفَادَ ثُبُوتَ الْفِعْلِ أَوِ الْوَصْفِ لِبَعْضٍ أَوْ تَعَلُّقَهُ بِهِ ، وَإِلَّا عَمَّ كُلَّ فَرْدٍ ، كَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ - أَقُصِرَتِ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتَ :

أداة النفى أيضا شامل له ، أللهم إلا أن يخصص التأخير بما إذا لم تدخل الأداة على فعل عامل فى كل على مايشعر به المثال ، والمعمولُ أعَمُّ من أن يكون فاعلا أو مفعولا أو تأكيدا لأحدهما أو غير ذلك [نحو ما جاءنى القوم كلهم] فى تأكيد الفاعل [أو ما جاءنى كل القوم] فى الفاعل ، وقدم التأكيد على الفاعل لأن كُلًّا أصل فيه [أو لم آخذ كل الدراهم] فى المفعول المتأخر [أو كل الدراهم لم آخذ] فى المفعول المتقدم ، وكذا لم - آخذ الدراهم كُلَّهَا أو الدراهم كُلَّهَا لم آخذ - ففى جميع هذه الصور [توجه النفى إلى الشمول خاصة] لا إلى أصل الفعل [وأفاد] الكلام [ثبوت الفعل أو الوصف لبعض] مما أضيف إليه كل إن كانت كل فى المعنى فاعلا للفعل أو الوصف المذكور فى الكلام [أو] أفاد [تعلقه] أى تعلق الفعل أو الوصف [به] أي ببعض مما أضيف إليه كل إن كان كل فى المعنى مفعولا للفعل أو الوصف ، وذلك بدليل الخطاب وشهادة الذوق والاستعمال ، والحق أن هذا الحكم أكثرى لا كلى بدليل قوله تعالى (وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ) [وإلا] أى وإن لم تكن داخلة فى حيز النفى ، بأن قدمت على النفى لفظا ولم تقع معمولة للفعل المنفى [عم] النفى كل فرد مما أضيف إليه كل ، وأفاد نفى أصل الفعل عن كل فرد [كقول النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له ذو اليدين] اسم واحد من الصحابة (١) [أقصرت الصلاة] بالرفع فاعل - أقصرت [أم نسيت]

---

(١) هو لقبه لا اسمه ، أما اسمه فالخرباق أو العرباض بن عمرو .

كُلُّ ذَلكَ لَمْ يكُنْ ، وَعَلَيه قَوْلُه :

قد أَصْبحتْ أمُّ الخِيارِ تَدَّعى ... عَلَيَّ ذَنباً كُلُّه لَمْ أَصْنَعِ

وأمَّا تأخيرُه فَلاقتضاءِ المَقامِ تَقْديمَ المسْنَد .

يا رسول الله [كل ذلك لم يكن] هذا قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، والمعنى لم يقع واحد من القصر والنسيان على سبيل شمول النفى وعمومه لوجهين : أحدهما أن جواب ـ أم ـ إمَّا بتعيين أحد الأمرين أو بنفيهما جميعا تخطئة للمستفهم ، لا بنفى الجمع بينهما ، لأنه عارف بأن الكائن أحدهما ، والثانى ما روى أنه لما قال النبي عليه السلام : كل ذلك لم يكن ـ قال له ذو اليدين : بل بعض ذلك قد كان ـ ومعلوم أن الثبوت للبعض إنما ينافى النفى عن كل فرد لا النفى عن المجموع [وعليه] أى على عموم النفى عن كل فرد [قوله] أى قول أبى النجم .

[قد أصبحت أم الخيار تدعى ... على ذنبا كله لم أصنع]

برفع ـ كله ـ على معنى لم أصنع شيئا مما تدعيه على من الذنوب ، ولافادة هذا المعنى عدل عن النصب المستغنى عن الاضمار إلى الرفع المفتقر إليه ، أى لم أصنعه .

[وأما تأخيره] أى تأخير المسند إليه [فلاقتضاء المقام تقديم المسند] وسيجىء بيانه (١) .

هـــذا وما نقله عن عبد القاهر لا يكاد يفترق عما نقله قبله ، وإنما ذكره بعده لاستقامة أدلته ـ ومن أمثلة ذلك أيضا :

(١) وما كلُّ ذى لُبٍّ بمؤْتيك نُصْحَهُ ... وما كلُّ مؤْتٍ نصحه بلبيب

(٢) ما كلُّ رأيِ الفتى يدعو إلى رَشَد ... إذا بدا لك رأىٌ مُشْكلٌ فقف

(٣) إنَّ المعلم والطبيب كلاهُمَا ... لا ينصحان إذا هما لم يُكْرَمَا

(١) أي فى باب المسند الآتى بعد هذا الباب .

هَـٰذَا كُلُّهُ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ وَقَدْ يُخْرَجُ الْكَلَامُ عَلَى خِلَافِهِ ، فَيُوضَعُ الْمُضْمَرُ مَوْضِعَ الْمُظْهَرِ كَقَوْلِهِمْ ـ نِعْمَ رَجُلًا ـ مَكَانَ ـ نِعْمَ الرَّجُلُ زَيْدٌ ـ فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ ، وَقَوْلِهِمْ ـ هُوَ أَوْ هِيَ زَيْدٌ عَالِمٌ ـ مَكَانَ الشَّأْنِ أَوِ الْقِصَّةِ ، لِيَتَمَكَّنَ مَا يَعْقُبُهُ فِي ذِهْنِ السَّامِعِ ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَفْهَمْ مِنْهُ

وضع المضمر موضع المظهر

[هذا] أى الذى ذكر من الحذف والذكر والاضمار وغير ذلك فى المقامات المذكورة [كله مقتضى الظاهر] من الحال [وقد يخرج الكلام على خلافه] أى على خلاف مقتضى الظاهر لاقتضاء الحال إيَّاهُ [فيوضع المضمر موضع المظهر كقولهم ـ نعم رجلا] زَيْدٌ [مكان ـ نعم الرجل زيد] فان مقتضى الظاهر فى هذا المقام هو الاظهار دون الاضمار ، لعدم تقدم ذكر المسند إليه ، وعدم قرينة تدل عليه ، وهذا الضمير عائد إلى مُتَعَقَّلٍ معهود فى الذهن ، والتزم تفسيره بنكرة ليعلم جنس الْمُتَعَقَّلِ ، وإنما يكون هذا من وضع المضمر موضع المظهر [فى أحد القولين] أي قول من يجعل المخصوص خبر مبتدإ محذوف ، وأما من يجعله مبتدا ونعم رجلا ـ خبره فيحتمل عنده أن يكون الضمير عائدا إلى المخصوص وهو متقدم تقديرا ، ويكون التزام إفراد الضمير حيث لم يقل ـ نعما ونعموا ـ من خواص هذا الباب ، لكونه من الأفعال الجامدة [وقولهم ـ هوأو هى زيد عالم ـ مكان الشان أو القصة] فالاضمار فيه أيضا على خلاف مقتضى الظاهر لعدم التقدم ، واعلم أن الاستعمال على أن ضمير الشان إنما يؤنث اذا كان فى الكلام مؤنث غير فضلة ، فقوله ـ هى زيد عالم ـ مجرد قياس ، ثم عَلَّلَ وضع المضمر موضع المظهر فى البابين بقوله [ليتمكن مايعقبه] أى يعقب الضمير ، أى يجىء على عقبه [في ذهن السامع لأنه] أى السامع [إذا لم يفهم منه] أى من الضمير

مَعْنًى انْتَظَرَهُ ، وَقَدْ يُعَكَسُ فَإِنْ كَانَ اسْمَ إِشَارَةٍ فَلِكَمَالِ الْعِنَايَةِ بِتَمْيِيزِهِ لِاخْتِصَاصِهِ بِحُكْمٍ بَدِيعٍ ، كَقَوْلِهِ :

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ ... وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلْقَاهُ مَرْزُوقَا

هٰذَا الَّذِي تَرَكَ الْأَوْهَامَ حَائِرَةً ... وَصَيَّرَ الْعَالِمَ النِّحْرِيرَ زِنْدِيقَا

[معنى انتظره] أى انتظر السامع ما يعقب الضمير ليفهم منه معنى ، فيتمكن بعد وروده فضل تمكن ، لأن الحصول بعد الطلب أعز من المُنْسَاق بلا تعب ، ولا يخفى أن هذا لا يحسن فى باب ـ نعم ـ لأن السامع مالم يسمع المُفَسَّر لم يعلم أن فيه ضميرا ، فلا يتحقق فيه التشوق والانتظار (١) .

وضع المظهر موضع المضمر

[وقد يعكس] وَضْعُ المضمر موضع المظهر ، أي يوضع المظهر موضع المضمر [فان كان] المظهر الذي وضع موضع المضمر [اسم إشارة فلكمال العناية بتمييزه] أى تمييز المسند اليه [لاختصاصه بحكم بديع كقوله : كم عاقل عاقل] هو وصف عاقل الأول ، بمعنى كامل العقل مُتَنَاه فيه [أعيت] أى أعيته وأعجزته ، أو أعيت عليه وصعبت (٢) [مذاهبه] أى طرق معاشه [وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا ⋆ هذا الذى ترك الأوهام حائرة ⋆ وصير العالم النحرير] أى المتقن من ـ نَحَرَ الأمورَ علما أتقنها [زنديقا](٣) كافرا نافيا للصانع العدل الحكيم ، فقوله ـ هذا ـ إشارة الى حكم سابق غير

---

(١) قد أجيب عن هذا بأنه يجوز أن يعرف أن فيه ضميرا قبل سماع المفسر بقرينة أو نحوها (٢) هو متعد على التقدير الأول ، ولازم على الثانى (٣) البيتان لأحمد بن يحيى بن إسحاق الرَّاوَنْدِيّ من شعراء الدولة العباسية ، وقد جاء قبل البيتين :

أَوِ التَّهَكُّمِ بِالسَّامِعِ كَمَا إِذَا كَانَ فَاقِدًا الْبَصَرِ ، أَوِ النِّدَاءِ عَلَى كَمَالِ بَلَادَتِهِ أَوْ فَطَانَتِهِ ، أَوِ ادِّعَاءِ كَمَالِ ظُهُورِهِ ، وَعَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ هٰذَا الْبَابِ .

تَعَالَلْتِ كَيْ أَشْجَى وَمَا بِكِ عِلَّةٌ ... تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتِ بِذٰلِكِ

محسوس ، وهو كَوْنُ العاقل محروما والجاهل مرزوقا ، فكان القياس فيه الاضمار ، فعدل الى اسم الاشارة لكمال العناية بتمييزه ، لِيُرى السامعين أن هذا الشيء المتميز المتعين هو الذي له الحكم العجيب ، وهو جعل الأوهام حائرة والعالم النحرير زنديقا ، فالحكم البديع هو الذى أُثْبِتَ للمسند اليه الْمُعَبَّرُ عنه باسم الاشارة [أو التهكم] عطف على كمال العناية [بالسامع كما إذا كان] السامع [فاقد البصر] أو لا يكون ثَمَّةَ مُشَارٌ اليه أصلا [أو النداء على كمال بلادته] أي بلادة السامع بأنه لا يدرك غير المحسوس [أو] على كمال [فطانته] بأن غير المحسوس عنده بمنزلة المحسوس [أو ادعاء كمال ظهوره] أى ظهور المسند اليه [وعليه] أي على وضع اسم الاشارة موضع المضمر لادعاء كمال الظهور [من غير هذا الباب] أى باب المسند اليه [تعاللت] أى أظهرت العلة والمرض [كى أشجى] أى أحزن ، من - شَجِيَ بالكسر - أى صار حزينا ، لا من - شَجَا الْعَظْمُ - بمعنى - نَشِبَ فى حلقه [وما بك علة * تريدين قتلى قد ظفرت بذلك] (١) أى بقتلى ،

---

(١) سُبْحَانَ من وضع الأشياءَ موضعها ... وَفَرَّقَ الْعِزَّ والاذلالَ تَفْرِيقَا

(١) البيت لعبد الله بن الدمينة مِنْ شعراء الدولة الأموية :

تطبيقات على وضع المضمر موضع المظهر وبالعكس :

(١) نِعْمَ امرأين حاتمٌ وكعبُ ... كلاهُمَا غَيْثٌ وسيفٌ عَضْبٌ

(٢) إن تسألوا الحقَّ نعطِ الحقَّ سائلَهُ ... والدِّرْعُ مُحْقَبَةٌ والسيفُ مَقْرُوبُ

وَإِنْ كَانَ غَيرَهُ فَلِزِيَادَةِ التَّمْكِينِ ، نَحْوُ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۝ اللهُ الصَّمَدُ) وَنَظِيرُهُ مِنْ غَيْرِهِ ـ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ـ أَوْ إِدْخَالِ الرَّوْعِ فِي ضَمِيرِ السَّامِعِ وَتَرْبِيَةِ الْمَهَابَةِ ، أَوْ تَقْوِيَةِ دَاعِي الْمَأْمُورِ ، مِثَالُهُمَا قَوْلُ الْخُلَفَاءِ ـ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُكَ بِكَذَا ـ

كان مقتضى الظاهر أن يقول ـ به ـ لأنه ليس بمحسوس ، فعدل الى ـ ذلك ـ إشارة الى أن قتله قد ظهر ظهور المحسوس .

[وإن كان] المظهر الذى وضع موضع المضمر [غيره] أى غير اسم الاشارة [فلزيادة التمكين] أى جعل المسند اليه متمكنا عند السامع [نحو ـ قل هو الله أحد ، الله الصمد] أي الذى يُصْمَدُ اليه ويُقْصَدُ فى الحوائج ، لم يقل ـ هو الصمد ـ لزيادة التمكين [ونظيره] أي نظير ـ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ ـ فى وضع المظهر موضع المضمر لزيادة التمكين [من غيره] أى من غير باب المسند اليه [وبالحق] أي بالحكمة المقتضية للانزال [أنزلناه] أى القرآن [وبالحق نزل] حيث لم يقل وبه نزل [أو إدخال الروع] عَطْفٌ على زيادة التمكين [فى ضمير السامع وتربية المهابة] عنده ، هذا كالتأكيد لادخال الروع [أو تقوية داعى المأمور ، مثالهما] أى مثال التقوية وإدخال الروع مع التربية [قول الخلفاء ـ أمير المؤمنين يأمرك بكذا] مكان ـ أنا آمرك

فالأول (نعم امرأين) من وضع المضمر موضع المظهر لأجل إفادة التشويق ، والثانى من وضع المظهر موضع المضمر لزيادة التمكين .

أمثلة أخري :

(١) ـ قوله تعالى ـ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ .

(٢) شَدَدْنَا شَدَّةَ اللَّيْثِ غَدَا وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ

وَعَلَيْهِ مِنْ غَيْرِهِ ـ فإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ـ أَوِ الاسْتِعْطَافِ كَقَوْلِه :

إِلٰهِي عَبْدُكَ الْعَاصِي أَتَاكَا

قَالَ السَّكَّاكِيُّ : هَذَا غَيْرُ مُخْتَصٍّ بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ وَلَا بِهذَا الْقَدْرِ بَلْ كُلٌّ مِنَ التَّكَلُّمِ وَالخِطَابِ وَالْغَيْبَةِ مُطْلَقًا يُنْقَلُ إِلى الآخَرِ ،

[وعليه] أى على وضع المظهر موضع المضمر لتقوية داعى المأمور [من غيره] أى من غير باب المسند إليه [فاذا عزمت فتوكل على الله] لم يقل ـ عَلَيَّ ـ لما فى لفظ الله من تقوية الداعى إلى التوكل عليه ، لدلالته على ذات موصوفة بالأوصاف الكاملة من القدرة الباهرة وغيرها [أو الاستعطاف] أى طلب العطف والرحمة [كقوله :

إلهى عبدك العاصى أتاكا] مُقِرًّا بالذنوب وقد دعاكا

لم يقل ـ أنا ـ لما فى لفظ ـ عبدك العاصى ـ من التَّخَضُّعِ واستحقاق الرحمة وترقب الشفقة .

الالتفات

[قال السكاكى هذا] أعنى نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة [غير مختص بالمسند إليه ولا] النقل مطلقا مختص [بهذا القدر] أى بأن يكون عن الحكاية إلى الغيبة ، ولا تخلو العبارة عن تسامح (١) [بل كل من التكلم والخطاب والغيبة مطلقا] أى سواء كان فى المسند إليه أو غيره ، وسواء كان كل منها واردا فى الكلام أو كان مقتضى الظاهر إيراده [ينقل إلى الآخر] فتصير الأقسام ستة حاصلة من ضرب الثلاثة

---

(١) لأن ظاهر كلام الخطيب أن النقل عن الحكاية إلى الغيبة هو الذي لا يختص بهذا القدر ، مع أن الذي لا يختص به هو النقل مطلقا كما جرى عليه السعد دفعا لما فى هذا الظاهر من التهافت .

وَيُسَمَّى هٰذا النَّقْلُ الْتِفاتاً ، كَقَوْلِه :

تَطاوَلَ لَيْلُكَ بِالأَثْمُدِ

وَالْمَشْهُورُ أَنَّ الِالْتِفاتَ هُوَ التَّعْبِيرُ عَنْ مَعْنًى بِطَرِيقٍ مِنَ الثَّلاثَةِ بَعْدَ التَّعْبِيرِ عَنْهُ بِآخَرَ مِنْها ،

فى الاثنين (١) ولفظ مطلقا ليس فى عبارة السكاكى ، لكنه مراده بحسب ما علم من مذهبه فى الالتفات بالنظر إلى الأمثلة [ويسمى هذا النقل] عند علماء المعاني [التفاتا] مأخوذ من التفات الانسان عن يمينه إلى شماله وبالعكس [كقوله] أي قول امريء القيس (٢) [تطاول ليلك] خطابا لنفسه التفاتا ، ومقتضى الظاهر ـ لَيْلِي [بالأثمد] بفتح الهمزة وضم الميم اسم موضع [والمشهور] عند الجمهور [أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من] الطرق [الثلاثة] التكلم والخطاب والغيبة [بعد التعبير عنه] أى عن ذلك المعنى [بآخر منها] أى بطريق آخر من الطرق الثلاثة ، بشرط أن يكون التعبير الثانى على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع ، ولابد من هــذا القيد ليخرج مثل قولنا ـ أنَا زَيْدٌ وأنتَ عَمْرٌو ،

ونحن اللَّذُونَ صَبَّحُوا الصَّبَاحَا (٣)

---

(١) الثلاثة هى التكلم والخطاب والغيبة ، والاثنان ما بقى منها بعد اعتبار أخذ واحد منها منقولا إلى غيره :

(٢) هو امرؤ القيس بن عانس الكندى الصحابي ، وذلك من قوله :

تطاول ليلك بالأثمد ونام الخَلِيُّ ولم تَرْقُدِ
وباتَ وباتَتْ له ليلةٌ كَلَيْلَةِ ذى العائر الأَرْمَدِ

(٣) هو من قول رجل جاهلى من بني عقيل :

وَهَـذا أَخص ، مثالُ الأَلْتفات مِنَ التَّكلم إلى الخطَاب - وَمالِىَ لاَ أَعْبـُدُ الذى فَطَرَنى وَإلَيْه تُرْجَعُونَ -

وقوله تعالى - وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ ، و- اهْدنَا - و- أَنْعَمْتَ - فان الالتفات إنما هو فى - إيَّاكَ نَعبُدُ - والباقى جَارٍ على أسلوبه ، ومن زعم أنَّ فى مثل - يَأَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا - التفاتا والقياس آمنتم فقد سها ، على ما يشهد به كتب النحو (١) [وهذا] أى الالتفات بتفسير الجمهور [أخص منه] بتفسير السكاكى ، لأن النقل عنده أعم من أن يكونَ قد عُبِّرَ عنه بطريق من الطرق ثم بطريق آخر ، أو يكونَ مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بطريق منها فترك وعدل إلى طريق آخر ، فيتحقق الالتفات بتعبير واحد ، وعند الجمهور مخصوص بالأول ، حتى لا يتحقق الالتفات بتعبير واحد، فكلُّ التفات عندهم التفاتٌ عنده من غير عكس ، كما فى - تَطَاوَلَ لَيْلُكَ [مثال الالتفات من التكلم إلى الخطاب - ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون] ومقتضى الظاهر - أَرْجعُ - والتحقيق أن المراد مالكم لا تعبدون ، لكن لمَّا عُبِّرَ عنهم بطريق التكلم كان مقتضى ظاهر السَّوْق إجراءَ باقى الكلام على ذلك الطريق ، فعدل عنه إلى طريق الخطاب ، فيكون التفاتا على

نحن اللذون صبحوا الصباحا يوم النُّخَيْـلِ غارةً ملْحَاحَا

والصباحا ظرف زمان متعلق بقوله - صبحوا - وألفه للاطلاق ، والنخيل موضع بالشام ، وملحاحا صيغة مبالغة من الالحاح ، والشاهد فى انتقاله من ضمير المتكلم وهو - نحن - إلى الغيبة وهو - اللذون - وهو جار على ما يقتضيه الظاهر .

(١) من أن عائد الموصول قياسه أن يكون بلفظ الغيبة ، لأن الموصول اسم ظاهر ، فهو من قبيل الغيبة وإن عرض له الخطاب بالنداء ، وحينئذ يكون - آمنوا - جاريا على مقتضى الظاهر .

وإلى الغيبة (إنَّا أعْطيناكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) ومن الخطاب إلى التكلم:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فى الْحِسانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ

يُكَلِّفُنى لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلْيُها وَعادَتْ عَوادٍ بَيْنَنا وَخُطُوبُ

وَإِلَى الْغَيبةِ — حَتَّى إذَا

المذهبين [و] مثال الالتفات من التكلم [إلى الغيبة — إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر] ومقتضى الظاهر — لنا [و] مثال الالتفات [من الخطاب إلى التكلم] قول الشاعر (١) [طحا] أى ذهب [بك قلب فى الحسان طروب] ومعنى طروب فى الحسان أن له طربا فى طلب الحسان ونشاطا فى مراودتها [بعيد الشباب] تصغير — بَعْد — للقرب ، أي حين وَلَّى الشباب وكاد ينصرم [عصر] ظرف زمان مضاف إلى الجملة الفعلية ، أعني قوله [حان] أى قَرُبَ [مشيب * يكلفنى ليلى] فيه التفات من الخطاب فى — بك — إلى التكلم ، ومقتضى الظاهر — يكلفك — وفاعل — يكلفنى — ضمير القلب ، و — ليلى — مفعوله الثانى ، والمعنى — يطالبنى القلب بوصل ليلى ، وروى — تكلفنى — بالتاء الفوقانية ، على أنه مسند إلى — ليلى — والمفعول محذوف أى شدائد فراقها ، أو على أنه خطاب للقلب ، فيكون التفاتا آخر من الغيبة إلى الخطاب [وقد شط] أى بَعُدَ [وليها] أى قربها [وعادت عواد بيننا وخطوب] قال المرزوقى : عادت يجوز أن يكون فَاعَلَتْ من (٢) المُعَادَاة ، كأن الصوارف والخطوب صارت تعاديه ، ويجوز أن يكون من عَادَ يَعُودُ — أى عادت عَوَادٍ وعوائق كانت تحول بيننا إلى ما كانت عليه قبل [و] مثال الالتفات من الخطاب [إلى الغيبة] قوله تعالى [حتى إذا

---

(١) هو علقمة بن عبدة الفحل من الشعراء الجاهليين .

(٢) لأن أصل عَادَتْ عَادَوَتْ ، قلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين فصارت عَادَتْ على وزن فَاعَتْ بحذف لام الكلمة .

كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ـ وَمِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ ـ وَاللهُ الذى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ ـ وَإِلَى الْخِطَابِ ـ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ـ .

وَوَجْهُهُ أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا نُقِلَ مِنْ أُسْلُوبٍ إِلَى أُسْلُوبٍ كَانَ أَحْسَنَ تَطْرِيَةً لِنَشَاطِ السَّامِعِ ، وَأَكْثَرَ إِيقَاظاً لِلاصْغَاءِ إِلَيْهِ ، وَقَدْ تَخْتَصُّ مَوَاقِعُهُ بِلَطَائِفَ ، كَمَا فِي الْفَاتِحَةِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا ذَكَرَ الْحَقِيقَ بِالْحَمْدِ عَنْ قَلْبٍ حَاضِرٍ يَجِدُ مِنْ نَفْسِهِ مُحَرِّكاً لِلاقْبَالِ عَلَيْهِ ، وَكُلَّمَا أَجْرَى عَلَيْهِ صِفَةً مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ الْعِظَامِ قَوِيَ ذَلِكَ الْمُحَرِّكُ إِلَى أَنْ يَؤُولَ الأَمْرُ إِلَى خَاتِمَتِهَا الْمُفِيدَةِ أَنَّهُ مَالِكُ الأَمْرِ كُلِّهِ فِى يَوْمِ الْجَزَاءِ ،

كنتم فى الفلك وجرين بهم] والقياس بكم [و] مثال الالتفات [من الغيبة إلى التكلم] قوله تعالى [الله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه] ومقتضى الظاهر فساقه ، أى ساق الله ذلك السحاب وأجراه إلى بلد ميت [و] مثال الالتفات من الغيبة [إلى الخطاب] قوله تعالي [مالك يوم الدين ، إياك نعبد] ومقتضى الظاهر إياه .

[ووجهه] أي وجه حسن الالتفات [أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان] ذلك الكلام [أحسن تطرية] أى تجديدا وإحداثا ، من ـ طَرَّيْتُ الثوب [لنشاط السامع و] كان [أكثر إيقاظا للاصغاء إليه] أى إلى ذلك الكلام ، لأن لكل جديد لذة ، وهـــذا وجه حسن الالتفات على الاطلاق [وقد تختص مواقعه بلطائف] غير هذا الوجه العام [كما فى] سورة [الفاتحة ، فان العبد إذا ذكر الحقيق بالحمد عن قلب حاضر يجد] ذلك العبد [من نفسه محركا للاقبال عايه] أى على ذلك الحقيق بالحمد [وكلما أجرى عليه صفة من تلك الصفات العظام قوى ذلك المحرك إلى أن يؤول الأمر إلى خاتمتها] أى خاتمة تلك الصفات ، يعنى ـ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ [المفيدة أنه] أى ذلك الحقيق بالحمد [مالك الأمر كله فى يوم الجزاء] لأنه أضيف مالك إلى

فَحِينَئِذٍ يُوجِبُ الاقْبَالَ عَلَيْهِ وَالخِطَابَ بِتَخْصِيصِهِ بِغَايَةِ الخُضُوعِ وَالاسْتِعَانَةَ فى المُهِمَّاتِ .

يوم الدين على طريق الاتساع (١) والمعنى على الظرفية ، أى مَالِكٍ في يوم الدين ، والمفعول محذوف دلالة على التعميم (٢) [فحينئذ يوجب] ذلك المحرك لتناهيه فى القوة [الاقبال عليه] أى إقبال العبد على ذلك الحقيق بالحمد [والخطاب بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات] فالباء فى ـ بتخصيصه ـ متعلق بالخطاب ، يقال ـ خَاطَبْتُهُ بالدعاء ـ إذا دعوت له مواجهة ، وغاية الخضوع هو معنى العبادة ، وعموم المهمات مستفاد من حذف مفعول ـ نستعين (٣) والتخصيص مستفاد من تقديم

---

(١) يعنى به المجاز العقلى فى النسبة الاضافية ، فقد أضيف اسم الفاعل إلى الظرف ، وحَقُّهُ أن يضاف إلى المفعول به (٢) وهو الذى قدره الخطيب فى قوله ـ مالك الأمر كله فى يوم الجزاء (٣) يعنى مفعوله الثانى ، ومفعوله الأول هو الضمير المقدم عليه .

تطبيقات على الالتفات :

(١) ـ قوله تعالى ـ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً .

(٢) بَانَتْ سعادُ فامسى القلبُ مَعْمُودَا وأَخْلَفَتْكَ ابْنَةُ الْحُرِّ المواعيدَا

(٣) ـ قوله تعالى ـ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ .

فالأول فيه انتقال من الخطاب إلى الغيبة فى قوله ـ واستغفر لهم الرسول ، والثانى فيه انتقال من التكلم إلى الخطاب فى قوله (وأخلفتك) والثالث فيه انتقال من الخطاب إلى التكلم فى قوله (إن ربى) .

أمثلة أخرى :

(١) ـ قوله تعالى ـ قُلْ يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ

وَمِنْ خِلَافِ الْمُقْتَضَى تَلَقِّى الْمُخَاطَبِ بِغَيْرِ مَا يَتَرَقَّبُ بِحَمْلِ كَلَامِهِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْأَوْلَى بِالْقَصْدِ ، كَقَوْلِ ابْنِ الْقَبَعْثَرَى لِلْحَجَّاجِ وَقَدْ قَالَ لَهُ مُتَوَعِّدًا ـ لَأَحْمِلَنَّكَ

المفعول ، فاللطيفة الْمُخْتَصُّ بهـا مَوْقِعُ هذا الالتفات هى أن فيه تنبيها على أن العبد إذا أخذ فى القراءة يجب أن تكون قراءته على وجه يجد من نفسه ذلك الْمُحَرِّكَ .

الأسلوب الحكيم

ولمـا انجر الكلام إلى ذكر خلاف مقتضى الظاهر أورد عدة أقسام منه وإن لم تكن من مباحث المسند إليه فقال [ومن خلاف المقتضى] أي مقتضى الظاهر [تلقى المخاطب] من إضافة المصدر إلى المفعول ، أى تلقى المتكلم المخاطب [بغير مايترقب] المخاطَبُ ، والباء فى ـ بغير ـ للتعدية وفى [بحمل كلامه] للسببية ، أى إنمـا تلقاه بغير مايترقب بسبب أنه حمل كلامه ، أى الكلام الصادر عن المخاطب [على خلاف مراده] أى مراد المخاطب ، وإنما حمل كلامه على خلاف مراده [تنبيها] للمخاطَب [على أنه] أى ذلك الغير هو [الأولى بالقصد] والارادة [كقول ابن القبعثرى (١) للحجاج وقد قال] الحجاج [له] أي لابن القبعثرى حال كون الحجاج [متوعدا] إياه [لأحملنك

إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ :

(٢) لَقُوكَ فى عَلَمِ البلادِ مُنَكَّساً جَزَعَ الهلالُ على فَتَى الْفِتْيَانِ

(٣) أَعْيَاكَ رَسْمُ الدَّارِ لم يَتَكَلَّمِ حتى تكلم كالأَصَمِّ الأَعْجَمِ

(١) هو الغضبان بن القبعثرى الشيباني من خطباء العرب وفصحائهم .

عَلَى الْأَدْهَمِ : مِثْلُ الأَمِيرِ يَحْمِلُ عَلَى الأَدْهَمِ وَالْأَشْهَبِ ، أَىْ مَنْ كَانَ مِثْلَ الأَمِيرِ فِى السُّلْطَانِ وَبَسْطَةِ الْيَدِ فَجَدِيرٌ بِأَنْ يَصْفِدَ لَا أَنْ يَصْفِدَ ، أَوِ السَّائِلَ بِغَيْرِ مَا يَتَطَلَّبُ ، بِتَنْزِيلِ سُؤَالِهِ مَنْزِلَةَ غَيْرِهِ تَنْبِيهاً عَلَى أَنَّهُ الأَوْلَى بِحَالِهِ أَوِ الْمُهِمُّ لَهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ـ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ـ

على الأدهم] يعني القيد ، هـذا مَقُولُ قَوْلِ الحجاج [مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب] هذا مَقُولُ قَوْلِ ابن القبعثرى ، فأبرز وعيد الحجاج فى معرض الوعد ، وتلقاه بغير ما يترقب ، بأن حمل الأدهم فى كلامه على الفرس الأدهم ، أى الذى غلب سواده حتى ذهب البياض الذي فيـه ، وضم إليه الأشهب ، أى الذى غلب بياضه حتى ذهب سواده ، ومراد الحجاج إنما هو القيد ، فنبه على أن الحمل على الفرس الأدهم هو الأولى بأن يقصده الأمير [أى من كان مثل الأمير فى السلطان] أى الغلبة [وبسطة اليد] أى الكرم والمال والنعمة [فجدير بأن يصفد] أي يعطى ، من ـ أَصْفَدَهُ [لا أن يصفد] أى يُقَيَّدَ من ـ صَفَدَهُ [أو السائل] عَطْفٌ على المخاطب ، أى تلقى السائل [بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره] أي منزلة غير ذلك السؤال [تنبيها] للسائل [على أنه] أى ذلك الغير [الأولى بحاله أو المهم له ، كقوله تعـالى ـ يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للنـاس والحج] سألوا عن سبب اختلاف القمر فى زيادة النور ونقصانه ، فأجيبوا ببيان الغرض من هذا الاختلاف ، وهو أن الأهلة بحسب ذلك الاختلاف مَعَالِمُ يُوَقِّتُ بها الناس أمورهم من المزارع والمتاجر وَمَحَالِّ الديون والصوم وغير ذلك ، وَمَعَالِمُ للحج يعرف بها وقتـه ، وذلك للتنبيه على أن الأولى والأليق بحالهم أن يسألوا عن ذلك ، لأنهم ليسوا ممن يطلعون بسهولة على دقائق علم الهيئة ، ولا يتعلق لهم به

وَكَقَوْلِهِ تَعَالى ـ يَسأَلُونَكَ ماذا يُنْفِقُونَ قُلْ ماأَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالمساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ـ

غرض [وكقوله تعالى ـ يسألونك ماذا ينفقون قل ماأنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل] سألوا عن بيان ماذا ينفقون ، فأجيبوا ببيان الْمَصَارِفِ تنبيها على أن المهم هو السؤال عنها ، لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها (١) .

(١) ويسمى كل من ذينك القسمين (تلقى المخاطب بغير ما يترقب والسائل بغير مايتطلب) الأسلوب الحكيم .

تطبيقات على الأسلوب الحكيم :

(١) قلتُ ثَقَّلتُ إذ أتيتُ مِرَارًا	قال ثَقَّلتَ كاهلى بالأيادي
(٢) أتت تشتكي عندى مُزَاوَلَةَ القِرَي	وقد رأت الضِّيفانَ يَنْحُونَ منزلى
فقلتُ كأنى ما سمعتُ كلامَهَا	هُمُ الضَّيْفُ جِدِّى فى قِرَاهم وعَجِّلى

فالأول وقع فيه لفظ (ثقلت) فى كلام المتكلم بمعنى حملتك المؤونة ، فحمله المخاطب على تثقيل عاتقه بالمنن والأيادى ، والثانى من تلقى السائل بغير ما يتطلب ، تنبيها على أن الأولى بها الاستعداد لهم ، لا الشكوي منهم .

أمثلة أخرى :

(١) قالوا سلوتَ لِبُعْدِ الألف قلتُ لهم	سلوتُ عن صحتى والْبُرْءِ من سَقَمِى
(٢) وإخوانٍ حسبتُهم دُرُوعًا	فكانوها ولكن للأعادى
وقالوا قد صَفَتْ منا قلوبٌ	نعم صدقوا ولكن عن وِدَادِ

وَمِنْهُ التَّعْبِيرُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ بِلَفْظِ الْمَاضِى تَنْبِيهاً عَلَى تَحَقُّقِ وُقُوعِهِ نَحْوُ ـ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ ـ وَمِثْلُهُ ـ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ـ وَنَحْوُهُ ـ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ـ

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى

[ومنه] أى من خلاف مقتضى الظاهر [التعبير عن] المعنى [المستقبل بلفظ الماضى تنبيها على تحقق وقوعه (١) نحو ـ ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض] بمعنى ـ يَفْزَعُ [ومثله] التعبير عن المستقبل بلفظ اسم الفاعل ، (٢) كقوله تعالى [وإن الدين لواقع] مكان ـ يَقَعُ [ونحوه] التعبير عن المستقبل بلفظ اسم المفعول ، كقوله تعالى [ذلك يوم مجموع له الناس] مكان ـ يُجْمَعُ ، وههنا بحث وهو أن كلا من اسمى الفاعل والمفعول قد يكون بمعنى الاستقبال وإن لم يكن ذلك بحسب أصل الوضع ، فيكون كل منهما ههنا واقعا فى موقعه ، واردا على حسب مقتضى الظاهر ، والجواب أن كلا منهما حقيقة فيما تحقق فيه وقوع الوصف ، وقد استعمل ههنا فيما لم يتحقق مجازا (٣) تنبيها على تحقق وقوعه .

---

(١) وكذلك التعبير عن الماضى بلفظ المستقبل ، كقوله تعالى ـ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ـ أى ماتلت .

(٢) لأن اسم الفاعل حقيقة فى الحال مجاز فى الاستقبال كما سيأتى ، وكذا اسم المفعول .

(٣) وإذا كان مجازا كان من خلاف مقتضى الظاهر أيضا كما هو شأن كل مجاز ، وقد نازع بعضهم فى عد المجاز من خلاف مقتضى الظاهر .

تطبيقات على التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى وبالعكس :

(١) ـ قوله تعالى ـ (أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

وَمِنْـهُ الْقَلْبُ نَحْوُ عَرَضْتُ النَّاقَةَ عَلَى الْحَوْضِ وَقَبِلَهُ السَّكَّاكِي مُطْلَقاً، وَرَدَّهُ غَيْرُهُ مُطْلَقًا، وَالْحَقُّ أَنَّهُ إِنْ تَضَمَّنَ اعْتِبَارًا لَطِيفًا قُبِلَ كَقَوْلِهِ :

وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

[ومنه] أى من خلاف مقتضى الظاهر .

القلب

[القلب] وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكانَ الآخَرِ والآخَرُ مكانَهُ [نحو - عرضت الناقة على الحوض] مكان - عرضت الحوض على الناقة - أي أظهرته عليها لتشرب [وقبله] أى القلب [السكاكى مطلقا] وقال : إنه مما يورث الكلام ملاحة [ورده غيره] أى غير السكاكى [مطلقا] لأنه عكس المطلوب ، ونقيض المقصود [والحق أنه إن تضمن اعتبارا لطيفا] غير الملاحة التي أورثها نفس القلب [قبل كقوله : ومهمه] أى مفازة [مغبرة] أى مملوءة بالغبرة [أرجاؤه] أى أطرافه ونواحيه ، جَمْعُ الرَّجَا مقصورا [كأن لون أرضه سماؤه (١)] على حذف المضاف

---

(٢) قوله تعالى - (وَاللهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ) .

فالأول فيه لفظ - أتى - بمعنى يأتى ، والثانى فيه لفظ - فتثير - بمعنى فأثارت .

أمثلة أخرى :

(١) - قوله تعالى - (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ) .

(٢) ولقد أَمُرُّ على اللئيم يسبُّنِى فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يعنينى

(١) هو من أرجوزة لرؤبة بن العجاج من شعراء الدولة الأموية .

أَىْ لَوْنُهاَ،وَإلاَّ رُدَّ كَقَوْله :

كَماَ طَيَّنْتَ بِالْفَدَنِ السِّياعَا

[أى لونها] يعنى لون السماء ، فالمصراع الأخير من باب القلب ، والمعنى - كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه ، والاعتبار اللطيف هو المبالغة فى وصف لون السماء بالغبرة ، حتى كأنه صار بحيث يشبه به لون الأرض فى ذلك ، مع أن الأرض أصل فيه [وإلا] أى وإن لم يتضمن اعتبارا لطيفا [رد] لأنه عدول عن مقتضى الظاهر من غير نكتة يعتد بها [كقوله] :

* فَلَماَّ أَنْ جرى سِمَنٌ عليها *

[كما طينت بالفدن] أى بالقصر [السياعا (١)] أى الطين بالتبن ، والمعني - كما طينت الفدن بالسياع ، يقال - طَيَّنْتُ السطح والبيت ، ولقائل أن يقول : إنه يتضمن من المبالغة فى وصف الناقة بالسمن مالا يتضمنه قوله - كما طينت الفدن بالسياع - لايهامه أن السياع قد بلغ مبلغا من العظم والكثرة إلي أن صار بمنزلة الأصل، والفَدَنُ بالنسبة اليه كالسياع بالنسبة إلى الفدن (٢) .

(١) هذا البيت لعمير بن شُيَيْمٍ التَّغْلَبِّي المعروف بالقُطَامِيِّ ، والضمير فى قوله - عليها - للناقة ، وأن فى قوله - فلما أن جرى - زائدة ، وجواب لما فى قَوْلَه بعد هذا البيت :

أَمرتُ بها الرجالَ ليأخذوها ونحن نظنُّ أنْ لن تُسْتَطَاعَا

(٢) يعنى أن الفدن فرع له في هذه الحالة ،كما أن السياع فرع له فى غيرها ، ولا شك أن هذا القول صحيح إذا حمل السياع على الطين المخلوط بالتبن ، أما إذا حمل على الآلة التى يطين بها فلا يتأتى فيه ذلك الاعتبار اللطيف .

تطبيقات على القلب :

(١) لُعَابُ الافاعى القاتلاتِ لُعَابُهُ وأَرْيُ الجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ

أَحْوَالُ المُسْنَدِ

أَمَّا تَرْكُهُ فَلِما مَرَّ كَقَوْلِهِ :

* فَانِّى وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ *

أحوال المسند

[أما تركه فلما مر] فى حذف المسند إليه [كقوله] :

ومن يَكُ أمسى بالمدينة رَحْلُهُ [فانى وقيار بها لغريب]

الرحل هو المنزل والمأوى ، وقيار اسم فرس أو جمل للشاعر ، وهو ضَابِىءُ بن الحارث ـ كذا فى الصَّحَاحِ ـ ولفظ البيت خبر ومعناه التَّحَسُّرُ والتَّوَجُّعُ ، فالمسند إلى ـ قيار ـ محذوف (١) لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر مع

(٢) قِفِي قبل التفرُّقِ يا ضباعَا ولايكُ مَوْقِفٌ منك الوداعَا

فالأول فيه تشبيه مقلوب للمبالغة ، والأصل ـ لعابه لعاب الأفاعي ـ وهو قلب مقبول ، والثانى فيه قلب غير مقبول ، والأصل ـ ولا يكن الوداع موقفا منك ، لأن الأصل فى النكرة إذا كان معها معرفة أن تكون هى الخبر .

أمثلة أخري :

(١) وَبَدَا الصباحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهُ الخليفة حين يُمْتَدَحُ

(٢) فلو أنى شهدتُ أَبَا سعادٍ غَدَاةَ غَدَا لِمُهْجَتِهِ يَفُوقُ

فديتُ بنفسه نفسى ومالى وما آلُوكَ إلاَّ ما أُطِيقُ

(١) والتقدير ـ وقيار غريب أيضا ، وقوله ـ لغريب ـ فى البيت خبر إن ، ولا يصح

وَقَوْلُهُ :

نَحْنُ بِمَا عِنْــدنا وَأَنْتَ بِمَا   عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

وَقَوْلُكَ - زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ وَعَمْرٌو - وَقَوْلُكَ - خَرَجْتُ فَإِذَا زَيْدٌ - وَقَوْلُهُ :

* إِنَّ مَحَلاًّ وَإِنَّ مُرْتَحَلاَ *

ضيق المقام بسبب التوجع ومحافظة الوزن ، ولا يجوز أن يكون - قيار - عطفا على محل اسم إنَّ وغريب خبرا عنهما لامتناع العطف على محل اسم إنَّ قبل مضى الخبر لفظا أو تقديرا ، وأما اذا قدرنا له خبرا محذوفا فيجوز أن يكون هو عطفا على محل اسم إنَّ ، لأن الخبر مقدم تقديرا ، فلا يكون مثل - إن زيدا وعمرو ذاهبان - بل مثل - إن زيدا وعمرو لذاهب - وهو جائز ، ويجوز أن يكون مبتدءا والمحذوف خبره والجملة بِأَسْرِهَا عَطْفٌ على جملة إن مع اسمها وخبرها ، [وكقوله :

[نحن بما عنــدنا وأنت بما   عندك راض والرأى مختلف(١)]

فقوله نحن مبتدأ محذوف الخبر لما ذكرنا ، أي نحن بما عندنا راضون ، فالمحذوف هنا هو خبر الأول بقرينة الثانى ، وفى البيت السابق بالعكس [وقولك زيد منطلق وعمرو] أى وعمرو منطلق ، فحــذف للاحتراز عن العبث من غير ضيق المقام [وقولك خرجت فاذا زيد] أى موجود أو حاضر أو واقف أو بالباب أو ماأشبه ذلك ، فحذف لما مر مع اتباع الاستعمال ، لأن إذا المفاجأة تدل على مطلق الوجود ، وقد ينضم اليها قرائن تدل على نوع خُصُوصِيَّة ، كلفظ الخروج المشعر بأن المراد فاذا زيد بالباب أو حاضر أو نحو ذلك [وقوله :

[إن محلا وان مرتحلا]   وان فى السَّفْرِ إذ مَضَوْا مَهَلاَ (٢)

أن يكون خبر قيار لاقترانه باللام .

(١) هو لعمرو بن امريء القيس الخزرجي من الشعراء المحضرمين (٢) هو لأعشى قيس

أَىْ إِنَّ لَنَا فِى الدُّنْيَا وَلَنَا عَنْهَا ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى) وَقَوْلُهُ تَعَالَى (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) يَحْتَمِلُ الأَمْرَيْنِ : أَىْ أَجْمَلُ أَوْ فَأَمْرِى .

[أي إن لنا فى الدنيا] حُلُولاً [و]إن[لنا عنها] إلى الآخرة ارتحالا، والمسافرون قد تَوَغَّلُوا فى المضى لارجوع لهم ، ونحن على أثرهم عن قريب ، فحذف المسند الذى هو ظرف قطعا لقصد الاختصار والعـدول إلى أقوى الدليلين ، أعنى العقل ، ولضيق المقام ، أعنى المحافظة على الشعر ، ولاتباع الاسـتعمال لاَطِّرَادِ الحذف فى مثل – إنَّ مَالاً وَإِنَّ وَلَداً – وقد وضع سـيبويه فى كتابه لهذا بابا فقال – هذا باب – إن مالا وإن ولدا (١) [وقوله تعالى – قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى] فقوله – أنتم – ليس بمبتـدإ ، لأن لو إنما تدخل على الفعل ، بل هو فاعل فعل محذوف ، والأصل – لو تملكون تملكون – فحذف الفعل الأول احترازا عن العبث لوجود المفسر ، ثم أُبْدِلَ من الضمير المتصل ضَمِيرٌ منفصل على ماهو القانون عند حذف العامل ، فالمسند المحذوف ههنا فعل وفيما سبق اسم أو جملة [وقوله تعالى – فصبر جميل – يحتمل الأمرين] حَذْفَ المسند أو المسند اليه [أى] فَصَبْرٌ جَمِيلٌ [أجمل أو فأمرى] صَبْرٌ جَمِيلٌ ، فنى الحذف تـكثير للفائدة بامكان حمل الـكلام على كل من المعنيين ، بخلاف مالو ذكر فانه يكون نَصًّا فى أحدهما .

من شـعراء الجاهلية ، ومحلا ومرتحلا مصدران ميميان ، والسفر اسم جمع بمعنى المسافرين ، ويعنى بهم الموتى ، والمهل مصدر بمعنى الامهال وطول الغيبة .

(١) وضابط هذا الباب أن تتكرر إن ويتعدد اسمها ، فيطرد فى هذه الحالة حذف خبرها .

وَلَا بُدَّ مِنْ قَرِينَة ، كَوُقُوعِ الْكَلَامِ جَوَابًا لِسُؤَالٍ مُحَقَّقٍ نَحْوُ (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ) أَوْ مُقَدَّرٍ ، نَحْوُ :

* لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ *

[ولابد] للحذف [من قرينة] دالة عليه ليفهم منه المعنى [كوقوع الكلام جوابا لسؤال محقق نحو ـ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله] أى خلقهن الله ، فحذف المسند لأن هذا الكلام عند تحقق ما فرض من الشرط والجزاء يكون جوابا عن سؤال محقق (١) ، والدليل على أن المرفوع فاعل والمحذوف فعله أنه جاء عند عدم الحذف كذلك ، كقوله تعالى (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) وكقوله تعالى (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) [أو مقدر] عَطْفٌ على محقق [نحو] قول ضرار بن نهشل يرثى يزيد ابن نهشل [ليبك يزيد] كأنه قيل مَنْ يَبْكِيه فقال [ضارع] أى يَبْكِيه ضارع أى ذليل [لخصومة] لأنه كان ملجأ للأذلاء ، وعونا للضعفاء ، تمامه :

(وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ)

والمختبط هو الذي يأتى إليك للمعروف من غير وسيلة ، والاطاحة الاذهاب والاهلاك ، والطوائح جمع مطيحة على غير القياس ، (٢) كلواقح جمع مُلْقِحَة ، وَمِمَّا

---

(١) الأولى أن يقال فى التعليل : لأن السؤال مذكور صريحا .

(٢) وجمعها القياسى مَطَاوِحُ ومُطِيحَاتٌ .

تطبيقات على حذف المسند :

(١) لولا الْمَشَقَّةُ ساد الناسُ كُلُّهُمُ الْجُودُ يُفْقِرُ والاقدام قَتَّالُ

وَفَضْلُه عَلَى خِلَافِه بِتَكَرُّرِ الاسْنَادِ إِجْمَالاً ثُمَّ تَفْصِيلاً ، وَبِوُقُوعِ نَحْوِ - يَزِيدُ - غَيْرَ فَضْلَةٍ ،

مُتَعَلِّقٌ بمختبط ، وما مصدرية ، أي سائل من أجل إذهاب الوقائع ماله ، أو يبيكى المقدر ، أى يبكى لأجل إهلاك المنايا يزيد [وفضله] أى رجحان نحو - لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ - مبنيا للمفعول [على خلافه] يعنى - لِيَبْكِ يَزِيدَ ضَارِعٌ - مبنيا للفاعل ، ناصبا ليزيد ورافعا لضارع [بتكرر الاسناد] بأن أَجْمَلَ أَوَّلاً [إجمالا ثم] فَصَّلَ ثانيا [تفصيلا] أما التفصيل فظاهر ، وأما الاجمال فلأنه لما قيل - لِيُبْكَ - علم أن هناك باكيا يسند اليه هذا البكاء ، لأن المسند الى المفعول لابد له من فاعل محذوف أقيم المفعول مقامه ، ولا شك أن الْمُتَكَرِّرَ أوكد وأقوى ، وأن الاجمال ثم التفصيل اوقع فى النفس [وبوقوع نحو - يزيد - غير فضلة] لكونه مسندا اليه لامفعولا كما فى خلافه

---

(٢) إِيه ياطيرُ أَلَا مَنْ مُسْعِدِ ... إننى قد شَفَّنِى طولُ السَّهَرْ
ظهر الفجر وقد عَوَّدْتَنِى ... ان تُغَنِّيِنى إذا الفجر ظَهَرْ

حذف فى الأول خبر المبتدإ لمجاراة الاستعمال ، والتقدير - لولا المشقة موجودة - وحذف فى الثانى خبر المبتدإ أيضا للاختصار وضيق المقام ، والتقدير - ألا من مسعد فيك ، وحذف فى الثالث الفعل للاحتراز عن العبث ، والتقدير - إذا ظهر الفجر .

أمثلة أخرى :

(١) قوله تعالى (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) .

(٢) والنَّاسُ هذا حَظُّهُ مالٌ وذا ... عِلْمٌ وذاك مكارم الاخلاق

(٣) والطَّيرُ أَقْعَدَها الْكَرَى ... والنَّاس نامت والوجودْ

وَبِكَوْنِ مَعْرِفَةِ الْفَاعِلِ كَحُصُولِ نِعْمَةٍ غَيْرِ مُتَرَقَّبَةٍ ، لِأَنَّ أَوَّلَ الْكَلَامِ غَيْرُ مُطْمِعٍ فِي ذِكْرِهِ .

وَأَمَّا ذِكْرُهُ فَلِمَا مَرَّ ،

[وبكون معرفة الفاعل كحصول نعمة غير مترقبة ، لأن أول الكلام غير مطمع فى ذكره] أى ذكر الفاعل لاسناد الفعل الى المفعول وتمام الكلام به ، بخلاف ما إذا بنى للفاعل فانه مطمع فى ذكر الفاعل ، إذ لابد للفعل من شىء يسند هو اليه .

[وأما ذكره] أى ذكر المسند [فلما مر] فى ذكر المسند اليه ، من كَوْن الذكر هو الأصل مع عدم المقتضى للعدول عنه ، ومن الاحتياط لضعف التعويل على القرينة مثل (خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) (١) ومن التعريض بغباوة السامع ، نحو ـ مُحَمَّدٌ نَبِيُّنَا ـ فى

---

(١) إنما ذكر المسند هنا مع أنه وقع جوابا لسؤال محقق فى الآية (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) لأن الكفار لغباوتهم قد يتوهمون فى بعض الحالات أن السائل ممن تجوز عليه الغفلة عن السؤال ، أو تجوز على من معه ممن يقصد إسماعه .

تطبيقات على ذكر المسند :

(١) قوله تعالى (قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) .

(٢) قوله تعالى (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) .

ذكر المسند فى الأول ـ بل فعله كبيرهم ـ لضعف التعويل على القرينة تعريضا

أَوْ أَنْ يَتَعَيَّنَ كَوْنُهُ اسْماً أَوْ فِعْلاً .

وَأَمَّا إِفْرَادُهُ فَلِكَوْنِهِ غَيْرَ سَبَبِيٍّ مَعَ عَدَمِ إِفَادَةِ تَقَوِّى الْحُكْمِ ، وَالْمُرَادُ بِالسَّبَبِيِّ

جواب من قال : من نبيكم ؟ وغير ذلك [أو] لأجل [أن يتعين] بذكر المسند [كونه اسما] فيفيد الثبوت والدوام [أو فعلا] فيفيد التجدد والحدوث .

[وأما إفراده] أي جعل المسند غير جملة [فلكونه غير سببي مع عدم إفادة تقوى الحكم] إذ لو كان سببيا نحو - زَيْدٌ قَامَ أَبُوهُ - أو مفيدا للتقوي نحو - زَيْدٌ قَامَ - فهو جملة قطعا ، وأما نحو - زَيْدٌ قَائِمٌ - فليس بمفيد للتقوى ، بل هو قريب من - زيد قام - فى ذلك ، وقوله - مع عدم إفادة التقوي - معناه مع عدم إفادة نفس التركيب تَقَوِّيَ الحكم ، فيخرج ما يفيد التقوى بحسب التكرير ، نحو - عرفت عرفت - أو بحرف التأكيد نحو - إن زيدا عارف - أو نقول : إن تَقَوِّىَ الحكم فى الاصطلاح هو تأكيده بالطريق المخصوص ، نحو - زيد قام - فان قلت : المسند قد يكون غير سببي ولا مفيد للتقوى ومع هذا لا يكون مفردا ، كقولنا - أنا سعيت فى حاجتك ، ورجل جاءنى ، وما أنا فعلت هذا - عند قصد التخصيص ، قلت : سلمنا أنْ ليس القصد فى هذه الصور إلى التَّقَوِّى ، لكن لا نسلم أنها لا تفيد التقوي ، ضرورة حصول تكرار الاسناد الموجب

بغباوتهم ، وذكر فى الثاني - يخادعون الله وهو خادعهم - لأن قوله يخادعون يفيد التجدد حينا بعد آخر ، وقوله - وهو خادعهم - يفيد الثبوت ، وكل منهما مطلوب فى مقامه .

أمثلة أخرى :

(١) يقولون من يَرْقَى إلى الْفُلْكِ مُصْعِدًا ... فقلتُ لهـم يرقى إليها النَّوَابِغُ

(٢) لولا التُّقَى لجعلتُ قبرك كَعْبَتِي ... وجعلت قولك سُنَّتِي وكتابي

نحو — زيد أبوه منطلق .

للتقوى ، ولو سلم فالمراد أن إفراد المسند يكون لأجل هذا المعنى ، ولا يلزم منه تحقق الافراد فى جميع صور تحقق هذا المعنى .

ثم السببى والفعلى من اصطلاحات صاحب المفتاح حيث سمّى فى قسم النحو الوصف بحال الشيء نحو — رجل كريم — وصفا فعليا ، والوصف بحال ما هو من سببه ، نحو — رجل كريم أبوه — وصفا سببيا ، وسمّى فى علم المعانى المسند فى نحو — زيد قام — مسندا فعليا ، وفى نحو — زيد قام أبوه — مسندا سببيا ، وفسرهما بما لا يخلو عن صعوبة وانغلاق فلهذا اكتفى المصنف فى بيان المسند السببى بالمثال ، وقال [والمراد بالسببى نحو — زيد أبوه منطلق] وكذا — زَيْدٌ انْطَلَقَ أَبُوهُ — ويمكن أن يفسر المسند السببى بجملة عُلِّقَتْ على مبتدإ بعائد لا يكون مسندا اليه فى تلك الجملة ، فيخرج عنه المسند فى نحو — زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ أَبُوهُ لأنه مفرد ، وفى نحو (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) لأن تعليقها على المبتدإ ليس بعائد (١) ، وفى نحو — زَيْدٌ قَامَ ، وَزَيْدٌ هُوَ قَائِمٌ — لأن العائد فيهما مسند اليه ، ودخل

---

(١) لاتحاد المبتدإ والخبر فيها ، فلا تحتاج إلى رابط ، والمسند فيها ليس بفعلى أيضا لأنه جملة ، وإنما خرجت عنهما لأن الفعلية والسببية فى المسند إنما تقالان عند تغاير المبتدإ والخبر .

هذا والذي يهم فى هذا العلم من ذلك أن إفراد المسند لا يفيد تقوية الحكم ، وأن عدم إفراده يفيد تقويته .

تطبيقات على إفراد المسند :

(١) خَيْرُ الصنائع فى الانام صَنِيعَةٌ تَنْبُو بحاملها عن الاذْلاَلِ

(٢) أنا لا أختارُ تقبيلَ يَدٍ قَطْعُهَا أَفضلُ من تلك القُبَلْ

أتى بالمسند فى الأول مفردا — صنيعة — لظهور الحكم فى نفسه بحيث لا يحتاج إلى

وَأَمَّا كَوْنُهُ فِعْلاً فَلِلتَّقْيِيدِ بِأَحَدِ الأَزْمِنَةِ الثَّلاثَةِ عَلَى أَخْصَرِ وَجْهٍ مَعَ إِفَادَةِ التَّجَدُّدِ، كَقَوْلِهِ :

فيه نحو ـ زيد أبوه قائم، وزيدقام أبوه، وزيد مررت به، وزيد ضرب عمرا فى داره وزيد ضربته ـ ونحو ذلك من الجمل التى وقعت خبر مبتدإ ولا تفيد التَّقَوِّى، وَالْعُمْدَةُ فى ذلك تَتَبُّعُ كلام السكاكى، لأنا لم نجد هذا الاصطلاح لمن قبله.

[وأما كونه] أى المسند [فعلا فللتقييد] أى تقييد المسند [بأحد الأزمنة الثلاثة] أعنى الماضى وهو الزمان الذى قبل زمانك الذى أنت فيه، والمستقبل وهو الزمان الذى يترقب وجوده بعدهذا الزمان، والحال وهوأجزاء من أواخر الماضى وأوائل المستقبل متعاقبة من غير مُهْلَة وَتَرَاخٍ، وهذا أمر عرفى (١)، وذلك لأن الفعل دال بصيغتهعلى أحد الأزمنة الثلاثة من غير احتياج الى قرينة تدلعلى ذلك، بخلاف الاسم فانه إنمايدل عليه بقرينة خارجية، كقولنا ـ زيدقائم الآن أوأمس، أوغدا ـ ولهذا قال [على أخصر وجه] ولما كان التجدد لازما للزمان لِكَوْنِهِ كَمًّا غير قَارِّ الذات، أى لا يجتمع أجزاؤه في الوجود، وَالزَّمَانُ جُزْءٌ منمفهوم الفعل، كان الفعل مع إفادته التقييد بأحد الأزمنة الثلاثة مفيداً للتجدد، واليه أشار بقوله [مع إفادة التجدد، كقوله] أي كقول طَرِيفِ بن تميم

تقوية، وأتى به فى الثانى غير مفرد ـ لا أختار ـ لقصد التقوية فى مقام افتخاره بنفسه.

أمثلة أخرى :

(١) بِيَدِ العفافِ أصون عز حجابِى　　وبعصمتى أَسْمُو على أَتْرَابِى

(٢) نحن فى الْمَشْتَاةِ ندعو الْجَفَلَى　　لاترى الآدبَ فينا يَنْتَقِرْ

(١) وأما الحال الحقيقي فهو الآن الذى لا يتجزأ.

أَوَ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٌ بَعَثُوا إِلَى عَرِيفِهِمْ يَتَوَسَّمُ

وَأَمَّا كَوْنُهُ اسْماً فَلِإِفَادَةِ عَدَمِهِمَا ، كَقَوْلِهِ :

لَا يَأْلَفُ الدِّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ صُرَّتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ

[أوكلما وردت عكاظ] هو مُتَسَوَّقٌ للعرب كانوا يجتمعون فيه ، فيتناشدون ويتفاخرون ، وكانت فيه وقائع [قبيلة * بعثوا إلى عريفهم] وعَرِيفُ القوم الْقَيِّمُ بأمرهم الذى شُهِرَ وعُرِفَ بذلك [يتوسم] أى يصدر عنه تَفَرُّسُ الوجوه وتَأَمُّلُهَا شيئا فشيئا ولحظة فلحظة (١) .

[وأما كونه] أى المسند [اسما فلافادة عدمهما] أي عدم التقييد المذكور وإفادة التجدد ، يعنى لافادة الدوام والثبوت لأغراض تتعلق بذلك [كقوله : لا يألف الدرهم المضروب صرتنا *] وهو ما يجتمع فيه الدراهم [لكن يمر عليها وهو منطلق (٢)] يعنى أن الانطلاق من الصرة ثابت للدرهم دائما ، قال الشيخ عبد القاهر : موضوع الاسم على أن يثبت به الشيء للشيء من غير اقتضاء أنه يتجدد ويحدث شيئا فشيئا ، فلا تَعَرُّضَ فى - زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ - لأكثر من إثبات الانطلاق فعلا له ، كما فى - زيد طويل ، وعمرو قصير (٣) .

---

(١) إفادة الاستمرار التجددى فى البيت بحسب المقام ، وهذا غير التجدد الذي يستفاد من نفس الفعل ، لأنه بمعنى الحصول بعد أن لم يكن (٢) البيت للنضر بن جُؤَيَّة ، والمشهور نصب - صرتنا - على أنه مفعول والأحسن نصب - الدرهم - ليكون عدم الألفة من جانب الصرة (٣) فالاسم على هذا لايدل إلا على مجرد الثبوت ، وأما إفادته للدوام والاستمرار فانما يكون بحسب المقام أيضا ، كغرض المدح أو الذم ونحوهما :

وَأَمَّا تَقْيِيدُ الْفِعْلِ بِمَفْعُولٍ وَنَحْوِهِ فَلِتَرْبِيَةِ الْفَائِدَةِ ، وَالْمُقَيَّدُ فِي نَحْوِ - كَانَ زَيْدٌ مُنْطَلِقًا - هُوَ مُنْطَلِقًا لَا كَانَ .

[وأما تقييد الفعل] وما يشبهه من اسم الفاعل والمفعول وغيرهما [بمفعول] مطلق أو به أو فيه أو له أو معه [ونحوه] من الحال والتمييز والاستثناء (١) [فلتربية الفائدة] لأن الحكم كلما زاد خصوصا زاد غرابة ، وكلما زاد غرابة زاد إفادة ، كما يظهر بالنظر إلى قولنا - شَيْءٌ مَا مَوْجُودٌ ، وفلان بن فلان حفظ التوراة سنة كذا في بلد كذا.

ولما استشعر سؤالا وهو أن خبر كان من مُشَبِّهَاتِ المفعول ، والتقييد به ليس لتربية الفائدة لعدم الفائدة بدونه ، أشار إلى جوابه بقوله [والمقيد في نحو - كان زيد منطلقا - هو منطلقا لا كان] لأن منطلقا هو نفس المسند وكان قيد له للدلالة على

تطبيقات على المسند إذا كان فعلا أو اسما :

(١) قوله تعالى (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) :

(٢) نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وحَاجَةُ مَن عاش لا تَنْقَضِي

(٣) لَعَمْرِي لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ إلى ضوء نارٍ في يَفَاعٍ تَحَرَّقُ

أتى بالمسند اسما في الأول - باسط - لافادة الثبوت والدوام ، وأتى به فعلا في الثاني والثالث - نروح ونغدو - تحرق - لافادة التجدد والاستمرار بمعونة المقام .

أمثلة أخرى :

(١) السيف أصدق إنباءً من الكُتُبِ في حَدِّه الْحَدُّ بين الْجِدِّ واللَّعِبِ

(٢) لا خير في وُدِّ امرىءٍ مُتَمَلِّقٍ حُلْوِ اللسان وَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ

(١) تقييد الفعل بذلك من مباحث متعلقات الفعل ، وسيأتي هذا بعد الكلام

وَأَمَّا تَرْكُهُ فَلِمَانِعٍ مِنْهَا .

وَأَمَّا تَقْيِيدُهُ بِالشَّرْطِ فَلِاعْتِبَارَاتٍ لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَا بَيْنَ أَدَوَاتِهِ مِنَ التَّفْصِيلِ ، وَقَدْ بُيِّنَ ذٰلِكَ فِي عِلْمِ النَّحْوِ ،

زمان النسبة ، كما إذا قلت : زيد منطلق فى الزمان الماضى .

[وأما تركه] أى ترك التقييد [فلمانع منها] أى من تربية الفائدة ، مثل خوف انقضاء الفرصة أو إرادة ألَّا يطلع الحاضرون على زمان الفعل أو مكانه أو مفعوله أو عدم العلم بالْمُقَيِّدَاتِ أو نحو ذلك .

[وأما تقييده] أى الفعل [بالشرط] مثل ـ أُكْرِمُكَ إِنْ تُكْرِمْنِي ، وَإِنْ تُكْرِمْنِي أُكْرِمْكَ [فلاعتبارات] وحالات تقتضى تقييده به [لاتعرف إلا بمعرفة مابين أدواته] يعنى حروف الشرط وأسماءه [من التفصيل ، وقد بين ذلك] أى التفصيل [فى علم النحو] وفى هذا الكلام إشارة إلى أن الشرط فى عرف أهل العربية قيد لحكم الجزاء (١) مثل المفعول ونحوه ، فقولك ـ إن جئتنى أكرمك ـ بمنزلة قولك ـ أكرمك وقت مجيئك إيَّاىَ ـ ولا يخرج الكلام بهذا القيد عما كان عليه من الخبرية والانشائية ، بل إن كان الجزاء خبرا فالجملة الشرطية خبرية ، نحو ـ إن جئتنى أكرمك ـ وإن كان إنشائيا فانشائية نحو ـ إن جاءك زيد فأكرمه ـ وأما نفس الشرط فقد أخرجته الأداة عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب ، ومايقال من أن كُلًّا من الشرط والجزاء خارج عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب وإنما الخبر هو مَجْمُوعُ الشرط والجزاء

على أحوال المسند .

(١) محل هذا عندهم إذا لم تكن أداة الشرط اسما وجعلنا خبرها جزاء الشرط أو مجموعهما ، فاذا جعلنا خبرها الشرط وحده كان الكلام هو الجزاء ، والشرط قيد له كما فى أداة الشرط إذا كانت حرفا ، وهذا هو الأصح عند النحاة .

وَلٰـكِنْ لَابُدَّ مِنَ النَّظَرِ هٰهُنَا فِى إِنْ وَإِذَا وَلَوْ ، فَإِنْ وَإِذَا لِلشَّرْطِ فِى الاسْتِقْبَالِ ، لٰـكِنْ أَصْلُ إِنْ عَدَمُ الْجَزْمِ بِوُقُوعِ الشَّرْطِ ، وَأَصْلُ إِذَا الْجَزْمُ بِوُقُوعِهِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ النَّادِرُ مَوْقِعًا لِإِنْ ، وَغَلَبَ لَفْظُ الْمَاضِى مَعَ إِذَا ، نَحْوُ (فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هٰذِهِ

المحكومُ فيـه بلزوم الثانى للأول فانما هو اعتبار المنطقيين ، فَمَفْهُومُ قولنا ـ كلما كانت الشمس طالعة فالنهار موجود ـ باعتبار أهل العربيـة الْحُكْمُ بوجود النهار فى كل وقت من أوقات طلوع الشمس ، فالمحكوم عليه هو النهار ، والمحكوم به هو الوجود ، وباعتبار المنطقيين الحكم بلزوم وجود النهار لطلوع الشـمس ، فالمحكوم عليـه طلوع الشمس والمحكوم به وجود النهار ، فَكَمْ مِنْ فرق بين الاعتبارين .

[ولـكن لابد من النظر ههنا فى إن وإذا ولو] لأن فيها أبحاثا كثيرة لم يُتَعَرَّضْ لها فى علم النحو [فان وإذا للشرط فى الاستقبال ، لـكن أصـل إن عدم الجزم بوقوع الشرط] فلا يقع فى كلام الله تعالى على الأصل إلا حكاية أو على ضرب من التأويل [وأصل إذا الجزم] بوقوعه ، فان وإذا يشتركان فى الاستقبال بخلاف لو ، ويفترقان بالجزم بالوقوع وعدم الجزم به ، وأما عدم الجزم بلاَ وُقُوعِ الشرط فلم يتعرض له لـكونه مُشْتَرَكًا بين إذا وإن (١) والمقصود بيان وجه الافتراق [ولذلك] أى ولأن أصل إن عدم الجزم بالوقوع [كان] الحكم [النادر] لـكونه غير مقطوع به فى الغالب [موقعا لأن ، و] لأن أصـل إذا الجزم بالوقوع [غلب لفظ الماضى] لدلالتـه على الوقوع قطعا نظرا إلى نفس اللفظ ، وإن نقل ههنا إلى معنى الاستقبال [مع إذا ، نحو ـ فاذا جاءتهم] أى قوم موسى [الحسنة] كالْخِصْبِ وَالرَّخَاءِ [قالوا لنا هذه] أى هذه مختصة

---

(١) ولـكن عدم الجزم بلا وقوع الشرط فى ـ إن ـ معناه أنه جائز ، وعدم الجزم بلا وقوعه فى ـ إذا ـ معناه أنه مُنْتَفٍ ، فلا اشتراك فى الحقيقة بينهما فى هذا أيضا .

وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ) لِأَنَّ الْمُرَادَ الْحَسَنَةُ الْمُطْلَقَةُ ، وَلِهَذَا عُرِّفَتْ تَعْرِيفَ الْجِنْسِ ، وَالسَّيِّئَةُ نَادِرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا ، وَلِهَذَا نُكِّرَتْ .

وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ إِنْ فِي الْجَزْمِ تَجَاهُلاً أَوْ لِعَدَمِ جَزْمِ الْمُخَاطَبِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُكَذِّبُكَ - إِنْ صَدَقْتُ فَمَاذَا تَفْعَلُ ، أَوْ تَنْزِيلِهِ مَنْزِلَةَ الْجَاهِلِ لِمُخَالَفَتِهِ مُقْتَضَى الْعِلْمِ ، أَوِ التَّوْبِيخِ

بنا ونحن مستحقوها [وإن تصبهم سيئة] أى جَدْبٌ وبَلَاءٌ [يطيروا] أى يتشاءموا [بموسى ومن معه] من المؤمنين ، جيء فى جانب الحسنة بلفظ الماضى مع إذا [لأن المراد الحسنة المطلقة] التي حُصُولُهَا مَقْطُوعٌ به [ولهذا عرفت] الحسنة [تعريف الجنس] أى الحقيقة ، لأن وقوع الجنس كالواجب لكثرته واتساعه لتَحَقُّقِه فى كل نوع بخلاف النوع ، وجيء فى جانب السيئة بلفظ المضارع مع إن لما ذكره بقوله [والسيئة نادرة بالنسبة اليها] أى إلى الحسنة المطلقة [ولهذا نكرت] السيئة لتدل على التقليل .

[وقد تستعمل إن (١) فى] مقام [الجزم] بوقوع الشرط [تجاهلا] كما إذا سئل العبد عن سيده - هل هو فى الدار - وهو يعلم أنه فيها ، فيقول - إن كان فيها أخبرك - يتجاهل خوفا من السيد [أو لعدم جزم المخاطب] بوقوع الشرط ، فيجرى الكلام على سَنَن اعتقاده [كقولك لمن يكذبك (٢) - إن صدقت فماذا تفعل] مع علمك بأنك صادق [أو تنزيله] أي تنزيل المخاطب العالم بوقوع الشرط [منزلة الجاهل لمخالفته مقتضى العلم] كقولك لمن يؤذى أباه - إن كان أباك فلا تؤذه [أو التوبيخ] أى تعيير

---

(١) وقد تستعمل إذا أيضا فى مقام الشك للاشارة إلى أن الشرط لا ينبغى أن يشك فيه ، أو لعدم شك المخاطب ، أو لتنزيله منزلة غير الشَّاكّ ، أو لتغليب غير الشَّاكّ على الشَّاكّ (٢) أى لمن يشك فى صدقك ، كما هو فَرْضُ هذا المقام .

وَتَصْوِيرِ أَنَّ الْمَقَامَ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى مَا يَقْلَعُ الشَّرْطَ عَنْ أَصْلِهِ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِفَرْضِهِ كَمَا يُفْرَضُ الْمُحَالُ ، نَحْوُ - أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ - فِيمَنْ قَرَأَ إِنْ بِالْكَسْرِ ، أَوْ تَغْلِيبِ غَيْرِ الْمُتَّصِفِ بِهِ عَلَى الْمُتَّصِفِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا) يَحْتَمِلُهُمَا .

المخاطب على الشرط [وتصوير أن المقام لاشتماله على مايقلع الشرط عن أصله لايصلح إلا لفرضه] أى فرض الشرط [كما يفرض المحال] لغرض من الأغراض [نحو - أفنضرب عنكم الذكر] أى أنهملكم فنضرب عنكم القرآن ، ومافيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد [صفحا] أى إعراضا أو للاعراض أو معرضين (١) [إن كنتم قوما مسرفين ، فيمن قرأ إن بالكسر] فكونهم مسرفين أمر مقطوع به ، لكن جيء بلفظ إن لقصد التوبيخ وتصوير أن الاسراف من العاقل في هذا المقام يجب ألا يكون إلا على سبيل الفرض والتقدير كالمحالات ، لاشتمال المقام على الآيات الدالة على أن الاسراف مما لا ينبغي أن يصدر عن العاقل أصلا ، فهو بمنزلة المحال ، والمحال وإن كان مقطوعا بعدم وقوعه لكنهم يستعملون فيه إن لتنزيله منزلة مالا قطع بعدمه على سبيل المساهلة وإرخاء العنان ، لقصد التبكيت ، كما فى قوله تعالى (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) [أو تغليب غيرالمتصف به] أي بالشرط (٢) [على المتصف به] كما إذا كان القيام قطعيّ الحصول لزيد غير قطعي لعمرو ، فنقول - إن قمتما كان كذا [وقوله تعالى] للمخاطبين المرتابين [- وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا - يحتملهما]

---

(١) يشير بهذا إلى أنه يجوز أن يكون مفعولا مطلقا أو لأجله أو حالا .

(٢) المراد غير محقق الاتصاف به ، كما هو الأصل فى - إن .

وَالتَّغْلِيبُ يَجْرِى فِى فُنُونٍ كَثِيرَةٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) ،

أى يحتمل أن يكون للتوبيخ والتصوير المذكور ، وأن يكون لتغليب غير الْمُرْتَابِينَ على المرتابين ، لأنه كان (١) فى المخاطبين من يعرف الحق وإنما ينكر عنادا ، فجعل الجميع كأنه لا ارتياب لهم ، وههنا بحث وهو أنه إذا جعل الجميع بمنزلة غير المرتابين كان الشرط قَطْعِىَّ اللاَّوُقُوعِ ، فلا يصح استعمال إن فيه ، كما إذا كان قَطْعِيَّ الْوُقُوعِ ، لأنها إنما تستعمل فى المعاني المحتملة المشكوكة ، وليس المعنى ههنا على حدوث الارتياب فى المستقبل ، ولهذا زعم الكوفيون أَنَّ إِنْ ههنا بمعنى إِذْ (٢) ونص الْمُبَرِّدُ وَالزَّجَّاجُ على أَنَّ إِنْ لا تقلب ـ كان ـ إلى معنى الاستقبال ، لقوة دلالته على المضى ، فمجرد التغليب لا يصحح استعمال إن ههنا ، بل لابد من أن يقال : لَمَّا غُلِّبَ صار الجميع بمنزلة غير المرتابين ، فصار الشرط قطعى الانتفاء ، فاستعمل فيه إن على سبيل الفرض والتقدير للتبكيت والالزام ، كقوله تعالى (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا) (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) .

[والتغليب] باب واسع [يجري فى فنون كثيرة كقوله تعالى ـ وكانت من القانتين] غلب الذكر على الأنثى ، بأن أجرى الصفة المشتركة بينهما على طريقة إجرائها على الذكور خَاصَّةً ، فان القنوت مما يوصف به الذكور والاناث ، لكن لفظ ـ قانتين ـ إنما يجرى على الذكور فقط [و] نحو [قوله تعالى ـ بل أنتم قوم تجهلون] غلب جانب المعنى على جانب اللفظ ، لأن القياس ـ يجهلون ـ بياء الغيبة ، لأن الضمير عائد إلى ـ

---

(١) هذا تعليل لقوله غير المرتابين ـ وهم الذين لم يتحقق فيهم الاتصاف بالشرط ؛ وهو الارتياب فى الآية (٢) لأن إذ ظرف للزمان الماضى .

وَمِنْهُ أَبَوَانِ وَنَحْوُهُ .

وَلِكَوْنِهِمَا لِتَعْلِيقِ أَمْرٍ بِغَيْرِهِ فِي الاسْتِقْبَالِ كَانَ كُلٌّ مِنْ جُمْلَتَيْ كُلٍّ فِعْلِيَّةً اسْتِقْبَالِيَّةً ،

قوم ـ ولفظه لفظ الغائب لكونه اسما مظهرا ، لكنه فى المعنى عبارة عن المخاطبين ، فغلب جانب الخطاب على جانب الغيبة [ومنه] أي من التغليب [أبوان] للأب والأم [ونحوه] كالْعُمَرَيْنِ لأبي بكر وعُمَرَ رضى الله عنهما ، والقمرين للشمس والقمر ، وذلك بأن يُغَلَّبَ أحد المتصاحبين أو المتشابهين على الآخر ، بأن يجعل الآخر مُتَّفقاً له فى الاسم ، ثم يُثَنَّى ذلك الاسم ويُقْصَدَ اللفظ إليهما جميعا ، فمثل ـ أبوان ـ ليس من قَبِيلِ قوله تعالى (وكانت من القانتين) كما توهمه بعضهم ، لأن الأُبُوَّةَ ليست صفة مشتركة بينهما كالقنوت ، فالحاصل أن مخالفة الظاهر فى مثل ـ القانتين ـ من جهة الهيئة والصيغة ، وفى مثل ـ أبوان ـ من جهة الْمَادَّةِ وجوهر اللفظ بالْكُلِّيَّةِ .

[ولكونهما] أي إن وإذا [لتعليق أمر] هو حصول مضمون الجزاء [بغيره] يعنى حُصُولَ مضمون الشرط [فى الاستقبال] مُتَعَلِّقٌ بغيره على معنى أنه يجعل حصول الجزاء مترتبا ومتعلقا على حصول الشرط فى الاستقبال ، ولا يجوز أن يتعلق بتعليق أمر ، لأن التعليق إنما هو فى زمان التكلم لافي الاستقبال ، ألا ترى أنك إذا قلت ـ إن دخلت الدار فأنت حر ـ فقد علقت فى هذه الحال حُرِّيَّتَهُ على دخول الدار فى الاستقبال [كان كل من جملتى كل]من إنْ واذا ، يعنى الشرط والجزاء [فعلية استقبالية] أما الشرط فلأنه مفروض الحصول فى الاستقبال ، فيمتنع ثبوته (١) ومُضِيُّهُ ، وأما الجزاء فلأن حصوله مُعَلَّقٌ على حصول الشرط فى الاستقبال ، ويمتنع تعليق حصول

---

(١) أى أن يكون جملة اسمية ، لأن معناها الثبوت .

وَلَا يُخَالِفُ ذٰلِكَ لَفْظًا إِلَّا لِنُكْتَةٍ ، كَابْرَازِ غَيْرِ الْحَاصِلِ فِى مَعْرِضِ الْحَاصِلِ لِقُوَّةِ الْأَسْبَابِ ، أَوْ كَوْنِ مَاهُوَ لِلْوُقُوعِ كَالْوَاقِعِ ، أَوْ

الحاصل الثابت على حصول ما يحصل فى المستقبل [ولا يخالف ذلك لفظا إلا لنكتة] لامتناع مخالفة مُقْتَضَى الظاهر من غير فائدة ، وقوله ـ لفظا ـ إشارة إلى أن الجملتين وإن جعلت كِلْتَاهُمَا أو إِحْدَاهُمَا اسمية أو فعلية مَاضَوِيَّةً فالمعنى على الاستقبال ، حتى إنَّ قولنا ـ إن أكرمتني الآن فقد أكرمتك أمس ـ معناه ـ إن تَعْتَدَّ بإكرامك إيَّايَ الآن فَأَعْتَدُّ بإكرامى إِيَّاكَ أمس ، وقد تستعمل إن فى غير الاستقبال قياسا مُطَّردًا مع كان ، نحو (وَإِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ) كما مَرَّ ، وكذا إذا جيء بها فى مقام التأكيد بعد واو الحال لمجرد الوصل والربط دون الشرط ، نحو ـ زيد وإن كثر ماله بخيل ، وعمرو وإن أعْطِىَ جاهاً لئيم ـ وفى غير ذلك قليلا ، كقوله :

فياوَطَنى إنْ فاتنى بك سَابِقٌ من الدهرِ فَلْيَنْعَمْ لساكنكَ الْبَالُ(١)

ثم أشار إلى تفصيل النكتة الداعية إلى العدول عن لفظ الفعل المستقبل بقوله [كابراز غير الحاصل فى معرض الحاصل لقوة الأسباب] الْمُتَآخِذَةِ فى حصوله ، نحو ـ إن اشتريت كان كذا ـ حال انعقاد أسباب الاشتراء [أو كون ماهو للوقوع كالواقع] هذا عَطْفٌ على قوة الأسباب ، وكذا المعطوفات بعد ذلك ، لأنها كلها عِلَلٌ لابراز غير الحاصل فى معرض الحاصل ، على ما أشار إليه فى إظهار الرغبة (٢) ومن زعم أنها كلها عَطْفٌ على إبراز غير الحاصل فى معرض الحاصل فقد سها سهواً بَيِّنًا [أو

(١) هو لأبى العلاء المعرى ، والشاهد فى قوله ـ إن فاتنى ـ فانه ماض لفظا ومعنى
(٢) أى فى قوله فيما سيأتى ـ فان الطالب إذا عظمت رغبته الخ .

التَّفاؤُل ، أَوْ إظْهار الرَّغْبَة فى وقُوعه ، نَحْوُ - إنْ ظَفِرْتَ بِحُسْنِ الْعاقِبَةِ فَهُوَ الْمَرَامُ ، فَإنَّ الطَّالِبَ إذَا عَظُمَتْ رَغْبَتُهُ فى حُصُولِ أمْرٍ يَكْثُرُ تَصَوُّرُهُ إيَّاهُ ، فَرُبَّمَا يُخَيَّلُ إلَيْهِ حاصِلاً ، وعَلَيْهِ - إنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا - قال السَّكَّاكِى : أَوْ لِلتَّعْرِيض ، نَحْوُ

التفاؤل أو إظهار الرغبة فى وقوعه] أى وقوع الشرط [نحو - إن ظفرت بحسن العاقبة فهو المرام] هـذا يصلح مثالا للتفاؤل ولاظهار الرغبة ، ولما كان اقتضاء إظهار الرغبة إبراز غير الحاصل فى معرض الحاصل يحتاج إلى بيان ما أشار إليه بقوله [فان الطالب إذا عظمت رغبته فى حصول أمر يكثر تصوره] أي الطالب [إياه] أى ذلك الأمر [فربما يخيل] أى ذلك الأمر [إليه حاصلا] فيعبر عنه بلفظ الماضى [وعليه] أى على استعمال الماضى مع إن لاظهار الرغبة فى الوقوع ورد قوله تعالى - وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ - [إن أردن تحصنا] حيث لم يقل - إن يردن - فان قيل تعليق النهى عن الاكراه بارادتهن التحصن يشعر بجواز الاكراه عنـد انتفائها على ماهو مُقْتَضَى التعليق بالشرط ، أجيب بأن القائلين بأن التقييد بالشرط يدل على نفى الحكم عند انتفائه إنمـا يقولون به إذا لم يظهر للشرط فائدة أخرى ، ويجوز أن يكون فائدته فى الآية المبالغة فى النهى عن الاكراه ، يعنى أنهن إذا أردن العفة فالْمَوْلَى أَحَقُّ بارادتها ، وأيضا دلالة الشرط على انتفاء الحكم إنمـا هو بحسب الظاهر ، والاجمـاع القاطع على حرمة الاكراه مطلقا ، فقد عارضه (١) وَالظَّاهِرُ يُدْفَعُ بالقاطع .

[قال السكاكى : أو للتعريض] أى إبراز غير الحاصل في معرض الحاصل إما لمـا ذكر ، وإمَّا للتعريض ، بأن ينسب الفعل إلى واحد والمراد غيره [نحو] قوله تعـالى

---

(١) فاعل - عارضه - ضـمير يعود إلى الاجمـاع ، والضـمير المفعول عائد إلى مفهوم الشرط .

ـ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ـ وَنَظِيرُهُ فِي التَّعْرِيضِ ـ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ـ أَيْ وَمَا لَكُمْ لَا تَعْبُدُونَ الَّذِي فَطَرَكُمْ ، بِدَلِيلِ ـ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ـ وَوَجْهُ حُسْنِهِ إِسْمَاعُ الْمُخَاطَبِينَ

ـ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ [لئن أشركت ليحبطن عملك] فالمخاطب هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعدم إشراكه مقطوع به ، لكن جيء بلفظ الماضي إبرازا للاشراك الغير الحاصل فى معرض الحاصل على سبيل الفرض والتقدير ، تعريضا بمن صدر عنهم الاشراك بأنه قد حبطت أعمالهم ، كما إذا شتمك أحد ، فتقول ـ والله إن شتمني الأمير ضربته ـ ولا يخفى أنه لا معني للتعريض بمن لم يصدر عنهم الاشراك وأن ذكر المضارع لا يفيد التعريض لكونه على أصله (١) ولما كان فى هذا الكلام نوع خفاء وضعف (٢) نسبه إلى السكاكى ، وإلا فهو قد ذكر جميع ما تقدم ، ثم قال [ونظيره] أى نظير ـ لئن أشركت [فى التعريض] لا فى استعمال الماضى مقام المضارع فى الشرط للتعريض ـ قَوْلُهُ تعالى [ـ ومالي لا أعبد الذي فطرني ـ أى ومالكم لاتعبدون الذى فطركم ، بدليل ـ واليه ترجعون] إذ لولا التعريض لكان المناسب أن يقال ـ واليه أرجع ـ على ماهو الموافق للسياق (٣)

[ووجه حسنه] أى حسن هذا التعريض [إسماع] المتكلم [المخاطبين] الذين هم

---

(١) يجيب الشارح بهذا عن اعتراض الخلخالى على السكاكى بأن التعريض عام فيمن وقع منهم الاشراك فى الماضى وغيرهم ، وأنه يحصل باسناد الفعل إلى من لايَتَأَتَّى منه ولو كان مستقبلا (٢) لعله يقصد به ضعفه من وجه آخر غير الذى ذكره الخلخالى .

(٣) ويجوز أن يكون هذا من الالتفات على ما سبق فى الكلام عليه ، والفرق بينهما أن المخاطبين يفهمون من اللفظ فى الالتفات على طريق المجاز ، وهذا بخلاف التعريض ، لأن دلالته غير لفظية ، وإنما يفهم بوساطة القرائن .

الْحَقَّ عَلَى وَجْه لَا يَزِيدُ غَضَبَهُمْ ، وَهُوَ تَرْكُ التَّصْرِيح بِنِسْبَتِهِم إِلَى الباطل ، وَيُعِينُ عَلَى قَبُوله لِكَوْنه أَدْخَلَ فى إِمْحَاضِ النُّصْحِ ، حَيْثُ لا يُرِيدُ لَهُمْ إِلَّامَا يُرِيدُ لِنَفْسه .

أعداؤه [الحق] هو المفعول الثانى لاسماع [على وجه لايزيد] ذلك الْوَجْهُ [غضبهم وهو] أي ذلك الوجه [ترك التصريح بنسبتهم إلى الباطل ، ويُعين] عطف على ـ لا يزيد ـ وليس هــذا فى كلام السكاكى ، أي على وجه يعين [على قبوله] أى قبول الحق [لـكونه] أي لـكون ذلك الوجه [أدخل فى إمحاض النصح لهم ، حيث لا يريد] المتكلم [لهم إلا ما يريد لنفسه] .

تطبيقات على التقييد بأن وإذا :

(١) قوله تعالى (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فى دين الله أَفْوَاجًا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا).

(٢) فوالله ما أدرى وإنى لَصَادقٌ أَدَاءٌ عَرَانى من حَبَابِكِ أم سِحْرُ

فان كان سحرًا فاعْذُرِينى على الهوي وإن كان داءً غيره فلك العــذر

أتي باذا فى الأول للجزم بوقوع الشرط ، وعبر عن الشرط بالماضى للاشارة إلى تحققه وإن كان فى المستقبل ، وأتى بأن فى الثانى للشك فى وقوع الشرط ، والْحَبَابُ فيه هو الْحُبُّ .

أمثلة أخرى :

(١) إذا قَبُحَ البكاءُ على قَتِيــل رأيتُ بكاءَكَ الْحَسَنَ الْجَمِيــلَا

(٢) إن يسمعوا الخير يُخْفُوهُ وَإِنْ سَمِعُوا شَرًّا أَذَاعُوا وإن لم يسمعوا كَذَبُوا

وَلَوْ لِلشَّرْطِ فِى الْمَاضِى مَعَ الْقَطْعِ بِانْتِفَاءِ الشَّرْطِ ،

[ولو للشرط] أى لتعليق حصول مضمون الجزاء بحصول مضمون الشرط فرضا [فى الماضى مع القطع بانتفاء الشرط] فيلزم انتفاء الجزاء ، كما تقول ـ لوجئتني أكرمتك ـ معلقا الاكرام بالمجيء مع القطع بانتفائه فيلزم انتفاء الاكرام ، فهى لامتناع الثانى أعنى ـ الجزاء ـ لامتناع الأول أعني ـ الشرط ـ يعنى أن الجزاء مُنْتَفٍ بسبب انتفاء الشرط ، هذا هو المشهور بين الجمهور ، واعترض عليه ابن الحاجب بأن الأول سبب والثانى مُسَبَّبٌ ، وانتفاء السبب لا يدل على انتفاء المسبب ، لجواز أن يكون للشيء أسباب متعددة ، بل الأمر بالعكس ، لأن انتفاء المسبب يدل على انتفاء جميع أسبابه ، فهى لامتناع الأول لامتناع الثانى ، ألا ترى أن قوله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا) إنما سيق ليستدل بامتناع الفساد على امتناع تعدد الآلهة دون العكس ، واستحسن المتأخرون رأى ابن الحاجب ، حتى كادوا أن يجمعوا على أنها لامتناع الأول لامتناع الثانى ، إمّا لمَا ذكره ، وإمّا لأن الأول ملزوم والثانى لازم ، وانتفاء اللازم يوجب انتفاء الملزوم من غير عكس ، لجواز أن يكون اللازم أعم ، وأنا أقول : منشأ هذا الاعتراض قلّةُ التأمل ، لأنه ليس معنى قولهم ـ لَوْ لِامْتِنَاعِ الثانى لامتناع الأول أنه يُسْتَدَلُّ بامتناع الأول على امتناع الثانى ، حتى يرد عليه أن انتفاء السبب أو الملزوم لا يوجب انتفاء المسبب أو اللازم ، بل معناه أنها للدلالة على أن انتفاء الثاني فى الخارج إنما هو بسبب انتفاء الأول ، فمعنى (لَوْ شَاءَ اللهُ لَهَدَاكُمْ) أن انتفاء الهداية إنما هو بسبب انتفاء المشيئة ، يعنى أنها تستعمل للدلالة على أن عِلّةَ انتفاء مضمون الجزاء فى الخارج هى انتفاء مضمون الشرط ، من غير التفات إلى أن علة العلم بانتفاء الجزاء ما هى ، ألا ترى أن قولهم : لَوْلَا لِامْتِنَاعِ الثانى لوجود الأول ، نحو ـ لَوْلَا

عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ ـ معناه أن وجود على سبب لعدم هلاك عمر ، لا أنَّ وجوده دليل على أن عمر لم يهلك ، ولهذا صح مثل قولنا ـ لو جئتنى لأكرمتك لكنك لم تجىء ـ أعنى عدم الاكرام بسبب عدم المجىء (١) قال الحماسى :

ولو طار ذُو حَافِرٍ قبلها لطارتْ ولكنَّهُ لم يَطِرْ (٢)

يعنى أن عدم طيران تلك الفرس بسبب أنه لم يطر ذو حافر قبلها ، وقال أبو العلاء المعرّي :

ولودَامَتِ الدُّولَاتُ كانوا كغيرهم رَعَايَا ولكنْ مالهُنَّ دَوَامُ (٣)

وأما المنطقيون فقد جعلوا إنْ ولَوْ أداة للُّزُومِ (٤) وإنما يستعملونها فى القياسات لحصول العلم بالنتائج ، فهى عندهم للدلالة على أن العلم بانتفاء الثانى علّةٌ للعلم بانتفاء الأول ، ضرورة انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم ، من غير التفات إلى أنَّ علَّةَ انتفاء الجزاء فى الخارج ماهي ، وَقَوْلُهُ تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا) وَارِدٌ على هذه القاعدة ، لكن الاستعمال على قاعدة اللغة هو الشائع الْمُسْتَفِيض ، وتحقيق هذا البحث على ما ذكرنا من أسرار هذا الفن ، وفى هذا المقام مباحث أخرى شريفة أوردناها فى الشرح .

---

(١) وإنما دل هذا على صحة ما ذكره ، لأنها لو كانت للاستدلال لما صح ذلك القول لما فيه من استثناء نقيض الْمُقَدَّمِ ، وهو لاينتج شيئاً عند علماء المنطق .

(٢) هو لأُبَيّ بن سُلْمِيّ الضَّبِّيِّ من شعراء الجاهلية (٣) الدولات بضم الدال جمع دولة بمعني الملك ، والمعنى أن أهل الدولات الماضية لو داموا كانوا كغيرهم رعايا للممدوح بهذا الشعر (٤) أي للدلالة على لزوم التَّالِي لِلْمُقَدَّمِ .

فَيَلزَمُ عدمُ الثُّبوتِ والمُضِيُّ في جملتيها ، فدُخولُها على المُضَارِعِ في نحوِ - لو يُطيعُكُمْ في كَثيرٍ مِنَ الأمْرِ لَعَنِتُّمْ - لقصدِ استمرارِ الفِعلِ فيما مَضَى وَقتاً فوقتاً ،

وإذا كان لو للشرط في الماضى [فيلزم عدم الثبوت والمضى فى جملتيها] إذ الثبوت ينافى التعليق ، والاستقبال ينافى المضى ، فلا يعدل فى جملتيها عن الفعلية الماضوية إلا لنكتة ، ومذهب المبرد أنها تستعمل فى المستقبل استعمال إنْ (١) وهو مع قلته ثابت ، نحو قوله عليه السلام - اطلبوا العلم ولو بالصين - و - فانى أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط (٢) [فدخولها على المضارع فى نحو] واعلموا أنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ [لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم] أى لوقعتم فى جَهْد وهلاك [لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتا فوقتا] والفعل هو الاطاعة ، يعنى أنَّ امتناع عَنَتِكُمْ بسبب امتناع استمراره على إطاعتكم ، فان المضارع يفيد الاستمرار ، ودخول - لو - عليه يفيد امتناع الاستمرار ، ويجوز أن يكون الفعل امتناع الاطاعة ، يعنى أنَّ امتناع عنتكم بسبب استمرار امتناعه عن إطاعتكم ، لأنه (٣) كما أن المضارع المثبت

---

(١) فلا يحتاج استعمالها فيه على هذا إلى نكتة (٢) صدر الحديث - تناكحوا تناسلوا فانى الخ - والتقدير فى الحديثين - ولو يكون بالصين ، ولو يكون بالسقط - وهذا على أن - لو - فيهما شرطية جوابها محذوف ، لا وصلة للربط فى الجملة الحالية ، ومن استعمالها فى المستقبل قول الشاعر :

ولو تلتقي أَصْدَاؤنَا بعد موتنا ومن دُون رَمْسَيْنَا من الأرض سَبْسَبُ
لَظَلَّ صَدَى صوتى وإن كنتُ رِمَّةً لصوت صدى لَيْلَى يَهَشُّ ويَطْرَبُ

(٣) هذا تعليل لقوله - ويجوز الخ - لأنه يلزمه أن المضارع إنما أفاد استمرار معنى - لو - لا معناه ، وخلاصة التعليل أنه لا مانع من إفادة الفعل المضارع استمرار

كما فى قَوْله تعالى ـ اللهُ يَسْتَهزِىءُ بِهِمْ ـ وَفى نَحْوِ قَوْله تَعَالَى ـ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النار ـ لِتَنْزِيلِه مَنْزِلَةَ المَاضى لِصُدُورِه عَمَّنْ لَا خِلَافَ فى إِخْبارِه ،

يفيد استمرار الثبوت يجوز أن يفيد المنفى استمرار النفى ، والداخل عليه ـ لو ـ يفيد استمرار الامتناع ، كما أن الجملة الاسمية المثبتة تفيد تأكيد الثبوت ودوامه ، والمنفية تفيد تأكيد النفى ودوامه ، لا نفى التأكيد والدوام ، كقوله تعالى (وَمَاهُمْ بِمُؤْمِنِينَ) رَدًّا لقولهم (إِنَّا آمَنَّا) على أبلغ وجه وآكده [كما فى قوله تعالى ـ ألله يستهزيء بهم] حيث لم يقل ـ الله مستهزىء ـ بهم قصدا الى استمرار الاستهزاء وتجدده وقتا فوقتا [و] دخولها على المضارع [فى نحو قوله تعالى ـ ولو تري] الخطاب لمحمد عليه السلام ، أو لكل من تتأتى منه الرؤية [إذ وقفوا على النار] أى أُرُوهَا حتى يعاينوها أو أُطْلِعُوا عليها إطْلَاعَاً هى تحتهم ، أو أُدْخِلُوهَا فعرفوا مقدار عذابها ،وجواب ـ لو ـ محذوف، أى لرأيت أمرا فظيعا [لتنزيله] أى المضارع [منزلة الماضى ،لصدوره] أى المضارع أو الكلام [عمن لا خلاف في إخباره] فهذه الحالة إنما هي فى القيامة ، لكنها جعلت

النفى ، كما أن المثبت يفيد استمرار الثبوت .

تطبيقات على التقييد بلو :

(١) قوله تعالى (وَلَوْ تَرَى إذ الْمُجْرِمُونَ نَاَكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ) .

(٢) لو يسمعون كما سمعتُ حديثها خَرُّوا لِعَزَّةَ خَاشِعِينَ سُجُودَاً

دخلت لو على المضارع في الأول لاستحضار تلك الصورة الفظيعة ، وفى الثانى لاستحضار تلك الصورة المحبوبة .

كما في ـ رُبما يَودُّ الذين كَفَرُوا ، أَوْ لِاُستحضارِ الصُّورَةِ

بمنزلة الماضى المُتَحَقِّق ، فاستعمل فيها ـ لَوْ وإذْ ـ المختصان بالماضى، لَكِنْ عُدلَ عن لفظ الماضى ولم يقل ـ ولو رأيت ـ إشارة إلى انه كلام من لاخلاف فى إخباره ، والمستقبل عنده بمنزلة الماضى فى تحقق الوقوع ، فهذا الأمر مستقبل فى التَّحْقيق ، مَاض بحسب التأويل ، كأنه قيل : قد انقضى هذا الأمر ، لكنك ما رأيته ولو رأيته لرأيت أمرا فظيعا [كما] عدل عن الماضى إلى المضارع [فى ـ ربما يود الذين كفروا] لتنزيله منزلة الماضى لصدوره عمن لا خلاف فى إخباره ، وإنما كان الأصل ههنا هو الماضى ، لأنه قد التزم ابن السَّرَّاج وأبو على فى الايضاح أنَّ الفعل الواقع بعد رُبَّ المكفوفة بما يجب أن يكون ماضيا ، لأنها للتقليل فى الماضى، ومعنى التقليل ههنا أنه تُدْهِشُهُمْ أهوال القيامة فَيَبْهَتُونَ ، فان وجدت منهم إفَاقَةٌ مّا تَمَنَّوْا ذلك ، وقيل هى مستعارة للتكثير أو للتحقيق ، ومفعول ـ يَوَدُّ ـ محذوف لدلالة ـ لوْكَانُوا مُسْلِمِينَ ـ عليه ، ولو للتمنى حكاية لِوَدَادَتِهِمْ ، وأمَّا على رأى من جعل ـ لو ـ التى للتمنى حرفا مَصْدَرِيًّا فمفعول ـ يود ـ هو قوله ـ لو كانوا مسلمين ـ [أو لاستحضار الصورة] عَطْفٌ على قوله ـ لتنزيله ـ يعنى أن العدول إلى المضارع فى نحو ـ ولو ترى ـ إمَّا لما ذكر ، وإمَّا لاستحضار صورة رؤية الكافرين موقوفين على النار ، لأن المضارع مما يدل على الحال الحاضر

أمثلة أخرى :

(١) ولو لَبِس الحمارُ ثيابَ خَزٍّ لقال الناسُ يالَكَ مِنْ حِمَارِ

(٢) قالوا الْحِمَايَةُ زالتْ قلتُ لاعجبٌ بل كان باطلها فيكم هو العَجَبَا

لو تسألون (النبي) يوم جَنْدَلَهَا بأيِّ سَيفٍ على يَافُوخِهَا ضَرَبَا

أبا لذي جَرَّ يوم السِّلْمِ مُتَّشِحًا أم بالذي هَزَّ يوم الحرب مُخْتَضِبَا

كما فى قوله تعالى ـ فَتُثِيرُ سَحَاباً ـ اسْتِحضَاراً لتلكَ الصُّورَةِ البديعَة الدَّالَّة علَى القُدْرَة الباهِرَة .

وَأَمَّا تَنكِيرُه فَلارادَة عَدَم الحَصْرِ وَالعَهْد ، كَقَوْلِكَ ـ زَيْدٌ كاتبٌ وعَمرٌو شَاعِرٌ ، أَوْ للتَّفخِيم ، نَحْوُ ـ هُدًى لِلمُتَّقِين ، أَوْ للتَّحقِير .

الذى من شأنه أن يُشَاهَدَ ، كأنه يستحضر بلفظ المضارع تلك الصورة ليشاهدها السامعون ، ولا يفعل ذلك إلا فى أمر يهتم بمشاهدته لغرابته أو فظاعته أو نحو ذلك [كما فى قوله تعالى ـ فتثير سحابا] بلفظ المضارع بعد قوله تعالى (اللهُ الذى أرسَلَ الرِّيَاحَ) [استحضاراً لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة] يعني صُورَةَ إثَارَة السحاب مسخرا بين السماء والأرض على الكيفيات المخصوصة والانقلابات المتفاوتة .

[وأما تنكيره] أى تنكير المسند [فلارادة عدم الحصر والعهد] الدَّالِّ عليهما التَّعْرِيفُ [كقولك ـ زيد كاتب وعمرو شاعر ، أو للتفخيم نحو ـ هدى للمتقين] بنَاءً على أنه خبر مبتدإ محذوف ، أو خبر ذلك الكتاب (١) [أو للتحقير] نحو ـ مَا زَيْدٌ شَيْئًا .

---

(١) ويجوز أن يكون حالا ، فلا يكون من هذا الباب .

تطبيقات على تنكير المسند :

(١) قوله تعالي (وَلَئِنْ مَسَّتهم نَفحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَاوَيلَنَا إنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ).

(٢) آراؤه وعطاياه ونِعمتُه وعفوه رحمةٌ للناس كُلِّهم

وَأَمَّا تَخْصِيصُهُ بالاضافةِ أَوِ الْوَصْفِ فلتكونَ الفائدةُ أَتَمَّ كَمَا مرَّ .

وَأَمَّا تَرْكُهُ فَظَاهِرٌ مِمَّا سَبَقَ .

وَأَمَّا تَعْرِيفُه فَلافادَةِ السامعِ حُكْمًا عَلَى أَمْرٍ مَعْلومٍ لهُ باحْدَى طُرُقِ التَّعْرِيف

[وأما تخصيصه] أى المسند [بالاضافة] نحو - زَيْدٌ غُلَامُ رَجُلٍ [أو الوصف] نحو زَيْدٌ رَجُلٌ عَالِمٌ [فلتكون الفائدة أتم] لِمَا مَرَّ من أن زيادة الخصوص توجب أَتَمِّيَّةَ الفائدة ، واعلم أن جَعْلَ معمولات المسند كالحال ونحوه من الْمُقَيِّدَات ، وجَعْلَ الاضافة والوصف من الْمُخَصِّصَات إنما هو مُجَرَّدُ اصطلاح ، وقيل لأن التخصيص عبارة عن نقص الشيوع ، ولا شيوع للفعل ، لأنه إنما يدل على مجرد المفهوم والْحَالُ تُقَيِّدُهُ ، والوصف يجيء فى الاسم الذى فيه الشيوع فيخصصه ، وفيه نظر (١) .

[وأما تركه] أى ترك تخصيص المسند بالاضافة أو الوصف [فظاهر مما سبق] فى ترك تقييد المسند لمانع من تربية الفائدة .

[وأما تعريفه فلافادة السامع حكما على أمر معلوم له باحدى طرق التعريف]

نكر المسند فى الأول للدلالة على التحقير ، وفى الثانى للدلالة على التعظيم .

أمثلة أخرى :

(١) وقد يترك الْغَدْرَ الفتى وطعامُه ‏ ‏ اذا هو أمسى حَلْبَةٌ من دَمِ الْفَصْد

(٢) ليس الجمالُ بِمِئْزَرٍ ‏ ‏ فاعلم وإنْ رُدِّيتَ بُرْدًا

إنَّ الجمال مَعَادِنٌ ‏ ‏ ومَنَاقِبٌ أَوْرَثْنَ مَجْدًا

(١) لأن الفعل فيه شيوع أيضا باعتبار احتماله الصدق على كل فرد يفرض من غير دلالة على التعيين ، كما في قولك - جاءنى زيد - لأنه يحتمل المجيء على حالة الركوب

بآخَرَ مِثْله أَوْ لَازِمَ حُكْمٍ كَذَلِكَ ، نَحْوُ ـ زَيْدٌ أَخُوكَ وَعَمْرٌو المُنْطَلِقُ ، باعتبارِ تَعرِيفِ الْعَهدِ أَوِ الجِنْسِ وعَكْسِهِمَا ،

يعنى أنه يجب عنـد تعريف المسند تعريف المسند إليه ، إذ ليس فى كلامهم مسند اليه نكرة ومسند معرفة فى الجملة الخبرية (١) [بآخر مثله] أى حكما على أمر معلوم بأمر آخر مثله فى كونه معلوما للسامع باحدى طرق التعريف ، سَوَاءٌ اتحد الطريقان ، نحو ـ الراكب هو المنطلق ـ أو اختلفا ، نحو ـ زيد هو المنطلق [أو لازم حكم] عَطْفٌ على ـ حكما [كذلك] أي على أمر معلوم بآخر مثله ، وفى هـذا تنبيه على أنَّ كَوْنَ المبتدإ والخبر معلومين لا ينافى إفادة الكلام للسامع فائدة مجهولة ، لأن العلم بنفس المبتدإ والخبر لا يستلزم العلم باسناد أحدهما إلى الآخر [نحو ـ زيد أخوك ، وعمرو المنطلق] حَالَ كَوْنِ ـ المنطلق ـ مُعَرَّفًا [باعتبار تعريف العهد أو الجنس] وظاهر لفظ الكتاب أن نحو ـ زيد أخوك ـ إنمـا يقال لمن يعرف أن له أخا ، والمذكور فى الايضاح أنه يقال لمن يعرف زيدا بعينـه ، سواء كان يعرف أن له أخا أم لم يعرف ، ووجه التوفيق ما ذكره بعض المحققين من النحاة أن أصـل وضع تعريف الاضافة على اعتبار العهد ، وإلا لم يبق فرق بين ـ غُلَامُ زَيْدٍ ، وغُلَامٌ لِزَيْدٍ ـ فلم يكن أحـدهما معرفة والآخر نكرة ، لكنَّ كثيراً ما يقال ـ جاءنى غلام زيد ـ من غير إشارة إلى مُعَيَّنٍ (٢) كالمعرف باللام ، وهو خلاف وضع الاضافة ، فما فى الكتاب ناظر إلى أصل الوضع ، وما فى الايضاح إلى خلافه [وعكسهما] أي نحو عكس المثالين المذكورين ، وهو ـ أخوك زيد ، والمنطلق عمرو ـ والضابط فى التقديم أنه إذا كان للشىء صفتان من صفات

وغيره (١) بخلاف الجملة الانشائية ، فانه يجوز أن يكون الخبر فيها معرفة والمبتدأ نـكرة ، نحو قولك ـ من أبوك ـ فان ـ من ـ مبتدأ عند سـيبويه مع كونها نكرة وخبرها معرفة (٢) أى من غلمانه .

وَالثَّـانى قَدْ يُفِيـدُ قَصْرَ الجِنْسِ عَلَى شَىْءٍ تَحْقِيقاً نَحْوُ ـ زَيْدٌ الأَمِيرُ ، أَوْ مُبَالَغَةً لِكَمَالِهِ فِيهِ ، نَحْوُ ـ عَمرٌو الشُّجَاعُ ،

التعريف وعرف السامع اتصافه باحداهما دون الآخرى ، فأيهما كان بحيث يعرف السامع اتصاف الذات به وهو كالطالب بحسب زعمك أن تحكم عليـه بالآخر يجب أن تقدم اللفظ الدال عليه وتجعله مبتدءا ، وأيهما كان بحيث يجهل اتصاف الذات به وهو كالطالب بحسب زعمك أن تحكم بثبوته للذات أو انتفائه عنهـا يجب أن تؤخر اللفظ الدال عليه وتجعله خبرا ، فاذا عرف السامع زيدا بعينـه واسمه ولا يعرف اتصافه بأنه أخوه وأردت أن تعرفه ذلك ، قلت ـ زيد أخوك ـ وإذا عرف أخًا له ولا يعرفه على التعيين وأردت أن تعينه عنده ، قلت ـ أخوك زيد ـ ولا يصح ـ زيد أخوك ـ ويظهر ذلك فى نحو قولنا ـ رَأَيْتُ أُسْودًا غَابُهَا الرِّمَاحُ ـ ولا يصح ـ رماحها الغاب (١) [والثانى] يعنى اعتبار تعريف الجنس [قد يفيد قصر الجنس على شىء تحقيقا نحو ـ زيد الأمير] إذا لم يكن أمير سواه [أو مبالغة لكماله فيه] أى لكمال ذلك الشىء فى ذلك الجنس أو بالعكس [نحو ـ عمرو الشجاع] أى الكامل فى الشجاعة ، كأنه لا اعتـداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال ، وكذا إذا جعل المعرف بلام الجنس مبتدءا ، نحو ـ الأمير زيد ، والشجاع عمرو ـ ولا تفاوت بينهما وبين ماتقـدم فى إفادة قصر الامارة على زيد والشجاعة على عمرو ، والحاصل أن المعرف بلام الجنس إن جعل مبتدءا فهو مقصور على الخـبر ، سواء كان الخبر معرفة أو نكرة ، وإن جعل خبرا فهو مقصور على المبتدإ ، والجنس قد يبقى على إطلاقه كما مر ، وقد يقيد بوصف أو حال أو ظرف أو مفعول أو نحو ذلك ، نحو ـ هو الرجل الكريم ، وهو السائر راكبا ، وهو الأمير فى البلد ، وهو الواهب ألف قنطار ـ وجميع ذلك معلوم بالاستقراء وتَصَفُّح تراكيب البلغاء ، وَقَوْلُهُ ـ قد يفيد ـ بلفظ قد إشَارَةٌ إلى أنه قد لايفيد القصر، كما فى قول الخنساء :

---

(١) وهـذا لأن المعلوم للأسود هو الغاب لأنه مَبِيتُها ، فيجب تقديمه وجعله

وَقِيلَ الاسْمُ مُتَعيّنٌ للابْتِدَاء لِدلالَتِه عَلَى الذَّات ، وَالصِّفَةُ للخَبرِيَّة لِدلاَلَتِهَا عَلَى أَمْرٍ نِسْبِيّ ، ورُدَّ بأَنَّ المَعْنَى الشخْصُ الذى لَهُ الصِّفَةُ صاحِبُ الاسْمِ .

إذا قَبُحَ البكاءُ على قَتِيـــلٍ رأَيتُ بكاءَكَ الحَسَنَ الجَمِيلا

فانه يُعْرَفُ بحسب الذوق السليم والطبع المستقيم وَالتَّدَرُّب فى معرفة معانى كلام العرب أن ليس المعنى ههنا على القصر (١) وإن أمكن ذلك بحسب النظر الظاهر والتأمل القاصر [وقيل] فى نحو – زيد المنطلق ، أو المنطلق زيد – [الاسم متعين للابتداء] تَقَدَّمَ أَوْ تَأَخَّرَ [لدلالته على الذات ، والصفة] متعينة [للخبرية] تقدمت أو تأخرت [لدلالتها على أمر نسبي] لأن معنى المبتدإ الْمَنْسُوبُ اليه ، ومعنى الخبر الْمَنْسُوبُ ، والذات هي المنسوب اليها ، والصفة هى المنسوب ، فَسَوَاءٌ قلنا – زيد المنطلق ، أو المنطلق زيد – يكون – زيد – مبتدءا والمنطلق خبر ، وهذا رأى الامام الرازي قدس الله سره [ورد بأن المعني الشخص الذى له الصفة صاحب الاسم] يعنى أن الصفة تجعل دَالَّةً على الذات ومُسْنَدًا اليها ، والاسم يجعل دالا على أمر نسبي ومُسْنَدًا .

---

(١) وهذا لأن الكلام للرد على من يتوهم أن البكاء على هذا الْمَرْثِيِّ قبيح كغيره ، وهو يحصل بمجرد إخراج بكائه من القبح الى الحسن ، ولا يحتاج الى القصر فى ذلك إلا إذا كان الكلام واردا فى مقام من يسلم حسن البكاء على المرثى ولكنه يدعى حسن البكاء على غيره أيضا ، فيرد عليه بقصر حسن البكاء على المرثى دون غيره .

تطبيقات على تعريف المسند :

(١) هو الْوَاهِبُ الْمِائَةَ الْمُصْطَفَا ةَ إِمَّا مَخَاضًا وَإِمَّا عِشَارَا

(٢) ونحن التاركون لما سَخِطْنَا ونحن الآخذون لما رَضِينَا

عرف المسند فى الأول وفى الثانى لافادة قصر الخبر على المبتدإ على سبيل المبالغة

وَأَمَّا كَوْنُهُ جُمْلَةً فَلِلتَّقَوِّى أَوْ لِكَوْنِهِ سَبَبِيًّا كَمَا مَرَّ ،

[وأما كونه (١)] أى المسند [جملة فللتقوى] نحو - زيد قام [أو لكونه سببيا] نحو - زيد أبوه قائم [كما مر] من أن إفراده يكون لكونه غير سببى مع عدم إفادة التقوى ، وسبب التقوى فى مثل - زيد قام - على ماذكره صاحب المفتاح هو أن المبتدأ لكونه مبتدءا يستدعى أن يسند اليه شيء ، فاذا جاء بعده مايصلح أن يسند إلى ذلك المبتدأ صرفه ذلك المبتدأ إلى نفسه ، سَوَاءٌ كان خاليا عن الضمير أو مُتَضَمِّنًا له ، فينعقد بينهما حكم ، ثم إذا كان متضمنا لضميره الْمُعْتَدِّ به بألاَّ يكون مُشَابِهاً للخالى عن الضمير ، كما فى - زيد قائم - صرفه ذلك الضمير إلى المبتدإ ثانيا ، فيكتسى الحكم قُوَّةً ، فعلى هذا يختص التقوى بما يكون مسندا إلى ضمير المبتدإ ، ويخرج عنه نحو - زَيْدٌ ضربتُهُ - ويجب أن يجعل سببيا (٢) وأما على ما ذكره الشيخ فى دلائل الاعجاز ، وهو أن الاسم لا يؤتى به مُعَرًّى عن العوامل اللفظية إلا لحديث قد نُوِىَ إسناده اليه ، فاذا قلت - زيد - فقد أَشْعَرْتَ قلب السامع بأنك تريد الاخبار عنه ، فهذا تَوْطِئَةٌ له وتَقْدِمَةٌ للاعلام به ، فاذا قلت - قام - دخل فى قلبه دخول المأنوس ، وهذا أشد للثبوت وأمنع من الشبهة والشك ، وبالجملة ليس الاعلام بالشيء بَغْتَةً مثل الاعلام به بعد التنبيه عليه

فى مقام المدح والفخر .

أمثلة أخرى :

(١) أخوك الذى إنْ تَدْعُهُ لُمِلَمَّةٍ ... يُجِبْكَ وإن تَغْضَبْ إلى السيف يَغْضَبِ

(٢) وإنَّ سَنَامَ المجد من آل هاشم ... بنو بنت مخزوم ووالدُكَ الْعَبْدُ

(١) هذا مقابل قوله فيما سبق - وأما إفراده - وما ذكره بعد هذا من كونه فعلا أو اسما الخ داخل فى كونه مفردا (٢) لأن الاتيان بالجملة إما للتقوى وإما للسببية ، فاذا انتفى أحدهما تعين الآخر .

وَاسْمِيَّتُهَا وَفِعْلِيَّتُهَا وَشَرْطِيَّتُهَا لِمَا مَرَّ ، وَظَرْفِيَّتُهَا لِاخْتِصَارِ الْفِعْلِيَّةِ إِذْ هِيَ مُقَدَّرَةٌ بِالْفِعْلِ عَلَى الأَصَحِّ .

وَأَمَّا تَأْخِيرُهُ فَلِأَنَّ ذِكْرَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ أَهَمُّ كَمَا مَرَّ

والتقـدمة ، فان ذلك يجري مجرى تأكيد الاعلام في التَّقَوِّى والاحكام ، فيدخل فيـه نحو ـ زيد ضربته ، وزيد مررت به ـ ومما يكون المسند فيـه جملة لا للسببية أو التقوى خبر ضمير الشأن ، ولم يتعرض له لشهرة أمره ، وكونه معلوما مما سبق ، وأما صورة التخصيص نحو ـ أنا سـعيت فى حاجتك ، ورجل جاءني ـ فهى داخـلة فى التقوي على مامر (١) [واسميتها وفعليتها وشرطيتها لمـا مر] يعنى أن كون المسند جملة للسببية أو التقوى ، وكون تلك الجملة اسميـة للدوام والثبوت ، وكونها فعلية للتجدد والحدوث والدلالة على أحـد الأزمنة الثلاثة على أخصر وجه ، وكونها شرطيـة للاعتبارات المختلفة الحاصلة من أدوات الشرط [وظرفيتها لاختصار الفعلية إذ هى] أى الظرفيـة [مقدرة بالفعل على الأصح] لأن الفعل هو الأصل فى العمل ، وقيل باسم الفاعل لأن الأصل فى الخبر أن يكون مفردا ، ورجح الأول بوقوع الظرف صلة للموصول (٢) نحو ـ الذى فى الدار أخوك ـ وأجيب بأن الصلة من مَظَانِّ الجملة بخلاف الخبر ، ولو قال ـ إذا الظرف مقـدر بالفعل على الأصح ـ لـكان أصوب ، لأن ظاهر عبارته يقتضى أن الجملة الظرفية مقـدرة باسم الفاعل على القول الغـير الأصح ، ولا يخفى فساده .

[وأما تأخيره] أى تأخير المسند [فلأن ذكر المسند اليه أهم كما مر] فى تقديم المسند اليه .

---

(١) من أن صورة التخصيص فيها تقوية أيضا (٢) فانه فى هذه الحالة يجب تقدير الفعل ، لأن الصلة يجب أن تكون جملة .

وَأَمَّا تَقْدِيمُهُ فَلِتَخْصِيصِهِ بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ ، نَحْوُ ـ لا فِيهَا غَوْلٌ ـ أَىْ بِخِلافِ خُمُورِ الدُّنْيَا ، وَلِهَذَا لَمْ يُقَدِّمِ الظَّرْفَ فى ـ لا رَيْبَ فِيهِ ـ لِئَلَّا يُفِيدَ ثُبُوتَ الرَّيْبِ فى سائِرِ كُتُبِ اللهِ تَعَالَى ،

[وأما تقديمه] أى تقديم [المسند فلتخصيصه بالمسند اليه] أي لقصر المسند اليه على المسند علي ما حققناه فى ضمير الفصل ، لأن معنى قولنا ـ تَميميٌّ انا ـ هو أنه مقصور على التَّميميةَّ لا يتجاوزها الي القَيْسيَّةِ [نحو ـ لافيها غول ـ أى بخلاف خمور الدنيا] فان فيها غولا ، فان قُلْتَ : المسند هو الظرف ، أعنى ـ فيها ـ والمسند اليه ليس بمقصور عليه ، بل على جزء منه ، أعنى الضمير المجرور الراجع الى خمور الجنة ـ قُلْتُ : المقصود أن عدم الغول مقصور على الاتصاف بِفِي خُمُورِ الجنة لا يتجاوزه الى الاتصاف بِفِي خُمُورِ الدنيا ، وإن اعتبرت النفى فى جانب المسند فالمعني أن الغول مقصور على عدم الحصول فى خمور الجنة لا يتجاوزه الى عدم الحصول فى خمور الدنيا ، فالمسند اليه مقصور على المسند قصرا غير حَقِيقِيٍّ ، وكذا القياس فى قوله تعالى (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) ونظيره ماذكر صاحب المفتاح فى قوله تعالى (إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي) من أن المعنى ـ حسابهم مقصور على الاتصاف بِعَلَى رَبِّي لا يتجاوزه الى الاتصاف بِعَلَيَّ ، فجميع ذلك من قصر الموصوف على الصفة دون العكس ، كما توهمه بعضهم [ولهذا] أى ولأن التقديم يفيد التخصيص [لم يقدم الظرف] الذي هو المسند على المسند اليه [فى ـ لاريب فيه] ولم يقل ـ لافيه رَيْبٌ [لئلا يفيد] تقديمه عليه [ثبوت الريب فى سائر كتب الله تعالى] بناءً على اختصاص عدم الريب بالقرآن ، وإنما قال فى سائر كتب الله تعالى لأنه المعتبر فى مقابلة القرآن ، كما أن المعتبر في مقابلة خمور الجنة هى خمور الدنيا لا مطلق المشروبات

أَوْ التَّنْبِيه مِنْ أَوَّلِ الأَمْرِ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ لَا نَعْتٌ ، كَقَوْلِه :

لَهُ هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ

أَوِ التَّفَاؤُلِ أَوِ التَّشْوِيقِ إِلَى ذِكْرِ المُسْنَدِ إِلَيْهِ ، كَقَوْلِه :

وغيرها [أو التنبيه] عَطْفٌ على تخصيصه ، أى تقديم المسند للتنبيه [من أول الأمر على أنه] أى المسند [خبر لا نعت] إذ النعت لا يتقدم على المنعوت ، وإنما قال - من أول الأمر - لأنه ربما يعلم أنه خبر لا نعت بالتأمل فى المعنى ، والنظر الى أنه لم يَرِدْ فى الكلام خَبَرٌ للمبتدإ [كقوله :

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر(١)]

حيث لم يقل - هِمَمٌ لَهُ [أو التفاؤل نحو] :

سَعِدَتْ بِغُرَّةِ وجهك الأَيَّامُ(٢)

[أو التشويق الى ذكر المسند اليه] بأن يكون فى المسند المتقدم طول يُشَوِّقُ النفس الى ذكر المسند اليه ، فيكون له وَقْعٌ في النفس ، ومَحَلٌّ من القبول ، لأن الحاصل بعد الطلب أَعَزُّ من المُنْسَاق بلا تعب [كقوله :

---

(١) هو لبكر بن النَّطَّاح من شعراء الدولة العباسية ، أو لحسان بن ثابت من الشعراء المخضرمين ، والشاهد فى قوله - له همم - فلو أخر المسند فيه لتوهم أنه نعت للنكرة قبله والجملة بعده خبر ، وهذا خلاف مقصوده .

(٢) هو من قول بعضهم :

سَعدت بغرة وجهك الأيامُ وتَزَيَّنَتْ ببقائك الأعوامُ

والشاهد فى قوله - سعدت - وتزينت - فالتقديم فيهما للتفاؤل .

ثَلاَثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا   شَمْسُ الضحى وَأَبُو إسْحَاقَ والقَمَرُ

ثلاثة] هذا هو المسند المتقدم الموصوف بقوله [تشرق] من أشرق ـ بمعنى صار مضيئا [الدنيا] فاعل ـ تشرق ـ والعائد الى الموصوف هو الضمير المجرور فى قوله [ببهجتها] أى بحسنها ونضارتها ، أي تصير الدنيا مُنَوَّرَةً ببهجة هذه الثلاثه وبهائها ، والمسند اليه المتأخر هو قوله [شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر] (١) .

(١) هو لمحمد بن وُهَيْب من شعراء الدولة العباسية ، وأبو إسحاق هو المعتصم بالله الملك العباسى .

تطبيقات على تقديم المسند :

(١) ثلاثةٌ ليس لها إيَابُ   الوقْتُ والجمالُ والشَّبَابُ

(٢) سلامُ الله يامطَرٌ عليها   وليس عليك يامطَرُ السلامُ

(٣) يَمَنَ الله طَلْعَةَ المِهْرَجَانِ   كُلَّ يُمْنٍ على الأمير الْهِجَانِ

قدم المسند فى الأول ـ ثلاثة ـ لافادة التشويق ، وفى الثانى ـ عليك ـ لمجرد الاهتمام ، وفى الثالث ـ يمن ـ للتفاؤل .

أمثلة أخرى :

(١) قوله تعالى ـ (وَلَكُمْ فِى الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)

(٢) ومن نَكَدِ الدنيا على الحُرِّ أن يَرَى   عَدُوًّا له ما منْ صداقته بُدٌّ

(٣) إن فى الغرب أعيُنًا راصداتٍ   كَحَّلَتْهَا الأطماعُ فيكم بِسُهْدِ

تَنْبِيهٌ

كَثِيرٌ مِمَّا ذُكِرَ فِى هَذَا الْبَابِ وَالذى قَبْلَهُ غَيْرُ مُخْتَصٍّ بِهِما كَالذِّكْرِ وَالحَذْفِ وَغَيْرِهِما ، وَالْفَطِنُ اذا أَتْقَنَ اعْتِبارَ ذَلِكَ فِيهِما لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ اعْتِبارُهُ فِى غَيْرِهِما .

(تنبيه)

[كثير مما ذكر فى هذا الباب] يعنى باب المسند [والذى قبله] يعنى باب المسند اليه [غير مختص بهما ، كالذكر والحذف وغيرهما] من التعريف والتنكير والتقديم والتأخير والاطلاق والتقييد وغير ذلك مما سبق ، وإنما قال ـ كثير مما ذكر ـ لأن بعضها مختص بالبابين ، كضمير الفصل المختص بما بين المسند اليه والمسند ، وككَوْن المسند فعلا ، فانه مختص بالمسند ، إذ كل فعل مسند دائما ، وقيل هو إشارة الى أن جميعها لا يجري فى غير البابين ، كالتعريف فانه لا يجرى فى الحال والتمييز ، وكالتقديم فانه لايجرى فى المضاف اليه ، وفيه نظر ، لأن قولنا ـ جميع ماذكر فى البابين غير مختص بهما ـ لا يقتضى أن يجرى شىء من المذكورات فى كل واحد من الأمور التى هي غير المسند اليه والمسند ، فضلا عن أن يجري كل منها فيه ، إذ يكفي لعدم الاختصاص بالبابين ثبوته فى شىء مما يغايرهما ، فافهم [والفطن اذا أتقن اعتبار ذلك فيهما] أى فى البابين [لا يخفى عليه اعتباره فى غيرهما] من المفاعيل والمُلْحَقَات بها (١) والمضاف اليه

(١) هى الحال والتمييز وما أشبههما .

تطبيقات على هذه الأحوال فى غير البابين :

(١) قوله تعالى ـ (فَانْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وإنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤوسُ أمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ) .

أَحْوَالُ مُتَعَلِّقَاتِ الفِعْلِ

الفِعْلُ مَعَ المَفْعُولِ كالفعلِ مَعَ الفَاعِلِ فِى أنّ الغَرَضَ مِنْ ذِكْرِهِ مَعَهُ

أحوال متعلقات الفعل

قد أشير فى التنبيه الي أن كثيرا من الاعتبارات السابقة يجرى فى مُتَعَلِّقَاتِ الفعل ، لكن ذكر فى هـذا الباب تفصيل بعض (١) من ذلك لاختصاصه بمزيد بحث ، ومهد لذلك مقدمة (٢) فقال :

حذف المفعول

[الفعل مع المفعول كالفعل مع الفاعل فى أن الغرض من ذكره معه] أى ذكر

---

(٢) لعزَّةَ مُوحِشًا طَلَلٌ   يلُوحُ كأنه خلَلٌ

نـكر المجرور فى الأول ـ بحرب ـ للدلالة على التعظيم ، وقدم الحال فى الثانى ـ موحشا ـ للاهتمام به .

أمثلة أخرى :

(١) ومالىَ إلاَّ آلَ أحْمَدَ شيعةٌ   ومالى إلا مذهبَ الحقِّ مذهبُ

(٢) بكَ اقْتَدَتِ الأيامُ فى حسناتها   وشيمَتُهَا لَوْلَاكَ هَمٌّ وتَكْرِيبُ

(١) وهو ثلاثة اعتبارات : حذف المفعول ، وتقديمه على الفعل ، وتقديم بعض المعمولات على بعض .

(٢) هذا التمهيد لاعتبار حذف المفعول وحده ، لا للاعتبارات الثلاثة .

إفَادَةُ تَلَبُّسِه به لا إفادةُ وُقُوعه مُطْلَقًا ، فَاذَا لَمْ يُذْكَرْ مَعَهُ فالغَرَضُ إنْ كانَ إثْبَاتُه لفاعله أَوْ نَفيُه عنْه مُطْلَقًا نُزِّلَ مَنْزِلَةَ اللازِم ولَمْ يُقدَّرْ له مَفعُولٌ ، لأَنَّ المُقَدَّرَ كالمَذْكُورِ ، وَهوَ ضَرْبان : لأَنَّهُ إمَّا أَنْ يَجعَلَ الفعلُ مُطْلَقًا كِنَايَةً عَنْه

كل من الفاعل والمفعول مع الفعل أو ذكر الفعل مع كل منهما [إفادة تلبسه به] أى تلبس الفعل بكل منهما ، أما بالفاعل فمن جهة وقوعه منـه ، وأما بالمفعول فمن جهة وقوعه عليه [لا إفادة وقوعه مطلقا] أي ليس الغرض من ذكره معه إفادة وقوع الفعل وثبوته فى نفسه من غير إرادة أن يُعْلَمَ مِمَّنْ وقع وعلى من وقع ، إذ لو أريد ذلك لقيل ـ وَقَعَ الضرب ، أو وُجِدَ ، أو ثَبَتَ ـ من غير ذكر الفاعل أو المفعول لكونه عبثا [فاذا لم يذكر] المفعول به [معه] أى مع الفعل المتعدى المسند الى فاعله [فالغرض إن كان إثباته] أى إثبات الفعل [لفاعله أو نفيه عنـه مطلقا] أى من غير اعتبار عموم فى الفعل بأن يراد جميع أفراده ، أو خصوص بأن يراد بعضها ، ومن غير اعتبار تَعَلُّقـه بمن وقع عليـه فضلا عن عمومه وخصوصه [نزل] الفعل المتعدى [منزلة اللازم ولم يقدر له مفعول ، لأن المقدر كالمذكور] فى أن السامع يفهم منهما أن الغرض الاخبار بوقوع الفعل من الفاعل باعتبار تعلقه بمن وقع عليه ، فان قولنا ـ فلان يعطى الدنانير ـ يكون لبيان جنس ما يتناوله الاعطاء ، لا لبيان كَوْنه معطيا ، ويكون كلاما مع من أثْبَتَ له إعطاء غير الدنانير ، لا مع من نَفَى أن يوجد منه إعطاء [وهو] أى هذا القسم الذى نزل منزلة اللازم [ضربان : لأنه إما أن يجعل الفعل] حال كَوْنه [مطلقا] أى من غير اعتبار عموم أو خصوص فيه ، ومن غير اعتبار تعلقه بالمفعول [كناية عنه] (١)

---

(١) فيكون الفعل المطلق ملزوما والفعل المقيد لازما ، لأن الكناية ينتقل فيها من الملزوم إلى اللازم ، ولا يخفي أن المقيد ليس لازما للمطلق إلا أنه يكفى فى هذا اللزوم

مُتَعَلِّقًا بِمَفْعُولٍ مَخْصُوصٍ دَلَّتْ عَلَيْهِ قَرِينَةٌ أَوْلاَ ، الثَّانِي كَقَوْلِهِ تَعَالَى - قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَيَعْلَمُونَ - (السَّكَّاكِيُّ) ثُمَّ إِذَا كَانَ الْمَقَامُ خَطَابِيًّا لاَ اسْتِدْلاَلِيًّا أَفَادَ ذَلِكَ مَعَ التَّعْمِيمِ دَفْعًا لِلتَّحَكُّمِ ،

أى عن ذلك الفعل حال كونه [متعلقا بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة أولا] يجعل كذلك [الثانى كقوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون (١)] أى لا يستوى من يوجد له حقيقة العلم ومن لا يوجد ، وإنما قدم الثانى لأنه باعتبار كثرة وقوعه أشد اهتماما بحاله [السكاكى] ذَكَرَ في بحث إفادة اللام الاستغراق أنه إذا كان المقام خطابيا لا استدلاليا ، كقوله صلى الله عليه وسلم - « المؤمن غِرٌّ كريم والمنافق خَبٌّ لئيم » - حُمِلَ الْمُعَرَّفُ باللام مفردا كان أو جمعا على الاستغراق بعلّة إيهام أنّ القصد إلى فرد دون آخر مع تحقق الحقيقة فيهما ترجيح لأحد المتساويين على الآخر ، ثم ذكر فى بحث حذف المفعول أنه قد يكون للقصد إلى نفس الفعل بتنزيل المتعدى منزلة اللازم ذهابا فى نحو - فلان يعطى - إلى معنى يفعل الاعطاء ويوجد هذه الحقيقة إيهاما للمبالغة بالطريق المذكور فى إفادة اللام الاستغراق ، فجعل المصنف قوله - بالطريق المذكور - إشارة الى قوله - ثم إذا كان المقام خطابيا لا استدلاليا حمل المعرف باللام على الاستغراق - وإليه أشار بقوله [ثم] أى بعد كَوْنِ الغرض ثُبُوتَ أصل الفعل وتنزيله منزلة اللازم من غير اعتبار كونه كناية [إذا كان المقام خطابيا] يكتفى فيه بمجرد الظن [لااستدلاليا] يطلب فيه اليقين البرهانى [أفاد] المقام أو الفعل [ذلك] أى كون الغرض ثبوته لفاعله أو نفيه عنه مطلقا [مع التعميم] فى أفراد الفعل [دفعا للتحكم] اللازم من حمله على فرد دون آخر ، وتحقيقه أن معنى يعطى

الادعائى (١) أصل هذا - الذين يعلمون الدين والذين لايعلمونه - فحذف المفعول ونزل الفعل منزلة اللازم مبالغة فى الذم ، وإشارة إلى أن الجاهلين بالدين لا علم عندهم أصلا .

وَالأَوَّلُ كَقَوْلِ البُحْتُرِيّ فِى المُعْتَزّ بِاللهِ .

شَجْوُ حُسَّادِهِ وَغَيْظُ عِدَاهُ   أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعَ وَاعٍ

أَىْ أَنْ يَكُونَ ذُو رُؤْيَةٍ وَذُو سَمْعٍ فَيُدْرِكَ مَحَاسِنَهُ وَأَخْبَارَهُ الظَّاهِرَةَ الدَّالَّةَ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ الامَامَةَ دُونَ غَيْرِهِ فَلَا يَجِدُوا إِلَى مُنَازَعَتِهِ سَبِيلاً ،

حينئذ بفعل الاعطاء ، فالاعطاء المعرف بلام الحقيقة يحمل فى المقام الخطابي على استغراق الاعطاآت وشمولها مبالغة لئلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر ، لايقال إفادة التعميم في أفراد الفعل تنافى كون الغرض الثبوت أو النفى عنه مطلقا ، أي من غير اعتبار عموم ولا خصوص ، لأنا نقول لانسلم ذلك فان عدم كون الشيء معتبرا فى الغرض لا يستلزم عدم كونه مُفَادًا من الكلام ، فالتعميم مفاد غير مقصود ، (١) ولبعضهم فى هذا المقام تخيلات فاسدة لا طائل تحتها ، فلم نتعرض لها .

[والأول] وهو أن يجعل الفعل مطلقا كناية عنه متعلقا بمفعول مخصوص [كقول البحترى فى المعتز بالله] تعريضا بالمستعين بالله :

شجو حساده وغيظ عداه   أن يرى مبصر ويسمع واع

[أى أن يكون ذو رؤية وذو سمع فيدرك] بالبصر [محاسنه و] بالسمع [أخباره الظاهرة الدالة على استحقاقه الامامة دون غيره فلا يجدوا] نَصْبٌ عَطْفٌ على ـ يدرك ـ أى فلا يجد أعداؤه وحساده الذين يتمنون الامامة [إلى منازعته] الامامة [سبيلا] فالحاصل أنه نَزَّلَ ـ يرى ويسمع ـ منزلة اللازم ، أى من يصدر عنه السماع والرؤية

---

(١) رد هذا بأن ما يستفاد من التركيب بلا قصد ليس من البلاغة فى شيء ، إذ البلغاء لا يعولون فى الافادة إلا على ما يقصدونه ، فالأولى فى الجواب أن يقال إن الغرض من نفس الفعل الثبوت أو النفى مطلقا ، وأما التعميم فى أفراد الفعل فمستفاد بمعونة المقام الخطابى .

وَإِلَّا وَجَبَ التَّقْدِيرُ بِحَسَبِ القَرَائِنِ .

ثُمَّ الحَذْفُ إِمَّا لِلْبَيَانِ بَعْدَ الإِبْهَامِ كَمَا فِي فِعْلِ المَشِيئَةِ مَالَمْ يَكُنْ تَعَلُّقُهُ بِهِ غَرِيباً نَحْوُ ـ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ـ

من غير تعلق بمفعول مخصوص، ثم جعلهما كنايتين عن الرؤية والسماع المتعلقين بمفعول مخصوص هو محاسنه وأخباره بادعاء الملازمة بين مطلق الرؤية ورؤية آثاره ومحاسنه ، وكذا بين مطلق السماع وسماع أخباره ، للدلالة على أن آثاره وأخباره بلغت من الكثرة والاشتهار إلى حيث يمتنع خفاؤها ، فأبصرها كل رَاء وسمعها كل وَاعٍ ، بل لا يبصر الرائي إلا تلك الآثار ، ولا يسمع الواعي إلا تلك الأخبار ، فذكر الملزوم وأراد اللازم على ماهو طريق الكناية ، ففي ترك المفعول والاعراض عنه إشعار بأن فضائله قد بلغت من الظهور والكثرة إلي حيث يكفى فيها مجرد أن يكون ذو سمع وذو بصر حتى يعلم أنه المتفرد بالفضائل ، ولا يخفي أنه يفوت هذا المعني عند ذكر المفعول أو تقديره .

[وإلا] أى وإن لم يكن الغرض عند عدم ذكر المفعول مع الفعل المتعدى المسند إلى فاعله إثباته لفاعله أو نفيه عنه مطلقا ، بل قُصِدَ تعلقه بمفعول غير مذكور [وجب التقدير بحسب القرائن] الدالة على تعيين المفعول ، إِنْ عَامًّا فَعَامٌّ وَإِنْ خاصًّا فَخَاصٌّ ، ولما وجب تقدير المفعول تعين أنه مراد فى المعنى ومحذوف من اللفظ لغرض ، فأشار إلى تفصيل الغرض بقوله [ثم الحذف إما للبيان بعد الابهام كما فى فعل المشيئة] والارادة ونحوهما إذا وقع شرطا (١) فان الجواب يدل عليه ويبينه ، لكنه إنما يحذف [مالم يكن تعلقه به] أى تعلق فعل المشيئة بالمفعول [غريبا نحو ـ فلو شاء لهداكم أجمعين] أى لو شاء الله هدايتكم لهداكم أجمعين ، فانه لما قيل ـ لو شاء ـ علم السامع أن

---

(١) مثل الشرط غيره ، نحو ـ بمشيئة الله تهتدون ـ أى بمشيئته هدايتكم تهتدون .

بِخِلافِ نَحْوِ :

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ

وَأَمَّا قَوْلُهُ :

وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي الشَّوْقُ غَيْرَ تَفَكُّرِي　　فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي بَكَيْتُ تَفَكُّرَا

فَلَيْسَ مِنْهُ لِأَنَّ المُرَادَ بِالأَوَّلِ البُكَاءُ الحَقِيقِيُّ .

هناك شيئا علقت المشيئة عليه لكنه مبهم عنده ، فاذا جيء بجواب الشرط صار مبينا له ، وهذا أوقع فى النفس [بخلاف] ما إذا كان تعلق فعل المشيئة به غريبا ، فانه لا يحذف حينئذ ، كما فى [نحو] قوله :

[ولو شئت أن أبكى دما لبكيته]　　عليه ولكن ساحة الصبر أوسع (١)

فان تعلق فعل المشيئة ببكاء الدم غريب ، فذكره ليتقرر فى نفس السامع ويأنس به [وأما قوله :

ولم يبق منى الشوق غير تفكري　　فلو شئت أن أبكى بكيت تفكرا (٢)

فليس منه] أي مما ترك فيه حذف مفعول المشيئة بناء على غرابة تعلقها به (٣) على ما ذهب اليه صدر الأفاضل فى ضِرَامِ السِّقْط ، من أن المراد - لو شئت أن أبكى تفكرا بكيت تفكرا - فلم يحذف منه مفعول المشيئة ولم يقل - لو شئت بكيت تفكرا - لأن تعلق المشيئة ببكاء التفكر غريب كتعلقها ببكاء الدم ، وإنما لم يكن من هذا القَبِيلِ [لأن المراد بالأول البكاء الحقيقي] لا البكاء التفكرى ، لأنه أراد أن يقول :

---

(١) هو لاسحاق بن حسان الخزيمى من شعراء الدولة العباسية ، والمراد أن ساحة الصبر أوسع من ساحة البكاء (٢) هو لأبى الحسن على بن أحمد الجوهري من شعراء الدولة العباسية (٣) بل ليس من الحذف مطلقا ، لأن المفعول فيه مذكور وهو أن أبكى .

وَإمَّا لِدَفْعِ تَوَهُّمِ إرَادَةِ غَيْرِ المُرَادِ ابْتِدَاءً كَقَوْلِهِ :

وَكَمْ ذُدْتَ عَنِّي مِنْ تَحَامُلِ حَادِثٍ ... وَسَوْرَةِ أيَّامٍ حَزَزْنَ إلَى العَظْمِ

أفنانى النُّحول فلم يبق منى غير خواطر تجول فىَّ ، حتى لو شئت البكاء فَمَرَيْتُ جفونى وعصرت عينى ليسيل منها دمع لم أجده وخرج منها بدل الدمع التفكر ، فالبكاء الذى أراد إيقاع المشيئة عليه بكاء مطلق مبهم غير مُعَدًّى إلى التفكر ألْبَتَّةَ ، والبكاء الثانى مُقَيَّدٌ مُعَدًّى إلى التفكر ، فلا يصلح أن يكون تفسيرا للأول وبيانا له (١) كما إذا قلت ـ لو شئتَ أن تُعْطِيَ درهما أعطيتَ درهمين ـ كذا فى دلائل الاعجاز ، ومما نشأ فى هذا المقام من سوء الفهم وقلة التدبر ما قيل إن الكلام فى مفعول ـ ابكى ـ والمراد أن البيت ليس من قَبِيلِ ماحذف فيه المفعول للبيان بعد الابهام ، بل إنما حذف لغرض آخر ، وقيل (٢) يحتمل أن يكون المعنى ـ لو شئت أن أبكى تفكرا بكيت تفكرا ـ أى لم يبق فىَّ مادة الدمع ، فصرت بحيث أقدر على بكاء التفكر ، فيكون من قبيل ما ذكر فيه مفعول المشيئة لغرابته ، وفيه نظر لأن ترتب هذا الكلام على قوله ـ لم يبق منى الشوق غير تفكرى ـ يأبى هذا المعنى عند التأمل الصادق ، لأن القدرة على بكاء التفكر لا تتوقف على ألا يبقى فيه غير التفكر ، فافهم .

[وإما لدفع توهم إرادة غير المراد] عَطْفٌ على ـ إما للبيان [ابتداء] مُتَعَلِّقٌ بتوهم [كقوله : وكم ذدت] أى دفعت [عنى من تحامل حادث] يقال ـ تَحَامَلَ فلانٌ علىَّ ـ إذا لم يعدل ، وكم خبرية مميزها قوله ـ من تحامل ـ قالوا وإذا فصل بين كم الخبرية ومميزها بفعل متعد وجب الاتيان بمن لئلا يلتبس بالمفعول ، ومَحَلُّ كم النَّصْبُ على أنها مفعول ـ ذدت ـ وقيل المميز محذوف ـ أى كم مرة ـ ومن فى ـ من تحامل ـ زائدة ،

(١) ولهذا ذكر مفعول المشيئة هنا مع عدم غرابته (٢) هذا هو قول صدر الأفاضل ، وإنما أعاده ليبين وجه فساده .

إِذْ لَوْ ذَكَرَ اللَّحْمَ لَرُبَّمَا تُوُهِّمَ قَبْلَ ذِكْرِ مَا بَعْدَهُ أَنَّ الحَزَّ لَمْ يَنْتَهِ إِلَى الْعَظْمِ .

وَإِمَّا لِأَنَّهُ أُرِيدَ ذِكْرُهُ ثَانِياً عَلَى وَجْهٍ يَتَضَمَّنُ إِيقَاعَ الْفِعْلِ عَلَى صَرِيحِ لَفْظِهِ إِظْهَارًا لِكَمَالِ الْعِنَايَةِ بِوُقُوعِهِ عَلَيْهِ ، كَقَوْلِهِ :

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِى السُّو — دَدِ وَالْمَجْـــدِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلَا

وفيه نظر للاستغناء عن هذا الحذف والزيادة بما ذكرناه [وسورة أياء] أى شدتها وصولتها [حززن] أى قطعن اللحم [إلى العظم (١)] فحذف المفعول ، أعنى اللحم [إذ لو ذكر اللحم لربما توهم قبل ذكر ما بعده] أى ما بعد اللحم ، يعنى إلى العظم [أن الحز لم ينته إلى العظم] وإنما كان فى بعض اللحم ، فحذف دفعا لهذا التوهم [وإما لأنه أريد ذكره] أى ذكر المفعول [ثانيا على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه] لا على الضمير العائد اليه [إظهارا لكمال العناية بوقوعه] أي الفعل [عليه] أى على المفعول ، حتى كأنه لا يرضى أن يوقعه على ضميره وإن كان كناية عنه [كقوله :

قد طلبنا فلم نجد لك فى السو — دد والمجد والمكارم مثلا] (٢)

أى قد طلبنا لك مثلا ، فحذف ـ مثلا ـ إذا لو ذكره لكان المناسب فلم نجده

---

(١) البيت للبحترى فى مدح أبى الصقر من قصيدة مطلعها :

أعن سَفَهٍ يوم الأُبيْرِق أم حلمِ — وقوفٌ بربع أو بكاءٌ على رَسْمِ

(٢) هو للبحترى فى مدح المعتز من قصيدة مطلعها :

إنَّ سير الْخَلِيطِ حين استقلَّا — كان عَوْنًا للدمع لَمَّا استهَلَّا

تطبيقات على حذف المفعول :

(١) فلو أنَّ قومى أنطقتني رماحهم — نطقتُ ولكنَّ الرماحَ أجرَّتِ

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ تَرْكَ مُوَاجَهَةِ المَمْدُوحِ بِطَلَبِ مِثْلٍ لَهُ ، وَإِمَّا لِلتَّعْمِيمِ مَعَ الاخْتِصَارِ كَقَوْلِكَ - قَدْ كَانَ مِنْكَ مَا يُؤْلِمُ - أَىْ كُلَّ أَحَدٍ ، وَعَلَيْهِ - وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ -

---

فيفوت الغرض ، أعنى إيقاع عدم الوجدان على صريح لفظ المثل [ويجوز أن يكون السبب] فى حذف مفعول - طلبنا - [ترك مواجهة الممدوح بطلب مثل له] قصدا إلى المبالغة فى التأدب معه ، حتى كأنه لايَجُوزُ وجود المثل له ليطلبه ، فان العاقل لايطلب إلا ما يَجُوز وجوده .

- [وإما للتعميم] فى المفعول [مع الاختصار ، كقولك - قد كان منك ما يؤلم - أى كل أحد] بقرينة أن المقام مقام المبالغة ، وهذا التعميم وإن أمكن أن يستفاد من ذكر المفعول بصيغة العموم ، لكن يفوت الاختصار حينئذ [وعليه] أى وعلى حذف المفعول للتعميم مع الاختصار ورد قوله تعالى [والله يدعو إلى دار السلام] أى جميع عباده ، فالمثال الأول يفيد العموم مبالغة ، والثانى تحقيقا .

---

(٢) لو شئتَ لم تُفْسِدْ سماحة حاتم كرماً ولم تهدم مآثر خالد

(٣) قوله تعالى - (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) .

حذف المفعول فى الأول - والأصل (أجرتنى) لأنه نزله منزلة اللازم ليثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس الألسن عن مدحهم ، حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه ، وهو أنها أجرته - وحذفه فى الثانى - والأصل (لو شئت عدم الافساد) لارادة البيان بعد الابهام - وحذفه فى الثالث - والأصل (يسقون غنمهم أو نحوه) للاختصار أو لأن المراد إثبات الفعل فى نفسه .

أمثلة أخرى :

(١) بَرِّدْ حَشَاىَ إن استطعتَ بلفظه فلقد تَضُرُّ إذا تشاء وتنفعُ

وَإِمَّا لِمُجَرَّدِ الاخْتِصارِ عِنْدَ قِيامِ قَرِينَةٍ ، نَحْوُ ـ أَصْغَيْتُ إِلَيْهِ ـ أَيْ أُذُنِي ، وَعَلَيْهِ ـ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ـ أَيْ ذَاتَكَ ، وَإِمَّا لِلرِّعَايَةِ عَلَى الفاصِلَةِ ، نَحْوُ ـ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ـ وَإِمَّا لِاسْتِهْجَانِ ذِكْرِهِ ، كَقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ مَا رَأَيْتُ مِنْهُ وَلَا رَأَى مِنِّي ـ أَيِ العَوْرَةَ .

[وإما لمجرد الاختصار] من غير ان يعتبر معه فائدة أخرى من التعميم وغيره ، وفى بعض النسخ [عند قيام قرينة] وهو تذكرة لما سبق ولا حاجة اليه ، وما يقال من أن المراد عند قيام قرينة دالة على أن الحذف لمجرد الاختصار ليس بسديد ، لأن هذا المعنى معلوم ، ومع هـذا جار فى سائر الأقسام ، فلا وجه لتخصيصه بمجرد الاختصار [نحو ـ أصغيت اليه ـ أى أذنى ، وعليه] أي على الحذف لمجرد الاختصار [قوله تعالى ـ رب أرنى أنظر اليك ـ أى ذاتك] وههنا بحث وهو أن الحذف للتعميم مع الاختصار إن لم يكن فيه قرينة دالة على أن المقدر عام فلا تعميم أصلا ، وإن كانت فالتعميم مستفاد من عموم المقدر سواء حُذِفَ أو لم يحذف ، فالحذف لايكون إلا لمجرد الاختصار .

[وإما للرعاية على الفاصلة نحو] قوله تعالى (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) [ما ودعك ربك وما قلى] أى وماقلاك ، وحصول الاختصار أيضا ظاهر .

[وإما لاستهجان ذكره] أى ذكر المفعول [كقول عائشة رضى الله عنها ـ ما رأيت منه] أى من النبي عليه السلام [ولا رأي منى ، أى العورة] ، وإما لنكتة أخرى كاخفائه ، أو التمكن من إنكاره إن مست اليه حاجة ، أو تعينه حقيقة أو

---

(٢) وإذا المنيـة أنشبَتْ أظفارها ... أَلفيْتَ كل تميمَـة لا تنفعُ

(٣) لولا المَشَقَّةُ ساد النـاسُ كلهُمُ ... الجود يُفقِرُ والاقـدامُ قَتَّـالُ

وَتَقْدِيمُ مَفْعُولِهِ وَنَحْوِهِ عَلَيْهِ لِرَدِّ الْخَطَأِ فِى التَّعْيِينِ ، كَقَوْلِكَ ـ زَيْدًا عَرَفْتُ ـ لِمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّكَ عَرَفْتَ إِنْسَانًا وَأَنَّهُ غَيْرُ زَيْدٍ ، وَتَقُولُ لِتَأْكِيدِهِ ـ لَا غَيْرَهُ ـ وَلِذٰلِكَ لَا يُقَالُ ـ مَا زَيْدًا ضَرَبْتُ وَلَا غَيْرَهُ ، وَلَا مَا زَيْدًا ضَرَبْتُ وَلٰكِنْ أَكْرَمْتُهُ ـ

ادعاء ونحو ذلك .

تقديم المفعول ونحوه

[وتقديم مفعوله] أى مفعول الفعل [ونحوه] أى نحو المفعول من الجار والمجرور والظرف والحال وما أشبه ذلك [عليه] أى على الفعل [لرد الخطأ فى التعيين كقولك ـ زيدا عرفت ـ لمن اعتقد أنك عرفت إنسانا] وأصاب فى ذلك [و]اعتقد [أنه غير زيد] وأخطأ فيه [وتقول لتأكيده] أى تأكيد هذا الرد ـ زيدا عرفت [لا غيره] وقد يكون أيضا لرد الخطأ فى الاشتراك ، كقولك ـ زيدا عرفت ـ لمن اعتقد أنك عرفت زيدا وعمرا ، وتقول لتأكيده ـ زيدا عرفت وحده ـ وكذا فى نحو ـ زيدا أكرمْ ، وعمرا لا تُكرمْ ـ أمراً ونهيا ، فكان الأحسن أن يقول لافادة الاختصاص (١) [ولذلك] أى ولأن التقديم لرد الخطأ فى تعيين المفعول مع الاصابة فى اعتقاد وقوع الفعل على مَفْعُول ما [لا يقال ـ مازيدا ضربت ولاغيره] لأن التقديم يدل على وقوع الضرب على غير زيد تحقيقا لمعنى الاختصاص ، وقولك ـ ولا غيره ـ ينفي ذلك ، فيكون مفهوم التقديم مناقضا لمنطوق ـ لا غيره ـ نعم لو كان التقديم لغرض آخر غير التخصيص جاز ـ ما زيدا ضربت ولاغيره ، وكذا ـ زيدا ضربت وغيره [ولاما زيدا ضربت ولكن أكرمته] لأن مبنى الكلام ليس على أن الخطأ واقع فى الفعل بأنه الضرب حتى ترده إلى الصواب بأنه الاكرام ، وإنما الخطأ فى تعيين المضروب ،

---

(١) وهذا ليشمل القصر بأنواعه الثلاثة ـ الافراد والقلب والتعيين .

وَأَمَّا نَحْوُ - زَيْدًا عَرَفْتُهُ - فَتَأْكِيدٌ إِنْ قُدِّرَ الْمُفَسِّرُ قَبْلَ الْمَنْصُوبِ وَإِلَّا فَتَخْصِيصٌ ،

وَأَمَّا نَحْوُ - وَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ - فَلَا يُفِيدُ إِلَّا التَّخْصِيصَ ، وَكَذَلِكَ

فالصواب ولكن عمرا [وأما نحو - زيدا عرفته - فتأكيد إن قدر] الفعل المحذوف [المفسر] بالفعل المذكور [قبل المنصوب] أى عرفت زيدا عرفته [وإلا] أى وإن لم يقدر المفسر قبل المنصوب بل بعده [فتخصيص] أى - زيدا عرفت عرفته - لأن المحذوف المقدر كالمذكور ، فالتقديم عليه كالتقديم على المذكور فى إفادة الاختصاص ، كما فى بسم الله ، فنحو - زيدا عرفته - محتمل للمعنيين - التخصيص والتأكيد - فالرجوع فى التعيين إلى القرائن ، وعند قيام القرينة على أنه للتخصيص يكون أوكد من قولنا - زيدا عرفت - لما فيه من التكرار ، وفى بعض النسخ [وأما نحو - وأما ثمود فهديناهم - فلا يفيد إلا التخصيص] لامتناع أن يقدر الفعل مقدما ، نحو - أما فهدينا ثمود - لالتزامهم وجود فاصل بين أما والفاء ، بل التقدير - أما ثمود فهدينا فهديناهم - بتقديم المفعول ، وفى كون هذا التقديم للتخصيص نظر ، لأنه يكون مع الجهل بثبوت أصل الفعل (١) كما إذا جاءك زيد وعمرو ثم سألك سائل ما فعلت بهما ، فتقول - أما زيدا فضربته ، وأما عمرا فأكرمته - فتأمل [وكذلك] أى ومثل - زيدا عرفت - فى إفادة

---

(١) ولأن التقديم إنما يفيد التخصيص إذا لم يكن لاصلاح التركيب كما هنا ، على أنه لا يصح إرادة التخصيص فى ذلك ، لأنه يوجد من يشارك ثمود فيه .

تطبيقات على تقديم المفعول ونحوه :

(١) بكَ اقتدت الأيام فى حسناتها	وشيمتُهَا لوك هَمٌّ وتَكْرِيبُ
(٢) صَهْوَةَ الْجَوِّ اعْتَلَوْا تحسبهم	جَمْعَ أفلاكٍ على الخيلِ تَسَامَى
(٣) أبعدَ المشيبِ المُنْقَضِى فى الذوائب	تحاول وَصْلَ الغانياتِ الكواعب

قدم الجار والمجرور فى الأول لافادة التخصيص ، وقدم المفعول فى الثانى لافادة الاهتمام ، وقدم الظرف فى الثالث لكونه محط الانكار بالاستفهام .

قَوْلَكَ ـ بِزَيْدٍ مَرَرْتُ ـ

وَالتَّخْصِيصُ لَازِمٌ لِلتَّقْدِيمِ غَالِبًا ، وَلِهَذَا يُقَالُ فِي ـ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ـ مَعْنَاهُ نَخُصُّكَ بِالْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ ، وَفِي ـ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ ـ

الاختصاص [قولك ـ بزيد مررت] فى المفعول بواسطة ، لمن اعتقد أنك مررت بانسان وأنه غير زيد ، وكذلك ـ يَوْمَ الجمعة سرت ، وفى المسجد صليت ، وتأديباً ضربته ، وماشياً حججت .

[والتخصيص لازم للتقديم غالبا] أي لا ينفك عن تقديم المفعول ونحوه فى أكثر الصور بشهادة الاستقراء وحكم الذوق ، وإنما قال غالبا لأن اللزوم الكلى غير متحقق ، إذ التقديم قد يكون لأغراض أخر كمجرد الاهتمام ، والتبرك ، والاستلذاذ ، وموافقة كلام السامع ، وضرورة الشعر ، ورعاية السجع والفاصلة ، ونحو ذلك ، قال الله تعالى (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ) وقال (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ) وقال (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) وقال (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) إلى غير ذلك مما لا يحسن فيه اعتبار التخصيص عند من له معرفة بأساليب الكلام [ولهذا] اى ولأن التخصيص لازم للتقديم غالبا [يقال فى ـ إياك نعبد وإياك نستعين ـ معناه نخصك بالعبادة والاستعانة] بمعنى نجعلك من بين الموجودات مخصوصا بذلك ، لا نعبد ولا نستعين غيرك [وفى ـ لالى الله تحشرون ـ

أمثلة أخرى :

(١) قوله تعالى ـ (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) .

(٢) على الأخلاق خُطُّوا الْمُلْكَ وَابْنُوا ... فليس وراءها للعز رُكْنُ

(٣) إذا شئتَ يومًا أن تسود عشيرةً ... فبالحلم سُدْ لَا بالتَّسَرُّعِ والشَّتْمِ

مَعْنَاهُ الَيْهِ تُحْشَرُونَ لاَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَيُفِيدُ فِى الْجَمِيعِ وَرَاءَ التَّخْصِيصِ اهْتِمَاماً بِالْمُقَدَّمِ ، وَلِهَذَا يُقَدَّرُ فِى ـ بِسْمِ اللهِ ـ مُؤَخَّرًا ، وَأُورِدَ ـ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ـ وَأُجِيبَ بِأَنَّ الأَهَمَّ فِيهِ الْقِرَاءَةُ ، وَبِأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِاقْرَأْ الثَّانِى ، وَمَعْنَى الأَوَّلِ أَوْجِدِ الْقِرَاءَةَ .

وَتَقْدِيمُ بَعْضِ مَعْمُولاَتِهِ عَلَى بَعْضٍ لأَنَّ أَصْلَهُ التَّقْدِيمُ وَلاَ مُقْتَضَى لِلْعُدُولِ عَنْهُ ، كَالْفَاعِلِ فِى نَحْوِ ـ ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا ـ

معناه اليه تحشرون لاإلى غيره ، ويفيد] التقديم [فى الجميع] أى جميع صور التخصيص [وراء التخصيص] أي بَعْدَهُ [اهتماما بالمقدم] لأنهم يقدمون الذى شأنه أهم ، وهم ببيانه أعْنَى [ولهـذا يقدر] المحذوف [فى ـ بسم الله ـ مؤخرا] أى ـ بسم الله أفعل كذا ـ ليفيد مع الاختصاص الاهتمام ، لأن المشركين كانوا يبدءون بأسماء آلهتهم ، فيقولون ـ باسم اللاَّت ، باسم الْعزي ـ فَقَصَدَ الْمُوحِّدُ تخصيص اسم الله بالابتداء للاهتمام والرد عليهم [وأورد ـ اقرأ باسم ربك] يعنى لو كان التقديم مفيــداً للاختصاص والاهتمام لوجب أن يؤخر الفعل ويقـدم ـ باسم ربك ـ لأن كلام الله تعـالى أحق برعاية ما تجب رعايتـه [وأجيب بأن الأهم فيـه القراءة] لأنها أول سورة نزلت ، فكان الأمر بالقراءة أهم باعتبار هـذا العارض ، وإن كان ذكر الله أهم فى نفسه ، هذا جواب جار الله العلامة فى الكشاف [وبأنه] أى ـ باسم ربك [متعلق باقرأ الثاني] أي هو مفعول اقرأ الذي بعده [ومعنى] اقرأ [الأول أوجد القراءة] من غير اعتبار تعديته إلى مقروء به ، كما فى ـ فلان يعطى ويمنع ـ كذا فى المفتاح .

تقديم بعض المعمولات على بعض

[وتقديم بعض معمولاته] أى معمولات الفعل [على بعض لأن أصله] أى أصل ذلك البعض [التقديم] على البعض الآخر [ولا مقتضى للعدول عنه] أى عن الأصل [كالفاعل فى نحو ـ ضرب زيد عمرا] لأنه عمدة فى الكلام وحقه أن يلى الفعل ، وإنما

وَالْمَفْعُولِ الْأَوَّلِ فِى نَحْوِ ـ أَعْطَيْتُ زَيْدًا دِرْهَمًا ـ أَوْ لِأَنَّ ذِكْرَهُ أَهَمُّ ، كَقَوْلِكَ ـ قَتَلَ الْخَارِجِىَّ فُلَانٌ ـ أَوْ لِأَنَّ فِى التَّأْخِيرِ إِخْلَالًا بِبَيَانِ الْمَعْنَى ، نَحْوُ ـ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ـ فَإِنَّهُ لَوْ أُخِّرَ ـ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ـ عَنْ قَوْلِهِ ـ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ـ لَتُوُهِّمَ أَنَّهُ مِنْ صِلَةِ ـ يَكْتُمُ ـ فَلَا يُفْهَمُ أَنَّهُ

قال فى نحو ـ ضرب زيد عمرا ـ لأن فى نحو ضرب زيدًا غلامُهُ ـ مقتضيا للعدول عن الأصل (١) [والمفعول الأول فى نحو ـ أعطيت زيدا درهما] فان أصله التقديم لما فيه من معنى الفاعلية ، وهو أنه عاطٍ أى آخذٌ للعطاء [أو لأن ذكره] أى ذكر ذلك البعض الذى يقدم [أهم] جعل الْأَهَمِّيَّةَ ههنا قَسِيماً لِكَوْنِ الأصل التقديم وجعلها فى المسند اليه شاملا له ولغيره من الأمور المقتضية للتقديم وهو الموافق لما فى المفتاح ، ولما ذكره الشيخ عبد القاهر حيث قال : إنا لم نجدهم اعتمدوا فى التقديم شيئا يجرى مجرى الأصل غير العناية والاهتمام ، لكن ينبغى أن يفسر وجه العناية بشىء يعرف له معنى ، وقد ظن كثير من الناس أنه يكفى أن يقال قدم للعناية ولكونه أهم من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية وبم كان أهم ـ فمراد المصنف بالأهمية ههنا (٢) الأهمية العارضة بحسب اعتناء المتكلم أو السامع بشأنه والاهتمام بحاله لغرض من الأغراض [كقولك قتل الخارجى فلان] لأن الأهم فى تَعَلُّقِ القتل هو الخارجى المقتول ، ليتخلص الناس من شره [أو لأن فى التأخير إخلالا ببيان المعنى ، نحو قوله تعالى ـ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ـ فانه لو أخر] قوله [من آل فرعون عن قوله] ـ يكتم إيمانه [لتوهم أنه من صلة يكتم] أي ـ يكتم إيمانه من آل فرعون [فلم يفهم أنه] أى ذلك

---

(١) لأنه لو قدم الفاعل لزم عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة .

(٢) ومراده بها فى المسند اليه الأهمية فى نفس الأمر الشاملة لكون الأصل التقديم ولغيره من الأمور المقتضية له ، فلا اضطراب مع هذا فى كلامه هنا وهناك .

مِنْهُمْ،أَو بِالتَّناسُبِ كَرِعايَةِ الْفاصِلَةِ ، نَحْوُ ـ فَأَوْجَسَ فى نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى .

الرجل كان [منهم] أى من آل فرعون ، والحاصل أنه ذكر لرجل ثلاثة أوصاف ، قدم الأول أعنى ـ مؤمن ـ لكونه أشرف ، ثم الثانى لئلا يُتَوَهَّمَ خلافُ المقصود (١) [أو] لأن فى التأخير إخلالا [بالتناسب كرعاية الفاصلة نحو ـ فأوجس فى نفسه خيفة موسى] بتقديم الجار والمجرور والمفعول على الفاعل لأن فواصل الآى على الألف .

(١) ولأن الأصل تقديم الوصف بالجار والمجرور على الوصف بالجملة .

تطبيقات على تقديم بعض المعمولات على بعض :

(١) قوله تعالى ـ (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) .

(٢) قوله تعالى ـ (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) .

(٣) أفى الحقِّ أن يُعْطَى ثلاثون شاعرًا ويُحْرَمَ مادون الرِّضَا شاعر مِثْلِى

قدم المخاطبين فى الآية الأولى ـ نرزقكم وإياهم ـ لأن الخطاب فيها للفقراء بدليل قوله (من إملاق) ورزقهم عندهم أهم من رزق أولادهم ـ وعكس فى الآية الثانية لأن الخطاب فيها للأغنياء بدليل قوله (خشية إملاق) ورزق أولادهم هو المطلوب عندهم دون رزقهم ، لأنه حاصل لهم ـ وقدم المفعول الثانى فى البيت على نائب الفاعل لضرورة الشعر .

أمثلة أخرى :

(١) قوله تعالى ـ (قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى) .

(٢) ألقتْ مَقَالِيدَهَا الدنيا إلى رَجُلٍ ما زال وَقْفًا عَلَيْهِ الجودُ والكرمُ

(٣) ووسَّعَ صدرى للأذى الأُنْسُ بالأذى وإنْ كنتُ أحياناً يضيق به صدرى

القَصْرُ

حَقِيقِىٌّ وَغَيْرُ حَقِيقِىٍّ ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا نَوْعَانِ : قَصْرُ المَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ ، وَقَصْرُ الصِّفَةِ عَلَى المَوْصُوفِ ، وَالمُرَادُ بِالصِّفَةِ هٰهُنَا الصفةُ المَعْنَوِيَّةُ لَا النَّعْتُ ،

القصر

فى اللغـة الحبس ، وفي الاصطلاح تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص ، وهو [حقيقى وغير حقيقى] لأن تخصيص الشيء بالشيء إما أن يكون بحسب الحقيقة وفى نفس الأمر بألا يتجاوزه إلى غيره أصلا ـ وهو الحقيقى ، أو بحسب الاضافة إلى شيء آخر بألا يتجاوزه إلى ذلك الشيء وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر فى الجملة ـ وهو غير حقيقى بل إضافى ، كقولك ـ مازيد إلا قائم ـ بمعني أنه لايتجاوز القيام إلى القعود ، لا بمعني أنه لا يتجاوزه إلى صـفة أخرى أصلا ، وانقسامه إلى الحقيقى والاضافى بهذا المعنى لا ينافى كون التخصيص مطلقا من قبيل الاضافات (١) [وكل واحد منهما] أى من الحقيقى وغيره [نوعان : قصر الموصوف على الصفة] وهو ألاّ يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى ، لـكن يجوز أن تـكون تلك الصفة لموصوف آخر [وقصر الصفة على الموصوف] وهو ألاّ تتجاوز تلك الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر ، لـكن يجوز أن يكون لذلك الموصوف صفات أُخَرُ [والمراد بالصفة هنا الصفة المعنوية] أعني المعنى القائم بالغير [لا النعت] النحوى أعني التابع الذي يدل على معنى في متبوعه غير الشمول (٢) وبينهما عموم من وجه لتَصَادُقِهِمَا فى مثل ـ أعجبنى هـذا

---

(١) أى النسب التى يتوقف تعقلها على تعقل غيرها ، لتوقف تعقل القصر على تعقل المقصور والمقصور عليه (٢) هذا القيد لاخراج التوكيد بكل ونحوها .

والأوّلُ من الحقيقيِّ نحوُ ـ ما زيدٌ إلاّ كاتبٌ ـ إذا أُريدَ أنّه لا يتّصفُ بغيرِها ، وهوَ لا يكادُ يوجدُ لتعذُّرِ الاحاطة بصفات الشيء ، والثّاني كثيرٌ ، نحوُ ـ ما في الدّارِ إلاّ زيدٌ ـ وقدْ يقصدُ به المُبالغةُ لعدمِ الاعتداد بغيرِ المذْكورِ ،

العِلْمُ (١) وتفارُقهما في مثل ـ العِلْمُ حسن ، ومررت بهذا الرجل ـ وأما نحو قولك ـ ما زيد إلا أخوك ، وما الباب إلا ساج ، وما هذا إلا زيد ـ فمن قصر الموصوف على الصفة تقديرا ، إذ المعنى أنه مقصور على الاتصاف بكونه أخا أو ساجا أو زيدا .

[والأول] أى قصر الموصوف على الصفة [من الحقيق نحو ـ مازيد إلا كاتب ـ إذا أريد أنه لايتصف بغيرها] أى غير الكتابة من الصفات [وهو لايكاد يوجد لتعذر الاحاطة بصفات الشيء] حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها بالكلية ، بل هذا محال ، لأن للصفة المنفية نقيضا وهو من الصفات التى لا يمكن نفيها ضرورة امتناع ارتفاع النقيضين ، مثلا إذا قلنا ـ ما زيد إلا كاتب ـ وأردنا أنه لا يتصف بغيره لزم ألاَّ يتصف بالقيام ولا بنقيضه وهو محال (٢) .

[والثانى] أى قصر الصفة على الموصوف من الحقيق [كثير ، نحو ـ مافى الدار إلا زيد] على معنى أن الحصول فى الدار المعينة مقصور على زيد [وقد يقصد به] أى بالثانى [المبالغة لعدم الاعتداد بغير المذكور] كما يقصد بقولنا ـ مافى الدار إلا زيد ـ أن جميع من فى الدار ممن عدا زيدا فى حكم العدم ، فيكون قصرا حقيقيا ادعائيا ، وأما فى القصر الغير الحقيقى فلا يجعل فيه غير المذكور بمنزلة العدم ، بل يكون المراد أن

---

(١) فان العلم نعت لاسم الاشارة فى قول بعض النحويين ، وقد رد بأنه لايدل على معنى فى متبوعه لأنه نفسه فلا يكون نعتا (٢) وقد يوجد على سبيل الادعاء والمبالغة فى مقام المدح أو الذم ونحوهما ، كقوله تعالى (إنَّمَا الخمْرُ والمَيْسرُ والأنْصابُ والأزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) .

وَالأَوَّلُ مِنْ غَيْرِ الحَقِيقِيِّ تَخْصِيصُ أَمْرٍ بِصِفَةٍ دُونَ أُخْرَى أَوْ مَكَانَهَا ، وَالثَّانِي تَخْصِيصُ صِفَةٍ بِأَمْرٍ دُونَ آخَرَ أَوْ مَكَانَهُ ، فَكُلٌّ مِنْهُمَا ضَرْبَانِ ،

الحصول فى الدار مقصور على زيد ، بمعنى أنه ليس حاصلا لعمرو ، وإن كان حاصلا لبكر وخالد .

[والأول] أى قصر الموصوف على الصفة [من غير الحقيق تخصيص أمر بصفة دون] صفة [أخرى أو مكانها] أى تخصيص أمر بصفة مكان صفة أخرى [والثانى] أى قصر الصفة على الموصوف من غير الحقيق [تخصيص صفة بأمر دون] امر [آخر أو مكانه] وقوله ـ دون أخرى ـ معناه متجاوزا عن الصفة الأخرى ، فان الْمُخَاطَبَ اعتقد اشتراكه فى صفتين والمتكلم يخصصه باحداهما ويتجاوز عن الأخرى ، ومعنى ـ دون ـ فى الأصل أدنى مكان من الشىء ، يقال ـ هـذا دون ذاك ـ إذا كان أحطَّ منه قليلا ، ثم استعير للتَّفَاوُتِ فى الأحوال والرُّتَبِ ، ثم اتُّسِعَ فيـه فاستعمل فى كل تَجَاوُزِ حد إلى حد وَتَخَطِّي حكم إلى حكم ، ولقائل أن يقول إن أريد بقوله ـ دون أخرى ودون آخر ـ دون صفة واحدة أخرى ودون أمر واحد آخر فقد خرج عن ذلك ما إذا اعتقد المخاطب اشتراك مافوق الاثنين ، كقولنا ـ ما زيد إلا كاتب ـ لمن اعتقده كاتبا وشاعرا وَمُنَجِّمًا ، وقولنا ـ ما كاتب إلا زيد ـ لمن اعتقد الكاتب زيدا وعمرا وبكرا ، وإن أريد الأعم من الواحد وغيره فقد دخل فى هـذا التفسير القصر الحقيق (١) وكذا الكلام على ـ مكان أخرى ومكان آخر [فكل منهما] أي فَعُلِمَ من هذا الكلام ومن استعمال لفظة أو فيه أن كل واحد من قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف [ضربان] الأول التخصيص بشىء دون شىء ، والثاني

---

(١) قد أجيب عن ذلك باختيار الشق الثانى وأن المراد دون أخرى أو آخر على سبيل التعيين والتفصيل ، وهذا بخلاف الحقيق لأنه يُنْفَى فيه ذلك على الاطلاق .

وَالمُخَاطَبُ بِالأَوَّلِ مِنْ ضَرْبَيْ كُلٍّ مَنْ يَعْتَقِدُ الشَّرِكَةَ ، وَيُسَمَّى قَصْرَ إِفْرَادٍ لِقَطْعِ الشَّرِكَةِ ، وَبِالثَّانِي مَنْ يَعْتَقِدُ العَكْسَ وَيُسَمَّى قَصْرَ قَلْبٍ لِقَلْبِ حُكْمِ المُخَاطَبِ ، أَوْ تَسَاوَيَا عِنْدَهُ وَيُسَمَّى قَصْرَ تَعْيِينٍ ،

التخصيص بشيء مكان شيء [والمخاطب بالأول من ضربى كل] من قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف ، ويعنى بالأول التخصيص بشيء دون شيء [من يعتقد الشركة] أى شركة صفتين في موصوف واحد فى قصر الموصوف على الصفة ، وشركة موصوفين فى صفة واحدة فى قصر الصفة على الموصوف ، فالمخاطب بقولنا ـ ما زيد إلا كاتب ـ من يعتقد اتصافه بالشعر والكتابة ، وبقولنا ـ ما كاتب إلا زيد ـ من يعتقد اشتراك زيد وعمرو فى الكتابة [ويسمى] هذا القصر [قصر إفراد لقطع الشركة] التى اعتقدها المخاطب [و] المخاطب [بالثانى] أعنى التخصيص بشيء مكان شيء من ضربى كل من القصرين [من يعتقد العكس] أى عكس الحكم الذي أثبته المتكلم ، فالمخاطب بقولنا ـ ما زيد إلا قائم ـ من اعتقد اتصافه بالقعود دون القيام ، وبقولنا ـ ماشاعر إلا زيد ـ من اعتقد أن الشاعر عمرو لازيد [ويسمي] هذا القصر [قصر قلب لقلب حكم المخاطب ، أو تساويا عنده] عَطْفٌ على قوله ـ يعتقد العكس ـ على ما يفصح عنه لفظ الايضاح ، أى المخاطب بالثانى إما من يعتقد العكس وإما من تَسَاوَى عنده الأمران ، أعنى الاتصاف بالصفة المذكورة وغيرها في قصر الموصوف على الصفة ، واتصاف الأمر المذكور وغيره بالصفة فى قصر الصفة علي الموصوف ، حتى يكون المخاطب بقولنا ـ ما زيد إلا قائم ـ من يعتقد اتصافه بالقيام أو القعود من غير علم بالتعيين ، وبقولنا ـ ماشاعر إلا زيد ـ من يعتقد أن الشاعر زيد أو عمرو من غير أن يعلمه على التعيين [ويسمى] هذا القصر [قصر تعيين] لتعيينه ماهو غير مُعَيَّن عند المخاطب ، فالحاصل أن التخصيص بشيء دون شيء آخر قَصْرُ إفراد ، والتخصيص بشيء مكان شيء إن اعتقد المخاطب فيه العكس قَصْرُ قلب ، وإن تساويا عنده قَصْرُ

وَشَرْطُ قَصْرِ المَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ إِفْرَاداً عدَمُ تَنَافِى الوَصْفَيْنِ ، وَقَلْباً تَحَقُّقُ تَنَافِيهِمَا ،

تعيين ، وفيه نظر لأنا لو سلمنا أن في قصر التعيين تخصيص شيء بشيء مكان شيء آخر فلا يخفى أن فيه تخصيص شيء بشيء دون آخر ، فان قولنا ـ مازيد إلا قائم ـ لمن يردده بين القيام والقعود تخصيص له بالقيام دون القعود ، ولهذا جعل السكاكى التخصص بشيء دون شيء مشتركا بين قصر الافراد والقصر الذى سماه المصنف قصر تعيين ، وجعل التخصيص بشيء مكان شيء قصر قلب فقط [وشرط قصر الموصوف على الصفة إفرادا عدم تنافى الوصفين] ليصح اعتقاد المخاطب اجتماعهما فى الموصوف ، حتى تكون الصفة المنفية فى قولنا ـ ما زيد إلا شاعر ـ كَوْنَهُ كاتبا أو منجما لا كونه مُفْحَمًا اى غير شاعر ، لأن الافحام وهو وِجْدَانُ الرجل غير شاعر يُنَافِي الشاعريةَ (١) [و] شرط قصر الموصوف على الصفة [قلبا تحقق تنافيهما] أي تنافى الوصفين ، حتي يكون المنفى فى قولنا ـ ما زيد إلا قائم ـ كَوْنَهُ قاعدا أو مضطجعا أو نحو ذلك مما يُنَافِي القيام ، ولقد أحسن صاحب المفتاح فى إهمال هذا الاشتراط ، لأن قولنا ـ ما زيد إلا شاعر ـ لمن اعتقد أنه كاتب وليس بشاعر قصر قلب على ما صرح به فى المفتاح مع عدم تنافى الشعر والكتابة ، ومثل هذا خارج عن أقسام القصر على ماذكره المصنف ، لا يقال هذا شرط للحسن أو المراد التنافى في اعتقاد المخاطب ، لأنا نقول : أما الأول فلا دلالة للفظ عليه ، مع أنا لا نسلم عدم حسن قولنا ـ ما زيد إلا شاعر ـ لمن اعتقده كاتبا غير شاعر ، وأما الثانى فلأن التنافى بحسب اعتقاد المخاطب معلوم مما ذكره فى تفسيره أن قصر القلب هو الذى يعتقد فيه المخاطب العكس ، فيكون هذا الاشتراط ضائعا ، وأيضا لم يصح قول المصنف فى الايضاح : إن السكاكى لم يشترط فى قصر

---

(١) ونظير ذلك قصر الصفة على الموصوف ، فلا يتأتى قصر الافراد فى نحو ـ لا أَبَ لزيد إلا عَمْرٌو ـ لعدم الاشتراك فى الأُبُوَّةِ .

وَقَصْرُ التَّعْيِينِ أَعَمُّ .

القلب تنافى الوصفين ، وعلل المصنف رحمه الله اشتراط تنافى الوصفين بقوله : ليكون إثبات الصفة مشعراً بانتفاء غيرها ، وفيه نظر بيِّن فى الشرح (١) [وقصر التعيين أعم] من أن يكون الوصفان فيه متنافيين أوْ لاَ ، فكل مثال يصلح لقصر الافراد والقلب يصلح لقصر التعيين من غير عكس .

(١) ووجه النظر أنه يجوز أن يعلم انتفاء ذلك بقرينة من القرائن ، لا بذلك التنافى بين الوصفين .

تطبيقات على أقسام القصر :

(١) ليس عَارٌ بأن يقال فقيرٌ — إنما العَارُ أن يقال بخيلُ

(٢) فانْ كان فى لبْس الفتى شَرَفٌ له — فما السيفُ إلاَّ غِمْدُهُ والْحَمائلُ

(٣) وإنما الأُمَمُ الأَخلاقُ ما بَقِيَتْ — فانْ هُمُ ذهبتْ أخلاقهمْ ذهَبُوا

القصر فى الأول إضافى من قصر الموصوف على الصفة قصر قلب ، وفى الثانى إضافى من قصر الموصوف على الصفة قصر تعيين ، وفى الثالث حقيقى ادعائى من قصر الموصوف على الصفة .

أمثلة أخرى :

(١) قوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمالُ بالنيَّات ، وإنما لكل امرىء مانَوَى » .

(٢) واللهِ مابلغتْ بنوالغرب الْمُنَى — إلاَّ بِنيَّاتٍ هناك صِحَاحِ

(٣) إنما تحسن الرِّياضُ إذا — ضحكتْ فى خِلاَلِهَا الأَنْوَارُ

وَلِلْقَصْرِ طُرُقٌ - مِنْهَا الْعَطْفُ - كَقَوْلِكَ فِى قَصْرِهِ إِفْرَادًا - زَيْدٌ شَاعِرٌ لَا كَاتِبٌ ، أَوْ مَازَيْدٌ كَاتِبًا بَلْ شَاعِرٌ - وَقَلْبًا - زَيْدٌ قَائِمٌ لَا قَاعِدٌ ، أَوْمَا زَيْدٌ قَاعِدًا بَلْ قَائِمٌ - وَفِى قَصْرِهَا - زَيْدٌ شَاعِرٌ لَا عَمْرٌو ، أَوْ مَا عَمْرٌو شَاعِرًا بَلْ زَيْدٌ .

طرق القصر

[وللقصر طرق] والمذكور ههنا أربعة وغيرها قد سبق ذكره (١) فالأربعة المذكورة ههنا [منها العطف كقولك فى قصره] أي قصر الموصوف على الصفة [إفرادا - زيد شاعر لا كاتب ، أو مازيد كاتبا بل شاعر (٢)] مَثَّلَ بمثالين : أولهما الوصف المثبت فيه معطوف عليه والمنفي معطوف ، والثانى بالعكس [وقلبا - زيد قائم لا قاعد ، وما زيد قاعدا بل قائم] فان قلت إذا تحقق تنافى الوصفين فى قصر القلب فاثبات أحدهما يكون مشعرا بانتفاء الغير فما فائدة نفي الغير وإثبات المذكور بطريق الحصر ، قلت الفائدة فيه التنبيه على رَدِّ الخطأ فيه وأن المخاطب اعتقد العكس ، فان قولنا - زيد قائم - وإن دل على نفي القعود ، لكنه خَالٍ عن الدلالة على أن المخاطب اعتقد أنه قاعد [وفى قصرها] أى قصر الصفة على الموصوف إفرادا أو قلبا بحسب المقام [زيد شاعر لا عمرو ، أوماعمرو شاعرا بل زيد] ويجوز - ماشاعر عمرو بل زيد - بتقديم الخبر ، لكنه يجب حينئذ رفع الاسمين لبطلان العمل ، ولما لم يكن فى قصر الموصوف على الصفة مثال الافراد صالحا للقلب لاشتراط عدم التنافى فى الافراد وتَحَقُّقِ التنافى فى

---

(١) كضمير الفصل ، وتعريف المسند أو المسند إليه بلام الجنس .

(٢) ويشترط فى إفادة بل القصر أن يتقدمها نفى ، ومثل الأداتين فى إفادة القصر لكن ، كقول الشاعر :

إن الْجَدِيدَيْنِ فى طُولِ اختلافهما   لا يفسدان ولكن يفسد النَّاسُ

وَمِنْهَا النَّفْيُ وَالاسْتِثْنَاءُ ، كَقَوْلِكَ فِى قَصْرِهِ ـ مَا زَيْدٌ إِلَّا شَاعِرٌ ، وَمَا زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ ـ وَفِى قَصْرِهَا ـ مَا شَاعِرٌ إِلَّا زَيْدٌ .

وَمِنْهَا إِنَّمَا كَقَوْلِكَ فِى قَصْرِهِ ـ إِنَّمَا زَيْدٌ كَاتِبٌ ، وَإِنَّمَا زَيْدٌ قَائِمٌ ـ وَفِى قَصْرِهَا ـ إِنَّمَا قَائِمٌ زَيْدٌ ـ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى مَا وَإِلَّا ، لِقَوْلِ الْمُفَسِّرِينَ ـ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ـ

القلب على زعمه أورد للقلب مثالا يتنافى فيه الوصفان بخلاف قصر الصفة ، فان مثالا واحدا يصلح لهما ، ولما كان كل مايصلح مثالا لهما يصلح مثالا لقصر التعيين لم يتعرض لذكره ، وهكذا فى سائر الطرق .

[ومنها النفى والاستثناء، كقولك فى قصره] إفرادا [مازيد إلا شاعر و] قلبا [مازيد إلا قائم ، وفى قصرها] إفرادا وقلبا [ماشاعر إلا زيد] والكل يصلح مثالا للتعيين ، والتفاوت إنما هو بحسب اعتقاد الْمُخَاطَب .

[ومنها إنما كقولك فى قصره] إفرادا [إنما زيد كاتب و] قلبا [إنما زيد قائم ، وفى قصرها] إفرادا وقلبا [إنمـا قائم زيد] وفى دلائل الاعجاز أن إنما ولا العاطفة إنما يستعملان فى الكلام المعتـد به لقصر القلب دون الافراد ، وأشار إلى سبب إفادة إنما القصر بقوله [لتضمنه معنى ما وإلا] وأشار بلفظ التضمن إلى أنه ليس بمعنى ما وإلا حتى كأنهما لفظان مترادفان (١) إذ فَرْقٌ بين أن يكون في الشيء معنى الشيء . وأن يكون الشيء الشيء على الاطلاق ، فليس كل كلام يصلح فيـه ـ ما وإلا ـ يصلح فيـه ـ إنمـا ـ صرح بذلك الشيخ فى دلائل الاعجاز ، ولما اختلفوا فى إفادة إنمـا القصر وفى تضمنه معنى ما وإلا بينـه بثلاثة أوجه فقال [لقول المفسرين ـ إنما حرم عليكم الميتة ـ

---

(١) وليسا بمترادفين حقيقـة ، لأن من شرط الترادف الاتحاد معني وإفرادا ، وهما متحدان فى المعنى فقط .

بِالنَّصْبِ معناهُ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ الْمَيْتَةَ ، وَهُوَ الْمُطَابِقُ لِقِرَاءَةِ الرَّفْعِ لِمَامَرَّ ، وَلِقَوْلِ النُّحَاةِ إِنَّمَا لِاثْبَاتِ مَا يُذْكَرُ بَعْدَهُ وَنَفْيِ مَا سِوَاهُ ،

بالنصب معناه ماحرم عليكم إلا الميتة ، و] هذا المعنى [هو المطابق لقراءة الرفع] أى رفع الميتة ، وتقرير هـذا الكلام أن فى الآية ثلاث قرا آت (حَرَّمَ) مبينا للفاعل مع نصب الميتة ورَفْعها و (حُرِّمَ) مبنيا للمفعول مع رفع الميتة ، كذا فى تفسيرالـكُواشِيّ ، فعلى القراءة الأولى ـ ما ـ في إنما كَافَّةٌ ، إذ لو كانت موصولة لبقى إنَّ بلا خبر والموصول بلا عائد ، وعلى الثانيـة موصولة لتكون الميتة خبرا ، إذ لا يصح ارتفاعها بِحَرَّمَ المبنى للفاعل على مالايخفى ، والمعنى ـ إن الذى حرمه الله تعـالى عليكم هو الميتة ، وهذا يفيد القصر [لما مر] فى تعريف المسند من أن نحو ـ المنطلق زيد ، وزيد المنطلق ـ يفيـد قصر الانطلاق على زيد ، فاذا كان إنمـا متضمنا معنى ما وإلا ، وكان معنى القراءة الأولى ـ ماحرم الله عليكم إلا الميتة ـ كانت مطابقة للقراءة الثانية ، وإلا لم تـكن مطابقة لها لافادتها القصر ، فمراد السكاكى والمصنف بقراءة النصب والرفع هو القراءة الأولى والثانية ، ولهـذا لم يتعرضا للاختلاف فى لفظ ـ حرم ـ بل فى لفظ ـ الميتـة ـ رفعا ونصبا ، وأما على القراءة الثالثـة ، أعنى رَفْع الميتـة وحُرِّمَ مبنيا للمفعول فيحتمل أن تـكون ما كَافَّةً ـ أى ما حُرِّمَ عليكم إلا الميتـة ، وأن تـكون موصولة ، أى إن الذى حُرِّمَ عليكم هو الميتة ، ويُرَجِّحُ هـذا ببقاء إنَّ عاملة على ماهو أصلها ، و بعضهم توهم أن مراد السكاكى والمصنف بقراءة الرفع هـذه القراءة الثالثة فطالبهما بالسبب فى اختيار كونهـا موصولة ، مع ان الزجاج اختار أنها كَافَّةٌ [ولقول النحاة (١) إنمـا لاثبات مايذكر بعده ونفى ماسواه] أى سوي مايذكر بعده ، أما فى قصر الموصوف نحو ـ إنما زيد قائم ـ فهو لاثبات قيام زيد ونفى ماسواه من القعود ونحوه ، وأما فى قصر الصفة

---

(١) إنما صح الاحتجاج بقولهم فى هذا لاستنباطهم له من كلام العرب .

وَلِصِحَّةِ انْفِصَالِ الضَّمِيرِ مَعَهُ ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ .

أَنَا الذَّائِدُ الْحَامِي الذِّمَارَ وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي

وَمِنْهَا التَّقْدِيمُ كَقَوْلِكَ فِي قَصْرِهِ ـ تَمِيمِيٌّ أَنَا ـ وَفِي قَصْرِهَا ـ أَنَا كَفَيْتُ مُهِمَّكَ .

نحو ـ إنما يقوم زيد ـ فهو لاثبات قيامه ونفى ما سواه من قيام عمرو وبكر وغيرهما [ولصحة انفصال الضمير معه] أي مع إنما ، نحو ـ إنما يقوم أنا ـ فان الانفصال إنما يجوز عند تعذر الاتصال ، ولا تعـذر ههنا إلا بأن يكون المعنى مايقوم إلا أنا ، فيقع بين الضمير وعامله فَصْلٌ لغرض (١) ثم استشهد على صحة هـذا الانفصال ببيت من يُسْتَشْهَدُ بشعره ، ولهذا صرح باسمه فقال [قال الفرزدق : أنا الذائد] من الذَّوْد وهو الطرد [الحامى الذمار] أي العهد ، وفى الأساس ـ هو الحامى الذمار ـ اذا حَمَى مالو لم يَحْمِه لِيمَ وعُنِّفَ من حِمَاهُ وحَرِيمه [وإنما ٭ يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى] لما كان غرضه أن يخص الْمُدَافِعَ لا الْمُدَافَعَ عنه فصل الضمير وأخره ، إذ لو قال ـ وإنما أدافع عن أحسابهم ـ لصار المعنى أنه يدافع عن أحسابهم لا عن أحساب غيرهم ، وهو ليس بمقصوده ، ولا يجوز أن يقال إنه محمول على الضرورة ، لأنه كان يصح أن يقال ـ إنما أدافع عن أحسابهم أنا ـ على أن يكون ـ أنا تأكيدا ، وليست ما موصولة اسم إنَّ وأنا خبرها ، إذ لا ضرورة فى العدول عن لفظ من إلى لفظ ما (٢) .

[ومنها التقديم] أى تقديم ماحقُّه التأخير، كتقديم الخبر على المبتدإ أو المعمولات على الفعل [كقولك فى قصره] أى قصر الموصوف [تميمى أنا] كان الأنسب ذكر المثالين ، لأن التميمية والقيسية إن تنافيا لم يصلح هـذا مثالا لقصر الافراد ، وإلا لم يصلح لقصر القلب بل للافراد [وفى قصرها ـ أنا كفيت مهمك] إفرادا أو قلبا أو

---

(١) هو إفادة القصر (٢) لأن مالغير العاقل وهى على هذا واقعة على عاقل ، فلو أراد هذا المعنى لقال (وإن من يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى) .

وَهٰذِهِ الطُّرُقُ تَخْتَلِفُ مِنْ وُجُوهٍ ، فَدَلَالَةُ الرَّابِعِ بِالْفَحْوَى وَالْبَاقِيَةِ بِالْوَضْعِ ،

تعيينا بحسب اعتقاد المُخَاطَب .

[وهذه الطرق] الأربعة بعد اشتراكها فى إفادة القصر [تختلف من وجوه ، فدلالة الرابع] أى التقديم [بالفحوى] أى بمفهوم الكلام ، بمعنى أنه إذا تأمل صاحب الذوق السليم فيه فهم منه القصر ، وإن لم يعرف اصطلاح البلغاء فى ذلك [و] دلالة الثلاثة [الباقية بالوضع] لأن الواضع وضعها لمعان تفيد القصر (١) .

تطبيقات على طرق القصر :

(١) قوله تعالى - (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) .

(٢) بِكَ اجتمع الْمُلْكُ المبدَّدُ شَمْلُهُ   وضُمَّتْ قَوَاصٍ منه بعد قَوَاصِ

(٣) وما السيف إلا آيةُ الْمُلْكِ فى الْوَرَى   ولا الأمر إلا لِلَّذِى يَتَغَلَّبُ

القصر فى الأول بالعطف بلكن ، وهو قصر إضافى من قصر الموصوف على الصفة - وفى الثانى بالتقديم ، وهو قصر إضافى من قصر الصفة على الموصوف - وفى الثالث بالنفى والاستثناء ، وهو قصر إضافى من قصر الموصوف على الصفة .

أمثلة أخرى :

(١) إذا قَبُحَ البكاءُ عَلَى قَتِيلٍ   رأيتُ بكاءَكَ الْحَسَنَ الجميلا

(٢) وإنى رأيت الوَسْمَ فى خُلُقِ الفتى   هو الوسم لا ما كان فى الشَّعْرِ والْجِلْدِ

(٣) وإنما المرءُ حديث بعدهُ   فكن حديثاً حَسَنًا لمن وَعَى

(١) فدلالتها على القصر وضعية ، والمقصود من ذلك فى علم المعانى إنما هو أحوال القصر من كونه إفرادا أو قلبا أو تعيينا ، لأنه لا يبحث عن الدلالة الوضعية .

وَالأَصْلُ فِى الأَوَّلِ النصُّ عَلَى الْمُثْبَتِ وَالْمَنْفِىِّ كَمَا مَرَّ ، فَلَا يُتْرَكُ إِلَّا كَرَاهَةَ الاطْنَابِ ، كما إِذَا قِيلَ ـ زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ وَالصَّرْفَ وَالْعَرُوضَ ، أَوْ زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ وَعَمْرٌو وَبَكْرٌ ـ فَتَقُولُ فِيهِمَا ـ زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ لَا غَيْرُ أَوْ نَحْوَهُ ـ وَفِى الثَّلَاثَةِ البَاقِيَةِ النَّصُّ عَلَى الْمُثْبَتِ فَقَطْ ، وَالنَّفْىُ لَا يُجَامِعُ الثَّانِى ، لِأَنَّ شَرْطَ الْمَنْفِىِّ بِلَا أَلَّا يَكُونَ مَنْفِيًّا قَبْلَهَا بِغَيْرِهَا ،

[والأصل] أى الوجه الثانى من وجوه الاختلاف أن الأصل [فى الأول] أى طريق العطف [النص على المثبت والمنفى كما مر ، فلا يترك] النص عليهما [إلا كراهة الاطناب ، كما إذا قيل ـ زيد يعلم النحو والصرف والعروض ، أو زيد يعلم النحو وعمرو وبكر ـ فتقول فيهما] أى فى هذين المقامين [زيد يعلم النحو لا غير] أما فى الأول فمعناه لا غير النحو ، أى لا الصرف ولا العروض ، وأما فى الثانى فمعناه لا غير زيد ، أى لا عمرو ولا بكر ، وَحُذِفَ المضاف اليه من غير وَبُنِىَ هو على الضم تشبيها بالغايات (١) وذكر بعض النحاة أن لا فى ـ لا غير ـ ليست عاطفة بل لنفي الجنس (٢).
[أو نحوه] أى نحو ـ لا غير ـ مثل ـ لا ما سِوَاهُ ، ولا من عَدَاهُ ، وما أشبه ذلك [و] الأصل [فى الثلاثة الباقية النص على المثبت فقط] دون المنفى ، وهو ظاهر .

[والنفى] أي الوجه الثالث من وجوه الاختلاف أن النفى بلا العاطفة [لا يجامع الثانى] أعنى النفى والاستثناء ، فلا يصح ما زيد إلا قائم لا قاعد ، وقد يقع مثل ذلك فى كلام المصنفين لا فى كلام البلغاء [لأن شرط المنفى بلا العاطفة ألا يكون] ذلك المنفى [منفيا قبلها بغيرها] من أدوات النفي ، لأنها موضوعة لأن تنفي بها ما أوجبته للمتبوع ،

---

(١) أى قبل وبعد ، والغاية فى الحقيقة المضاف إليه المحذوف ، ولكنها لما نابت عنه بعد حذفه سميت غاية (٢) وهى مع هذا تفيد القصر أيضا ، لأن معنى ـ زيد شاعر لا غير ـ ما زيد إلا شاعر ، فيعود إلى النفى والاستثناء .

وَيُجَامِعُ الأَخِيرَيْنِ ، فَيُقَالُ - إِنَّمَا أَنَا تَمِيمِيٌّ لاَ قَيْسِيٌّ ، وَهُوَ يَأْتِينِي لاَ عَمْرٌو - لأَنَّ النَّفْيَ فِيهِمَا غَيْرُ مُصَرَّحٍ بِهِ ، كَمَا يُقَالُ - امْتَنَعَ زَيْدٌ عَنِ الْمَجِيءِ لاَ عَمْرٌو -

---

لا لأن تعيد بها النفي فى شيء قد نفيته ، وهذا الشرط مفقود فى النفي والاستثناء ، لأنك إذا قلت - ما زيد إلا قائم - فقد نفيت عنه كل صفة وقع فيها التنازع ، حتى كأنك قلت ليس هو بقاعد ولا نائم ولا مضطجع ونحو ذلك ، فاذا قلت لا قاعد فقد نفيت عنه بلا العاطفة شيئا هو منفى قبلها بما النافية ، وكذا الكلام فى - ما يقوم إلا زيد - وقوله - بغيرها - يعنى من أدوات النفى على ما صرح به فى المفتاح ، وفائدته الاحتراز عما إذا كان منفيا بِفَحْوَى الكلام ، أو عِلْمِ المتكلم أو السامع ، أو نحو ذلك ، كما سيجيء فى - إنما - لا يقال هذا يقتضى جواز أن يكون منفيا قبلها بلا العاطفة الأخرى ، نحو - جاءني الرجال لا النساء لا هند - لأنا نقول الضمير لذلك الْمُشَخَّص ، أى بغير لا العاطفة التى نفى بها ذلك المنفي (١) ومعلوم أنه يمتنع نفيه قبلها بها ، لامتناع أن ينفي شيء بلا قبل الاتيان بها ، وهذا كما يقال - دَأْبُ الرجل الكريم ألاَّ يؤذي غيره - فان المفهوم منه ألاَّ يؤذى غيره سواء كان ذلك الغير كريما أو غير كريم [ويجامع] أى النفى بلا العاطفة [الأخيرين] أي إنما والتقديم [فيقال - إنما أنا تميمى لا قيسى ، وهو يأتيني لا عمرو - لأن النفى فيهما] أى فى الأخيرين [غير مصرح به] كما في النفى والاستثناء ، فلا يكون المنفى بلا العاطفة منفيا بغيرها من أدوات النفى ، وهذا [كما يقال - امتنع زيد عن المجيء لا عمرو] فانه يدل على نفى المجيء عن زيد ، لكن لا صريحا بل ضمنا ، وإنما معناه الصريح إيجاب امتناع المجيء عن زيد (٢) فتكون - لا - نفيا لذلك الايجاب ، والتشبيه بقوله - امتنع زيد عن المجيء لا عمرو - من جهة أن النفي الضمنى ليس فى حكم النفى الصريح، لا من

---

(١) فيكون المراد ألاَّ يكون منفيا قبلها بغير شخص لا ، وهذا يشمل - لا - التي تكون قبلها ، لأن هذا منفية بغير شخص - لا - الداخلة عليها قبل التصريح بها .

(٢) ولا شك أن امتناعه عن المجيء يتضمن نفى المجيء عنه .

السَّكَّاكِيُّ : شَرْطُ مُجَامَعَتِه الثالثَ أَلاَّ يَكُونَ الوَصْفُ مُخْتَصاً بالمَوْصُوف ، نحوُ - إنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ - عَبْدُ القَاهِرِ : لاَ تَحْسُنُ فى المُخْتَصِّ كما تَحْسُنُ فى غَيْره ، وَهَذَا أَقْرَبُ ، وأَصْلُ الثاني أَنْ يَكُونَ مَا اسْتُعْمِلَ لَهُ مِمَّا يَجْهَلُهُ المُخَاطَبُ وَيُنْكِرُهُ بِخِلاَفِ الثالث ،

جهة أن المنفى بلا العاطفة منفى قبلها بالنفى الضمنى ، كما فى - إنما أنا تميمى لا قيسى - إذ لا دلالة لقولنا - امتنع زيد عن المجيء - على نفى امتناع مجيء عمرو لاضمنا ولا صريحا - قال [السكاكى : شرط مجامعته] أي مجامعة النفى بلا العاطفة [الثالث] أي إنما [ألا يكون الوصف مختصا بالموصوف] ليحصل الفائدة [نحو - إنما يستجيب الذين يسمعون] فانه يمتنع أن يقال - لا الذين لا يسمعون - لأن الاستجابة لا تكون إلا ممن يسمع ويعقل ، بخلاف - إنما يقوم زيد لا عمرو - إذ القيام ليس مما يختص بزيد - وقال الشيخ [عبد القاهر : لا تحسن] مجامعته الثالث [فى] الوصف [المختص كما تحسن فى غيره ، وهذا أقرب] الى الصواب ، إذ لا دليل على الامتناع عند قصد زيادة التحقيق والتأكيد .

[وأصل الثانى] أى الوجه الرابع من وجوه الاختلاف أن أصل النفي والاستثناء [أن يكون ما استعمل له] أى الحكم الذي استعمل فيه النفى والاستثناء [مما يجهله المخاطب وينكره بخلاف الثالث] أى إنما ، فان أصله أن يكون الحكم المُستَعمَل هو فيه مما يعلمه المخاطب ولا ينكره ، كذا فى الايضاح نقلا عن دلائل الاعجاز ، وفيه بحث ؛ لأن المخاطب اذا كان عالما بالحكم ولم يكن حكمه مشُوباً بخطأ لم يصح القصر ، بل لا يفيد الكلام سوي لازم الحكم (١) وجوابه أن مراده أنَّ إنما تكون لخبر من شأنه ألَّا يجهله المخاطب ولا ينكره ، حتى انَّ إنكاره يزول بأدنى تنبيه لعدم إصراره

---

(١) وهو إعلام المخاطب أن المتكلم عارف بالحكم .

كَقَوْلِكَ لِصَاحِبِكَ وَقَدْ رَأَيْتَ شَبَحاً مِنْ بَعِيدٍ ـ مَاهُوَ إِلاَّ زَيْدٌ ـ إِذَا اعْتَقَدَهُ غَيْرَهُ مُصِرًّا ، وَقَدْ يُنَزَّلُ الْمَعْلُومُ مَنْزِلَةَ الْمَجْهُولِ لاِعْتِبَارٍ مُنَاسِبٍ ، فَيُسْتَعْمَلُ لَهُ الثَّانِي إِفْرَادًا نَحْوُ ـ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ ـ أَيْ مَقْصُورٌ عَلَى الرِّسَالَةِ لاَ يَتَعَدَّاهَا إِلَى التَّبَرِّي مِنَ الْهَلاَكِ ، نُزِّلَ اسْتِعْظَامُهُمْ هَلاَكَهُ مَنْزِلَةَ إِنْكَارِهِمْ إِيَّاهُ ، أَوْ قَلْبًا نَحْوُ ـ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا ـ لاِعْتِقَادِ الْقَائِلِينَ أَنَّ الرَّسُولَ لاَ يَكُونُ بَشَرًا مَعَ إِصْرَارِ الْمُخَاطَبِينَ عَلَى دَعْوَى الرِّسَالَةِ ،

عليه ، وعلى هذا يكون موافقا لما فى المفتاح [كقولك لصاحبك وقد رأيت شبحا من بعيد ـ ماهو إلا زيد ـ اذا اعتقده غيره] أي اذا اعتقد صاحبك ذلك الشبح غير زيد [مصرا] على هذا الاعتقاد .

[وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب فيستعمل له] أى لذلك المعلوم [الثانى] أي النفى والاستثناء [إفرادا] أى حال كونه قصر إفراد [نحو ـ وما محمد إلا رسول ـ أي مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبرى من الهلاك] فالمخاطبون وهم الصحابة رضى الله عنهم كانوا عالمين بكونه مقصورا على الرسالة غير جامع بين الرسالة والتبرى من الهلاك ، لكنهم لما كانوا يعدون هلاكه أمراً عظيما [نزل استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه] أى الهلاك ، فاستعمل له النفى والاستثناء ، والاعتبار المُنَاسِبُ هنا هو الاشعار بعظم هذا الأمر فى نفوسهم وشدة حرصهم على بقائه عندهم [أو قلبا] عطف على قوله ـ إفرادا [نحو ـ إن أنتم إلا بشر مثلنا] فالمخاطبون وهم الرسل عليهم السلام لم يكونوا جاهلين بِكَوْنِهِمْ بشرا ولا منكرين لذلك ، لكنهم نزلوا منزلة المنكرين [لاعتقاد القائلين] وهم الكفار [أن الرسول لا يكون بشرا مع إصرار المخاطبين على دعوى الرسالة] فنزلهم القائلون منزلة المنكرين للبشرية لما اعتقدوا اعتقادا فاسداً من التنافى بين الرسالة والبشرية ، فقلبوا هـذا الحكم بأن قالوا ـ إن أنتم إلا بشر مثلنا ـ أي

وَقَوْلُهُمْ ـ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ـ مِنْ بَابِ مُجَارَاةِ الْخَصْمِ لِيَعْثُرَ حَيْثُ يُرَادُ تَبْكِيتُهُ لَا لِتَسْلِيمِ انْتِفَاءِ الرِّسَالَةِ ، وَكَقَوْلِكَ ـ إِنَّمَا هُوَ أَخُوكَ ـ لِمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَيُقِرُّ بِهِ وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُرَقِّقَهُ عَلَيْهِ ،

مقصورون على البشرية ليس لكم وصف الرسالة التى تدعونها ، ولما كان هنا مَظِنَّة سؤال وهو أن القائلين قد ادعوا التنافى بين البشرية والرسالة وقصروا المخاطبين على البشرية ، والمخاطبون قد اعترفوا بكونهم مقصورين على البشرية حيث قالوا ـ إن نحن إلا بشر مثلكم ـ فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم أشار الى جوابه بقوله [وقولهم] أى قول الرسل المُخَاطَبِينَ [إن نحن إلا بشر مثلكم ـ من باب مجاراة الخصم] وإرخاء العنان اليه بتسليم بعض مقدماته [ليعثر] الخصم ـ من العِثَار ـ وهو الزَّلَّةُ ، وانما يُفْعَلُ ذلك [حيث يراد تبكيته] أى إسكات الخصم وإلزامه [لا لتسليم انتفاء الرسالة] فكأنهم قالوا ـ إن ما ادعيتم من كوننا بشرا فحق لا ننكره ، ولكن هـذا لا ينافى أن يَمُنَّ الله تعـالى علينا بالرسالة ، فلهـــذا أثبتوا البشرية لأنفسهم ، وأما إثباتها بطريق القصر فليكون على وَفْقِ كلام الخصم [وكقولك] عَطْفٌ على قوله ـ كقولك لصاحبك ـ وهـذا مثال لأصل إنما (١) أى الأصل فى انمـا أن يستعمل فيما لا ينكره المخاطب كقولك [إنما هو أخوك ـ لمن يعلم ذلك ويقربه وأنت تريد أن ترققه عليه] أي أن تجعل من يعلم ذلك رقيقا مشفقا على أخيه ، والأولى بناءً على ما ذكرنا (٢) أن يكون هذا المثال من الاخراج لا على مقتضى الظاهر .

---

(١) أي بناء على مايقتضيه ظاهر قول المصنف من أن الأصل فى إنما أن تستعمل فيما هو معلوم للمخاطب ، وعلى هذا يكون مثالا لتخريج الكلام على مقتضى الظاهر .

(٢) من أن إنما تستعملُ فى مجهول من شأنه أن يعلمه المخاطب ولا ينكره .

وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم لادعاء ظهوره فيستعمل له الثالث نحو ـ إنما نحن مصلحون ـ ولذلك جاء ـ ألا إنهم هم المفسدون ـ للرد عليهم مؤكدا بما ترى .

ومزية إنما على العطف أنه يعقل منها الحكمان معاً ، وأحسن مواقعها التعريض ، نحو ـ إنما يتذكر أولوا الألباب ـ فانه تعريض بأن الكفار من فرط جهلهم كالبهائم فطمع النظر منهم كطمعه منها .

ثم القصر كما يقع بين المبتدإ والخبر على مامر يقع بين الفعل والفاعل ، نحو

[وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم لادعاء ظهوره ، فيستعمل له الثالث] أي إنما [نحو] قوله تعالى حكاية عن اليهود [إنما نحن مصلحون] ادعوا أن كونهم مصلحين أمر ظاهر من شأنه ألا يجهله المخاطب ولا ينكره [ولذلك جاء ـ ألا إنهم هم المفسدون ـ للرد عليهم مؤكدا بما ترى] من إيراد الجملة الاسمية الدالة على الثبات ، وتعريف الخبر الدال على الحصر ، وتوسيط ضمير الفصل المؤكد لذلك ، وتصدير الكلام بحرف التنبيه الدال على أن مضمون الكلام مما له خطر وبه عناية ، ثم التأكيد بأن ، ثم تعقيبه بما يدل على التقريع والتوبيخ ، وهو قوله ـ ولكن لا يشعرون .

[ومزية إنما على العطف أنه يعقل منها] أي من إنما [الحكمان] أعني الاثبات للمذكور والنفي عما عداه [معا] بخلاف العطف فانه يفهم منه أولاً الاثبات ثم النفي ، نحو ـ زيد قائم لا قاعد ، وبالعكس نحو ـ ما زيد قائما بل قاعدا [وأحسن مواقعها] أي مواقع إنما [التعريض ، نحو ـ إنما يتذكر أولوا الألباب ـ فانه تعريض بأن الكفار من فرط جهلهم كالبهائم فطمع النظر] أي التأمل [منهم كطمعه منها] أي كطمع النظر من البهائم .

[ثم القصر كما يقع بين المبتدإ والخبر على مامر يقع بين الفعل والفاعل ، نحو

- مَا قَامَ إلاَّ زَيْدٌ - وَغَيْرِهِما ، فَفِي الاسْتِثْناءِ يُؤَخَّرُ الْمَقْصُورُ عَلَيْــهِ مَعَ أَدَاةِ الاسْتِثْنَاءِ ، وَقَلَّ تَقْدِيمُهُمَا بِحَالِهِما ، نَحْوُ - مَاضَرَبَ إلاَّ عَمْرًا زَيْدٌ ، وَمَاضَرَبَ إلاَّ زَيْدٌ عَمْرًا - لِاسْتِلْزَامِهِ قَصْرَ الصِّفَةِ قَبْلَ تَمَامِهَا ،

ما قام إلا زيد وغيرهما] كالفاعل والمفعول نحو - ماضرب زَيْدٌ إلا عمراً ، وما ضرب عَمْرًا إلا زَيْدٌ - والمفعولين نحو - ما أعطيت زَيْدًا إلا دِرْهَماً ، وما أعطيت دِرْهَماً إلا زَيْدًا - وغير ذلك من الْمُتَعَلِّقَات [ففي الاستثناء يؤخر المقصور عليه مع أداة الاستثناء] حتى لو أريد القصر على الفاعل قيل - ما ضرب عَمْرًا إلا زَيْدٌ - ولو أريد القصر على المفعول قيل - ما ضرب زَيْدٌ إلا عَمْراً - ومعنى قصر الفاعل على المفعول مثلا قصر الفعل المسند الى الفاعل على المفعول ، وعلى هــــذا قياس البواقى ، فيرجع فى التحقيق الى قصر الصفة على الموصوف ، أو قصر الموصوف على الصفة (١) ويكون حقيقيا ، وغير حقيقى ، إفرادا ، وقلبا ، وتعيينا ، ولايخفى اعتبار ذلك [وقل] أى جاز على قلة [تقديمهما] أى تقديم المقصور عليه وأداة الاستثناء على المقصور حال كونهما [بحالهما] وهو أن يلى المقصور عليه الأداة [نحو - ماضرب إلا عمرا زيد] فى قصر الفاعل على المفعول [وماضرب إلا زيد عمرا] فى قصر المفعول على الفاعل ، وإنما قال - بحالهما - احترازا عن تقديمهما مع إزالتهما عن حالهما ، بأن تؤخر الأداة عن المقصور عليه ، كقولك فى - ماضرب زَيْدٌ إلا عَمْرًا (ماضرب عَمْرًا إلا زيد) فانه لايجوز ذلك لما فيه من اختلال المعني وانعكاس المقصود ، وانمـا قَلَّ تقديمهما بحالهما [لاستلزامه قصر الصفة قبل تمامها] لأن الصفة المقصورة على الفاعل مثلا هى الفعل الواقع على المفعول لا مطلق الفعل ، فلا يتم المقصور قبل ذكـر المفعول فلا يحسن قصره ، وعلى هـذا

---

(١) وهذا على معنى قصر الفاعل نفسه على الفعل المتعلق بالمفعول وهكذا .

وَوَجهُ الْجَمِيعِ أَنَّ النفىَ فى الاسْتثناء الْمُفَرَّغِ يتوجهُ إِلي مُقَدَّرٍ، وَهُوَ مستثنًى منه عامٌّ مُناسبٌ للمُستثنى فى جنسه وَصفتَه ، فاذَا أُوجبَ منهُ شيء بالاَّ جاءَ القصرُ .

وَفي إِنَّمـا يُؤَخَّرُ المقْصورُ عليهِ ، تقولُ ـ إِنَّمَا ضَرَبَ زَيدٌ عمْرًا ـ وَلاَ يَجُوزُ تَقْدِيمُهُ عَلَى غَيْرِهِ للالْبَاسِ .

فقس ، وإنمـا جاز على قلَّة نظرا الى أنهـا فى حكم التام باعتبار ذكر الْمُتعَلَّق فى الآخر

[ووجه الجميع] أى السبب فى إفادة النفي والاستثناء القصر فيما بين المبتـدإ والخبر والفاعل والمفعول وغير ذلك [أن النفي فى الاستثناء المفرغ] الذي حذف منه المستثنى منه وأعرب ما بعد إلا بحسب العوامل [يتوجه الى مقدر وهو مستثنى منه] لأنَّ إلا للاخراجِ والاخراجُ يقتضى مُخْرَجاً منه [عام] ليتناول المستثنى وغيره فيتحقق الاخراج [مناسب للمستثنى فى جنسه (١)] بأن يقدر فى نحو ـ ماضرب إلازيد (ماضرب أحدٌ) وفى نحو ـ ما كسوته إلا جُبَّةً (ما كسوته لِبَاسًا) وفى نحو ـ ماجاءنى إلا راكبا (ماجاءنى كَائنًا على حال من الأحوال) وفى نحو ـ ما سرت إلا يوم الجمعـة (ما سرت وَقْتاً من الأوقات) وعلى هذا القياس [و] فى [صفته] يعنى الْفَاعِلِيَّةَ والْمَفْعُولِيَّةَ والْحَالِيَّةَ ونحو ذلك ، واذا كان النفى متوجها الى هـذا المقدر العام المناسب للمستثنى فى جنسه وصفته [فاذا أوجب منه] أى من ذلك المقدر [شيء بالا جاء القصر] ضرورة بقاء ماعداه على صفة الانتفاء .

[وفى إنما يؤخر المقصور عليه،تقول ـ إنما ضرب زيد عمرا] فيكون القيد الأخير بمنزلة الواقع بعد إلا ، فيكون هو المقصور عليه [ولا يجوز تقديمه] أى تقديم المقصور عليه بانما [على غيره للالباس] كما إذا قلنا فى ـ إنما ضرب زَيْدٌ عَمْرًا (إنما ضرب عَمْرًا

---

(١) أى فى كونه جنسا له ، لأن المستثنى من أفراد المستثنى منه ، وليس المراد أنه

وَغَيْرِ كَالاَّ فِى إِفَادَةِ الْقَصْرَيْنِ وَامْتِنَاعِ مُجَامَعَةِ لاَ .

الإِنْشَاءُ

إِنْ كَانَ طَلَبًا اسْتَدْعَى مَطْلُوبًا غَيْرَ حَاصِلٍ وَقْتَ الطَّلَبِ ،

زَيْدٌ) بخلاف النفي والاستثناء فانه لا إلباس فيه ، إذ المقصور عليه هو المذكور بعد إلاَّ سواء قُدِّمَ أو أُخِّرَ ، وههنا ليس — إلاَّ — مذكورا فى اللفظ بل مُتَضَمَّناً .

[وغير كالا فى إفادة القصرين] أى قصر الموصوف على الصفة ، وقصر الصفة على الموصوف ، إفرادا ، وقلبا ، وتعيينا [و] فى [امتناع مجامعة لا] العاطفة لمَا سبق ، فلا يصح — ما زيد غَيْرُ شَاعِرٍ لا كَاتِبٍ ، ولا ما شَاعِرٌ غَيْرُ زيدٍ لا عَمْرٍو .

الانشاء

اعلم أن الانشاء قد يطلق على نفس الكلام الذى ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه ، وقد يقال على ما هو فعل المتكلم ، أعنى إلقاء مثل هذا الكلام ، كما أن الاخبار كذلك ، والأظهر أن المراد ههنا هو الثانى بقرينة تقسيمه الي الطلب وغير الطلب ، وتقسيم الطلب الى التمنى والاستفهام وغيرهما ، والمراد بها معانيها المصدرية لا الكلام المشتمل عليها بقرينة قوله — واللفظ الموضوع له كذا و كذا — لظهور أن لفظ ليت مثلا يستعمل لمعني التمنى لا لقولنا — ليت زيدا قائم — فافهم ، فالانشاء إن لم يكن طلبا كأفعال المقاربة وأفعال المدح والذم وصِيَغ العقود والقسم ورُبَّ ونحو ذلك فلا يبحث عنها ههنا لقلة المباحث البيانية (١) المتعلقة بها ، ولأن أكثرها فى الأصل أخبار نقلت الي معنى الانشاء [إن كان طلبا استدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب]

مشارك له فى الجنس كما هو ظاهر هذه العبارة (١) وهذا لقلة استعمالها ، وقد أطلق

وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ - مِنْهَا التَّمَنِّي ، وَاللَّفْظُ الْمَوْضُوعُ لَهُ لَيْتَ ، وَلَا يُشْتَرَطُ إِمْكَانُ الْمُتَمَنَّى ، تَقُولُ - لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ - وَقَدْ يُتَمَنَّى بِهَلْ ، نَحْوُ - هَلْ لِي مِنْ شَفِيعٍ - حَيْثُ يُعْلَمُ أَنْ لَا شَفِيعَ لَهُ ، وَبِلَوْ ، نَحْوُ - لَوْ تَأْتِينِي فَتُحَدِّثَنِي - بِالنَّصْبِ -

---

لامتناع طلب الحاصل ، فلو اسْتُعْمِلَ صِيَغُ الطلب لمطلوب حاصل امتنع إجراؤها على معانيها الحقيقية ، ويتولد منها بحسب القرائن ما يناسب المقام (١) [وأنواعه] أى الطلب [كثيرة - منها]

[التمنى]

وهو طلب حصول شىء على سبيل المحبة (٢) [واللفظ الموضوع له - ليت - ولا يشترط إمكان المتمنى] بخلاف التَّرَجِّى [تقول - ليت الشباب يعود] ولا تقول لعله يعود ، لٰكِنْ إذا كان الْمُتَمَنَّى ممكنا يجب ألَّا يكون لك تَوَقُّعٌ وَطَمَاعِيَةٌ فى وقوعه ، وإلا لصار تَرَجِّياً [وقد يتمنى بهل نحو - هل لى من شفيع - حيث يعلم ألا شفيع له] لأنه حينئذ يمتنع حمله على حقيقة الاستفهام لحصول الجزم بانتفائه ، والنكتة فى التمنى بهل والعدول عن ليت هى إبراز الْمُتَمَنَّى لكمال العناية به فى صورة الممكن (٣) الذى لاجزم بانتفائه [و] قد يتمني [بلو نحو - لو تأتينى فتحدثنى بالنصب] على تقدير - فأن تحدثني - فان النصب قرينة على أن لو ليست على أصلها ، إذ لا ينصب المضارع بعدها باضمار أنْ ، وإنما يضمر بعد

البيان هنا على مايشمل علم المعانى (١) ومن ذلك قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً) فالمراد من هذا طلب دوام التقوى لا حصولها ، لأنها حاصلة له صلى الله عليه وسلم قبل هذا الطلب (٢) أى المجردة عن الطمع فى حصوله ليخرج الأمر (٣) أي نصًّا ، أما ليت فتكون في الممكن وفى المستحيل .

السَّكَّاكِيُّ : كَأَنَّ حُرُوفَ التَّنْدِيمِ وَالتَّحْضِيضِ وَهِيَ - هَلَّا ، وَأَلَّا بِقَلْبِ الْهَاءِ هَمْزَةً ، وَلَوْلَا ، وَلَوْمَا - مَأْخُوذَةٌ مِنْهُمَا مُرَكَّبَتَيْنِ مَعَ - لَا ، وَمَا - الْمَزِيدَتَيْنِ لِتَضْمِينِهِمَا مَعْنَى التَّمَنِّي ،

الأشياء الستة ، والمناسب ههنا هو التمني - قال [السكاكى : كأن حروف التنديم والتحضيض وهى هلا ، وألا بقلب الهاء همزة ، ولولا ، ولوما ، مأخوذة منهما] خبر كأن ، أى كأنها مأخوذة من هل ولو اللتين للتمنى حال كونهما [مركبتين مع لا وما المزيدتين لتضمينهما] علّة لقوله - مركبتين ، والتضمين جَعْلُ الشيء فى ضمْن الشيء تقول - ضَمَّنْتُ الكتاب كذا كذا بابا - إذا جعلته مُتَضَمِّناً لتلك الأبواب ، يعنى أن الغرض المطلوب من هذا التركيب والتزامه هو جَعْلُ هل ولو مُتَضَمِّنَتَيْنِ [معنى التمني

تطبيقات على التمنى :

(١) ليت الكواكب تَدْنُو لى فأنْظِمَهَا عقودَ مدح فما أَرضى لكم كَلِمِى

(٢) أسِرْبَ الْقَطَا هل مَنْ يُعِيرُ جناحَهُ لَعَلِّى إلى من قد هَوِيتُ أطيرُ

ليت فى البيت الأول للتمنى ، وهو معناها الحقيق ، وهل فى البيت الثانى للتمنى ، والغرض منه إظهار المتمنى فى صورة الممكن لكمال العناية به ، ولعل فيه للتمنى ، والغرض منه إظهار بُعْدِ الْمَرْجُوِّ عن الحصول .

أمثلة أخرى :

(١) فلو نُشِرَ الْمَقَابِرُ عن كُلَيْبٍ فَيُخْبَرَ بالذَّنَائِبِ أىُّ زِيرِ

(٢) فياليت مابَيْنِى وبين أحِبَّتِى من الْبُعْدِ ما بينى وبين المصائب

لِيَتَوَلَّدَ مِنْـهُ فِى المَاضِى التَنْدِيمُ ، نَحْوُ ـ هَلَّا أَكْرَمْتَ زَيْدًا ـ وَفِى المُضَارِعِ التَحْضِيضُ ، نَحْوُ ـ هَلَّا تَقُومُ ـ وَقَدْ يُتَمَنَّى بِلَعَلَّ فَيُعْطَي حُكْمَ لَيْتَ ، نَحْوُ ـ لَعَلِّى أَحُجُّ فَأَزُورَكَ ـ بِالنَّصْبِ ، لِبُعْدِ المَرْجُوِّ عَنِ الحُصُولِ .

وَمِنْهَا الاسْتِفْهَامُ ، وَالأَلْفَاظُ المَوْضُوعَةُ لَهُ ـ الهَمْزَةُ ،

لِيتولد] علة لتضمينهما ، يعنى أن الغرض من تضمينهما معنى التمني ليس إفادة التمنى بل أن يتولد [منه] أى من معنى التمنى المتضمنتين هما إيَّاهُ [فى الماضى التنديم ، نحو ـ هلا أكرمت زيدا] أو ـ لوما أكرمته ـ علي معني ـ ليتك أكرمته ـ قصدا إلى جعله نادما على ترك الاكرام [وفى المضارع التحضيض ، نحو ـ هلا تقوم] ولو ماتقوم ـ على معنى ـ ليتك تقوم ـ قصدا إلى حثـه على القيام ، والمذكور فى الـكتاب ليس عبـارة السكاكى لـكنه حاصل كلامه ، وقوله ـ لتضمينهما ـ مصدر مضاف إلى المفعول الأول ، ومعنى التمنى مفعوله الثـانى ، ووقع فى بعض النسخ ـ لِتَضَمُّنِهِمَا ـ على لفظ التَّفَعُّل ، وهو لا يوافق معنى كلام المفتاح ، وإنمـا ذكر هـذا بلفظ ـ كأن لعدم القطع بذلك [وقد يتمنى بلعل فيعطى حكم ليت] وينصب فى جوابه المضارع على إضمار أنْ [نحو ـ لعلى أحج فأزورك ـ بالنصب لبعد المرجو عن الحصول] وبهذا يشبه المحالات والممكنات التى لا طَمَاعِيَةَ فى وقوعها ، فيتولد منه معنى التمنى .

[ومنها] أى من أنواع الطلب .

[الاستفهام]

وهو طلب حصول صورة الشىء فى الذهن ، فان كانت وقوع نسبة بين أمرين أوْ لَا وقوعها فحصولها هو التصديق وإلَّا فهو التصور [والألفاظ الموضوعة له ـ الهمزة ،

وَهَلْ ، وَمَا ، وَمَنْ ، وَأَيٌّ ، وَكَمْ ، وَكَيْفَ ، وَأَيْنَ ، وَأَنَّى ، وَمَتَى ، وَأَيَّانَ ، فَالهَمْزَةُ لِطَلَبِ التَّصْدِيقِ كَقَوْلِكَ - أَقَامَ زَيْدٌ ، وَأَزَيْدٌ قَائِمٌ - أَوْ التَّصَوُّرِ كَقَوْلِكَ - أَدِبْسٌ فِي الإِنَاءِ أَمْ عَسَلٌ ، وَأَفِي الْخَابِيَةِ دِبْسُكَ أَمْ فِي الزِّقِّ - وَلِهَذَا لَمْ يَقْبُحْ - أَزَيْدٌ قَامَ ، وَأَعَمْرًا عَرَفْتَ - وَالمَسْئُولُ عَنْهُ بِهَا هُوَ مَا يَلِيهَا ، كَالفِعْلِ فِي - أَضَرَبْتَ زَيْدًا

وهل ، وما ، ومن ، وأى ، وكم ، وكيف ، وأين ، وأني ، ومتى ، وأيان - فالهمزة لطلب التصديق] أى انقياد الذهن وإذعانه لوقوع نسبة تامة بين الشيئين [كقولك - أقام زيد] فى الجملة الفعلية [وأزيد قائم] فى الجملة الاسمية [أو] لطلب [التصور] أى إدراك غير النسبة (١) [كقولك] فى طَلَبِ تَصَوُّرِ الْمُسْنَدِ إليه [أدبس فى الاناء أم عسل] عالما بحصول شيء فى الاناء طالبا لتعيينه [و] فى طَلَبِّ تصور المسند [أفى الخابيـة دبسك أم فى الزق] عالما بكون الدبس فى واحد من الخابية والزق طالبا لتعيين ذلك [ولهـذا] أى ولمجيء الهمزة لطلب التصور [لم يقبح] فى تصور الفاعل [أزيد قام] كما قبح - هل زيد قام [و] لم يقبح فى طلب تصور المفعول [أعمرا عرفت] كما قبح - هل عمرا عرفت - وذلك لأن التقـديم يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل (٢) فيكون هل لطلب حصول الحاصل ، وهذا ظاهر فى - أعمرا عرفت - لا فى - أزيد قام - فَلْيُتَأَمَّلْ (٣) [والمسئول عنه بها] أى بالهمزة [هو ما يليها ، كالفعل فى - أضربت زيدا]

---

(١) جعل الهمزة فى ذلك لطلب التصور مبنى على التسامح ، لأنه فى الحقيقة لطلب التصديق الخاص لا التصور ، غاية الأمر أنه يحصل مع ذلك التصديق تعيين المسند إليه ، فجعل لطلب التصور من أجل هذا فقط ، ولأنه المتبادر الى الذهن قبل التأمل .

(٢) لأن التقديم يفيـد التخصيص ، فيكون السؤال عن خصوص الفاعل أو المفعول لا عن الفعل (٣) انما ظهر ذلك فى الأول دون الثانى لأن تقـديم المنصوب للتخصيص فى الغالب ، وأما تقـديم المرفوع فالغالب فيـه أن يكون لتقوية الاسناد ،

ـ وَالْفَاعِلِ فِى ـ أَأَنْتَ ضَرَبْتَ زَيْدًا ـ وَالْمَفْعُولِ فِى ـ أَزَيْدًا ضَرَبْتَ .

وَهَلْ لِطَلَبِ التَّصْدِيقِ فَحَسْبُ ، نَحْوُ ـ هَلْ قَامَ زَيْدٌ ، وَهَلْ عَمْرٌو قَاعِدٌ ـ وَلِهَـذَا امْتَنَعَ ـ هَلْ زَيْدٌ قَامَ أَمْ عَمْرٌو ـ وَقَبُحَ ـ هَلْ زَيْدًا ضَرَبْتَ ـ لِأَنَّ التَّقْدِيمَ يَسْتَدْعِى حُصُولَ التَّصْدِيقِ بِنَفْسِ الْفِعْلِ ، دُونَ ـ هَلْ

إذا كان الشك فى نفس الفعل ، أعني الضرب الصادر من المخاطب الواقع على زيد ، وأردت بالاستفهام أن تعلم وجوده ، فيكون لطلب التصديق ، ويحتمل أن يكون لطلب تصور المسند ، بأن تعلم أنه قد تعلق فعل من المخاطب بزيد ، لكن لا تعرف أنه ضَرْبٌ أو إكْرَامٌ [والفاعل فى أأنت ضربت] إذا كان الشك فى الضارب [والمفعول فى ـ أزيدا ضربت] إذا كان الشك فى المضروب ، وكذا قياس سائر الْمُتَعَلِّقَات .

[وهل لطلب التصديق فحسب] وتدخل على الجملتين [نحو ـ هل قام زيد ، وهل عمرو قاعد] إذا كان المطلوب حصول التصديق بثبوت القيـام لزيد والقعود لعمرو [ولهذا] أي ولاختصاصها بطلب التصديق [امتنع ـ هل زيد قام أم عمرو] لأن وقوع المفرد ههنا بعـد أم دليل على أنَّ أم متصلة ، وهى لطلب تعيين أحـد الأمرين مع العلم بثبوت أصل الحكم ، وهل إنما تـكون لطلب الحكم فقط ، ولو قلت ـ هل زيد قام ـ بدون ـ أم عمرو ـ لقبح ولا يمتنع لما سيجيء [و]لهذا أيضا [قبح ـ هل زيدا ضربت ـ لأن التقديم يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل] فيكون هل لطلب حصول الحاصل وهو محال ، وإنمـا لم يمتنع لاحتمال أن يكون ـ زيدا ـ مفعول فعل محذوف (٢) أو يكون التقـديم لمجرد الاهتمام لا للتخصيص ، لـكن ذلك خلاف الظاهر [دون هل

ولـكن هذا لا يمنع قبح ـ هل زيد قام ـ لما سيأتى من أن هل لا يليها إلا الفعل غالبا .

(١) ويكون مفعول المذكور محذوفا ، والتقدير ـ هل ضربت زيدا ضربته .

زَيْداً ضَرَبْتَهُ - لِجَوازِ تَقْدِيرِ الْمُفَسِّرِ قَبْلَ زَيْدٍ ، وَجَعَلَ السَّكَّاكِيُّ قُبْحَ - هَلْ رَجُلٌ عُرِفَ - لِذٰلِكَ ، وَيَلْزَمُهُ أَلَّا يَقْبُحَ - هَلْ زَيْدٌ عُرِفَ - وَعَلَّلَ غَيْرُهُ قُبْحَهُمَا بِأَنَّ هَلْ بِمَعْنَى قَدْ فِي الْأَصْلِ ، وَتُرِكَ الْهَمْزَةُ قَبْلَهَا لِكَثْرَةِ وُقُوعِهَا فِي الِاسْتِفْهَامِ ، وَهِيَ تُخَصِّصُ الْمُضَارِعَ بِالِاسْتِقْبَالِ ، فَلَا يَصِحُّ - هَلْ تَضْرِبُ زَيْداً

زيدا ضربته] فانه لا يقبح [لجواز تقدير المفسر (١) قبل - زيد] أى هل ضربت زيدا ضربته [وجعل السكاكى قبح - هل رجل عرف - لذلك] أى لأن التقديم يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل ، لما سبق من مذهبه من أن الأصل - عُرِفَ رَجُلٌ - على أنَّ - رجل - بدل من الضمير فى - عرف - قدم للتخصيص [ويلزمه] أى السكاكى [ألا يقبح - هل - زيد عرف] لأن تقديم المظهر المعرفة ليس للتخصيص عنده ، حتى يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل ، مع أنه قبيح باجماع النحاة ، وفيه نظر لأن ما ذكره من اللزوم ممنوع لجواز أن يقبح لعلة أخرى (٢) [وعلل غيره] أى غير السكاكى [قبحهما] أى قبح - هل رجل عرف ، وهل زيد عرف [بأن هل بمعنى قد فى الأصل] وأصله أهَلْ [وترك الهمزة قبلها لكثرة وقوعها فى الاستفهام] فأقيمت هى مقام الهمزة وتَطَفَّلَتْ عليها فى الاستفهام ، وقد من خَوَاصِّ الأفعال ، فكذا ماهى بمعناها ، وإنما لم يقبح - هل زيد قائم - لأنها إذا لم تَرَ الفعل فى حَيِّزِهَا ذهلت عنه وتَسَلَّتْ ، بخلاف ما إذا رأته فانها تذكرت العهود ، وحَنَّتْ إلى الالف المألوف ، فلم ترض بافتراق الاسم بينهما [وهي] أى هل [تخصص المضارع بالاستقبال] بحكم الوضع كالسين وسوف [فلا يصح - هل تضرب زيدا] فى أن يكون الضرب واقعا

---

(١) أي جوازا راجحا بخلاف ماقبله (٢) وهى كَوْنُ هَلْ بمعنى قد فى الأصل على ما سيأتى .

وَهُوَ أَخُوكَ - كَمَا يَصِحُّ - أَتَضْرِبُ زَيْدًا وَهُوَ أَخُوكَ ،

فى الحال على ما يفهم عرفا (١) من قوله [وهو أخوك ، كما يصح - أتضرب زيدا وهو أخوك] قَصْدًا إلي إنكار الفعل الواقع فى الحال ، بمعنى أنه لا ينبغى أن يكون ذلك ، لأن هل تخصص المضارع بالاستقبال ، فلا تصلح لانكار الفعل الواقع في الحال ، بخلاف الهمزة فانها تصلح لانكار الفعل الواقع فى الحال؛ لأنها ليست مخصصة للمضارع بالاستقبال ، وقولنا - فى أن يكون الضرب واقعا فى الحال - ليعلم أن هذا الامتناع جَارٍ فى كل ما يوجد فيه قرينة تدل على أن المراد إنكار الفعل الواقع فى الحال ، سواءٌ عَمِلَ ذلك المضارع فى جملة حالية كقولك - أتضرب زيداً وهو أخوك - أَوْلاَ كقوله تعالى (أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ) وكقولك - أتؤذى أباك ، وأتشتم الأمير - فلا يصح وقوع هل فى هذه المواضع ، ومن العجائب ماوقع لبعضهم فى شرح هذا الموضع من أن هذا الامتناع بسبب أن الفعل المستقبل لا يجوز تقييده بالحال وإعماله فيها ، ولعمرى إن هذه فِرْيَةٌ ما فيها مِرْيَةٌ ، إذ لم يُنْقَلْ عن أحد من النحاة امتناع مثل - سيجىء زيد راكباً ، وسأضرب زيداً وهو بين يَدَىِ الأمير - كيف وقد قال الله تعالى (سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (وَإِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فيه الأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ) وفى الحماسة :

« سأغسل عَنِّى العَارَ بالسيف جَالِبًا   عَلَىَّ قضاءُ الله ما كان جَالِبًا (٢) »

وأمثال هذه أكثر من أن تحصى ، وأعجب من هذا أنه لما سمع قول النحاة إنه

---

(١) لأن المتبادر أن الأخوة فى الحال ، فيكون الضرب مثلها ، لأن الأصل اتحاد زمن المُقَيَّد وقيده (٢) هو لسعد بن ناشب من الشعراء الاسلاميين ، وجالبا حال من فاعل سأغسل وهو محل الاستشهاد ، لأن عامل الحال فعل مستقبل لاقترانه بالسين ، وقضاء الله بالرفع فاعل - جالبا .

وَلاِخْتِصَاصِ التَّصْدِيقِ بِهَا وَتَخْصِيصِهَا الْمُضَارِعَ بِالاسْتِقْبَالِ كَانَ لَهَا مَزِيدُ اخْتِصَاصٍ بِمَا كَوْنُهُ زَمَانِيًّا أَظْهَرُ ، كَالْفِعْلِ ، وَلِهَذَا كَانَ ـ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ـ أَدَلَّ عَلَى طَلَبِ الشُّكْرِ مِنْ ـ فَهَلْ تَشْكُرُونَ ، وَفَهَلْ أَنْتُمْ تَشْكُرُونَ ـ لأَنَّ إِبْرَازَ مَا سَيَتَجَدَّدُ فِي مَعْرِضِ

يجب تجريد صدر الجملة الحالية عن علم الاستقبال لتنافى الحال والاستقبال بحسب الظاهر على ماسنذكره (١) حتى لايجوز ـ يأتيني زيد سيركب ، أو لن يركب ـ فهم منه أنه يجب تجريد الفعل العامل فى الحال عن علامة الاستقبال ، حتي لايصح تقييد مثل ـ هل تضرب ، وستضرب ، ولن تضرب ـ بالحال ، وأورد هذا المقال دليلا على ماادعاه ، ولم ينظر فى صدر هذا المقال حتي يعرف أنه لبيان امتناع تصدير الجملة الحالية بعلم الاستقبال .

[ولاختصاص التصديق بها] أى لكون هل مقصورة على طلب التصديق وعدم مجيئها لغير التصديق كما ذكر فيما سبق [وتخصيصها المضارع بالاستقبال كان لها مزيد اختصاص بما كونه زمانيا أظهر] وما موصولة ، وكونه مبتدأ خبره أظهر ، وزمانيا خبر الكون ، أى بالشيء الذى زمانيته أظهر [كالفعل] فان الزمان جزء من مفهومه ، بخلاف الاسم فانه إنما يدل عليه حيث يدل بعروضه له ، أما اقتضاء تخصيصها المضارع بالاستقبال لمزيد اختصاصها بالفعل فظاهر ، وأما اقتضاء كونها لطلب التصديق فقط لذلك فلأن التصديق هو الحكم بالثبوت أو الانتفاء ، والنفى والاثبات إنما يتوجهان إلى المعانى والأحداث التى هي مدلولات الأفعال ، لا إلى الذوات التى هي مدلولات الأسماء [ولهذا] أي ولأن لها مزيد اختصاص بالفعل [كان ـ فهل أنتم شاكرون ـ أدل على طلب الشكر من ـ فهل تشكرون ، وفهل أنتم تشكرون] مع أنه مؤكد بالتكرير ، لأن ـ أنتم ـ فاعل لفعل محذوف (٢) [لأن إبراز ما سيتجدد فى معرض

---

(١) فى بحث الحال من باب الفصل والوصل (٢) والأصل ـ فهل تشكرون تشكرون ـ فحذف الفعل الأول فانفصل ضميره .

الثَّابِتِ أَدَلُّ عَلَى كَمَالِ الْعِنَايَةِ بِحُصُولِهِ ، وَمِنْ ـ أَفَأَنْتُمْ شَاكِرُونَ ـ وَإِنْ كَانَ لِلثُّبُوتِ ، لِأَنَّ هَلْ أَدْعَى لِلْفِعْلِ مِنَ الْهَمْزَةِ فَتَرْكُهُ مَعَهَا أَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ ، وَلِهَذَا لَا يَحْسُنُ . هَلْ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ ـ إِلَّا مِنَ الْبَلِيغِ .

وَهِيَ قِسْمَانِ : بَسِيطَةٌ ، وَهِيَ الَّتِي يُطْلَبُ بِهَا وُجُودُ الشَّيْءِ ، كَقَوْلِنَا ـ هَلِ الْحَرَكَةُ مَوْجُودَةٌ ـ وَمُرَكَّبَةٌ ، وَهِيَ الَّتِي يُطْلَبُ بِهَا وُجُودُ شَيْءٍ لِشَيْءٍ ، كَقَوْلِنَا ـ هَلِ الْحَرَكَةُ دَائِمَةٌ .

الثابت أدل على كمال العناية بحصوله (١)] من إبقائه على أصله ، كما في ـ هل تشكرون ، وفهل أنتم تشكرون ـ لأن هل في ـ هل تشكرون ، وهل أنتم تشكرون ـ على أصلها ، لكونها داخلة على الفعل تحقيقا في الأول ، وتقديرا في الثاني [و] فهل أنتم شاكرون ـ أدل على طلب الشكر [من ـ أفأنتم شاكرون] أيضا [وإن كان للثبوت باعتبار] كون الجملة اسمية [لأن هل أدعى للفعل من الهمزة فتركه معها] أى ترك الفعل مع هل [أدل على ذلك] أي على كمال العناية بحصول ما سيتجدد [ولهذا] أى ولأن هل أدعى للفعل من الهمزة [لا يحسن هل زيد منطلق إلا من البليغ] لأنه الذى يقصد به الدلالة على الثبوت وإبراز ما سيوجد فى معرض الموجود .

[وهى] أى هل [قسمان : بسيطة وهي التى يطلب بها وجود الشيء] أو لا وجوده [كقولنا ـ هل الحركة موجودة] أو لا موجودة [ومركبة وهى التي يطلب بها وجود شيء لشيء] أو لا وجوده له [كقولنا ـ هل الحركة دائمة] أو لا دائمة ، فان المطلوب وجود الدوام للحركة أو لا وجوده لها ، وقد اعتبر فى هذه شيئان غير الوجود وفى

---

(١) وهو من باب تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر .

وَالْبَاقِيَةُ لِطَلَبِ التَّصَوُّرِ فَقَطْ ، قِيلَ فَيُطْلَبُ بِمَا شَرْحُ الاسْمِ ، كَقَوْلِنَا ـ مَاالعَنقَاءُ ـ أَوْ مَاهِيَّةُ الْمُسَمَّى ، كَقَوْلِنَا ـ مَاالْحَرَكَةُ ـ وَتَقَعُ هَلْ الْبَسِيطَةُ فِى التَّرْتِيبِ بَيْنَهُمَا .

الأولى شيء واحد (١) فكانت مركبة بالنسبة الى الأولى ، وهى بسيطة بالنسبة اليها .

[والباقية] من ألفاظ الاستفهام تشترك فى أنها [لطلب التصور فقط] وتختلف من جهة أن المطلوب بكل منها تصور شيء آخر [قيل فيطلب بما شرح الاسم كقولنا ـ ماالعنقاء] طالبا أن يُشْرَحَ هذا الاسم ويُبَيَّنَ مفهومه ، فيجاب بايراد لفظ أَشْهَرَ [أوماهية المسمى] أى حقيقته التى هُوَ بِهَا هُوَ [كقولنا ماالحركة] أى ماحقيقة مسمي هذا اللفظ ، فيجاب بايراد ذَاتِيَّاتِه [وتقع هل البسيطة فى الترتيب بينهما] أى بين ماالتى لشرح الاسم والتى لطلب الماهية ، يعنى أن مقتضى الترتيب الطبيعى أن يُطْلَبَ أَوَّلاً شرح الاسم ، ثم وجود المفهوم في نفسه ، ثم مَاهِيَّتُهُ وحقيقته ، لأن من لا يعرف مفهوم اللفظ استحال منه أن يطلب وجود ذلك المفهوم ، ومن لا يعرف أنه موجود استحال منه أن يطلب حقيقته وماهيته ، إذ لا حقيقة للمعدوم ولا ماهية له ، والفرق بين المفهوم من الاسم بالجملة وبين الماهية التى تفهم من الحد بالتفصيل غير قليل ، فان كل من خوطب باسم فَهِمَ فَهْمًا ما ، ووقف على الشيء الذى يدل عليه الاسم اذا كان عالما باللغة ، وأما الحد فلا يقف عليه إلا الْمُرْتَاضُ بصناعة المنطق ، فالموجودات لها حقائق ومفهومات ، فلها حدود حقيقية واسمية (٢) وأما المعدومات فليس لها إلا المفهومات ، فلا حدود لها إلا بحسب الاسم ، لأن الحد بحسب الذات لا يكون إلا بعد أن يعرف أن الذات

---

(١) الشيء الواحد هو الحركة ، والشيئان هما الحركة والدوام .

(٢) الحدود الحقيقية هي التى تدل على الحقائق ، والاسمية هى التى تدل على المفهومات الاجمالية .

وَبِمَنِ الْعَارِضُ الْمُشَخِّصُ لِذِي الْعِلْمِ ، كَقَوْلِنَا - مَنْ فِي الدَّارِ - وَقَالَ السَّكَّاكِيُّ : يُسْأَلُ بِمَا عَنِ الْجِنْسِ ، تَقُولُ - مَاعِنْدَكَ - اَيْ أَيُّ أَجْنَاسِ الْأَشْيَاءِ عِنْدَكَ ، وَجَوَابُهُ كِتَابٌ وَنَحْوُهُ ، وَعَنِ الْوَصْفِ ، تَقُولُ - مَازَيْدٌ - وَجَوَابُهُ الْكَرِيمُ وَنَحْوُهُ ، وَبِمَنْ عَنِ الْجِنْسِ مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ ، تَقُولُ - مَنْ جِبْرِيلُ - اَيْ أَبَشَرٌ هُوَ أَمْ مَلَكٌ أَمْ جِنِّيٌّ ، وَفِيهِ نَظَرٌ .

موجودة ، حتى إن ما يوضع فى أول التعاليم من حدود الأشياء التى يبرهَن عليها فى أثناء التعاليم (١) إنما هى حدود اسمية ، ثم اذا بُرْهِنَ عليها وأثبت وجودها صارت تلك الحدود بعينها حدودا حقيقية ، جميع ذلك مذكور فى الشفاء .

[و] يطلب [بمن العارض المشخص] أى الأمر الذى يعرض [لذى العلم] فيفيد تَشَخُّصَه وتَعَيُّنَه [كقولنا - من فى الدار] فيجاب عنه بزيد ونحوه مما يفيد تشخصه .

[وقال السكاكى : يسأل بما عن الجنس تقول - ماعندك - أى أى أجناس الأشياء عندك ، وجوابه كتاب ونحوه] ويدخل فيه السؤال عن الماهية والحقيقة (٢) نحو - ماالكلمة - أىْ أىُّ أجناس الألفاظ هى ، وجوابه لَفْظٌ مُفْرَدٌ موضوع [أو عن الوصف تقول - ما زيد - وجوابه الكريم ونحوه ، و] يسأل [بمن عن الجنس من ذوي العلم ، تقول - من جبريل - أى أبشر هو أم ملك أم جنى ، وفيه نظر] إذ لانسلم

---

(١) المراد بها التراجم كالفصل والباب ، وما يوضع فى أولها من الحدود مثل حد الصلاة المذكور فى أول بابها (٢) فالمراد بالجنس الماهية الكلية سواء كانت مُتَّفِقَةَ الأفراد أو مُخْتَلِفَتَهَا مُجْمَلَةً أو مفصلة ، فيشمل جميع أقسام المقول فى جواب ماهو ، وهو النوع والجنس والماهية التفصيلية والاجمالية ، فالسؤال بما عند السكاكى مختص بالأمر الكلى ، وعند صاحب القيل السابق لا يختص بذلك ، بل يطلب بما عنده شرح الاسم كليا كان

وَيُسْأَلُ بِأَىِّ عَمَّا يُمَيِّزُ أَحَدَ الْمُتَشَارِكَيْنِ فِى أَمْرٍ يَعُمُّهُمَا ، نَحْوُ - أَىُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً - أَى أَنَحْنُ أَمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ .

وَبِكَمْ عَنِ الْعَدَدِ ، نَحْوُ - سَلْ بَنِى إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ .

وَبِكَيْفَ عَنِ الْحَالِ ، وَبِأَيْنَ عَنِ الْمَكَانِ ، وَبِمَتَى عَنِ الزَّمَانِ ، وَبِأَيَّانَ عَنِ الزَّمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ ،

أنه للسؤال عن الجنس، وأنه يصح فى جواب - من جبريل - أن يقال ملك ، بل يقال - ملك من عند الله يأتى بالوحى كذا وكذا مما يفيد تشخصه .

[ويسأل بأى عما يميز أحد المتشاركين فى أمر يعمهما] وهو مضمون ما أضيف اليه أىٌّ [نحو - أى الفريقين خير مقاما - أى أنحن أم أصحاب محمد] فالمؤمنون والكافرون قد اشتركا فى الفَرِيقيَّة وسألوا (١) عما يميز أحدهما عن الآخر ، مثل الكَوْن كافرين قائلين لهذا القول ، ومثل الكون أصحاب محمد عليه السلام غير قائلين .

[و] يسأل [بكم عن العدد ، نحو - سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة] أى كم آية آتيناهم أعشرين أم ثلاثين ، فَمِنْ آيَةٍ مُمَيِّزُكَمْ بزيادة مِنْ لما وقع من الفصل بفعل مُتَعَدٍّ بين كم ومميزها كما ذكرنا فى الخبرية ، فكم ههنا للسؤال عن العدد ، لكن الغرض من هذا السؤال هو التقريع والتوبيخ (٢) [و] يسأل [بكيف عن الحال ، وبأين عن المكان ، وبمتى عن الزمان] ماضيا كان أو مستقبلا (٣) [وبأيان عن الزمان المستقبل ،

أو جزئيا (١) أى الكافرون أَحْبَارَ اليهود (٢) والاستفهام مع هذا على حقيقته ، لأن المقصود أمره أن يسألهم حقيقة عن ذلك ليعلم من جهتهم مقدارها .

(٣) ويسأل بها عن الحاضر أيضا .

قِيلَ وَتُسْتَعْمَلُ فِى مَوَاضِعِ التَّفْخِيمِ ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى - يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ - وَأَنَّى تُسْتَعْمَلُ تَارَةً بِمَعْنَى كَيْفَ ، نَحْوُ - فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ - وَأُخْرَى بِمَعْنَى مِنْ أَيْنَ نَحْوُ - أَنَّى لَكِ هٰذَا .

ثُمَّ هٰذِهِ الْكَلِمَاتُ كَثِيرًا مَا تُسْتَعْمَلُ فِى غَيْرِ الاسْتِفْهَامِ ،

قيل وتستعمل فى مواضع التفخيم ، مثل - يسأل أيان يوم القيامة - وأنى تستعمل تارة بمعنى كيف] ويجب أن يكون بعدها فعل [نحو - فأتوا حرثكم أنى شئتم] أىْ على أىّ حال ومن أىّ شقّ أردتم ، بعد أن يكون المَأْتِىُّ موضع الحرث ، ولم يجىء - أنّى زَيْدٌ - بمعني كيف هو [وأخرى بمعنى من أين ، نحو - أنى لك هذا] أى من أين لك هذا الرزق الآتى كل يوم ، وقوله - تستعمل - إشارة الى أنه يحتمل أن يكون مشتركا بين المعنيين وأن يكون فى أحدهما حقيقة وفى الآخر مجازا ، ويحتمل أن يكون معناه - أين - إلا أنه فى الاستعمال يكون مع مِنْ ظَاهِرَةً كما فى قوله :

« مِنْ أين عشرون لنا من أنَّي (١) »

أو مُقَدَّرَةً كما فى قوله تعال (أنَّى لَكِ هٰذَا) أي من أنى لك ، أى من أين على ذكره بعض النحاة .

[ثم إن هذه الكلمات] الاستفهامية [كثيرا ماتستعمل فى غيرالاستفهام] ممايناسب

---

(١) هو لمُدْرِكِ بن حُصَيْنٍ من قوله :

لأجعلنْ لابنــــة عَثْمٍ فَنَّاً   من أين عشرون لنا من أنَّى

وعثم هو عثمان ، وفنا ضربا من الخصومة ، والمراد عشرون من الابل ، وقد قال هذا فى هجاء عامل زكاة .

كَالاستِبْطَاء ، نَحْوُ ـ كَمْ دَعَوْتُكَ ـ وَالتَّعَجُّب ، نَحْوُ ـ مَالِىَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ ـ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى الضَّلَالِ ، نَحْوُ ـ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ـ وَالْوَعِيد ، كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُسِئُ الأَدَبَ ـ أَلَمْ أُؤَدِّبْ فُلَانًا ـ إِذَا عَلِمَ الْمُخَاطَبُ ذٰلِكَ ، وَالتَّقْرِيرِ بِإِيلَاءِ الْمُقَرَّرِ بِهِ الْهَمْزَةَ كَمَا مَرَّ ، وَالإِنْكَارِ كَذٰلِكَ ، نَحْوُ ـ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ ،

المقام بحسب معونة القرائن [كالاستبطاء نحو ـ كم دعوتك ـ والتعجب نحو ـ مالى لا أرى الهدهد] لأنه كان لا يغيب عن سليمان عليه السلام إلا باذنه ، فلما لم يبصره مكانه تعجب من حال نفسه فى عدم إبصاره إياه ، ولا يخفى أنه لامعنى لاستفهام العاقل عن حال نفسه ، وقول صاحب الكشاف : نظر سليمان الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال مالى لا أراه ، على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ، ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك ، وأخذ يقول أهو غائب ، كأنه يسأل عن صحة ما لاح له ـ يدل على أن الاستفهام على حقيقته [والتنبيه على الضلال ، نحو ـ فأين تذهبون ـ والوعيد ، كقولك لمن يسىء الأدب ـ ألم أؤدب فلانا ـ اذا علم المخاطب ذلك] وهو أنك أدبّتَ فلانا ، فيفهم معنى الوعيد والتخويف ولا يحمله على السؤال [والتقرير] أى حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه وإلجائه اليه [بايلاء المقرر به الهمزة] أى بشرط أن يُذْكَرَ بعد الهمزة ماحُمِلَ المخاطب على الاقرار به [كما مر] فى حقيقة الاستفهام من إيلاء المسؤول عنه الهمزة ، تقول ـ أضربت زيدا ـ فى تقريره بالفعل ـ و ـ أأنت ضربت ـ فى تقريره بالفاعل ، و ـ أزيدا ضربت ـ فى تقريره بالمفعول ، وعلى هذا القياس ، وقد يقال التقرير بمعنى التحقيق والتثبيت ، فيقال ـ أضربت زيدا بمعنى أنك ضربته ألبتَّة [والانكار كذلك نحو ـ أغير الله تدعون] أى بايلاء المُنْكَرِ الهمزة ، كالفعل فى قوله :

أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ـ وَمِنْهُ ـ أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ـ أَىِ اللهُ كَافٍ عَبْدَهُ ، لأَنَّ إِنْكَارَ النَّفْىِ نَفْىٌ لَهُ وَنَفْىُ النَّفْىِ إِثْبَاتٌ ، وَهَذَا مُرَادُ مَنْ قَالَ إِنَّ الْهَمْزَةَ فِيهِ لِلتَّقْرِيرِ أَىْ بِمَا دَخَلَهُ النَّفْىُ لاَ بِالنَّفْىِ ، وَلاِنْكَارِ الْفِعْلِ صُورَةٌ أُخْرَى ، وَهِىَ نَحْوُ ـ أَزَيْدًا ضَرَبْتَ أَمْ عَمْرًا ـ لِمَنْ

« أيقتلنى والمَشْرَفىُّ مُضَاجِعِى (١) »

والفاعل فى قوله تعالى (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ) والمفعول فى قوله تعالى [أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا] وأما غير الهمزة فيجىء للتقرير والانكار لكن لا يجرى فيه هذه التفاصيل ولا يكثر كثرة الهمزة فلذا لم يبحث عنه [ومنه] أى من مجىء الهمزة للانكار نحو ـ [أليس الله بكاف عبده ـ اى الله كاف عبده لأن إنكار النفى نفي له ونفى النفى إثبات ، وهذا] المعنى [مراد من قال : الهمزة فيه للتقرير أي] لحمل المخاطب على الاقرار [بما دخله النفى] وهو ـ الله كاف [لا بالنفى] وهو ـ ليس الله بكاف ـ فالتقرير لا يجب أن يكون بالحكم الذى دخلت عليه الهمزة ، بل بما يَعْرِفُ الْمُخَاطَبُ من ذلك الحكم إثباتا أو نفيا ، وعليه قوله تعالى (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ) فالهمزة فيه للتقرير أى بما يعرفه عيسى عليه السلام من هذا الحكم ، لا بأنه قد قال ذلك ، فافهم ، وقوله ـ والانكار كذلك ـ دَلَّ على أن صورة إنكار الفعل أن يَلِىَ الفعل الهمزة ، ولما كان له صورة أخرى لا يلى فيها الفعل الهمزة أشار اليها بقوله [ولانكار الفعل صورة أخرى ، وهى نحو ـ أزيدا ضربت أم عمرا ـ لمن

---

(١) هو من قول امرىء القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونةٌ زُرْقٌ كأنياب أغوالِ

يُرَدِّدُ الضَّرْبَ بَيْنَهُمَا ، وَالإِنْكَارُ إِمَّا لِلتَّوْبِيخِ أَىْ مَا كَانَ يَنْبَغِى أَنْ يَكُونَ ، نَحْوُ ـ أَعَصَيْتَ رَبَّكَ ـ أَوْ لَا يَنْبَغِى أَنْ يَكُونَ ،

نَحْوُ ـ أَتَعْصِى رَبَّكَ ـ أَوْ لِلتَّكْذِيبِ أَىْ لَمْ يَكُنْ ، نَحْوُ ـ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ ، أَوْ لَا يَكُونُ ، نَحْوُ ـ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ـ وَالتَّهَكُّمِ ، نَحْوُ ـ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ـ وَالتَّحْقِيرِ ، نَحْوُ ـ مَنْ هٰذَا ـ

يردد الضرب بينهما] من غير أن يعتقد تَعلُّقَه بغيرهما (١) فاذا أنكرت تعلقه بهما فقد نفيته عن أصله ، لأنه لابد له من محل يتعلق به [والانكار إما للتوبيخ أى ما كان ينبغي أن يكون] ذلك الأمر الذى كان [نحو ـ أعصيت ربك] فان العصيان واقع لكنه مُنْكَرٌ ، ومايقال إنه للتقرير فمعناه التحقيق والتثبيت [أو لا ينبغي أن يكون] أى أن يحدث ويتحقق مضمون ما دخلت عليه الهمزة ، وذلك فى المستقبل [نحو ـ أتعصى ربك] يعنى لاينبغى أن يتحقق العصيان [أو للتكذيب] فى الماضى [أى لم يكن نحو ـ أفأصفاكم ربكم بالبنين] أى لم يفعل ذلك [أو] فى المستقبل أى [لا يكون ، نحو ـ أنلزمكموها] أى أنلزمكم تلك الهداية أو الْحُجَّةَ ، بمعنى أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء والحال أنكم لها كارهون ، يعنى لا يكون منا هذا الالزام [والتهكم] عَطْفٌ على الاستبطاء أو على الانكار ، وذلك أنهم اختلفوا فى أنه إذا ذكر معطوفات كثيرة أن الجميع معطوف على الأول ، أو كل واحد عَطْفٌ على ماقبله [نحو ـ أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا] وذلك أن شعيبا عليه السلام كان كثير الصلاة ، وكان قومه إذا رأوه يصلى تضاحكوا ، فقصدوا بقولهم (أصلاتك تأمرك) الهزء والسخرية لا حقيقة الاستفهام [والتحقير نحو ـ من هـذا] استحقارا بشأنه مع أنك

والمشرفى السيف المنسوب الى مشارف الشام ، والمسنونة السهام المحددة النصال .

(١) الأولى أن يقول ـ بأن يعتقد عدم تعلقه بغيرهما ، لأن هذا هو مراد المتن .

وَالتَّهْوِيلِ ، كَقِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ، مَنْ فِرْعَوْنُ ـ بِلَفْظِ الاسْتِفْهَامِ وَرَفْعِ فِرْعَوْنَ ، وَلِهَذَا قَالَ ـ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ، وَالاسْتِبْعَادِ ، نَحْوُ ـ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ، ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ .

تعرفه [والتهويل كقراءة ابن عباس ـ ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين ، من فرعون ـ بلفظ الاستفهام] أى من بفتح الميم [ورفع فرعون] على أنه مبتدأ ومن الاستفهامية خبره ، أو بالعكس على اختلاف الرأيين ، فانه لا معنى لحقيقة الاستفهام هنا ، وهو ظاهر ، بل المراد أنه لما وصف الله العذاب بالشدة والفظاعة زادهم تهويلا بقوله (من فرعون) أى هل تعرفون من هو فى فرط عتوه وشدة شكيمته فما ظنكم بعذاب يكون الْمُعَذِّبُ به مِثْلَهُ [ولهذا قال ـ إنه كان عاليا من المسرفين] زيادة لتعريف حاله وتهويل عذابه [والاستبعاد ، نحو ـ أنى لهم الذكرى] فانه لا يجوز حمله على حقيقة الاستفهام ، وهو ظاهر ، بل المراد استبعاد أن يكون لهم الذكرى ، بقرينة قوله تعالى [وقد جاءهم رسول مبين ، ثم تولوا عنه] أى كيف يذكرون ويتعظون ويُوفُونَ بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم ماهو أعظم وأدخل فى وجوب

تطبيقات على الاستفهام :

(١) تسائلنى ما الْحُبُّ قلتُ عَوَاطِفٌ ... مُنَوَّعَةُ الأجناسِ مَوْطِنُهَا الْقَلْبُ

(٢) أَشَوْقًا ولما يَمْضِ لى غَيْرُ ليلة ... فكيف إذا شَطَّ الْمَطِىُّ بنا عَشْرَا

(٣) أَيُدْرِكُ ما أدركتُ إلا ابْنُ هِمَّةٍ ... يُمَارِسُ فى كَسْبِ الْعُلَا ما أُمَارِسُ

(٤) صَاحِ هذى قبورُنَا تملأ الرَّحْـ ... ـبَ فأين القبورُ من عهد عَادِ

مافى الأول لطلب الحقيقة ، والهمزة فى الثانى للتعجب ، وكيف فيه للتعظيم ، والهمزة فى الثالث للنفى ، وأين فى الرابع للتكثير .

وَمِنْهَا الْأَمْرُ ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ صِيغَتَهُ مِنَ الْمُقْتَرِنَةِ بِاللَّامِ نَحْوُ - لِيَحْضُرْ زَيْدٌ - وَغَيْرِهَا نَحْوُ - أَكْرِمْ عَمْراً ، وَرُوَيْدَ بَكْراً - مَوْضُوعَةٌ لِطَلَبِ الْفِعْلِ اسْتِعْلَاءً ، لِتَبَادُرِ الْفَهْمِ عِنْدَ سَمَاعِهَا إِلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى ، وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ لِغَيْرِهِ كَالْإِبَاحَةِ ، نَحْوُ - جَالِسِ الْحَسَنَ أَوِ ابْنَ سِيرِينَ -

---

الاذكار من كشف الدخان ، وهو ماظهر على يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره ، فلم يذكروا وأعرضوا عنه .

[ومنها] أي من أنواع الطلب [الأمر] وهو طلب فعل غير كَفّ على جهة الاستعلاء ، وصيغته تستعمل فى معَان كثيرة ، فاختلفوا فى حقيقته الموضوعة هى(١) لها اختلافا كثيرا ، ولما لم تكن الدلائل مفيدة للقطع بشىء قال المصنف [والأظهر أن صيغته من المقترنة باللام نحو - ليحضر زيد - وغيرها نحو - أكرم عمرا ورويد بكرا] فالمراد بصيغته مادل على طلب فعل غير كَفّ استعلاءً سواء كان اسما أو فعلا [موضوعة لطلب الفعل استعلاء] أى على طريق طلب العلو وعَدِّ الآمر نفسه عاليا سواء كان عاليا فى نفسه أم لا [لتبادر الفهم عند سماعها] أى سماع الصيغة [إلى ذلك] المعنى ، أعنى الطلب استعلاءً ، والتَّبَادُرُ إلى الفهم من أقوي أمارات الحقيقة [وقد تستعمل] صيغة الأمر [لغيره] أى لغير طلب الفعل استعلاء [كالاباحة نحو- جالس الحسن أوابن سيرين]

أمثلة أخرى :

(١) قوله تعالى - (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى ، قال رَبُّنَا الَّذِى أعطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) :

(٢) ليت شعْرى أتلك محكمةُ التَّفْــــتيشِ أم عهد نيرُونَ عَادَا

(٣) أضاعونى وأىَّ فَتًى أضاعوا ليوم كَرِيهَةٍ وسِـــدَادِ ثَغْرِ

(١) الضمير للصيغة وفى قوله - لها - للحقيقة .

وَالتَّهْدِيدِ ، نَحْوَ ـ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ـ وَالتَّعْجِيزِ ، نَحْوَ ـ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ـ

فيجوز له أن يجالس أحدهما أو كليهما وألا يجالس أحدا منهما أصلا [والتهديد] أى التخويف ، وهو أعم من الانذار ، لأنه إبلاغ مع التخويف (١) وفى الصّحاح الانذار تخويف مع دعوة [نحو ـ اعملوا ماشئتم] لظهور أن ليس المراد الأمر بكل عمل شاؤا [والتعجيز نحو ـ فأتوا بسورة من مثله] إذ ليس المراد طلب إتيانهم بسورة من مثله لكَوْنه محالا ، والظَّرْفُ أعنى قوله ـ من مثله ـ مُتَعلِّقٌ بفأتوا والضمير لعبدنا ، أو صفة لسورة والضمير لما نزّلْنَا أو لعبدنا (٢) فان قلت لم لا يجوز على الأول أن يكون الضمير لما نزلنا ، قلت لأنه يقتضى ثبوت مثل القرآن فى البلاغة وعُلُوِّ الطبقة بشهادة الذوق ، إذ التعجيز إنما يكون عن المَأْتِيِّ به (٣) فكأن مثل القرآن ثابت لكنهم عجزوا عن أن يأتوا منه بسورة ، بخلاف ماإذا كان وصفا للسورة فان المعجوز عنه هو السورة الموصوفة باعتبار انتفاء الوصف ، فان قلت فليكن التعجيز (٤) باعتبار انتفاء المأْتِيِّ منه ، قلنا احتمال عقلى لا يسبق إلى الفهم (٥) ولا يوجد له مَسَاغٌ فى اعتبارات البلغاء واستعمالاتهم فلا اعتداد به ، ولبعضهم هنا كلام طويل لا طائل تحته

---

(١) الأوضح ان يقال لأنه تخويف مع ابلاغ ، وهذا مثل قوله تعالى (قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) فصيغة ـ تمتعوا ـ مع ما بعدها تخويف بأمر مع إبلاغه عن الغير ، ولا يشترط فى التهديد الابلاغ عن الغير بأن يكون من عند نفسه ، ولهذا كان أعم من الانذار (٢) وهذا فى قوله تعالى قبل ذلك (وَإِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ من مِثْلِهِ) ـ الآية (٣) وهو السورة ، أى عن الاتيان بها مع وجود المأتي منه وهو المثل (٤) أي عند تعليق الظرف بقوله ـ فأتوا (٥) لأن القيود هى التى تكون مَحَطَّ القصد .

وَالتَّسْخِير ، نَحْوُ ـ كُونوا قِرَدَةً خاسِئِينَ ـ وَالإهَانَة ، نَحْوُ ـ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ـ وَالتَّسْوِيَة ، نَحْوُ ـ اصْبِرُوا أَوْ لاتَصْبِرُوا ـ وَالتَّمَنِّى نَحْوُ :

* أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِى *

وَالدُّعَاء ، نَحْوُ ـ رَبِّ اغْفِرْلِى ـ وَالالْتِماس ، كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُسَاوِيكَ رُتْبَةً ـ

[والتسخير نحو ـ كونوا قردة خاسئين ـ والاهانة نحو ـ كونوا حجارة أو حديدا] إذ ليس الغرض أن يطلب منهم كَوْنُهُمْ قردة أو حجارة لعدم قدرتهم على ذلك ، لٰكِنْ فى التسخير يحصل الفعل ، أعنى صَيْرُورَتَهُمْ قردة ، وفى الاهانة لايحصل ، إذ المقصود قِلَّةُ الْمُبَالَاة بهم [والتسوية نحو ـ اصبروا أو لاتصبروا] فنى الاباحة كأن الْمُخَاطَبَ تَوَهَّمَ أن الفعل محظور عليه فَأُذِنَ له فى الفعل مع عدم الْحَرَجِ في الترك ، وفى التسوية كأنه توهم أن أحد الطرفين من الفعل والترك أنفع له وأرجح بالنسبة اليه فَدُفِعَ ذلك وسُوِّىَ بينهما [والتمني نحو :

ألاَ أيُّهَا الليل الطويل ألاَ انْجَلِي] بصبح وماالاصباحُ منك بأمْثَلِ(١)

إذ ليس الغرض طلب الانجلاء من الليل ، إذ ليس ذلك فى وسعه ، لٰكنه يتمني ذلك تخلصا مما عرض له فى الليل من تَبَارِيحِ الْجَوَى ، ولاستطالته تلك الليلة كأنه لا طَمَاعِيَةَ له فى انجلائها ، فلهذا يحمل على التَّمَنِّى دون التَّرَجِّي [والدعاء] أي الطلب على سبيل التَّضَرُّعِ [نحو ـ رب اغفر لى ـ والالتماس ، كقولك لمن يساويك رتبة ـ

---

(١) هو لامرىء القيس ، وأمثل بمعنى أفضل .

افْعَلْ - بدُون اسْتِعْلَاء .

ثُمَّ الأَمْرُ قَالَ السَّكَّاكِي حَقُّهُ الفَوْرُ ، لأَنَّهُ الظَّاهِرُ مِنْ الطَّلَبِ ، ولتَبَادُرِ الفَهْمِ عِنْدَ الأَمْرِ بِشَيْءٍ بَعْدَ الأَمْرِ بِخِلَافِهِ إلى تَغْيِيرِ الأَمْرِ الأَوَّلِ دُونَ الجَمْعِ وإِرَادَةِ التَّرَاخِي ، فِيهِ نَظَرٌ .

افعل - بدون الاستعلاء] والتضرع ، فان قيل أيّ حاجة إلى قوله - بدون الاستعلاء - مع قوله - لمن يساويك رتبة - قلت قد سبق أن الاستعلاء لا يستلزم العلوّ ، فيجوز أن يتحقق من المُسَاوى بل من الأدنى أيضا .

[ثم الأمر قال السكاكى حقه الفور لأنه الظاهر من الطلب] عند الانصاف كما فى الاستفهام والنداء [ولتبادر الفهم عند الأمر بشيء بعد الأمر بخلافه إلى تغيير] الأمر [الأول دون الجمع] بين الأمرين [وإرادة التراخى] فان المولى إذا قال لعبده - قم - ثم قال له قبل أن يقوم - اضطجع حتى المساء - يتبادر الفهم إلى أنه غيّر الأمر بالقيام إلى الأمر بالاضطجاع ، ولم يرد الجمع بين القيام والاضطجاع مع تراخى أحدهما [وفيه نظر] لأنا لا نسلم ذلك عند خلوّ المقام عن القرائن (١) .

(١) و القرينة فى المثال هى قوله - حتى المساء - لأنه يقتضى أن يكون له مبدأ ، فيكون عقب ورود صيغة الأمر .

تطبيقات على الأمر :

(١) نَمْ يا فؤادُ فَحَوْلَ عرشك أُمَّةٌ ... عقدتْ خناصرَها على الاصلاحِ

(٢) وحسِّنْ ظنك بالأيام معجزةً ... فظُنَّ شرًّا وكن منها على حَذَرِ

(٣) أَرِيني جواداً مات هزْلاً لعلَّني ... أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلاً مُخَلَّدَا

الأمر فى الأول للدعاء لأنه من الأدنى الى الأعلى ، وفى الثانى للارشاد ،

وَمِنْهَا النَّهْىُ ، وَلَهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ وَهُوَ - لَا - الْجَازِمَةُ فِى نَحْوِ قَوْلِكَ - لَا تَفْعَلْ - وَهُوَ كَالْأَمْرِ فِى الِاسْتِعْلَاءِ ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِى غَيْرِ طَلَبِ الْكَفِّ أَوِ التَّرْكِ

[ومنها] أى من أنواع الطلب [النهى] وهو طلب الكَفِّ عن الفعل استعلاءً [وله حرف واحد وهو لا الجازمة فى نحو قولك - لا تفعل - وهو كالأمر فى الاستعلاء] لأنه المُتَبَادَرَ إلى الفهم [وقد يستعمل فى غير طلب الكف] عن الفعل كما هو مذهب البعض [أو] طلب [الترك] كما هو مذهب البعض ، فانهم اختلفوا في أن مقتضى النهى كَفُّ النفس عن الفعل بالاشتغال بأحد أضداده ، أو تَرْكُ الفعل وهو نفس ألَّا تفعل (١) .

وفى الثالث للتعجيز .

أمثلة أخرى :

(١) فَعِشْ واحدًا أو صِلْ أخاك فانَّهُ ... مُقَارِفُ ذنبٍ مَرَّةً ومُجَانِبُهْ

(٢) قُمْ للمعلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلاَ ... كاد المعلم أن يكون رسولا

(٣) ألِمَّا على مَعْنٍ وقولا لقبره ... سقتْكَ الغوادى مَرْبَعاً بعد مَرْبَعِ

(١) أي نفس عدم الفعل بناء على جواز التكليف به .

تطبيقات على النهى :

(١) قوله تعالى - (قَالَ يَاابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) :

(٢) لا تيأسوا أن تستردُّوا مجدكُمْ ... فَلَرُبَّ مغلوب هَوَى ثم ارتقى

(٣) نَذِيرى أتاك فلا تَتَّعِظْ ... وسوف يَرُوعُكَ صَبْرُ الحليمْ

كالتَّهْدِيد ، كَقَوْلِكَ لِعَبْدٍ لَا يَمْتَثِلُ أَمْرَكَ - لَا تَمْتَثِلْ أَمْرِى .

وَهٰذِهِ الْأَرْبَعَةُ يَجُوزُ تَقْدِيرُ الشَّرْطِ بَعْدَهَا ، كَقَوْلِكَ - لَيتَ لِى مَالاً أُنْفِقُهُ ، وَأَيْنَ بَيْتُكَ أَزُرْكَ ، وَأَكْرِمْنِي أُكْرِمْكَ ، وَلَا تَشْتُمْنِي يَكُنْ خَيْرًا لَكَ .

[كالتهديد ، كقولك لعبد لا يمتثل أمرك - لا تمتثل أمري] وكالدعاء والالتماس وهو ظاهر .

[وهذه الأربعة] يعنى التَّمنِّى - والاستفهام والأمر والنهى [يجوز تقدير الشرط بعدها] وإيراد الجزاء عَقِيبَهَا مجزوما بإنِ الْمُضْمَرَةَ مع الشرط [كقولك] فى التمنى [ليت لى مالا أنفقه] أى إن أرزقْهُ أنفقه [و] فى الاستفهام [أين بيتك أزرك] أى إن تُعَرِّفْنيه أزرك [و] فى الأمر [أكرمنى أكرمك] أى إن تكرمنى أكرمك [و] فى النهى [لاتشتمني يكن خيرا لك] أى إن لاتشتمنى يكن خيرا لك ، وذلك لأن الحامل للمتكلم على الكلام الطَّلَبِيِّ كَوْنُ المطلوب مقصودا للمتكلم إما لذاته أو لغيره لتوقف ذلك الغير على حصوله ، وهذا معنى الشرط ، فاذا ذكرت الطلب وذكرت

النهى فى الأول للالتماس ، وفى الثانى للارشاد ، وفى الثالث للتهديد .

أمثلة أخرى :

(١) لا تأخذنِّي بأقوال الْوُشَاةِ ولم أُذْنِبْ وقد كثرتْ فِيَّ الأقاويلُ

(٢) أعينَىَّ جُودَا ولا تجمُدَا ألاَ تبكيان لصخر النَّدَى

(٣) فَتَى الشِّعر هذا موطن الصدق والْهُدَى فلا تكذب التاريخ إن كنتُ مُنْشِدَا

وَأَمَّا الْعَرْضُ كَقَوْلِكَ ـ أَلَا تَنْزِلُ عِنْدَنَا تُصِبْ خَيْرًا ـ فَمُوَلَّدٌ مِنَ الاسْتِفْهَامِ ، وَيَجُوزُ تَقْدِيرُ الشَّرْطِ فِي غَيْرِهَا لِقَرِينَةٍ ، نَحْوُ ـ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ـ أَيْ إِنْ أَرَادُوا أَوْلِيَاءَ بِحَقٍّ .

بعده ما يصلح تَوَقُّفُهُ على المطلوب غَلَبَ على ظن الْمُخَاطَبِ كَوْنُ المطلوب مقصودا لذلك المذكور بعده لا لنفسه ، فيكون إذَنْ معنى الشرط فى الطلب مع ذكر ذلك الشيء ظاهراً . ولما جعل النحاة الأشياء التى يُضْمَرُ حرف الشرط بعدها خمسة أشياء أشار المصنف إلى ذلك بقوله [وأما العرض كقولك ـ ألا تنزل عندنا تصب خيرا] أى إن تنزل تصب خيرا [فمولد من الاستفهام] وليس شيئا آخر برأسه ، لأن الهمزة فيه للاستفهام دخلت على فعل منفى ، وامتنع حملها على حقيقة الاستفهام للعلم بعدم النزول مثلا ، فَتَوَلَّدَ عنه بمعونة قرينة الحال عَرْضُ النزول على المخاطب وطَلَبُهُ منه [ويجوز تقدير الشرط فى غيرها] أى فى غير هذه المواضع [لقرينة] تدل عليه (١) [نحو ـ أم اتَّخَذوا منْ دُونه أوْلياءَ فالله هو الولى ـ أى إن أرادوا أولياء بحق] فالله هو الولى الذى يجب أن يُتَوَلَّى وحده ويُعْتَقَدَ أنه الْمَوْلَى والسيد ، وقيل لاشك أن قَوْلَهُ (أم اتخذوا) إنكار تَوْبِيخ ، بمعنى أنه لا ينبغى أن يتخذ من دونه أولياء ، وحينئذ يترتب عليه قوله تعالى (فالله هو الولى) من غير تقدير شرط ، كما يقال ـ لا ينبغى أن يُعْبَدَ غَيْرُ الله فالله هو المستحق للعبادة ـ وفيه نظر ، إذ ليس كل مافيه معنى الشيء حكمه حكم ذلك الشيء ، والطبع المستقيم شاهد صِدْقٍ على صحة قولنا ـ لا تَضْرِبْ زيدا فهو أخوك ـ بالفاء ، بخلاف ـ أتضرب زيدا فهو أخوك ـ اسْتِفْهَامَ إنْكَارٍ ، فانه لا يصح إلا بالواو الحالية .

---

(١) مثل الفاء فى قوله ـ فالله هو الولى .

وَمِنْهَا النِّدَاءُ ، وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ صِيغَتُهُ فِى غَيْرِ مَعْنَاهُ كَالاغْرَاءِ فِى قَوْلِكَ لِمَنْ أَقْبَلَ يَتَظَلَّمُ ـ يَا مَظْلُومُ ـ وَالاخْتِصَاصِ فِى قَوْلِهِمْ ـ أَنَا أَفْعَلُ كَذَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ـ

[ومنها] أى من أنواع الطلب [النـداء] وهو طلب الاقبال بحرف نائب مَنَابَ أدعو لفظا أو تقديرا (١) [وقد تستعمل صيغته] أى صيغة النداء [فى غير معناه] وهو طلب الاقبال [كالاغراء فى قولك لمن أقبل يتظلم ـ يا مظلوم] قَصْدًا الى إغرائه وحَثِّه على زيادة التظلم وبَثِّ الشكوى ، لأن الاقبـال حاصل [والاختصاص في قولهم ـ أنا أفعل كذا أيها الرجل] فقولنا ـ أيها الرجل ـ أصله تخصيص الْمُنَادَى بطلب إقباله عليك ، ثم جُعِلَ مُجَرَّدًا عن طلب الاقبال ونُقِلَ إلى تخصيص مدلوله من بين أمثاله بما نسب اليه ، إذ ليس المراد بأيّ ووَصْفه الْمُخَاطَبَ ، بل مادل عليه ضمير المتكلم (٢) فأيُّها مَضْمُومٌ (٣)

---

(١) نحو قوله تعالى ـ (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِى لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) ـ فالتقدير يايوسف (٢) ولهـذا كان الاختصاص صُورَتُه صُورَةُ نداء وليس بنداء ، فلا يجوز فيه إظهار حرف النـداء كما يجوز في غيره (٣) يعنى أنه مبنى على الضم لأنه نـكرة مقصودة ، وهو فى محل نصب بفعل محذوف تقديره ـ أُخُصُّ .

تطبيقات على النداء :

(١) أيَامَنَازِلَ سـلمى أين سَلْمَاكِ   من أجل هـذا بكيناها بكيناكِ

(٢) فيالائمى دعـنى أُغَالِى بقيمتي   فَقيمَةُ كُلِّ النـاس ما يحسـنونَه

(٣) إنَّا بَنِى نَهْشَلٍ لا نَدَّعِى لأبٍ   عنـه ولا هو بالآباء يَشْرِينَا

النداء فى الأول للتحسر ، وهو من نداء البعيـد لعظم شأن الْمُنَادَى عنـد المنادي ،

أَىْ مُتَخَصِّصًا مِنْ بَيْنِ الرِّجَالِ .

ثُمَّ الْخَبَرُ قَدْ يَقَعُ مَوْقِعَ الْإِنْشَاءِ إِمَّا لِلتَّفَاؤُلِ ، أَوْ لِإِظْهَارِ الْحِرْصِ فِى وُقُوعِهِ كَمَا مَرَّ ، وَالدُّعَاءُ بِصِيغَةِ الْمَاضِى مِنَ الْبَلِيغِ يَحْتَمِلُهُمَا ، أَوْ لِلِاحْتِرَازِ

والرجل مرفوع ، والمجموع فى محل النصب على أنه حال ، ولهذا قال [أى متخصصا] أى مختصا [من بين الرجال] وقد تستعمل صيغة النداء فى الاستغاثة ، نحو - يَالَلّٰه - وَالتعجُّب ، نحو - يالَلْمَاءِ - وَالتَّحَسُّرِ وَالتَّوَجُّعِ ، كما فى نداء الأطلال والمنازل والمطايا وما أشبه ذلك .

[ثم الخبر قد يقع موقع الانشاء إما للتفاؤل] بلفظ الماضى دلالة على أنه كأنه وقع ، نحو - وفقك الله للتقوى [أو لاظهار الحرص فى وقوعه كما مر] فى بحث الشرط ، من أن الطالب إذا عظمت رغبته فى شىء يكثر تَصَوُّرُهُ إِيَّاهُ فربما يخيل اليه حاصلا ، نحو - رزقنى الله لقاءك [والدعاء بصيغة الماضى من البليغ] كقوله - رحمه الله [يحتملهما] أي التفاؤل وإظهار الحرص ، وأما غير البليغ فهو ذَاهِلٌ عن هذه الاعتبارات [أو للاحتراز

وقوله - بكيناها بكيناك - على تقدير حرف العطف ، وفى الثانى لطلب الاقبال ، وهو من نداء البعيد للاشارة الى انحطاط رتبته ، وفى الثالث للاختصاص ، والتقدير - أخص بنى نهشل .

أمثلة أخرى :

(١) صَادِحَ الشرق قد سكتَّ طَوِيلاَ ... وَعَــزِيزٌ علينا ألاَّ تقولاَ

(٢) يالكِ من قُبَّرَةٍ بِمَعْمَرِ ... خلالكِ الْجَوُّ فبيضى واصفرى

(٣) يالَلرِّجَالِ ذوى الألباب من نَفَرٍ ... لا يبرح السَّفَهُ الْمُرْدِى لهم دينَا

عَنْ صُورَةِ الْأَمْرِ ، أَوْ لِحَمْلِ الْمُخَاطَبِ عَلَى الْمَطْلُوبِ ، بِأَنْ يَكُونَ مِمَّنْ لَا يُحِبُّ أَنْ يُكَذِّبَ الطَّالِبَ .

تَنْبِيهٌ

الْإِنْشَاءُ كَالْخَبَرِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا ذُكِرَ فِي الْأَبْوَابِ الْخَمْسَةِ السَّابِقَةِ فَلْيَعْتَبِرْهُ النَّاظِرُ .

عن صورة الأمر (١)] كقول العبد للمولى - ينظر المولى إلىَّ ساعة - دون انظُرْ - لأنه فى صورة الأمر ، وإنْ قُصِدَ به الدعاء أو الشفاعة [أو لحمل المخاطب على المطلوب بأن يكون] المخاطب [ممن لا يحب أن يكذب الطالب] أي ينسب اليه الكذب ، كقولك لصاحبك الذى لا يحب تكذيبك - تأتينى غدا - مقام - ائتنى - تحمله بألطف وجه على الاتيان ، لأنه إن لم يأتك غدا صرت كاذبا من حيث الظاهر ، لِكَوْنِ كلامك فى صورة الخبر .

تنبيه

[الانشاء كالخبر فى كثير مما ذكر فى الأبواب الخمسة السابقة] يعنى أحوال الاسناد ، والمسند اليه ، والمسند ، ومتعلقات الفعل ، والقصر [فليعتبره] أي ذلك الكَثِيرَ الذى يُشَارِكُ فيه الانشاءُ الْخَبَرَ [الناظر] بنور البصيرة فى لطائف الكلام ، مثلا الكلام

---

(١) ولا يكون هذا بلفظ الماضى ، بل يكون بلفظ المضارع كما فى المثال المذكور ، وكذلك حمل المخاطب على المطلوب .

تطبيقات على وقوع الخبر موقع الانشاء :

(١) قوله تعالى - (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ

الفَصْلُ وَالوَصْلُ

الوَصْلُ عَطْفُ

الانشائى أيضا إما مُؤَكَّدٌ أو غير مؤكد ، والمسند اليه فيـه إما محذوف أو مذكور ، إلى غير ذلك (١) .

الفصل والوصل

بدأ بذكر الفصل لأنه الأصل ، والوصل طَارٍ أى عارضٌ عليـه حاصل بزيادة حرف من حروف العطف ، لٰكنْ لما كان الوصل بمنزلة المْلكَةَ والفصل بمنزلة عدمها ، والأعدام إنما تُعرَفُ بملكاتها — بدأ فى التعريف بذكر الوصل فقال [الوصل : عطف

حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العْاَلَمِينَ) .

(٢) أتَانِى أبيْتَ اللعن أنك لُمْتَنِى ‍ ‍ ‍ ‍ وتلك التى أهْتَمُّ منها وأنْصَبُ

فالأول بمعني — ونُيَأْمَنْ من دخله — والغرض منـه إظهار الحرص علي وقوعه ، والثانى — أبيت اللعن — بمعني الدعاء ، والغرض منه إظهار التفاؤل به .

امثلة أخرى :

(١) ألاَ يا اسلَمِى يا دارمَىَّ على الْبِلَى ‍ ‍ ‍ ‍ ولا زال مُنْهَلاًّ بجَرْعَائك الْقَطْرُ

(٢) قوله تعالى — (وَإِذْ أخَذْنَا مِيثَاقَـكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أقْرَرْتُمْ وَأنْتُمْ تَشْهَدُونَ) .

(١) هذا فى الحقيقة هو الذى يرجع الى علم المعانى من مباحث الانشاء ، أما الذى سبق من أول الباب الى هنا فالأولى به علم البيان لا علم المعـانى ، لأنه يدور على بيان

بَعضِ الْجُمَلِ عَلَى بَعضٍ ، وَالفَصلُ تَرْكُهُ ، فاذَا أَتَتْ جُمْلَةٌ بَعْدَ جُمْلَةٍ فَالأُولَى إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهَا مَحَلٌّ مِنَ الاعْرَابِ أَوْ لاَ ، وَعَلَى الأَوَّلِ إِنْ قُصِدَ تَشْرِيكُ الثَّانِيَةِ لَهَا فِى حُكْمِهِ عُطِفَتْ عَلَيْهَا كَالْمُفْرَدِ ، فَشَرْطُ كَوْنِهِ مَقْبُولاً بِالوَاوِ وَنَحْوِهِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا جِهَةٌ جَامِعَةٌ ، نَحْوُ ـ زَيْدٌ يَكْتُبُ وَيَشْعُرُ ، أَوْ يُعْطِي وَيَمْنَعُ ـ

بعض الجمل على بعض ، والفصل : تركه] أى ترك عطفه عليه (١) [فاذا أتت جملة بعد جملة فالأولى إما أن يكون لها محل من الاعراب أولا ، وعلى الأول] أى على تقدير أن يكون للأولى محل من الاعراب [إن قصد تشريك الثانية لها] أى للأولى [فى حكمه] أى فى حكم الاعراب الذى لها ، مثل كونها خبر مبتدإ أو حالا أو صفة أو نحو ذلك [عطفت] الثانية [عليها] أى على الأولى ، ليدل العطف على التشريك المذكور [كالمفرد] فانه إذا قصد تشريكه لمفرد قبله فى حكم إعرابه من كونه فاعلا أو مفعولا أو نحو ذلك وجب عطفه عليه (٢) [فشرط كونه] أى كون عطف الثانية على الأولى [مقبولا بالواو ونحوه أن يكون بينهما] أى بين الجملتين [جهة جامعة ، نحو ـ زيد يكتب ويشعر] لما بين الكتابة والشعر من التناسب الظاهر [أو يعطى ويمنع] لما بين الاعطاء والمنع من التضاد ، بخلاف نحو ـ زيد يكتب ويمنع أو يعطي ويشعر ـ وذلك لئلا يكون الجمع بينهما كالجمع بين الضَّبِّ والنون (٣) وقوله ـ ونحوه ـ أراد به ما يدل

المعاني الحقيقية والمجازية للأنواع الانشائية ، وانما قال ـ فى كثير مما ذكر الخ ـ لأن من ذلك مالا يجرى فى الانشاء ، كالتأكيد الذي لدفع الشك أو الانكار ، لعدم تأتِّى هذا فيه .

(١) جرى الخطيب فى تعريفه للوصل والفصل على أنهما مختصان بالجمل ، وقيل إنهما يأتيان فى المفردات أيضا (٢) أي غالبا ، لأنه يجوز تركه فى الصفة والخبر ، نحو ـ زيد الكاتب الشاعر أو كاتب شاعر ـ بل تركه فيهما أحسن (٣) فى عدم التناسب

وَلِهٰذَا عِيبَ عَلَى أَبِى تَمَّامٍ قَوْلُهُ :

لَا وَالَّذِى هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبِرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمُ

وَإِلَّا فُصِلَتْ عَنْهَا ، نَحْوُ ـ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ـ لَمْ يُعْطَفْ ـ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ

على التشريك كالفاء وثم وحتى ، وذكره حشو مفسد ، لأن هذا الحكم مختص بالواو ، لأن لكل من الفاء وثم وحتى معنى محصلاً غير التشريك والجمعية ، فان تحقق هذا المعنى حسن العطف وإن لم توجد جهة جامعة (١) بخلاف الواو [ولهذا] أى ولأنه لابد فى الواو من جهة جامعة [عيب على أبى تمام قوله :

لا والذى هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم] (٢)

إذ لا مناسبة بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى ، فهذا العطف غير مقبول سواء جعل عطف مفرد على مفرد كما هو الظاهر ، أو عطف جملة على جملة باعتبار وقوعه موقع مفعولى ـ عالم ـ لأن وجود الجامع شرط فى الصورتين ، وقوله ـ لا ـ نفي لما ادعته الحبيبة عليه من اندراس هواه ، بدلالة البيت السابق (٣) .

[وإلا] أى وإن لم يقصد تشريك الثانية للأولى فى حكم إعرابها [فصلت] الثانية [عنها] لئلا يلزم من العطف التشريك الذى ليس بمقصود [نحو ـ وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ـ لم يعطف ـ الله يستهزئ

لأن النون وهو الحوت حيوان بحرى ، والضب حيوان برى (١) نحو قولك ـ خرجت فأمطرت السماء (٢) النوى الفراق ، والصبر بفتح الصاد وكسر الباء عصارة شجر مر ، وأبو الحسين هو محمد بن الهيثم الذى مدحه أبو تمام بهذه القصيدة (٣) وهو قوله :

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا عنها طلول باللوى ورسوم

ـ عَلَى ـ إِنَّا مَعَكُمْ ـ لأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ مَقُولِهِمْ .

وَعَلَى الثَّانِي إِنْ قُصِدَ رَبْطُهَا بِهَا عَلَى مَعْنَى عَاطِفٍ سِوَى الْوَاوِ عُطِفَتْ بِهِ ، نَحْوُ ـ دَخَلَ زَيْدٌ فَخَرَجَ عَمْرٌو أَوْ ثُمَّ خَرَجَ عَمْرٌو ـ إِذَا قُصِدَ التَّعْقِيبُ أَوِ الْمُهْلَةُ .

وَإِلَّا فَإِنْ كَانَ لِلْأُولَى حُكْمٌ لَمْ يُقْصَدْ إِعْطَاؤُهُ لِلثَّانِيَةِ فَالْفَصْلُ ،

بهم ـ على ـ إنا معكم ـ لأنه ليس من مقولهم] فلو عطف عليه لزم تشريكه له فى كَوْنه مفعول ـ قالوا ـ فيلزم أن يكون مقول قول المنافقين وليس كذلك ، وإنما قال على ـ إنا معكم ـ دون ـ إنما نحن مستهزئون ـ لأن قوله ـ إنما نحن مستهزئون ـ بيان لقوله ـ إنا معكم ـ فحكمه حكمه ، وأيضا العطف على المتبوع هو الأصل .

[وعلى الثانى] أي على تقدير ألا يكون للأولى محل من الاعراب [إن قصد ربطها بها] أى ربط الثانية بالأولى [على معنى عاطف سوى الواو عطفت] الثانية على الأولى [به] أي بذلك العاطف من غير اشتراط أمر آخر [نحو ـ دخل زيد فخرج عمرو أو ثم خرج عمرو ـ إذا قصد التعقيب أو المهلة] وذلك لأن ماسوى الواو من حروف العطف يفيد مع الاشتراك معانى مُحَصَّلَةً مُفَصَّلَةً فى علم النحو ، فاذا عطفت الثانية على الأولى بذلك العاطف ظهرت الفائدة ، أعنى حصول معانى هذه الحروف ، بخلاف الواو ، فانه لا يفيد إلا مجرد الاشتراك ، وهذا إنما يظهر فيما له حكم إعرابى ، وأما فى غيره ففيه خفاء وإشكال (١) وهو السبب في صعوبة باب الفصل والوصل ، حتى حصر بعضهم البلاغة فى معرفة الفصل والوصل .

[وإلا] أى وإن لم يقصد ربط الثانية بالأولى على معنى عاطف سوى الواو [فان كان للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية فالفصل] واجب لئلا يلزم من الوصل

---

(١) وهذا لأنه يتوقف على معرفة الجهة الجامعة المتوقفة على النظر فيما بين الجملتين من الأحوال الستة الآتية .

نَحْوُ - وَإِذَا خَلَوْا - الآيَةَ - لَمْ يعطف - اللهُ يَسْتَهزِىء بِهِمْ - عَلَى - قَالُوا - لِئَلاَّ يُشَارِكَهُ فِى الاختصاص بالظَّرْفِ لِمَا مَرَّ .

وَإِلاَّ فإنْ كَانَ بينهُمَا كَمالُ الانقطاعِ بلا إيهامٍ أَوْ الاتِّصَالِ أَوْ شِبْهُ أَحَدِهِمَا فَكَذَلِكَ، وَإِلاَّ فالوَصْلُ متعيّن .

التشريك فى ذلك الحكم [نحو - وإذا خلوا - الآية ، لم يعطف - الله يستهزىء بهم - على - قالوا - لئلا يشاركه فى الاختصاص بالظرف لما مر] من أن تقديم المفعول ونحوه من الظرف وغيره يفيد الاختصاص ، فيلزم أن يكون استهزاء الله بهم مختصا بحال خلوهِمْ إلى شياطينهم ، وليس كذلك ، فان قيل إذا شَرْطِيَّةٌ لا ظرفية ، قلنا إذا الشرطية هى الظرفية استعملت استعمال الشرط ، ولو سلم فلا ينافى ما ذكرناه ، لأنه اسم معناه الوقت لابد له من عامل ، وهو - قالوا إنا معكم - بدلالة المعنى ، وإذا قدم متعلق الفعل وعطف فعل آخر عليه يفهم اختصاص الفعلين به ، كقولنا - يوم الجمعة سرت وضربت زيدا - بدلالة الفَحْوَى (١) والذوق .

[وإلا] عَطْفٌ على قوله - فان كان للأولى حكم - أى وإن لم يكن للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية ، وذلك بألا يكون لها حكم زائد على مفهوم الجملة ، أو يكون ولكن قصد إعطاؤه للثانية أيضا [فان كان بينهما] أى بين الجملتين [كمال الانقطاع بلا إيهام] أى بدون أن يكون في الفصل إيهام خلاف المقصود [أو كمال الاتصال ، أو شبه أحدهما] أي أحد الكمالين [فكذلك] أى يتعين الفصل ، لأن الوصل يقتضى مُغَايِرَةً وَمُنَاسَبَةً [وإلا] أى وإن لم يكن بينهما كمال الانقطاع بلا إيهام ولا كمال الاتصال ولا شبه أحدهما [فالوصل متعين] لوجود الداعي وعدم المانع .

والحاصل أن للجملتين اللتين لا محل لهما من الاعراب ولم يكن للأولى حكم لم

---

(١) الفحوى قُوَّةُ الكلام باعتبار قرائن الأحوال .

أَمَّا كَمَالُ الانْقطاع فَلاخْتلاَفِهما خَبرًا وَإِنْشَاءً لَفظًا ومعنى ، نَحْوُ :

وَقَالَ رَائِدُهُمْ أَرْسُــوا نُزَاوِلُهَـا   فَكُلُّ حَتْفِ امْرِىءٍ يَجْرِى بِمِقْدَارِ

يقصد إعطاؤه للثانية ستة أحوال : الأول كمال الانقطاع بلا إيهام ، الثانى كمال الاتصال ، الثالث شبه كمال الانقطاع ، الرابع شبه كمال الاتصال ، الخامس كمال الانقطاع مع الايهام ، السادس التوسط بين الكمالين ، فحكم الأخيرين الوصل ، وحكم الأربعة السابقة الفصل ، فأخذ المصنف فى تحقيق الأحوال الستة فقال [أما كمال الانقطاع] بين الجملتين [فلاختلافهما خبرا وإنشاء لفظا ومعنى] بأن تكون إحداهما خبرا لفظا ومعنى والأخرى إنشاء لفظا ومعنى [نحو - وقال رائدهم] هو الذى يتقدم القوم لطلب الماء والكَلأِ [أرسوا] أي أقيموا ، من - أرْسَيْتُ السفينة - حبستها بالمِرْسَاة (١) [نزاولها] أى نحاول تلك الحرب و نعالجها [فكل حتف امرىء يجرى بمقدار] (٢) أى أقيموا

(١) المرساة بكسر الميم حديدة تلقى فى الماء متصلة بالسفينة فتقف ، و بفتحها مكان الرُّسُوِّ (٢) البيت للأخطل وهو من شعراء الدولة الأموية .

تطبيقات على الفصل لكمال الانقطاع :

(١) قوله تعالى - (أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) .

(٢)   إنما المرءُ بأصغريْه   كُلُّ امرىءٍ رَهْنٌ بما لَدَيْه

فصل فى الأول لاختلاف الجملتين خبرا وإنشاء ، وفى الثاني لأنه لاجامع بينهما .

أمثلة أخرى :

(١) جَزَى الله الشدائد كُلَّ خَيْرٍ   عرفتُ بها عَدُوِّى من صديقى

(٢) الْفَقْرُ فيما جاوز الْكَفَافَا   من اتَّقَى الله رَجَا وخَافَا

أَوْ مَعْنًى فَقَطْ ، نَحْوُ ـ مَاتَ فُلَانٌ رَحِمَهُ اللهُ ـ أَوْ لِأَنَّهُ لَا جَامِعَ بَيْنَهُمَا كَمَا سَيَأْتِى .

وَأَمَّا كَمَالُ الاتِّصَالِ فَلِكَوْنِ الثَّانِيَةِ مُؤَكِّدَةً لِلْأُولَى لِدَفْعِ تَوَهُّمِ تَجَوُّزٍ أَوْ غَلَطٍ ، نَحْوُ ـ لَا رَيْبَ فِيهِ ـ فَإِنَّهُ لَمَّا بُولِغَ فِى وَصْفِهِ بِبُلُوغِهِ الدَّرَجَةَ القُصْوَى فِى الْكَمَالِ

نقاتل ، فان موت كل نفس يجرى بقدر الله تعالى ، لا الجبن يُنْجيه ، ولا الاقدام يُرْديه ، لم يعطف ـ نزاولها ـ على ـ أرسوا ـ لأنه خبر لفظا ومعنى ، وأرسوا إنشاء لفظا ومعنى ، وهذا مثال لكمال الانقطاع بين الجملتين باختلافهما خبرا وإنشاء لفظا ومعنى مع قطع النظر عن كون الجملتين مما ليس له محل من الاعراب ، وإلا فالجملتان فى محل النصب على أنه مفعول ـ قال [أو] لاختلافهما خبرا وإنشاء [معنى فقط] بأن تكون إحداهما خبرا معنى والأخرى إنشاء معنى ، وإن كانتا خبريَّتين أو إنشائيَّتين لفظا [نحو ـ مات فلان رحمه الله] لم يعطف ـ رحمه الله ـ على ـ مات ـ لأنه إنشاء معنى ، ومات خبر معنى، وإن كانتا جميعا خبريتين لفظا [أو لأنه] عَطْفٌ على ـ لاختلافهما ـ والضمير للشان [لاجامع بينهما كما سيأتى] بيان الجامع ، فلا يصح العطف في مثل ـ زيد طويل وعمرو نائم .

[وأما كمال الاتصال] بين الجملتين [فلكون الثانية مؤكدة للأولى] تأكيدا معنويا [لدفع توهم تجوز أو غلط نحو ـ لاريب فيه] بالنسبة إلى ـ ذلكَ الكِتابُ ـ إذاجُعِلَتْ ـ الم ـ طائفةً من الحروف أوجملةً مستقلةً (١) و ـ ذلك الكتاب ـ جملة ثانية و ـ لاريب فيه ـ ثالثة (٢) [فانه لما بولغ فى وصفه] أى وصف الكتاب [ببلوغه] متعلق ـ بوصفه ـ أى فى أن وُصفَ بأنه بلغ [الدرجة القصوى في الكمال] وبقوله ـ بولغ ـ تتعلق الباء

---

(١) اى مع حذف أحد جزأيها ، والتقدير ـ هذا الم أو أقسم بألم (٢) أما إذا جعل ـ ذلك الكتاب ـ مبتدءا وجملة ـ لاريب فيه ـ خبرعنه أونحوذلك فلا يجرى فيه ماذكره .

بجعل المبتدإ ذلك وتعريف الخبر باللام جاز أن يتوهم السامع قبل التأمل أنه مما يرمى به جزافا، فأتبعه نفيا لذلك التوهم، فوزانه وزان - نفسه - في - جاءني زيد نفسه - ونحو - هدى للمتقين - فإن معناه أنه في الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها، حتى كأنه هداية محضة، وهذا معنى - ذلك الكتاب - لأن معناه كما مر الكتاب

في قوله [بجعل المبتدإ ذلك] الدال على كمال العناية بتمييزه، والتوسل ببعده إلى التعظيم وعلو الدرجة [وتعريف الخبر باللام] الدال على الانحصار مثل - حاتم الجواد - فمعنى - ذلك الكتاب - أنه الكتاب الكامل الذي يستأهل أن يسمى كتابا، كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص، بل ليس بكتاب [جاز] جواب - لما - أي جاز بسبب هذه المبالغة المذكورة [أن يتوهم السامع قبل التأمل أنه] أعني قوله - ذلك الكتاب [مما يرمى به جزافا] من غير صدور عن روية وبصيرة [فأتبعه] على لفظ المبني للمفعول، والمرفوع المستتر عائد إلى - لا ريب فيه - والمنصوب البارز إلى - ذلك الكتاب - أي جعل - لا ريب فيه - تابعا لذلك الكتاب [نفيا لذلك] التوهم [فوزانه] أي وزان - لا ريب فيه - مع - ذلك الكتاب [وزان نفسه] مع زيد [في - جاءني زيد نفسه] فظهر أن لفظ - وزان - في قوله - وزان نفسه - ليس بزائد كما توهم. أو تأكيدا لفظيا كما أشار إليه بقوله [ونحو - هدي] أي هو هدي [للمتقين] أي الضالين الصائرين إلى التقوى (١) [فان معناه أنه] أي الكتاب [في الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها] أي غايتها، لما في تنكير - هدى - من الابهام والتفخيم [حتى كأنه هداية محضة] حيث قيل - هدى - ولم يقل هاد [وهذا معني ذلك الكتاب، لأن معناه كما مر الكتاب

---

(١) فهو من مجاز الأول، لأن المتقين بالفعل مهديون، فلا يكون فيه هداية لهم.

الْكَامِلُ ، وَالْمُرَادُ بِكَمَالِه كَمَالُه فِى الْهِدَايَةِ ، لأَنَّ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ بِحَسَبِهَا تَتَفَاوَتُ فِى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ ، فَوِزَانُهُ وِزَانُ ـ زَيْدٌ الثَّانِى ـ فِى ـ جَاءَنِى زَيْدٌ زَيْدٌ ـ أَوْ بَدَلاً مِنْهَا لأَنَّهَا غَيْرُ وَافِيَةٍ بِتَمَامِ الْمُرَادِ أَوْ كَغَيْرِ الْوَافِيَةِ بِخِلافِ الثَّانِيَةِ ، وَالْمَقَامُ يَقْتَضِى اعْتِنَاءً بِشَأْنِه لِنُكْتَةٍ ، كَكَوْنِه مَطْلُوبًا فِى نَفْسِه أَوْ فَظِيعًا أَوْ عَجِيبًا أَوْ لَطِيفًا ، نَحْوُ ـ أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ، أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ، وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ـ فَإِنَّ الْمُرَادَ التَّنْبِيهُ عَلَى نِعَمِ اللهِ تَعَالَى ، وَالثَّانِى أَوْفَى بِتَأْدِيَتِه لِدَلالَتِه عَلَيْهَا بِالتَّفْصِيلِ مِنْ غَيْرِ إِحَالَةٍ عَلَى عِلْمِ الْمُخَاطَبِينَ الْمُعَانِدِينَ ،

الكامل ، والمراد بكماله كماله فى الهداية ، لأن الكتب السماوية بحسبها] أى بقدر الهداية واعتبارها [تتفاوت فى درجات الكمال] لا بحسب غيرها ، لأنها المقصود الأصلى من الانزال [فوزانه] أى وزان ـ هدى للمتقين [وزان زيد الثانى فى ـ جاءنى زيد زيد] لكونه مقررًا لذلك الكتاب مع اتفاقهما فى المعنى ، بخلاف ـ لاريب فيه ـ فانه يخالفه معنى [أو] لكون الجملة الثانية [بدلا منها] أى من الأولى [لأنها] أى الأولى [غير وافية بتمام المراد ، أو كغير الوافية] حيث يكون فى الوفاء قصورما أو خفاء ما [بخلاف الثانية] فانها وافية كمال الوفاء [والمقام يقتضى اعتناء بشأنه] أى بشأن المراد [لنكتة ، ككونه] أى المراد [مطلوبا فى نفسه أو فظيعا أوعجيبا أولطيفا] فتنزل الثانيـة من الأولى منزلة بدل البعض أو الاشتمال ، فالأول [نحو ـ أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين ، وجنات وعيون ، فان المراد التنبيه على نعم الله تعالى] والمقام يقتضى اعتناء بشأنه ، لكونه مطلوبا فى نفسه وذريعةً إلى غيره(١)[والثانى] أعنى قوله ـ أمدكم بأنعام الخ [أوفى بتأديته] أى تأدية المراد الذى هو التنبيه [لدلالته] أى الثانى [عليها] أى على نعم الله تعالى [بالتفصيل من غير إحالة على علم المخاطبين المعاندين ،

---

(١) وهو التقوى فى قوله (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) .

فَوَزَانُهُ وِزَانُ ـ وَجْهُهُ ـ فِي ـ أَعْجَبَنِي زَيْدٌ وَجْهُهُ ـ لِدُخُولِ الثَّانِي فِي الْأَوَّلِ ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

أَقُولُ لَهُ ارْحَلْ لَا تُقِيمَنَّ عِنْدَنَا وَإِلَّا فَكُنْ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْلِمَا

فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ إِظْهَارُ كَمَالِ الْكَرَاهَةِ لِإِقَامَتِهِ ، وَقَوْلُهُ ـ لَا تُقِيمَنَّ عِنْدَنَا ـ أَوْفَى بِتَأْدِيَتِهِ ، لِدَلَالَتِهِ عَلَيْهِ بِالْمُطَابَقَةِ مَعَ التَّأْكِيدِ ، فَوِزَانُهُ وِزَانُ ـ حُسْنُهَا ـ فِي ـ أَعْجَبَتْنِي الدَّارُ حُسْنُهَا ـ لِأَنَّ عَدَمَ الْإِقَامَةِ مُغَايِرٌ لِلِارْتِحَالِ وَغَيْرُ دَاخِلٍ فِيهِ

فوزانه وزان وجهه فى ـ أعجبني زيد وجهه ـ لدخول الثانى فى الأول] لأن ماتعلمون يشمل الأنعام وغيرها [و] الثانى أعنى الْمُنَزَّل منزلة بدل الاشتمال [نحو قوله :

أقول له ارحل لاتقيمن عندنا وإلا فكن فى السر والجهر مسلما (١)

فان المراد به] أى بقوله ـ ارحل [كمال إظهار الكراهة لاقامته] أى الْمُخَاطَب [وقوله ـ لاتقيمن عندنا ـ أوفى بتأديته لدلالته] أى لدلالة ـ لا تقيمن [عليه] أى على كمال إظهار الكراهة [بالمطابقة مع التأكيد] الحاصل من النون ، وَكَوْنُهَا مطابقة باعتبار الوضع الْعُرْفِيِّ ، حيث يقال ـ لا تقم عندى ـ ولا يقصد كَفُّهُ عن الاقامة ، بل مجرد إظهار كراهة حضوره [فوزانه] أى وزان ـ لاتقيمن عندنا [وزان حسنها فى ـ أعجبتنى الدار حسنها ـ لأن عدم الاقامة مغاير للارتحال] فلا يكون تأكيدا [وغير داخل فيه] فلا يكون بدل بعض ، ولم يُعْتَدَّ ببدل الكل لأنه إنما يتميز عن التأكيد بمغايرة اللفظين وكون المقصود هو الثاني ، وهذا لا يتحقق فى الجمل لاسيما التى لامحل لها من الاعراب

---

(١) لم يعرف شارح الشواهد قائله ، ومعناه أنه يريد من صاحبه أن يكون معه على مايكون عليه المسلم من استواء ظاهره وباطنه .

مَعَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُلَابَسَةِ ، أَوْ بَيَانًا لَهَا لِخَفَائِهَا ، نَحْوُ - فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى - فَإِنْ وِزَانَهُ وِزَانُ - عُمَرَ - فِي قَوْلِهِ :

* أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرْ *

[مع مابينهما] أى بين عدم الاقامة والارتحال [من الملابسة] اللُّزُومِيَّة فيكون بدل اشتمال ، والكلام فى أن الجملة الأولى أعنى - ارحل - ذاتُ محل من الاعراب مثل مامرَّ فى - أرسوا نزاولها - وإنما قال فى المثالين إن الثانيـة أوفى لأن الأولى وافيـة مع ضرب من القصور باعتبار الاجمال وعدم مطابقة الدلالة ، فصارت كغير الوافيـة [أو] لكون الثانية [بيانا لها] أى للأولى [لخفائها] أي الأولى [نحو - فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى - فان وزانه] أى وزان - قال يا آدم [وزان عمر فى قوله :

أقسم بالله أبو حفص عمر] * مَا مَسَّهَا مِن نَقَبٍ ولا دَبَرْ * (١)

---

(١) نسبه الْمَرْزُبَانِيُّ فى معجم الشعراء إلى عبد الله بن كَيْسَبَةَ ، وكان قد أتى عمر رضى الله عنه فشكى له ناقته ، وطلب منه أن يستحمله غيرها فلم يصدقه ، والنقب ضعف أسفل الْخُفِّ أو الحافر ، والدبر جراحة الظهر .

تطبيقات على الفصل لكمال الاتصال :

(١) قوله تعالى - (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) .

(٢) كَفَى زَاجِرًا لِلْمَرْءِ أَيَّامُ دَهْرِهِ ... تَرُوحُ لَهُ بِالْوَاعِظَاتِ وَتَغْتَدِي

فصل قوله - تحسبها - عما قبله لأنه بدل اشتمال منه ، وفصلت جملة - تروح - لأنها بيان لما قبلها .

وَأَمَّا كَوْنُهَا كَالْمُنْقَطِعَةِ عَنْهَا فَلِكَوْنِ عَطْفِهَا عَلَيْهَا مُوهِمًا لِعَطْفِهَا عَلَى غَيْرِهَا ، وَيُسَمَّى الْفَصْلُ لِذَلِكَ قَطْعًا . مِثَالُهُ :

وَتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا بَدَلًا أُرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمُ

حيث جعل الثانى بيانا وتوضيحا للأول ، فظهر أن ليس لفظ ـ قال ـ بيانا وتفسيرا للفظ ـ وسوس ـ حتى يكون هذا من باب بيان الفعل لا من بيان الجملة ، بل المُبَيِّنُ هو مجموع الجملة .

[وأما كونها] أى الجملة الثانية [كالمنقطعة عنها] أى عن الأولى [فلكون عطفها عليها] أى عطف الثانية على الأولى [موهما لعطفها على غيرها] مما ليس بمقصود ، وشبه هذا بكمال الانقطاع باعتبار اشتماله على مانع من العطف ، إلا أنه لما كان خارجياً يمكن دفعه بنصب قرينة لم يجعل هذا من كمال الانقطاع [ويسمى الفصل لذلك قطعا ، مثاله :

وتظن سلمى أننى أبغى بها بدلا أراها فى الضلال تهيم (١)]

أمثلة أخري :

(١) قوله تعالى ـ (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) .

(٢) إنما الناسُ كالسَّوَائم فى الرِّزْ قِ سواءٌ جَهُولُهُـــمْ والحليمُ

(١) لم يعرف شارح الشواهد قائله ، وأراها بمعني أظنها على صيغة المبنى للمفعول وهو للفاعل ، وتهيم مضارع هام على وجهه إذا مشى من غير قصد .

تطبيقات على الفصل لشبه كمال الانقطاع :

(١) يقولون إنى أحمل الضَّيْمَ عندهُمْ أعوذ بربِّى أن يُضَامَ نَظِـــيرى

(٢) قوله تعالى ـ (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) .

وَيَحْتَمِلُ الاسْتِئْنَافَ .

وَأَمَّا كَوْنُهَا كَالْمُتَّصِلَةِ بِهَا فَلِكَوْنِهَا جَوَابًا لِسُؤَالٍ اقْتَضَتْهُ الْأُولَى فَتُنَزَّلُ مَنْزِلَتَهُ ، فَتُفْصَلُ عَنْهَا كَمَا يُفْصَلُ الْجَوَابُ عَنِ السُّؤَالِ (السَّكَّاكِيُّ) فَيُنَزَّلُ ذَلِكَ مَنْزِلَةَ الْوَاقِعِ لِنُكْتَةٍ ، كَإِغْنَاءِ السَّامِعِ عَنْ أَنْ يَسْأَلَ ، أَوْ مِثْلِ أَلَّا يُسْمَعَ مِنْهُ شَيْءٌ ،

فبين الجملتين مناسبة ظاهرة لاتحاد المسندين ، لأن معنى أراها أظنها ، وكون المسند إليه فى الأولى محبوبا وفى الثانيـة مُحِبًّا ، لٰكنْ ترك العاطف لئلا يُتَوَهَّمَ أنه عَطْفٌ على - أبغى - فيكون من مظنونات سلمى [ويحتمل الاستئناف] كأنه قيل : كيف تُرَاهَا فى هذا الظن ؟ فقال : أُرَاهَا تتحير فى أودية الضلال .

[وأما كونها] أى الثانية [كالمتصلة بها] أى بالأولى [فلكونها] أى الثانية [جوابا لسؤال اقتضته الأولى ، فتنزل] الأولى [منزلته] أى السؤال ، لكونها مشتملة عليه ومقتضية له [فتفصل] الثانية [عنها] أى عن الأولى [كما يفصل الجواب عن السؤال] لما بينهما من الاتصال - قال [السكاكى : فينزل ذلك] أي السؤال الذى تقتضيه الأولى وتدل عليه بالفحوي (١) [منزلة السؤال الواقع] ويطلب بالكلام الثانى وقوعه جوابا له ، فيقطع عن الكلام الأول لذلك ، وتنزيله منزلة الواقع إنما يكون [لنكتة كاغناء السامع عن أن يسأل أو] مثل [ألا يسمع منـه] أى من السامع [شىء] تحقيرا له وكراهة لكلامه ، أو مثل ألا ينقطع كلامك بكلامه ، أو مثل القصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ ، وهو تقدير السؤال وترك العاطف ، أو غير ذلك ، وليس فى كلام السكاكى دلالة على أن الأولى تنزل منزلة السؤال ، فكأن المصنف نظر إلى

لم تعطف جملة - أعوذ - على جملة - يقولون - لئلا يتوهم عطفها على جملة - أحمل - لقربها منها ، ولم تعطف جملة - الله يستهزىء - على جملة الشرط قبله ، لئلا يتوهم عطفها على جملة - إنا معكم - لقربها منها (١) أى بقوة الكلام باعتبار قرائن الأحوال .

وَيُسَمَّى الْفَصْلُ لِذَلِكَ اسْتِئْنَافًا ، وَكَذَا الثَّانِيَةُ ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَضْرُبٍ : لِأَنَّ السُّؤَالَ إِمَّا عَنْ سَبَبِ الْحُكْمِ مُطْلَقًا ، نَحْوُ :

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلُ   سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ

أَيْ مَابَالُكَ عَلِيلًا ، أَوْمَاسَبَبُ عِلَّتِكَ ، وَإِمَّا عَنْ سَبَبٍ خَاصٍّ نَحْوُ ـ وَمَاأُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ـ وَهَذَا

أن قطع الثانية عن الأولى مثل قطع الجواب عن السؤال إنما يكون على تقدير تنزيل الأولى منزلة السؤال وتشبيهها به ، والأظهر أنه لا حاجة إلى ذلك ، بل بجرد كَوْن الأولى مَنْشَأً للسؤال كاف فى ذلك ، أشير إليه فى الكشّاف [ويسمى الفصل لذلك] أى لكونه جوابا لسؤال اقتضته الأولى [استئنافا ، وكذا] الجملة [الثانية] نفسها أيضا تسمى استئنافا ومُسْتَأْنَفَةً [وهو] أى الاستئناف [ثلاثة أضرب : لأن السؤال] الذي تضمنته الأولى [إما عن سبب الحكم مطلقا نحو :

قال لى كيف أنت قلت عليل   سهر دائم وحزن طويل (١)

أى ما بالك عليلا ، أو ما سبب علتك] بقرينة العرف والعادة ، لأنه إذا قيل ـ فلان مريض ـ فانما يسأل عن مرضه وسببه ، لا أن يقال هل سبب علته كذا وكذا ، لاسيَّما السهر والحزن ، حتى يكون السؤال عن السبب الخاص [وإما عن سبب خاص] لهذا الحكم [نحو ـ وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء] كأنه قيل : هل النفس أمارة بالسوء ؟ فقيل : إن النفس لأمارة بالسوء ، بقرينة التأكيد ، فالتأكيد دليل على أن السؤال عن السبب الخاص ، فان الجواب عن مطلق السبب لا يؤَكَّد (٢) [وهذا

---

(١) سبق الكلام عليه فى أول باب المسند إليه .

(٢) لأنه تصور لا تصديق حتى يمكن تأكيده .

الضَّرْبُ يَقْتَضِى تَأْكِيدَ الحُكْمِ كما مرَّ ، وَإِمَّا عَنْ غَيْرِهِمَا ، نَحْوُ ـ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ـ أَىْ فَمَاذَا قَالَ ، وَقَوْلُه :

زَعَمَ الْعَوَاذِلُ أَنَّنِى فِى غَمْرَةٍ   صَدَقُوا وَلٰكِنْ غَمْرَتِى لَا تَنْجَلِى

وَأَيْضًا مِنْهُ مَايَأْتِى بِإِعَادَةِ اسْمِ مَااسْتُؤْنِفَ عَنْهُ ، نَحْوُ ـ أَحْسَنْتَ إِلَى زَيْدٍ زَيْدٌ حَقِيقٌ بِالْإِحْسَانِ ـ وَمِنْهُ

الضرب يقتضى تأكيد الحكم] الذي هو فى الجملة الثانية ، أعنى الجواب ، لأن السائل مُتَردِّدٌ فى هـذا السبب الخاص هل هو سبب الحكم أم لا [كما مر] فى أحوال الاسناد الخبرى ، من أن المخاطب إذا كان طالبا مترددا حسن تقوية الحكم بمؤكد ، ولا يخفى أن المراد الاقتضاء استحسانا لا وجوبا ، والمستحسن فى باب البلاغة بمنزلة الواجب (١) [وإما عن غيرهما] أى غير السبب المطلق والخاص [نحو ـ قالوا سلاما قال سلام ـ أى فماذا قال] إبراهيم فى جواب سلامهم ؟ فقيل : قال سلام ، أى حياهم بتحية أحسن ، لـكونها بالجملة الاسمية الدالة على الدَّوَامِ والثُّبُوتِ [وقوله : زعم العواذل] جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة (٢) [أننى فى غمرة] وشدة [صدقوا] أى الجماعات العواذل في زعمهم أننى فى غمرة [ولـكن غمرتى لا تنجلى] ولا تنكشف ، بخلاف أكثر الغمرات والشدائد ، كأنه قيل : أصدقوا أم كذبوا ؟ فقيل صدقوا [وأيضا منه] أى من الاستئناف ، وهذا إشارة إلى تقسيم آخر له [مايأتى باعادة اسم مااستؤنف عنه] أى أُوقِعَ عنه الاستئناف ، وأصل الكلام ما استؤنف عنه الحديث ، فحذف المفعول (٣) ونزل الفعل منزلة اللازم [نحو ـ أحسنت] أنت [إلى زيد زيد حقيق بالاحسان] باعادة اسم زيد [ومنه

---

(١) ولهذا عبر المتن بالاقتضاء (٢) أى من الذكور بدليل قوله ـ صدقوا ـ وإنما لم يجعل جمع عاذل ، لأن فاعلا لا يطرد جمعه على فواعل ، وقد ذكر شارح الشواهد أنه لم يعرف قائل هذا البيت (٣) يعنى به نائب الفاعل .

مَا يُبْنَى عَلَى صِفَتِهِ ، نَحْوُ ـ أَحْسَنْتَ إِلَى زَيْدٍ صَدِيقُكَ الْقَدِيمُ أَهْلٌ لِذَلِكَ ـ وَهَذَا أَبْلَغُ ، وَقَدْ يُحْذَفُ صَدْرُ الِاسْتِئْنَافِ ، نَحْوُ ـ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، رِجَالٌ ـ فِيمَنْ قَرَأَهَا مَفْتُوحَةَ الْبَاءِ ، وَعَلَيْهِ ـ نِعْمَ الرَّجُلُ زَيْدٌ ـ عَلَى قَوْلٍ ، وَقَدْ يُحْذَفُ كُلُّهُ إِمَّا مَعَ قِيَامِ شَيْءٍ مَقَامَهُ ، نَحْوُ

مابينى على صفته] أى صفة ماالستؤنف عنه دون اسمه ، والمراد بالصفة صفة تصلح لتَرَتُّب الحديث عليه [نحو ـ أحسنت إلي زيد صديقك القديم أهل لذلك] والسّؤال المقدر فيهما ـ لماذا أحسن إليه ؟ وهل هو حقيق بالاحسان ؟ [وهذا] أي الاستئناف المبنى على الصفة [أبلغ] لاشتماله على بيان السبب الموجب للحكم ، كالصداقة القديمة فى المثال المذكور ، لما يسبق إلى الفهم من تَرَتُّب الحكم على الوصف الصالح للعلّيّة أنه علّة له ، وههنا بحث (١) وهو أن السؤال إن كان عن السبب فالجواب يشتمل على بيانه لا محالة (٢) وإلا فلا وجه لاشتماله عليه ، كما فى قوله تعالى (قالوا سلاما قال سلام) وقوله ـ زعم العواذل ـ ووجه التّفَصِّي عن ذلك مذكور فى الشرح (٣) [وقد يحذف صدر الاستئناف] فعلا كان أو اسما [نحو ـ يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال ـ فيمن قرأها مفتوحة الباء] كأنه قيل : من يُسَبِّحُهُ ؟ فقيل رجال ، أى يسبحه رجال [وعليه ـ نعم الرجل زيد] أو نعم رجلا زيد [على قول] أى على قول من يجعل المخصوص خبر مبتدإ محذوف ، أى هو زيد ، ويجعل الجملة استئنافا جوابا للسؤال عن تفسير الفاعل الْمُبْهَم [وقد يحذف] الاستئناف [كله ، إما مع قيام شيء مقامه ، نحو

---

(١) أى فى كون الاستئناف الْمَبْنِيّ على الصفة أبلغ (٢) ولا فرق فى ذلك بين المبنى على الصفة والمبنى على الاسم (٣) وهو باختيار الشق الأول ، والفرق حاصل بأن المبنى على الاسم فيه ذكر السبب فقط ، أما المبنى على الصفة ففيه ذكر السبب وسببه ، كالصداقة القديمة فى المثال الثانى ، وفى هذا من التدقيق ما يجعله أبلغ من الأول .

قَوْلِ الْحَمَاسِيِّ :

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ ... لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَافُ

أَوْ بِدُونِ ذٰلِكَ ، نَحْوُ ـ فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ـ أَىْ نَحْنُ عَلَى قَوْلٍ .

قول الحماسى (١) زعمتم أن إخوتكم قريش * لهم إلف] أى إيلاف فى الرِّحْلَتَيْنِ المعروفتين لهم فى التجارة : رحلة فى الشتاء إلى اليمن ، ورحلة فى الصيف إلى الشام [وليس لكم إلاف] أى مُؤَالَفَةٌ فى الرحلتين المعروفتين ، كأنه قيل : أصدقنا فى هذا الزعم أم كذبنا ؟ فقيل كذبتم ، فحذف هذا الاستئناف كله ، وأقيم قوله ـ لهم إلف وليس لكم إلاف ـ مقامه لدلالته عليه [أو بدون ذلك] أى قيام شىء مقامه اكتفاءً بمجرد القرينة [نحو ـ فنعم الماهدون ـ أى نحن على قول] أى على قول من يجعل المخصوص خبر المبتدإ ، أي هم نحن (٢) .

---

(١) هو مُسَاوِرُ بن هند بن قيس بن زُهَيْرٍ العبسى من الشعراء المخضرمين ، وهو يهجو بذلك بنى أسد ، ويكذبهم في انتسابهم إلى قريش .

(٢) بخلاف قول من يجعل المخصوص مبتدءا والجملة قبله خبره .

تطبيقات على الفصل لشبه كمال الاتصال :

(١) وما عفَتِ الرياحُ له مَحَلاًّ ... عَفَاهُ من حَدَا بِهِمُ وساقَا

(٢) لا تُنْكِري عَطَلَ الكريم من الغنى ... فالسَّيْلُ حَرْبٌ للمكان العالى

(٣) أرى بَصَرِى عن كُلِّ يومٍ وليلة ... يَكِلُّ وخَطْوِي عن مَدَي الخَطْوِ يَقْصُرُ

ومن يصحبِ الأيامَ تسعين حِجَّةً ... يُغَيِّرْنَهُ والدهر لا يَتَغَيَّرُ

فصل فى الأول لأنه لما نفى الفعل الموجود عن الرياح كان مَظِنَّةً أن يسأل عن

وَأَمَّا الْوَصْلُ لِدَفْعِ الْإِيهَامِ فَكَقَوْلِهِمْ ـ لَا وَأَيَّدَكَ اللهُ .

وَأَمَّا لِلتَّوَسُّطِ

ولما فرغ من بيان الأحوال الأربعة المقتضية للفصل شرع فى بيان الحالتين المقتضيتين للوصل فقال [وأما الوصل لدفع الايهام فكقولهم ـ لا وأيدك الله] فقولهم ـ لا ـ رَدٌّ لكلام سابق ، كما إذا قيل : هل الأمر كذلك ؟ فيقال : لا ، أى ليس الأمر كذلك ، فهذه جملة إخبارية ، وأيدك الله جملة إنشائية دعائية ، فبينهما كمال الانقطاع ، لٰكِنْ عُطِفَتْ عليها ، لأن ترك العطف يُوهِمُ أنه دعاء على المخاطب بعدم التأييد ، مع أن المقصود الدعاء له بالتأييد ، فأينما وقع هذا الكلام فالمعطوف عليه هو مضمون قولهم ـ لا ـ وبعضهم لَمَّا لَمْ يَقِفْ على المعطوف عليه فى هذا الكلام نقل عن الثَّعَالِبِيِّ حكايةً مشتملة على قوله ـ قُلْتُ لا وأيدك الله ـ وزعم أن قوله ـ وأيدك الله ـ عَطْفٌ على قوله ـ قلت ـ ولم يعرف أنه لو كان كذلك لم يدخل الدعاء تحت القول (١) وأنه لولم يَحْكِ الحكاية (٢) فَحِينَئذٍ قال للمخاطب ـ لاوأيدك الله ـ فلابد له من معطوف عليه .

[وأما للتوسط] عَطْفٌ على قوله ـ أما الوصل لدفع الايهام ـ أى وأما الوصل لتوسط الجملتين بين كمال الانقطاع والاتصال ، وقد صَحَّفَ بعضهم أمَّا بفتح الهمزة إمَّا

الفاعل ، وكذلك الفصل فى الثاني والثالث ، إلا أن الاستئناف فيهما حصل بالفاء والواو ، فالواو فى الثالث للاستئناف لا للعطف (١) مع أن المقصود دخوله فيه .

(٢) هى قوله ـ قلت :

تطبيقات على الوصل لدفع الايهام :

(١) من ذلك ما روى أن الرشيد سأل وزيره عن شىء فقال : لا ، وأيد الله الخليفة (٢) ومر أبو بكر الصديق برجل فى يده ثوب فقال له : أتبيع هذا ؟ فقال : لا يرحمك الله ، فقال له : لاتقل هكذا ، وقل : لا ويرحمك الله .

فَاذَا اتَّفَقَتَا خَبَرًا أَوْ إِنْشَاءً لَفْظًا وَمَعْنًى أَوْ مَعْنًى فَقَطْ بِجَامِعٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى - يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ - وَقَوْلِهِ - إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ - وَقَوْلِهِ - كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا - وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى - وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ

بكسر الهمزة فركب مَتْنَ عَمْيَاءَ ، وَخَبَطَ خَبْطَ عَشْوَاءَ [فاذا اتفقتا] أى الجملتان [خبرا أو إنشاء لفظا ومعنى أو معنى فقط بجامع] أي بأن يكون بينهما جامع ، بدلالة ما سبق من أنه إذا لم يكن بينهما جامع فبينهما كمال الانقطاع ، ثم الجملتان المتفقتان خبرا أو إنشاء لفظا ومعنى قسمان : لأنهما إما إِنْشَائِيَّتَانِ أو خَبَرِيَّتَانِ ، والمتفقتان معني فقط ستة أقسام : لأنهما إن كانتا إنشائيتين معنى فاللفظان إما خبران أو الأولى خبر والثانية إنشاء أو بالعكس ، وإن كانتا خبريتين معنى فاللفظان إما إنشاآن أو الأولى إنشاء والثانيـة خبر أو بالعكس ، فالمجموع ثمانيـة أقسام ، والمصنف أَوْرَدَ للقسمين الأولين مثاليهما [كقوله تعالى - يخادعون الله وهو خادعهم - وقوله - إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم] فى الخبريتين لفظا ومعنى ، إلا أنهما فى المثال الثانى متناسبتان فى الاسْمِيَّة بخلاف الأول [وقوله تعالى - كلوا واشربوا ولا تسرفوا] فى الانشائيتين لفظا ومعنى ، وأَوْرَدَ للاتفاق معني فقط مثالا واحـــدا ، إشارة إلى أنه يمكن تطبيقه على قسمين (١) من أقسامه الستة ، وأعاد فيـه لفظة الـكاف تنبيها على أنه مثـال للاتفاق معنى فقط ، فقال [وكقوله تعـالى - وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس

---

(١) وهما أن تكون الجملتان خبريتين لفظا إنشائيتين معنى ، أو تكونا إنشائيتين معنى ، والأولى خبرية لفظا ؛ والثانية إنشائية كذلك .

حُسْنًا - أَيْ لا تَعْبُدُوا وتُحْسِنُونَ بِمَعْنَى أَحْسِنُوا ، أَوْ وَأَحْسِنُوا .

وَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِاعْتِبَارِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِمَا وَالْمُسْنَدَيْنِ جَمِيعًا ، نَحْوُ - يَشْعُرُ زَيْدٌ وَيَكْتُبُ ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ ، وَزَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ ، وَزَيْدٌ طَوِيلٌ وَعَمْرٌو

حسنا] معطف - قولوا على - لا تعبدون - مع اختلافهما لفظا لكونهما إنشائيتين معنى لأن قوله - لا تعبدون - إخْبَارٌ في معني الانشاء [أي لا تعبدوا] وقَوْلُهُ - وبالوالدين إحسانا - لابد له من فعل ، فاما أن يقدر خبرا فى معنى الطلب ، أي [وتحسنون بمعنى أحسنوا] فتكون الجملتان خبرا لفظا إنشاء معنى ، وفائدة تقدير الخبر ثم جَعْلِه بمعنى الانشاء أمَّا لفظا فالْمُلاءَمَةُ مع قوله - لاتعبدون - وأما معني فالمبالغة ، باعتبار أن المخاطب كأنه سَارَعَ إلى الامتثال فهو يخبر عنه ، كما تقول - تذهب إلى فلان تقول له كذا - تريد الأمر أي اذهب إلى فلان فقل له كذا ، وهو أبلغ من الصريح [أو] يقدر من أول الأمر صريح الطلب على ماهو الظاهر ، أى [وأحسنوا] بالوالدين إحسانا ، فتكونان إنشائيتين معنى ، مع أن لفظة الأولى إخبار ، ولفظة الثانية إنشاء .

[والجامع بينهما] أي بين الجملتين [يجب أن يكون باعتبار المسند إليهما والمسندين جميعا] أى باعتبار المسند إليه فى الجملة الأولى والمسند إليه فى الجملة الثانية ، وكذا باعتبار المسند فى الجملة الأولى والمسند فى الجملة الثانية (١) [نحو - يشعر زيد ويكتب] للمناسبة الظاهرة بين الشعر والكتابة وتقارنهما فى خيال أصحابهما [ويعطي] زيد [ويمنع] لتَضَادِّ الاعطاء والمنع ، هذا عند اتحاد المسند إليهما ، وأما عند تغايرهما فلا بد من تناسبهما أيضا ، كما أشار إليه بقوله [وزيد شاعر وعمرو كاتب وزيد طويل وعمرو

---

(١) وقد تكون المناسبة بين المسند إليه فى إحداها والمسند فى الأخري ، نحو - الاسلام حسن والقبيح الكفر .

قَصِيرٌ - لِمُنَاسَبَةٍ بَيْنَهُمَا ، بِخِلَافِ - زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ - بِدُونِهَا - وَزَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو طَوِيلٌ - مُطْلَقًا .

السَّكَّاكِيُّ :

قصير - لمناسبة بينهما] أى بين زيد وعمرو كالأُخُوَّة أو الصداقة أو العداوة أو نحو ذلك ، وبالجملة يجب أن يكون أحدهما مُنَاسِباً للآخر ومُلَابِساً له مُلَابَسَةً لها نوع اختصاص [بخلاف - زيد شاعر وعمرو كاتب - بدونها] أى بدون المناسبة بين زيد وعمرو ، فانه لا يصح وإن اتحد المُسْنَدَان ، ولهذا حكموا بامتناع نحو - خُفِّي ضَيِّق وخَاتَمِي ضَيِّقٌ (١) [وبخلاف - زيد شاعر وعمرو طويل - مطلقا] أي سواء كان بين زيد وعمرو مناسبة أولم تكن ، لعدم تناسب الشعر وطول القامة .

[السكاكى] ذكر أنه يجب أن يكون بين الجملتين ما يجمعهما عند القُوَّة المُفَكِّرَة جمعا من جهة العقل وهو الجامع العقلي ، أو من جهة الوَهْمِ وهو الجامع الوهمى ، أو من جهة الخيال وهو الجامع الخيالي ، والمراد بالعقلى القوة العاقلة المدركة للكُلِّيَّات ، وبالوهم القوة المدركة للمعانى الجزئية الموجودة فى المحسوسات من غير أن يتأدى إليها من طُرُقِ الحَوَاسِّ ، كادراك الشاة مَعْنًى فى الذئب (٢) وبالخيال القوة التى تجتمع فيها صور المحسوسات وتبقى فيها بعد غَيْبُوبَتِهَا عن الحِسِّ المُشْتَرَك ، وهو القوة التى تتأدي إليها صور المحسوسات من طرق الحواس الظاهرة ، وبالمفكرة القوة التى من شأنها

---

(١) وهذا مالم يقصد ذكر الأشياء المتفقة فى الضيق ، لأنه يصير مثل قولك - هذا الأمر ضيق وهذا الأمر ضيق ، فيتحد الطرفان (٢) وهو الايذاء والعداوة ، فالعداوة التي فى الذئب معنى جزئى تدركه الشاة بالواهمة .

الْجَامِعُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ إِمَّا عَقْلِيٌّ ، بِأَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا اتِّحَادٌ فِي التَّصَوُّرِ أَوْ تَمَاثُلٌ ، فَانَّ الْعَقْلَ بِتَجْرِيدِهِ الْمِثْلَيْنِ عَنِ التَّشَخُّصِ فِي الْخَارِجِ يَرْفَعُ التَّعَدُّدَ بَيْنَهُمَا ،

التفصيل والتركيب بين الصور المأخوذة من الحس المشترك والمعانى المدركة بالوهم بَعْضَهَا مع بعض ، ونعنى بالصور ما يمكن إدراكه باحدى الحواس الظاهرة ، وبالمعانى مالا يمكن إدراكه بها ، فقال السكاكى الجامع بين الجملتين إما عقلى ، وهو أن يكون بين الجملتين اتحاد فى تَصَوُّرٍ مَّا ، مثل الاتحاد فى المخبر عنه أو فى المخبر به أو فى قيد من قيودهما ، وهذا ظاهر فى أن المراد بالتصور الأمر الْمُتَصَوَّرُ (١) ولما كان مقررا أنه لا يكفي فى عطف الجملتين وجود الجامع بين مفردين من مفرداتهما باعتراف السكاكى أيضا غيَّرَ المصنف عبارة السكاكى (٢) فقال [الجامع بين الشيئين إما عقلى] وهو أمر بسببه يقتضى العقل اجتماعهما فى الْمُفَكِّرَة ، وذلك [بأن يكون بينهما اتحاد فى التصور أو تماثل (٣) فان العقل بتجريده المثلين عن التشخص فى الخارج يرفع التعدد بينهما] فيصيران متحدين ، وذلك لأن العقل يجرد الجزئي الحقيقى عن عوارضه الْمُشَخِّصَة الْخَارِجِيَّة وينتزع منه المعنى الْكُلِّيّ فيدركه على ماتقرر فى موضعه ، وإنما قال - فى الخارج - لأنه لا يجرده عن المشخصات العقلية ، لأن كل ماهو موجود فى العقل فلا بد له من تشخص فيه به يمتاز عن سائر المعقولات ، وههنا بحث وهو أن التماثل هو الاتحاد فى النوع ، مثل اتحاد زيد وعمرو مثلا فى الانْسَانيَّة ، وإذا كان التماثل جامعا لم تتوقف صحة قولنا - زيد كاتب وعمرو شاعر - على أُخُوَّةِ زيد وعمرو أو

---

(١) وهذا الاطلاق لاشيء فيه لأنه كثيرا ما يقع فى كلامهم (٢) فأبدل الجملتين بالشيئين لأن الجامع يجب فى مفردات الجملتين ، ولا يكفي وجوده بين مفردين منها ، وسيعود الشارح إلى تحقيق هذا (٣) وهذا بأن يتفقا فى الحقيقة ويختلفا فى العوارض .

أَوْ تَضَايُفٌ كما بَيْنَ الْعِلَّة وَالْمَعْلُول أو الْأَقَلّ وَالْأَكْثَر ، أَوْ وَهْمِيٌّ بِأَنْ يَكُونَ بَيْنَ تَصَوُّرَيْهِمَا شِبْهُ تَمَاثُل ، كَلَوْنَى بَيَاضٍ وَصُفْرَة ، فَإِنَّ الْوَهْمَ يُبْرِزُهُمَا فى مَعْرِضِ الْمِثْلَيْنِ ، وَلِذَلِكَ حَسُنَ الْجَمْعُ بَيْنَ الثَّلَاثَة الَّتِى فى قَوْلِهِ :

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ

صداقتهما أو نحو ذلك ، لأنهما متماثلان لكونهما من أفراد الانسان ، والجواب أن المراد بالتماثل ههنا اشتراكهما فى وصف له نوع اختصاص بهما (١) على ما سيتضح فى باب التشبيه [أو تضايف] وهو كَوْنُ الشيئين بحيث لا يمكن تَعَقُّلُ كلٍّ منهما إلا بالقياس إلى تعقل الآخر [كما بين العلة والمعلول] فان كل أمر يصدر عنه أمر آخر بالاستقلال أو بواسطة انضمام الغير إليه فهو علة والآخر معلول [أو الأقل والأكثر] فان كل عدد يصير عند العدّ فانيا قبل عدد آخر فهو أقل من الآخر ، والآخر أكثر منه [أو وهمى] وهو أمر بسببه يحتال الوهم فى اجتماعهما عند الْمُفَكِّرَة ، بخلاف العقل فانه إذا خُلِّيَ ونَفْسَهُ لم يحكم بذلك ، وذلك [بأن يكون بين تصوريهما شبه تماثل ، كلونى بياض وصفرة ، فان الوهم يبرزهما فى معرض المثلين] من جهة أنه يسبق إلى الوهم انهما نوع واحد زيد فى أحدهما عَارِضٌ (٢) بخلاف العقل فانه يعرف أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس هو اللون [ولذلك] أي ولأن الوهم يبرزهما فى معرض المثلين [حسن الجمع بين الثلاثة التى فى قوله :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر]

---

(١) أى مع اشتراكهما في الحقيقة .

(٢) وهو الْكُدْرَةُ فى الصفرة ، أو الاشراق فى البياض .

أَوْ تَضَادٌّ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَالْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ ، وَمَا يَتَّصِفُ بِهَا كَالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَالْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ، أَوْ شِبْهُ تَضَادٍّ كَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْأَوَّلِ وَالثَّانِي ،

فان الوهم يتوهم أن الثلاثة من نوع واحد ، وإنما اختلفت بالعوارض ، والعقل يعرف أنها أمور متباينة [أو] يكون بين تَصَوُّرَيْهِمَا [تضاد] وهو التقابل بين أمرين وُجُودِيَّيْنِ يتعاقبان على محل واحد [كالسواد والبياض] فى المحسوسات [والايمان والكفر] فى المعقولات ، والحق أن بينهما تقابل الْعَدَم والْمَلَكَة ، لأن الايمان هو تصديق النبى عليه الصلاة والسلام في جميع ماعلم مجيئه به بالضرورة ، أعنى قبول النفس لذلك والاذعان له على ماهو تفسير التصديق فى المنطق عند المحققين ، مع الاقرار به باللسان ، والكفر عدم الايمان عَمَّا منْ شأنه الايمان ، وقد يقال الكفر إنكار شيء من ذلك ، فيكون وُجُودِيًّا ، فيكونان مُتَضَادَّيْنِ [وما يتصف بها] أى بالمذكورات ، [كالأسود والأبيض والمؤمن والكافر] وأمثال ذلك ، فانه يُعَدُّ من المتضادين باعتبار الاشتمال على الوصفين المتضادين [أو شبه تضاد كالسماء والأرض] فى المحسوسات ، فانهما وجوديان أحدهما فى غاية الارتفاع ، والآخر فى غاية الانحطاط ، وهذا معنى شبه التضاد ، وليسا متضادين لعدم تَوَارُدِهِمَا على الْمَحَلِّ ، لكونهما من الأجسام دون الأعراض ، ولا من قبيل الأسود والأبيض ، لأن الوصفين المتضادين ههنا ليسا بداخلين فى مفهومى السماء والأرض [والأول والثاني] فيما يعم المحسوسات والمعقولات ، فان الأول هو الذى يكون سابقا على الغير ولا يكون مسبوقا بالغير ، والثانى هو الذى يكون مسبوقا بواحد فقط ، فأشبها المتضادين باعتبار اشتمالهما على وصفين لا يمكن اجتماعهما ، ولم يجعلا متضادين كالأسود والأبيض ، لأنه قد يشترط فى المتضادين أن يكون بينهما غاية الخلاف ، ولا يخفى أن مخالفة الثالث والرابع وغيرهما للأول أكثر من مخالفة الثانى له ، مع أن العدم معتبر فى مفهوم الأول (١) فلا يكون وجوديا

---

(١) وذلك فى جزئه الثانى (ولا يكون مسبوقا بالغير) .

فَإِنَّهُ يُنَزِّلُهُما مَنْزِلَةَ التَّضَايُفِ ، وَلِذٰلِكَ تَجِدُ الضِّدَّ أَقْرَبَ خُطُوراً بِالْبَالِ مَعَ الضِّدِّ ، أَوْ خَيَالِيٌّ بِأَنْ يَكُونَ بَيْنَ تَصَوُّرَيْهِمَا تَقَارُنٌ فِي الخَيَالِ سَابِقٌ ، وَأَسْبَابُهُ مُخْتَلِفَةٌ ، وَلِذٰلِكَ اخْتَلَفَتِ الصُّوَرُ الثَّابِتَةُ فِي الخَيَالِ تَرَتُّباً وَوُضُوحاً ، وَلِصَاحِبِ عِلْمِ الْمَعَانِي فَضْلُ احْتِيَاجٍ إِلَى مَعْرِفَةِ الجَامِعِ لَاسِيَّمَا الخَيَالِيُّ ، فَإِنَّ جَمْعَهُ عَلَى مَجْرَى الْأَلْفِ وَالْعَادَةِ .

[فانه] أي إنما يجعل التضاد وشبهه جامعا وهميا لأن الوهم [ينزلهما منزلة التضايف] فى أنه لا يحضره أحد المتضادين أو الشبيهين بهما إلا ويحضر الآخر [ولذلك تجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد] من الْمُغَايَرَات الغير الْمُتَضَادَّة ، يعنى أن ذلك مبني على حكم الوهم ، وإلا فالعقل يتعقل كلا منهما ذاهلا عن الآخر [أو خيالى] وهو أمر بسببه يقتضى الخيال اجتماعهما فى المفكرة ، وذلك [بأن يكون بين تصوريهما تقارن فى الخيال سابق] على العطف لأسباب مؤدية إلى ذلك [وأسبابه] أي وأسباب التقارن فى الخيال [مختلفة ، ولذلك اختلفت الصور الثابتة فى الخيال ترتبا ووضوحا] فَكَمْ مِنْ صُوَرٍ لا انفكاك (١) بينها فى خيال ، وهى فى خيال آخر مما لا تجتمع أصلا ، وكم من صور لاتغيب عن خيال ، وهى فى خيال آخر مما لايقع قط .

[ولصاحب علم المعانى فضل احتياج إلى معرفة الجامع] لأن مُعْظَمَ أبوابه الفصل والوصل ، وهومبني على الجامع [لاسيما] الجامع [الخيالى ، فان جمعه على مجرى الالف والعادة] بحسب انعقاد الأسباب فى إثبات الصور فى خزانة الخيال ، وتَبَايُنُ الأسباب مما يفوته الحصر .

فظهر أنْ ليس المراد بالجامع العقلى ما يدرك بالعقل ، وبالوهمى ما يدرك بالوهم ، وبالخيالى ما يدرك بالخيال ، لأن التضاد وشبهه ليسا من المعانى التى يدركها الوهم ،

---

(١) هذا معنى الاختلاف فى الترتب ، وما بعده معنى الاختلاف فى الوضوح .

وكذا التقارن فى الخيالى ليس من الصور التي تجتمع فى الخيال ، بل جميع ذلك معان معقولة ، وقد خفى هذا على كثير من الناس ، فاعترضوا بأن السواد والبياض مثلا من المحسوسات دون الوهميات ، وأجابوا بأن الجامع كونُ كلٍّ منهما مُضَاداً للآخر ، وهذا معنى جزئى لا يدركه إلا الوهم ، وفيه نظر ، لأنه ممنوع (١) وإن أرادوا أن تَضَادَّ هذا السواد لهذا البياض معنى جزئي فَتَمَاثُلُ هذا مع ذاك وتَضَايُفُه معه أيضا معنى جزئى ، فلا تَفَاوُتَ بين التماثل والتضايف وشبههما فى أنها إن أضيفت إلى الكُلِّيَّات كانت كليات ، وإن أضيفت إلى الجُزْئِيَّات كانت جزئيات ، فكيف يصح جعل بعضها على الاطلاق عقليا وبعضها وهميا ، ثم إن الجامع الخيالى هو تَقَارُنُ الصور فى الخيال ، وظاهر أنه ليس بصورة ترتسم فى الخيال ، بل هو من المعانى (٢) .

فان قلت : كلام المفتاح مُشْعِرٌ بأنه يكفى لصحة العطف وجود الجامع بين الجملتين باعتبار مفرد من مفرداتهما ، وهو نفسه معترف بفساد ذلك حيث منع صحة نحو ـ خُفِّي ضَيِّق وخَاتَمِي ضَيِّقٌ ـ ونحو ـ الشمس ومرارة الأرنب وألفُ بَاذَنْجَانَة مُحْدَثَةٌ ـ قلت : كلامه ههنا ليس إلا فى بيان الجامع بين الجملتين ، وأما أنَّ أيَّ قَدْرٍ من الجامع يجب لصحة العطف فمفوض إلى موضع آخر ، وقد صرح فيه باشتراط المناسبة بين المسندين والمسند إليهما جميعا ، والمصنف لما اعتقد أن كلامه فى بيان الجامع سَهْوٌ منه وأراد إصلاحه غَيَّرَهُ إلى ماترى ، فذكر مَكَانَ الجملتين الشيئين ، ومَكَانَ قوله ـ اتحاد فى تصورهما ـ اتحاد فى التصور ، فوقع الخلل فى قوله ـ الوهمي أن يكون بين تصوريهما

---

(١) يريد منع أن تضاد البياض للسواد معنى جزئى ، وإثبات أنه كلى ، لأن التضادَّ المأخوذَ مضافاً إلى كُلِّيٍّ كُلِّيٌّ (٢) أي التى تدرك بالعقل أو الوهم ، فلا يصح تفسير الخيالى أيضا بما يدرك بالخيال.

وَمِنْ مُحَسِّنَاتِ الْوَصْلِ تَنَاسُبُ الْجُمْلَتَيْنِ فِى الاسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ ،

شبه تماثل أو تضاد أو شبه تضاد ، والخيالى أن يكون بين تصوريهما تقارن فى الخيال ـ لأن التضاد مثلا إنما هو بين نفس السواد والبياض لا بين تصوريهما أعنى العلم بهما ، وكذا التقارن فى الخيال إنما هو بين نفس الصُّوَرِ (١) فلا بد من تأويل كلام المصنف (٢) وحَمْلُه على ما ذكره السكاكى بأن يراد بالشيئين الجملتان وبالتصور مفرد من مفردات الجملة غَلَطٌ (٣) مع أن ظاهر عبارته يأبى ذلك ، ولبحث الجامع زيادة تفصيل وتحقيق أوردناها فى الشرح ، وإنه من المباحث التى ما وجدنا أحدا حَامَ حَوْلَ تحقيقها .

[ومن محسنات الوصل] بعد وجود المُصَحِّحِ [تناسب الجملتين فى الاسمية والفعلية

(١) أى لا بين التصورات ، وهذا الخلل لا يرد على السكاكى ، لأن قوله ـ اتحاد فى تصور ما مثل الاتحاد فى المخبر عنه الخ ـ ظاهر فى أنه أراد بالتصور المُتَصَوَّرَ على ماسبق (٢) بأن يقال إنه أراد بِتَصَوُّرَيْهِمَا مفهوميهما ، وهما الأمران المتصوران .

(٣) لأن الخطيب قد رد كلام السكاكى فى الايضاح وحمله على السهو ، فلا يصح حمل كلامه عليه ، وإنى أرى أن كل هذا من المماحكات اللفظية التى لا تحتملها علوم البلاغة .

تطبيقات على الوصل للتوسط بين الكمالين :

(١) سافر تجــــد عوضًا عَمَّنْ تفارقُهُ وانْصَبْ فانَّ لذيذ العيش فى النَّصَبِ

(٢) إذا كنت ذا رَأْيٍ فكن ذا عزيمةٍ ولا تَكُ بالتَّرْدَادِ للرأى مُفْســـدًا

(٣) أعزُّ مكانـــ فى الدُّنَا سَرْجُ سابحٍ وخير جَلِيسٍ فى الزمانـــ كتابُ

وصل فى الأول لما بين الجملتين من الجامع العقلى ، وفى الثانى لما بينهما من الجامع الوهمى ، وفى الثالث لما بينهما من الجامع الخيالى .

وَالفِعلِيَّتين فِى الْمُضِىِّ وَالْمُضَارَعَةِ إلاَّ لِمَانِعٍ .

تَذْنِيبٌ

أَصْلُ الْحَالِ الْمُنْتَقِلَةِ أَنْ تَكُونَ بِغَيْرِ وَاوٍ ،

و] تناسب [الفعليتين فى المضى والمضارعة] فاذا أردت مجرد الاخبار من غير تعرض للتجدُّد فى إحداهما والثبوت فى الأخرى قلت ـ قام زيد وقعد عمرو ـ وكذلك زيد قائم وعمرو قاعد [إلا لمانع] مثل أن يراد فى إحداهما التجدد وفى الأخرى الثبوت ، فيقال ـ قام زيد وعمرو قاعد ـ أو يراد فى إحداهما الْمُضِىُّ وفى الأخرى الْمُضَارَعَةُ ، فيقال ـ زيد قام وعمرو يقعد ـ أو يراد فى إحداهما الاطلاق وفى الأخرى التقييد بالشرط كقوله تعالى ـ (وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِىَ الْأَمْرُ) ومنه قوله تعالى (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) فعندى أن قوله ولا يستقدمون ـ عَطْفٌ على الشرطية قبلها لا على الجزاء ، أعني قوله ـ لا يستأخرون ـ إذ لامعنى لقولنا ـ إذا جاء أجلهم لايستقدمون .

تذنيب

هو جعل الشيء ذُنَابَةً للشيء ، شُبِّهَ به ذِكْرُ بحثِ الجملة الحالية وكَوْنُهَا بالواو تارة وبدونها أخرى عَقِيبَ بحث الفصل والوصل لمكان التناسب [أصل الحال المنتقلة] أى الكثير الراجح فيها ، كما يقال الأصل فى الكلام الحقيقة [أن تكون بغير واو] واحترز بالمنتقلة عن الْمُؤَكِّدَةِ الْمُقَرِّرَةِ لمضمون الجملة (١) فانها يجب أن تكون بغير واو

---

(١) اعترض عليه بأن اللازمة هى التى تقابل المنتقلة ، واللازمة نحو ـ هذا أبوك

لأنَّهَا فِي الْمَعْنَى حُكْمٌ عَلَى صَاحِبِهَا كَالْخَبَرِ وَوَصْفٌ لَهُ كَالنَّعْتِ ، لَكِنْ خُولِفَ هَذَا إِذَا كَانَتْ جُمْلَةً ، فَإِنَّهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ جُمْلَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ بِالْإِفَادَةِ ، فَتَحْتَاجُ إِلَى مَا يَرْبِطُهَا

الْبَتَّةَ ، لشدة ارتباطها بما قبلها ، وإنما كان الأصل فى المنتقلة الخلو عن الواو [لأنها فى المعنى حكم على صاحبها كالخبر] بالنسبة إلى المبتدإ ، فان قولك ـ جاء زيد راكبا ـ إثباتُ الركوب لزيد ، كما فى ـ زيد راكب ـ إلاّ أنه في الحال على سبيل التبعية ، وإنما المقصود إثبات المجيء ، وجئت بالحال لتزيد فى الاخبار عن المجيء هذا المعنى [ووصف له] أي ولأنها فى المعنى وصف لصاحبها [كالنعت] بالنسبة إلى المنعوت ، إلا أن المقصود فى الحال كَوْنُ صاحبها على هذا الوصف حال مباشرة الفعل ، فهي قيد للفعل وبيان لكيفيَّة وقوعه ، بخلاف النعت فانه لا يقصد به ذلك ، بل مجرد اتصاف المنعوت به ، وإذا كانت الحال مثل الخبر والنعت فكما أنهما يكونان بدون الواو فكذلك الحال ، وأمّا ما أورده بعض النحويين من الأخبار والنعوت الْمُصَدَّرَة بالواو كالخبر فى باب كان ، والجملة الوصفية المصدرة بالواو التى تسمى واو تأكيد لُصُوق الصفة بالموصوف فعلى سبيل التشبيه والالحاق بالحال (١) [لكن خولف] هذا الأصل [إذا كانت] الحال [جملة فانها] أى الجملة الواقعة حالا [من حيث هى جملة مستقلة بالافادة] من غير أن تتوقف على التعليق بما قبلها ، وإنما قال من حيث هى جملة لأنها من حيث هي حال غير مستقلة ، بل متوقفة على التعليق بكلام سابق قصد تقييده بها [فتحتاج] الجملة الواقعة حالا [إلى ما يربطها

عَطُوفًا ـ أما المؤكدة فنحو ـ لا تَعْثَ فى الأرض مفْسداً ـ وتقابلها المؤسِّسَةُ لا المنتقلة .

(١) ومن هذا فى باب كان وأخواتها قوله :

فلمـــا صَرَّحَ الشَّرُّ فأمسى وَهْوَ عُرْيَانَ

وفى باب الصفة قوله تعالى (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ) .

بِصَاحِبِهَا ، وَكُلٌّ مِنَ الضَّمِيرِ وَالْوَاوِ صَالِحٌ لِلرَّبْطِ ، وَالْأَصْلُ هُوَ الضَّمِيرُ بِدَلِيلِ الْمُفْرَدَةِ وَالْخَبَرِ وَالنَّعْتِ .

فَالْجُمْلَةُ إِنْ خَلَتْ عَنْ ضَمِيرِ صَاحِبِهَا وَجَبَ الْوَاوُ ، وَكُلُّ جُمْلَةٍ خَالِيَةٍ عَنْ ضَمِيرِ مَا يَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ عَنْهُ حَالٌ يَصِحُّ أَنْ تَقَعَ حَالاً عَنْهُ بِالْوَاوِ

بصاحبها] الذى جعلت حالا عنه [وكل من الضمير والواو صالح للربط ، والأصل] الذى لايُعدل عنه مالم تَمَسَّ حاجة إلى زيادة ارتباط [هوالضمير بدليل] الاقتصارعليه فى الحال [المفردة والخبر والنعت] .

[فالجملة] التى تقع حالا [إن خلت عن ضمير صاحبها] الذى تقع هي حالا عنه [وجب] فيها [الواو] ليحصل الارتباط ، فلا يجوز ـ خرجت زيد قائم ـ ولما ذكر أن كل جملة خلت عن الضمير وجبت فيها الواو أراد أن يبين أنَّ أىَّ جملة يجوز (١) ذلك فيها وأىُّ جملة لا يجوز ذلك فقال [وكل جملة خالية عن ضميرما] أى الاسم الذى [يجوز أن ينتصب عنه حال] وذلك بأن يكون فاعلا أو مفعولا مُعرَّفًا أو مُنكَّرًا مخصوصا ، لا نكرة محضة أو مبتدءا أو خبرا ، فانه لا يجوز أن ينتصب عنه حال على الأصح (٢) وإنما لم يقل عن ضمير صاحب الحال ، لأن قوله ـ كل جملة ـ مبتدأ وخبره قوله [يصح أن تقع] تلك الجملة [حالا عنه] أى عما يجوز أن ينتصب عنه حال [بالواو] ومالم يثبت له هـذا الحكم أعنى وقوع الحال عنه لم يصح إطلاق اسم صاحب الحال عليه إلا مجازا ، وإنما قال ـ ينتصب عنه حال ـ ولم يقل ـ يجوز أن تقع تلك الجملة حالا عنه ـ لتدخل فيه الجملة الخالية عن الضمير المصدرة بالمضارع المُثْبَت ، لأن

---

(١) اسم أنَّ ضمير الشأن ، وأىُّ مبتدأ ، وقوله ـ يجوز ذلك فيها ـ خبره ، والجملة خبر أن (٢) راجع إلى الثلاثة ، وهى النكرة المحضة والمبتدأ والخبر .

إلَّا المُصَدَّرَةَ بالمُضَارِعِ المُثْبَت ، نحو - جَاءَ زَيدٌ ويتكلَّم عمرو - لمَاسيأتى ، وإلاَّ فإنْ كانَتْ فِعليَّةً والفعلُ المُضارعُ مُثبت امْتَنَعَ دُخُولُهَا ، نحو - ولا تَمنن تَستكثرُ - لأنَّ الأَصْلَ المفردةُ ، وهى تدلُّ على حُصُولِ صفةٍ غيرِ ثابتةٍ مُقارنٍ لمَا جُعلَتْ قيداً لهُ ، وهُوَ كذلكَ ، أمَّا الحُصُولُ

ذلك الاسم مما لا يجوز أن تقع تلك الجملة حالا عنه ، لكنه مما يجوز أن ينتصب عنه حال فى الجملة ، وحينئذ يكون قوله - كل جملة خالية عن ضمير ما يجوز أن ينتصب عنه حال - متناولا للمصدرة بالمضارع الخالية عن الضمير المذكور ، فيصح استثناؤها بقوله [إلا المصدرة بالمضارع المثبت ، نحو - جاء زيد ويتكلم عمرو] فانه لا يجوز أن يجعل ويتكلم عمرو حالا عن زيد [لما سيأتى] من أن ربط مثلها يجب أن يكون بالضمير فقط ، ولا يخفى أن المراد بقوله - كل جملة - الجملة الصالحة للحالية فى الجملة ، بخلاف الانشائيات فانها لا تقع حالا ألبتَّة ، لا مع الواو ولا بدونها [وإلا] عَطْفٌ على قوله - إن خلت - أى وإن لم تخل الجملة الحالية عن ضمير صاحبها [فان كانت فعلية والفعل المضارع مثبت امتنع دخولها] أى الواو [نحو - ولا تمنن تستكثر] أى ولا تعط حال كونك تَعُدُّ ما تعطيه كثيرا [لأن الأصل] فى الحال هى الحال [المفردة] لعراقة المفرد فى الاعراب ، وتَطَفُّل الجملة عليه بوقوعها موقعه [وهي] أى المفردة [تدل على حصول صفة] أي معني قائم بالغير ، لأنها لبيان الهيئة التى عليها الفاعل أو المفعول ، والهيئة معنى قائم بالغير [غير ثابتة] لأن الكلام فى الحال المتنقلة [مقارن] ذلك الحصول [لما جعلت] الحال [قيدا له] يعنى العامل ، لأن الغرض من الحال تخصيص وقوع مضمون عاملها بوقت حصول مضمون الحال ، وهذا معنى المقارنة [وهو] أى المضارع المثبت [كذلك] أى دَالٌّ على حصول صفة غير ثابتة مُقَارِن لما جعلت قيدا له كالمفردة ، فتمتنع الواو فيه كما في المفردة [أما الحصول] أى أما دلالة المضارع

فلكونه فعلاً مُثبتاً ، وأمّا المُقارنة فلكونه مُضارعاً ، وأمّا ما جاء من نحو - قُمتُ وأصُكُّ وجهه - وقوله :

فلمّا خشيتُ اظافيرهم نجوتُ وأرهنُهم مالكا

فقيل على حذف المُبتدإ ، أي وأنا أصُكُّ ، وأنا أرهنُهم ، وقيل الأوّلُ شاذٌّ ، والثّاني ضرورةٌ - وقال عبد القاهر : هي

المثبت على حصول صفة غير ثابتة [فلكونه فعلا] فيدل على التّجدُّد وعدم الثبوت [مثبتا] فيدل على الحصول [وأما المقارنة فلكونه مضارعا] فيصلح للحال كما يصلح للاستقبال ، وفيه نظر لأن الحال التي يدل عليها المضارع هو زمان التكلم ، وحقيقته أجزاء متُعاقبةٌ من أواخر الماضى وأوائل المستقبل ، والحال التى نحن بصددها يجب أن يكون مقارناً لزمان مضمون الفعل المقيد بالحال ماضيا كان أو حالا أو استقبالا ، فلا دخل للمُضارَعَة فى المقارنة ، فالأولى أن يُعلَّل امتناع الواو فى المضارع المثبت بأنه على وزن اسم الفاعل لفظا وبتقديره معنى (١) [وأما ماجاء من نحو] قول بعض العرب [قمت وأصك وجهه وقوله (٢) فلما خشيت أظافيرهم] أى أسلحتهم [نجوت وأرهنهم مالكا ، فقيل] إنما جاء الواو فى المضارع المثبت الواقع حالا [على] اعتبار [حذف المبتدإ] لتكون الجملة اسمية [أي وأنا أصك وأنا أرهنهم] كما فى قوله تعالى (لِمَ تُؤذُونَنِي وَقَدْ تَعلَمُونَ أنِّي رَسُولُ اللهِ إلَيْكُمْ) أي وأنتم قد تعلمون [وقيل الأول] أى قمت وأصك وجهه [شاذ ، والثانى] أى نجوت وأرهنهم [ضرورة ، وقال عبد القاهر : هى] أى

---

(١) لأن المضارع إذا وقع حالا يؤول باسم الفاعل ، لاشتراكهما في الحال والاستقبال ، فنحو - جاء زيد يتكلم - بمعنى جاء متكلما (٢) هو لعبد الله بن همّام السّلُولىّ من الشعراء الاسلاميين ، وكان قد توعده عُبيدُالله بن زياد فهرب منه إلى الشام .

فِيهِمَا لِلْعَطْفِ ، وَالْأَصْلُ وَصَكَكْتُ وَرَهَنْتُ ، عُدِلَ عَنْ لَفْظِ الْمَاضِى إِلَى الْمُضَارِعِ حِكَايَةً لِلْحَالِ .

وَإِنْ كَانَ مَنْفِيًّا فَالْأَمْرَانِ ، كَقِرَاءَةِ ابْنِ ذَكْوَانَ - فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ - بِالتَّخْفِيفِ ، وَنَحْوُ - وَمَالَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهِ - لِدَلَالَتِهِ عَلَى الْمُقَارَنَةِ لِكَوْنِهِ مُضَارِعًا ، دُونَ الْحُصُولِ لِكَوْنِهِ مَنْفِيًّا .

وَكَذَا إِنْ كَانَ مَاضِيًا لَفْظًا أَوْ مَعْنًى ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى

الواو [فيهما للعطف] لا للحال ، إذ ليس المعنى - قمت صا كا وجهه ونجوت راهنا مالكا - بل المضارع بمعنى الماضى [والأصل] قمت [وصككت] ونجوت [ورهنت ، عدل عن لفظ الماضى إلى] لفظ [المضارع حكاية للحال] الماضية ، ومعناها أن يُفْرَضَ ما كان فى الزمان الماضى واقعا فى هذا الزمان ، فيعبر عنه بلفظ المضارع .

[وإن كان] الفعل مضارعا [منفيا فالأمران] جائزان الواو وتركه [كقراءة ابن ذكوان فاستقيما ولا تتبعان بالتخفيف] أى بتخفيف نون - ولا تتبعان - فيكون لا للنفى دون النهى ، لثبوت النون التى هى علامة الرفع ، فلا يصح عطفه على الأمر قبله ، فيكون الواو للحال ، بخلاف قراءة الْعَامَّة - ولا تتبعان - بالتشديد ، فانه نَهْىٌ مُؤَكَّدٌ معطوف على الأمر قبله [ونحو - ومالنا] أى أىُّ شىء ثبت لنا [لا نؤمن بالله] أى حال كَوْننَا غير مؤمنين ، فالفعل المنفى حال بدون الواو ، وإنما جاز فيه الأمران [لدلالته على المقارنة لكونه مضارعا دون الحصول لكونه منفيا] والمنفى إنما دل مطابقة على عدم الحصول (١) .

[وكذا] يجوز الواو وتركه [إن كان] الفعل [ماضيا لفظا أو معنى كقوله تعالى]

---

(١) وبهذا شابه المفرد فى حال دون حال فجاز فيه الأمران .

ـ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ـ وَقَوْلِهِ ـ أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ـ وَقَوْلِهِ ـ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ـ وَقَوْلِهِ ـ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ـ وَقَوْلِهِ ـ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ـ أَمَّا الْمُثْبَتُ فَلِدَلَالَتِهِ عَلَى الْحُصُولِ لِكَوْنِهِ فِعْلًا مُثْبَتًا ، دُونَ الْمُقَارَنَةِ لِكَوْنِهِ مَاضِيًا ، وَلِهَذَا شُرِطَ أَنْ يَكُونَ مَعَ قَدْ ظَاهِرَةً أَوْ مُقَدَّرَةً ،

إخبارا عن زكريا عليه السلام [أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر] بالواو [وقوله ـ أو جاؤكم حصرت صدورهم] بدون الواو ، وهذا فى الماضى لفظا ، وأما الماضى معنى فالمراد به المضارع المنفى بلمْ أو لمَّا ، فانهما يقلبان معني المضارع إلى الماضى ، فأورَدَ للمنفى بلم مثالين : أحدهما مع الواو ، والآخر بدونه ، واقتصر فى المنفي بلمَّا على ماهو بالواو ، وكأنه لم يطلع على مثال ترك الواو ، إلا أنه مقتضى القياس ، فقال [وقوله ـ أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ـ وقوله ـ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ـ وقوله ـ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذى خلوا من قبلكم ـ أما المثبت] أى أما جواز الأمرين فى الماضى المثبت [فلدلالته على الحصول] يعنى حصول صفة غير ثابتة [لكونه فعلا مثبتا ، دون المقارنة لكونه ماضيا] فلا يُقَارِنُ الحال [ولهذا] أى ولعدم دلالته على المقارنة [شرط أن يكون مع قد ظاهرة] كما فى قوله تعالى ـ وقد بلغنى الكبر [أو مقدرة] كما فى قوله تعالى ـ حصرت صدورهم ـ لأن قد تقرب الماضى من الحال ، والاشكال المذكور وَاردٌ هنا ، وهو أن الحال التى نحن بصددها غير الحال التى تقابل الماضى ، وتقرُّبُ ـ قد ـ الماضى منها ، فتجوز المقارنة إذا كان الحال والعامل ماضيين ، ولفظ ـ قد ـ إنما يقرب الماضى من الحال التى هي زمان

وَأَمَّا الْمَنْفِيُّ فَلِدَلَالَتِه عَلَى الْمُقَارَنَةِ دُونَ الْحُصُول ، أَمَّا الْأَوَّلُ فَلِأَنَّ لَمَّا لِلْاسْتِغْرَاقِ ، وَغَيْرُهَا لِانْتِفَاءٍ مُتَقَـدِّمٍ مَعَ أَنَّ الْأَصْلَ اسْتِمْرَارُهُ ، فَتَحْصُلُ بِهِ الدَّلَالَةُ عَلَيْهَا عِنْدَ الْإِطْلَاقِ ، بِخِلَافِ الْمُثْبَتِ ، فَإِنَّ وَضْعَ الْفِعْلِ عَلَى إِفَادَةِ التَّجَدُّدِ ، وَتَحْقِيقُهُ أَنَّ اسْتِمْرَارَ الْعَدَمِ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى سَبَبٍ ، بِخِلَافِ اسْتِمْرَارِ الْوُجُودِ ،

التكلم ، وربمـا يبعده عن الحال التي نحن بصددها ، كما فى قولنا ـ جاءنى زيد فى السنة الماضية وقد ركب فرسه ـ والاعتذار عن ذلك مذكور فى الشرح (١) [وأما المنفى] أى أما جواز الأمرين فى المـاضى المنفى [فلدلالتـه على المقارنة دون الحصول ، أما الأول] أى دلالته على المقارنة [فلأن ـ لما ـ للاستغراق] أى لامتداد النفى من حين الانتفاء إلى زمان التكلم [وغيرها] أى غير ـ لما ـ مثل ـ لم وما [لانتفاء متقـدم] على زمان التكلم [مع أن الأصل استـمراره] أي استمرار ذلك الانتفاء لما سيجىء حتي تظهر قرينـة على الانقطاع ، كما فى قولنا ـ لم يضرب زيد أمس لـكنه ضرب اليوم [فيحصل به] أى باسـتمرار النفى ، أو بأن الأصل فيه الاستمرار [الدلالة عليها] أى على المقارنة [عنـد الاطلاق] وترك التقييد بمـا يدل على انقطاع ذلك الانتفاء [بخلاف المثبت ، فان وضع الفعل على إفادة التجدد] من غير أن يكون الأصل استـمراره ، فاذا قلت ـ ضرب ـ مثلا كفى فى صدقه وقوع الضرب فى جزء من أجزاء الزمان الماضى ، وإذا قلت ـ ماضرب ـ أفاد استغراق النفى لجميع أجزاء الزمان الماضى ، لٰكِنْ لَا قَطْعِيًّا (٢) بخلاف لمـا ، وذلك لأنهم قصدوا أن يكون الاثبات والنفى فى طَرَفَىْ نَقِيض ، ولا يخفى أن الاثبات فى الجملة إنما ينافيه النفى دائما [وتحقيقه] أى تحقيق هـذا الكلام [أن استمرار العدم لا يفتقر إلى سبب بخلاف استمرار الوجود] يعنى

---

(١) ومحصله أنه أتى بقد لدفع التنافى لفظا ، وإن كان الحالان متنافيين فى الحقيقة .

(٢) أى ليس من أصل الوضع .

وَأَمَّا الثَّانى فَلِـكَوْنه مَنْفِيًّا .

وَإِنْ كَانَت اُسْمِيَّةً فَالمَشْهُورُ جَوَازُ تَرْكِهَا ، لِعَكْسِ مَامَرَّ فى المَاضِى المُثْبَت ، نَحْوُ ـ كَلَّمْتُـهُ فُوهُ إلَى فِىَّ ـ وَأَنَّ دُخُولَهَا أَوْلَى ، لِعَـدَمِ دَلالَتِهَا عَلَى عَدَمِ الثُّبُوتِ مَعَ ظُهُورِ الاسْتِئْنَافِ فِيهَا ، فَحَسُنَ زِيَادَةُ رَابِط ، نَحْوُ ـ فَلَا تَجْعَلُوا لله أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ـ وَقَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : إنْ كَانَ الْمُبْتَدَأُ

أن بقاء الحادث وهو استمرار وجوده يحتاج إلى سبب موجود ، لأنه وُجُودٌ عقيبَ وُجُود ، ولا بد للوجود الحادث من السبب ، بخلاف استمرار العَدَم فانه عَدَمٌ ، فلا يحتاج إلى وجود سبب ، بل يكفيه مجرد انتفاء سبب الوجود ، والأصل فى الحوادث العدم حتى توجد عِلَلُهَا ، فى الجملة لما كان الأصل فى المنفي الاستمرار حصل من إطلاقه الدلالة على المقارنة [وأما الثانى] أى عدم دلالته على الحصول [فلـكونه منفيا] .

هـذا إذا كانت الجملة فعليـة [وإن كانت اسمية فالمشهور جواز تركها] أي الواو [لعكس ما مر فى المـاضى المثبت] أى لدلالة الاسمية على المقارنة لـكونها مستمرة ، لا على حصول صفة غير ثابتة لدلالتها على الدوام والثَّبَات [نحو كلمته فوه إلى فى] بمعني مُشَافِهًا [و] أيضا المشهور [أن دخولها] أى الواو [أولى] من تركها [لعدم دلالتها] أى الجملة الاسمية [على عدم الثبوت(١) مع ظهور الاستئناف فيها ، فحسن زيادة رابط نحو ـ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون] أى وأنتم من أهل العلم والمعرفة ، أو وأنتم تعلمون ما بينهما من التفاوت [وقال عبـد القاهر إن كان المبتـدأ] فى الجملة الاسمية

---

(١) معنى عدم دلالتها على عدم الثبوت أنها تدل على الثبوت ، لأن نفي النفى إثبات ، ولا يخفى أن هـذا جُعِلَ فيما سـبق علّةً لجواز ترك الواو ، فالأولى الاقتصار على علة ظهور الاستئناف فيها .

ضَمِيرَ ذِي الحَـالِ وَجَبَتْ ، نَحْوُ ـ جَاءَ زَيْدٌ وَهُوَ يُسْرِعُ أَوْ وَهُوَ مُسْرِعٌ ـ

الْحَالِيَّةِ [ضمير ذي الحال وجبت] أى الواو ، سواءٌ كان خبره فعلا [نحو ـ جاء زيد وهو يسرع أو] اسما نحو ـ جاء زيد [وهو مسرع] وذلك لأن الجملة لا يترك فيها الواو حتى تدخل فى صلة العامل وتنضم إليـه فى الاثبات ، وتقدر تقـديرَ المفرد فى ألاَّ يُسْتَأْنَفَ لها الاثبات ، وهذا مما يمتنع فى نحو ـ جاء زيد وهو يسرع ، أو وهو مسرع ـ لأنك إذا أعدت ذكر زيد وجئت بضميره المنفصل المرفوع كان بمنزلة إعادة اسمه صريحا فى أنك لاتجد سبيلا إلى أن تدخل يسرع فى صلَة المجىء ، وتضمه إليه فى الاثبات، لأن إعادة ذكره لا تكون حتى تقصد استئناف الخبر عنـه بأنه يسرع ، وإلا لكنت تركت المبتـدأ بمَضيعَة وجعلتـه لَغْوًا فى البين ، وجرى مَجْرَى أن تقول ـ جاءنى زيد وعمرو يسرع أمامه ـ ثم تزعم أنك لم تستأنف كلاما ، ولم تبتدىء للسرعة إثباتا ، وعلى هـذا فالأصل والقياس ألاَّ تجىء الجملة الاسمية إلا مع الواو ، وما جاء بدونه فسبيل الشىء الخارج عن قياسه وأصله بضرب من التأويل ، ونوع من التشبيه (١) هـذا كلامه فى دلائل الاعجاز ، وهو مُشْعِرٌ بوجوب الواو فى نحو ـ جاء زيد وزيد يسرع ، أو مسرع ، وجاء زيد وعمرو يسرع أو مسرع أمامه ـ بالطريق الأولى (٢) ثم قال

---

(١) يعنى التأويل بالمفرد والتشبيه بواو العطف ، والأول نحو ـ كلمته فُوهُ إلى فِىَّ ـ أى مُشَافِهًا ، والثانى كقوله تعالى (أَتَاهَا أَمْرُنَا بَيَاتًا أَوْهُمْ قَائِلُونَ) فقوله ـ هم قائلون ـ حال ، وتركت فيها الواو لأنها تشبه واو العطف ، فيقبح اجتماعها مع أو .

(٢) وحينئذ فلا يتقيـد ذلك عنده بكون المبتـدإ فى الاسمية ضمير ذى الحـال كما ذكره الخطيب .

وَإِنْ جُعِلَ نَحْوُ ـ عَلَى كَتِفِهِ سَيْفٌ ـ حَالًا كَثُرَ فِيهَا تَرْكُهَا ، نَحْوُ :

* خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِى عَلَىَّ سَوَادُ *

وَيَحْسُنُ التَّرْكُ تَارَةً لِدُخُولِ حَرْفٍ عَلَى الْمُبْتَدَإِ ، كَقَوْلِهِ :

الشيخ [وإن جعل نحو ـ على كتفه سيف (١) حالا كثر فيها] أي في تلك الحال [تركها] أى ترك الواو [نحو] قول بَشّار :

إذا أنكرتنى بلدةٌ أو نكرتُها ... [خرجتُ مع البازى علىّ سوادُ]

أى بَقِيَّةٌ من الليل ، يعنى إذا لم يعرف قدرى أهل بلدة أو لم أعرفهم خرجت منهم مصاحبا للبازى الذى هو أبكَرُ الطيور ، مشتملا على شىء من ظلمة الليل ، غير منتظر لاسفار الصبح ، فقوله ـ على سواد ـ حال ترك فيها الواو ، ثم قال الشيخ : الوجه أن يكون الاسم فى مثل هذا فاعلا بالظرف لاعتماده على ذى الحال لا مبتدءا ، وينبغى أن يُقَدَّرَ ههنا خصوصا أنَّ الظرف في تقدير اسم الفاعل دون الفعل ، اللهم إلا أن يقدر فعلٌ ماضٍ (٢) هذا كلامه وفيه بحث (٣) والظاهر أن مثل ـ على كتفه سيف ـ يحتمل أن يكون فى تقدير المفرد ، وأن يكون جملة اسمية قدم خبرها ، وأن يكون فعلية مقدرة بالماضى أو المضارع ، فعلى تقديرين يمتنع الواو وعلى تقديرين لا تجب الواو ، فمن أجل هذا كثر تركها ، وقال الشيخ أيضا [ويحسن الترك] أى ترك الواو فى الجملة الاسمية [تارة لدخول حرف على المبتدإ] يحصل بذلك الحرف نوع من الارتباط [كقوله :

---

(١) من كل جملة اسمية تقدم خبرها وهو ظرف أو جار ومجرور .

(٢) لأن تركها أكثر فيه أيضا ، ولا يقدر مضارعا ، لأنه يجب تركها فيه .

(٣) لأن تجويز تقدير المضارع لا يمنع وجود الواو ، لأنه عند وجودها يقدر بالماضى وعند انتفائها يقدر بالمضارع .

فَقُلْتُ عَسَى أَنْ تَبْصُرِينِي كَأَنَّمَا بَنِيَّ حَوَالَيَّ الأُسُودُ الحَوَارِدُ

وَأُخْرَى لِوُقُوعِ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ بِعَقِبِ مُفْرَدٍ ، كَقَوْلِهِ :

وَاللهُ يُبْقِيكَ لَنَا سَالِمًا بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمُ

فقلت عسى أن تبصريني كأنما بنىحوالى الأسود الحوارد (١)]

من حَرِدَ إذا غضب ، فقوله ـ بنى الاسود ـ جملة اسمية وقعت حالا من مفعول تبصريني ، ولولا دخول كأنما عليها لم يحسن الكلام إلا بالواو ، وقوله ـ حوالى ـ أى فى أكنافي وجوانبي حَالٌ من ـ بنى ـ لما فى حرف التشبيه (٢) من معنى الفعل [و] يحسن الترك تارة [أخرى لوقوع الجملة الاسمية] الواقعة حالا [بعقب مفرد] حَال [كقوله :

والله يبقيك لنا سالما برداك تبجيل وتعظيم (٣)]

فقوله ـ برداك تبجيل ـ حال ، ولو لم يتقدمها قوله ـ سالما ـ لم يحسن فيها ترك الواو

---

(١) هو للفرزدق يرد على امرأته فى قوله قبل البيت :

وقالت أراه واحداً لا أخَالَهُ يُؤَمِّلُهُ يوماً ولا هو وَالِدُ

(٢) وهو كأنما لأنه فى معنى أشبه (٣) هو لابن الرومى من شعراء الدولة العباسية :

تطبيقات عامة على الوصل والفصل والجملة الحالية :

(١) أخْطُ مع الدهر إذا ما خَطَا واجْرِ مع الدهر كما يَجْرِى

(٢) قُمْ للمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلاَ كاد المعلم أن يكون رَسُولاَ

(٣) فاشربْ هَنِيئاً عليكَ التاجُ مُرْتَفِقاً في رأس غُمْدَانَ دارٌ منك مِحْلاَلاَ

وصل فى الأول بين الجملتين لاتفاقهما فى الانشاء مع وجود الجامع وعدم المانع ،

الْإِيجازُ وَالْإِطنابُ وَالْمُساوَاةُ

السَّكَّاكِيُّ : أمَّا الْإِيجازُ وَالْإِطْنابُ فَلِكَوْنِهِمَا نِسْبِيَّيْنِ لا يَتَيَسَّرُ الْكَلامُ فِيهِما إلَّا بِتَرْكِ التَّحْقِيقِ وَالتَّعْيِينِ

الايجاز والاطناب والمساواة

قال [السكاكى : أما الايجاز والاطناب فلكونهما نسبيين] أى من الأمور النسبية التى يكون تَعَقُّلُهَا بالقياس إلى تعقل شىء آخر ، فان الْمُوجَزَ إنما يكون موجزا بالنسبة إلى كلام أزيد منه ، وكذا الْمُطْنَبُ إنما يكون مطنبا بالنسبة إلى ماهو أنقص منه (١) [لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والتعيين] ، أى لا يمكن التنصيص على أن هذا المقدار من الكلام إيجاز وذاك إطناب ، إذ رُبَّ كلامٍ مُوجَزٍ

وفصل فى الثانى لاختلافهما خبرا وإنشاء ، وترك واو الحال فى الثالث لأن الحال جملة اسمية تقدم فيها الجار والمجرور ، فيجوز فيها ترك الواو .

أمثلة أخرى :

(١) والغَدْرُ بالعهد قبيح جداً ... شَرُّ الورى من ليس يرعى عَهْداَ

(٢) لَعَمْرُكَ ما أرِقْتُ لغير مصرِ ... ومالى دُونَهَا أمَلٌ يُرَامُ

ذكرتُ جلالها أيَّامَ كانتْ ... تصولُ بها الْفَرَاعنَةُ العظام

فأقْلَقَ مَضْجَعِى ما بات فيها ... وباتَتْ فيه مِصْرُ فهل الْأُمَم

(١) وكذلك المساواة نسبية أيضا ، وإنما لم يتعرض لبيان هذا فيها لأنه لا فضل فى كلام الأوساط ، ولا تفاوت فيه .

وَالْبِنَاء عَلَى أَمْرٍ عُرْفِيّ ، وَهُوَ مُتَعَارَفُ الأَوْسَاط ، أيْ كَلاَمُهُمْ فِي مَجْرَى عُرْفِهِمْ فِي تَأْدِيَةِ الْمَعْنَى ، وَهُوَ لاَ يُحْمَدُ فِي بَابِ الْبَلاَغَة وَلاَ يُذَمُّ ، فَالاِيجَازُ أَدَاءُ الْمَقْصُود بِأَقَلَّ مِنْ عِبَارَةِ الْمُتَعَارَف ، وَالاِطْنَابُ أَدَاؤُهُ بِأَكْثَرَ مِنْهَا ـ ثُمَّ قَالَ : الاِخْتِصَارُ لِكَوْنِه نِسْبِيًّا يُرْجَعُ فِيهِ تَارَةً إِلَى مَاسَبَقَ ، وَأُخْرَى إِلَى كَوْنِ الْمَقَامِ خَلِيقًا بِأَبْسَطَ مِمَّا ذُكِرَ ـ

يكون مُطْنِباً بالنسبة إلى كلام آخر وبالعكس [والبناء على أمر عرفى] أى وإلا بالبناء على أمر يعرفه أهل العرف [وهو متعارف الأوساط] الذين ليسوا فى مرتبة البلاغة ولا فى غاية الْفَهَاهَة [أى كلامهم فى مجرى عرفهم فى تأدية المعنى] عنـــد المعاملات والمحاورات [وهو] أى هذا الكلام [لا يحمد] من الأوساط [فى باب البلاغة] لعدم رعاية مُقْتَضَيَات الأحوال [ولا يذم] أيضا منهم ، لأن غرضهم تأدية أصل المعنى بدلالة وَضْعِيَّة وألفاظ كيف كانت ومُجَرَّد تأليف يخرجها عن حكم النَّعيق [فالايجاز أداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف ، والاطناب أداؤه بأكثر منها ، ثم قال] أي السكاكى [الاختصار لكونه نسبيا يرجع فيه تارة إلى ما سبق] أى إلى كون عبارة المتعارف أكثر منه [و] يرجع تارة [أخرى إلى كون المقام خليقا بأبسط مما ذكر] أى من الكلام الذى ذكره المتكلم ، وتوهم بعضهم أن المراد بما ذُكِرَ مُتَعَارَفُ الأوساط ، وهو غلط لا يخفى على من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (١) يعنى كما أن الكلام يوصف بالايجاز لكونه اقل من المتعارف كذلك يوصف به لكونه أقل مما يقتضيه المقام بحسب الظاهر (٢) وإنما قلنا بحسب الظاهر لأنه لو كان أقل مما

---

(١) لأن الايجاز على هذا لا يشمل الأقل من مقتضى المقام إذا كان مساويا للمتعارف أو أقل منه (٢) أما فى الباطن فان المقام يقتضى الاقتصار على المذكور ليتفرغ لطلب المقصود ، كما فى هذه الآية ونحوها .

وَفيه نَظَرٌ ، لِأَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ نِسبيًّا لَا يَقْتَضِي تَعَسُّرَ تَحْقِيقِ مَعْنَاهُ ، ثُمَّ الْبِنَاءُ عَلَى الْمُتَعَارَفِ وَالْبَسْطِ الْمَوْصُوفِ رَدٌّ إِلَى الْجَهَالَةِ ،

يقتضيه المقام ظاهرا وتحقيقا لم يكن فى شىء من البلاغة ، مثاله قوله تعالى (رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى) الآية فانه إطناب بالنسبة إلى المتعارف ، أعنى قولنا - يارَبِّ شِخْتُ - وإيجاز بالنسبة إلى مقتضى المقام ظاهراً ، لأنه مقام بيان انقراض الشباب وإلمام الْمَشيب ، فينبغى أن يبسط فيه الكلام غاية البسط ، فللايجاز معنيان بينهما عموم من وجه (١) [وفيه نظر ، لأن كون الشيء نسبيا لايقتضى تعسر تحقيق معناه] إذ كثيرا ماتُحَقَّقُ معانى الأمور النسبية وتُعَرَّفُ بتعريفات تليق بها ، كالأُبوَّة والأُخُوَّة وغيرهما ، والجواب أنه لم يرد تعسر بيان معناهما ، لأن ماذكره بيانٌ لمعناهما ، بل أراد تعسر التحقيق والتعيين فى أن هذا القدر إيجاز وذاك إطناب [ثم البناء على المتعارف والبسط الموصوف] بأن يقال : الايجاز هو الأداء بأقل من المتعارف أو مما يليق بالمقام من كلام أبسط من الكلام المذكور [رد إلى الجهالة] إذ لاتُعرَفُ كَمِّيَّةُ متعارف الأوساط وكَيْفِيَّتُهَا لاختلاف طبقاتهم ، ولا يعرف أن كل مقام أىَّ مقدار يقتضى من البسط حتى يقاس عليه ويرجع إليه ، والجواب أن الألفاظ قوالب المعانى ، والأوساط الذين لا يقدرون فى تأدية المعاني على اختلاف العبارات والتصرف فى لطائف الاعتبارات لهم حَدٌّ (٢) من الكلام يجري فيما بينهم فى المحاورات والمعاملات معلوم للبلغاء وغيرهم ، فالبناء على المتعارف واضح بالنسبة إليهما جميعا ، وأما البناء على البسط الموصوف

---

(١) فيجتمعان فى نحو - رَبِّ شخت - وينفرد الأول فى نحو قول الصياد - غزال - عند خوف فوات الفرصة ، وينفرد الثانى فى نحو - يارب شخت .

(٢) وهو لا يتعدى الدلالة الوضعية .

وَالأَقْرَبُ أَنْ يُقَالَ المَقْبُولُ مِنْ طُرُقِ التَّعْبِيرِ عَنِ المُرَادِ تَأْدِيَةُ أَصْلِهِ بِلَفْظٍ مُسَاوٍ لَهُ ، أَوْ نَاقِصٍ عَنْهُ وَافٍ ، أَوْ زَائِدٍ عَلَيْهِ لِفَائِدَةٍ ، وَاحْتُرِزَ بِوَافٍ عَنِ الإِخْلَالِ ، كَقَوْلِهِ :

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَا ... لِ النَّوْكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا

أَيِ النَّاعِمُ ، وَفِي ظِلَالِ الْعَقْلِ ، وَبِفَائِدَةٍ عَنِ التَّطْوِيلِ ، نَحْوُ :

* وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنًا *

فانما هو معلوم للبلغاء العارفين بمقتضيات الأحوال بقدر ما يمكن لهم ، فلا يجهل عندهم ما يقتضيه كل مقام من مقدار البسط [والأقرب] إلى الصواب [أن يقال : المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله بلفظ مساو له] أي لأصل المراد [أو بلفظ [ناقص عنه واف ، أو بلفظ زائد عليه لفائدة] فالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد ، والايجاز أن يكون ناقصا عنه وافيا به ، والاطناب أن يكون زائدا عليه لفائدة [واحترز بواف عن الاخلال] وهو أن يكون اللفظ ناقصا عن أصل المراد غير وَافٍ به [كقوله : والعيش خير فى ظلال النوك] أي الحمق والجهالة [ممن عاش كدا (١)] أى خير ممن عاش مَكْدُودًا مَتْعُوبًا [أى الناعم وفى ظلال العقل] يعنى أن أصل المراد أن العيش الناعم فى ظلال النوك خير من العيش الشاق فى ظلال العقل ، ولفظه غير واف بذلك ، فيكون مُخِلًّا فلا يكون مقبولا [و] احترز [بفائدة عن التطويل] وهو أن يزيد اللفظ على اصل المراد لا لفائدة ولا يكون اللفظ الزائد متعينا [نحو قوله] وقَدَّدَتِ الأَدِيمَ لِرَاهِشَيْه * [وألفى] أى وجد [قولها كذبا ومينا (٢)]

---

(١) البيت للحارث بن حِلِّزَةَ الْيَشْكُرِيِّ من شعراء الجاهلية ، وقد قيل إنه لا إخلال فيه ، لأنه اعتمد على ما هو مشهور من أن عيش الجاهل ناعم ، وعيش الكد لا يكون إلا للعاقل (٢) البيت لعَدِيِّ بن زيد الْعِبَادِيِّ من شعراء الجاهلية ، والأديم الجلد ،

وَعَنِ الحَشْوِ المُفْسِدِ كالنَّدَى فى قَوْلِهِ :

وَلَا فَضْلَ فِيهَا للشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى　　وَصَبْرِ الفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شَعُوبِ

وَغَيْرِ المُفْسِدِ ، كَقَوْلِهِ :

والكذب والمين واحد ، قوله قددت أى قطعت ، والرَّاهشان العِرْقان فى باطن الذراعين ، والضمير فى راهشيه وفى ألفى لجَذِيمَةَ الأبرش ، وفى قددت وفى قولها للزَّبَّاء ، والبيت فى قصة قتل الزباء لجذيمة وهى معروفة [و] احترز أيضا بفائدة [عن الحشو] وهو زيادة معينة لا لفائدة [المفسد] للمعنى [كالندى فى قوله : ولا فضل فيها] أي فى الدنيا [للشجاعة والندى ٭ وصبر الفتى لولا لقاء شعوب (١)] هى عَلَمٌ للْمَنِيَّةِ (٢) صرفها للضرورة ، وعدم الفضيلة على تقدير عدم الموت إنما يظهر فى الشجاعة والصبر ، لتيقن الشجاع بعدم الهلاك وتيقن الصابر بزوال المكروه ، بخلاف الباذل ماله إذا تيقن بالخلود وعرف احتياجه إلى المال دائما ، فان بذله حينئذ أفضل مما إذا تيقن بالموت وتخليف المال ، وغاية اعتذاره ما ذكره الامام ابن جِنِّى ، وهو أن فى الخلود وتَنَقُّل الأحوال فيه من عُسْرٍ إلى يُسْرٍ ومن شدة إلى رخاء ما يُسَكِّنُ النفوس ويُسَهِّلُ البُؤْسَ ، فلا يظهر لبذل المال كثير فضل [و] عن الحشو [غير المفسد] للمعنى [كقوله :

وفى رواية أخرى (كَذِباً مُبِيناً) فلا يكون فيه تطويل .

(١) البيت للمتنبى ، وإنما كان الندى فيه حشوا لأنه زائد على أصل المراد من كلامه ، وهو تهوين أمر المنية بما تظهره من فضل المكارم التى يكمل بها الانسان ، أما كونه مفسدا فقد بينه الشارح (٢) هو من قبيل علم الجنس ، فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث ، وقد صرف هنا بجره بالكسرة ، والمراد بالضرورة ضرورة موافقة القوافى .

٭ وأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ ٭

الْمُسَاوَاةُ: نَحْوُ ـ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ـ وَقَوْلِهِ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ

وأعلم علم اليوم والأمس قبله] ولكنني عن علم مافى غدٍ عَمِي (١)

فلفظ ـ قبله ـ حشو غير مفسد ، وهذا بخلاف ما يقال أبصرته بعيني وسمعته بأذني وكتبته بيدي في مقام يفتقر إلى التأكيد (٢) .

[المساواة]

قدمها لأنها الأصل المَقِيسُ عليه [نحو ـ ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ـ وقوله :

فانك كالليـــل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأي عنك واسع (٣)]

أي مَوْضِعَ البعـد عنك ذو سَعَةٍ ، شبهه في حال سخطه وهَوْله بالليل ، قيل في الآية حَذْفُ المستثنى منه وفى البيت حذف جواب الشرط ، فيكون كل منهما إيجازاً لا مساواةً ، وفيـه نظر ، لأن اعتبار هـذا الحذف رِعَايَةٌ لأمر لفظي (٤) لا يفتقر إليـه في تأدية

---

(١) هو لزهير بن أبي سُلْمَى من شعراء الجاهلية ، وقد قيل إنه لاحشو فيه ، لأن أل في الأمس للاستغراق ، والاتيان بالظرف بعـده للتنصيص عليـه ، كما فى قوله تعالى (وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْـهِ) (٢) فهو يدفع احتمال أن يكون الابصار بالقلب ، وأن يكون سمعته بمعنى علمته ، وأن يكون كتبته بمعنى أمرت بكتابته .

(٣) هو للنابغة الذُّبْيَانِيِّ من قصيدة له فى الاعتذار إلى النعمان بن المنذر .

(٤) المراد بالأمر اللفظى مالا يتوقف إفادة المعنى عليه فى الاستعمال ، وإنما يدعو إليه مراعاة قواعد النحو .

وَالْإِيجَازُ ضَرْبَانِ : إِيجَازُ الْقِصَرِ ، وَهُوَ مَالَيْسَ بِحَذْفٍ ، نَحْوُ - وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ - فَإِنَّ مَعْنَاهُ كَثِيرٌ وَلَفْظَهُ يَسِيرٌ وَلَا حَذْفَ فِيهِ ،

أصل المراد ، حتي لو صُرِّحَ به لكان إطنابا بل تطويلا (١) وبالجملة لا نسلم أن لفظ الآية والبيت ناقص عن أصل المراد .

[والايجاز]

[ضربان : إيجاز القصر وهو ماليس بحذف ، نحو - قوله تعالى - ولكم فى القصاص حياة - فان معناه كثير ولفظه يسير] وذلك لأن معناه أن الانسان إذا علم أنه متى قَتَلَ قُتِلَ كان ذلك داعيا له إلى ألَّا يقدم على القتل ، فارتفع بالقتل الذى هو القصاص كثير من قَتْلِ الناس بعضهم لبعض ، وكان بارتفاع القتل حياة لهم [ولا حذف فيه] أى ليس فيه حذف شيء مما يُؤَدَّى به أصل المراد ، واعتبار الفعل الذي يتعلق به الظرف

---

(١) يريد بالتطويل هنا معناه اللغوى ، أى الزائد لا لفائدة ، وإلا فهذا حشو لا تطويل بالمعنى السابق .

هذا والمساواة لا تحمد ولا تذم ، لأنها لا تحتاج إلى اعتبار نكتة ، بل يكفى فيها عدم المقتضى للعدول عنها ، فاذا اقتضى المقام تأدية أصل المعنى كانت محمودة ، ومن هذا ما وقع منها فى القرآن والحديث وغيرهما من كلام الفصحاء .

تطبيقات على المساواة :

(١) قوله تعالي - (كُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) .

(٢) لا تَرْقُدَنَّ عن ساهر فى ليلة ... مُذْ غابَ وجهك لم يَفُزْ بصباحِ

(٣) يقول أناسٌ لا يَضِيرُكَ فَقْدُهَا ... بَلَى كُلُّ ما شَفَّ النفوسَ يَضِيرُ

وَفضلُه عَلَى ما كانَ عندَهم أوجز كلَام فى هذَا المَعنى وهُوَ ـ القَتلُ أنفَى للقَتل ـ بقلّة حُروف مايناظره منه ، وَالنَّص عَلى المَطلُوب ، وَمايفيده تنكيرُ حَياة من التَّعظيم ، لمنعه عَمّا كَانوا عليه من قَتل جمَاعَة بوَاحد ، او النّوعيّة الحَاصلة للمَقتُول وَالقاتل بالارتداع ، وَاطّراده ،

رعَايةٌ لأمر لفظى ، حتى لو ذكر لكان تطويلا [وفضله] أى رجحان قوله ـ ولكم فى القصاص حياة [على ما كان عندهم أوجز كلام فى هذا المعنى وهو] قولهم [القتل أنفى للقتل ـ بقلة حروف مايناظره] أي اللفظ الذى يناظر قولهم ـ القتل أنفى للقتل [منه] أى من قوله تعالى ـ ولكم فى القصاص حياة ـ وما يناظره منه هو قوله ـ فى القصاص حياة ـ لأن قوله ـ ولكم ـ زائد على معنى قولهم ـ القتل أنفى للقتل ـ فحروف ـ فى القصاص حياة ـ مع التنوين أحد عشر ، وحروف ـ القتل أنفى للقتل ـ أربعة عشر ، أعنى الحروف الملفوظة ، إذ بالعبارة يتعلق الايجاز لا بالكتابة [والنص] أى وبالنص [على المطلوب] يعنى الحياة (١) [وما يفيده تنكير حياة من التعظيم لمنعه] أي منع القصاص إيّاهُم [عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد] فحصل لهم فى هذا الجنس من الحكم أعنى القصاص حياة عظيمة [أو] من [النوعية أى] ولكم فى القصاص نوع من الحياة ، وهي الحياة [الحاصلة للمقتول] أى الذى يُقصَدُ قتله [والقاتل] أى الذى يَقصِدُ القتل [بالارتداع] عن القتل لمكان العلم بالاقتصاص [واطراده] أى ويكون قوله ـ ولكم فى القصاص حياة ـ مُطَّرِدًا ، إذ الاقتصاص مطلقا سبب للحياة ، بخلاف القتل ، فانه قد يكون أنفى للقتل كالذي على وجه القصاص ، وقد يكون أدعى له كالقتل

---

(١) أما قولهم فالنص فيه على انتفاء القتل ، وهو ليس مطلوبا لذاته ، وإنما يطلب لما يترتب عليه من الحياة .

وَخُلُوّه عَن التَّكْرَار ، وَاسْتِغْنَائه عَن تَقْدِير مَحْذُوف ، وَالمُطَابَقَة

وَإِيجَازُ الحَذْف ، وَالمَحْذُوفُ إِمَّا جُزْء جُمْلَة مضاف ، نَحْو ـ وَاسْأَل القَرْيَةَ ـ

أَوْ مَوْصُوف ، نَحْو :

* أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعِ الثَّنَايَا *

أَىْ رَجُلٍ جَلَا ،

ظلما [وخلوه عن التكرار] بخلاف قولهم ، فانه يشتمل على تكرار القتل ، ولا يخفى أن الخالى عن التكرار أفضل من المشتمل عليه ، وإن لم يكن مُخِلًّا بالفصاحة [واستغنائه عن تقدير محذوف] بخلاف قولهم ، فان تقديره ـ القتل أنفى للقتل من تركه (١) [والمطابقة] أى وباشتماله على صنعة المطابقة ، وهى الجمع بين معنيين متقابلين فى الجملة كالقصاص والحياة .

[وإيجاز الحذف] عَطْفٌ على قوله ـ إيجاز القِصَر [والمحذوف إما جزء جملة] عمدة كان أو فضلة [مضاف] بَدَلٌ من ـ جزء جملة [نحو ـ واسأل القرية] أى أهل القرية [أو موصوف ، نحو :

أنا ابن جـــلا وطلاع الثنايا] متى أضع العمامة تعرفونى (٢)

الثَّنِيَّةُ العَقَبَةُ ، وفلان طلاع الثنايا أى رَكَّابٌ لصعاب الأمور ، وقوله ـ جلا ـ جملة وقعت صفة لمحذوف [أى] أنا ابن [رجل جلا] أي انكشف أمره أو كشف

---

(١) الأولى من كل زاجر ، لأن أفعل التفضيل يقتضى اشتراك المفضل والمفضل عليه فى أصل المعنى ، ولا شك أن تفضيل القتل على غيره لا يفهم بدونه ، فالتقدير هنا ليس رعاية لأمر لفظى (٢) هو لِسُحَيْمِ بن وَثِيلٍ الرِّيَاحِىِّ من شعراء الجاهلية ، وقيل لغيره ، والمراد بالعمامة عمامة الحرب وهى البيضة .

أَوْ صِـفَةٌ ، نَحْوُ ـ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُـذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ـ أَيْ صَحِيحَةٍ ، أَوْ نَحْوِهَا بِدَلِيلِ مَا قَبْلَهُ ، أَوْ شَرْطٌ كَمَا مَرَّ ، أَوْ جَوَابُ شَرْطٍ إِمَّا لِمُجَرَّدِ الاخْتِصَارِ ، نَحْوُ ـ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ـ أَيْ أَعْرَضُوا بِدَلِيلِ مَا بَعْـدَهُ ، أَوْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ شَيْءٌ لَا يُحِيطُ بِهِ الوَصْفُ ، أَوْ لِتَذْهَبَ نَفْسُ السَّامِعِ كُلَّ مَذْهَبٍ مُمْكِنٍ ، مِثَالُهُمَا ـ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ـ أَوْ غَيْرُ ذَٰلِكَ ،

الأمور (١) وقيل ـ جلا ـ ههنا عَلَمٌ ، وحذف التنوين باعتبار أنه منقول عن الجملة ، أعني الفعل مع الضمير لا عن الفعل وحـده (٢) [أو صـفة نحو ـ وكان وراءهم ملك يأخـذ كل سفينة غصبا أي] كل سـفينة [صحيحة أو نحوها] كسليمة أو غير معيبة [بدليل ماقبله] وهو قوله (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) لدلالته على أن الملك كان لا يأخذ المعيبة [أو شرط كما مر] فى آخر باب الانشاء (٣) [أو جواب شرط] وحذفه يكون [إما لمجرد الاختصار نحو ـ وإذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون ـ] فهذا شرط حذف جوابه [أى أعرضوا بدليل مابعده] وهو قوله تعالى (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) [أو للدلالة على أنه] أى جواب الشرط [شيء لايحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن ، مثالهما ـ ولو تري إذ وقفوا على النار] فحذف جواب الشرط للدلالة على أنه لايحيط به الوصف ، أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن [أوغير ذلك] المذكور كالمسند

---

(١) وهوعلى الأول لازم ، وعلى الثانى متعد (٢) لأنه لو كان منقولا عن الفعل وحده لم يمنع من التنوين ، لأنه ليس على وزن خاص بالفعل ، وعلى القول بأن ـ جلا ـ علم لا يكون فى البيت إيجاز بالحذف (٣) أى من تقـدير الشرط فى جواب التمنى والاستفهام والأمر والنهى ، كقولك ـ ليت لى مالا أنفقه ـ أى إن أرزقه أنفقه وهكذا :

نحو – لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل – أى ومن أنفق من بعده وقاتل بدليل ما بعده .

وإما جملة مسببة عن مذكور ، نحو – ليحق الحق ويبطل الباطل – أى فعل ما فعل ، أو سبب لمذكور ، نحو – فانفجرت – إن قدر فضربه بها ، ويجوز أن يقدر فإن ضربت بها فقد انفجرت ، أو غيرهما ، نحو – فنعم الماهدون – على ما مر .

إليه والمسند والمفعول كما مر فى الأبواب السابقة ، وكالمعطوف مع حرف العطف [نحو – لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل – أي ومن أنفق من بعده وقاتل بدليل مابعده] يعنى قوله تعالى (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) .

[وإما جملة] عطف على – إما جزء جملة – فان قلت ماذا أراد بالجملة ههنا حيث لم يعد الشرط والجزاء جملة ، قلت أراد الكلام المستقل الذى لا يكون جزءا من كلام آخر [مسببة عن] سبب [مذكور ، نحو – ليحق الحق ويبطل الباطل] فهذا سبب مذكور حذف مسببه [أي فعل مافعل ، أو سبب لمذكور ، نحو] قوله تعالى – فقلنا اضرب بعصاك الحجر [فانفجرت – إن قدر فضربه بها] فيكون قوله – فضربه بها – جملة محذوفة هى سبب لقوله – فانفجرت [ويجوز أن يقدر – فان ضربت بها فقد انفجرت] فيكون المحذوف جزء جملة هو الشرط ، ومثل هذه الفاء تسمى فاء فصيحة ، قيل على التقدير الأول وقيل على التقدير الثانى وقيل على التقديرين (١) [أو غيرهما] أى غير المسبب والسبب [نحو – فنعم الماهدون – على مامر] فى بحث الاستئناف من أنه على حذف المبتدإ والخبر على قول من يجعل المخصوص خبر مبتدإ محذوف (٢) .

---

(١) فهى على الأول المفصحة عن مقدر بشرط كونه سببا ، وعلى الثانى المفصحة عن شرط مقدر ، وعلى الثالث المفصحة عن محذوف مطلقا (٢) وكذا على قول من يجعله

وَإِمَّا أَكْثَرُ من جملةٍ ، نحو ـ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ، يُوسُفُ ـ أي إلى يُوسُفَ لاستعبره الرؤيا ففعلوا فأتاه فقال له يا يوسف .

وَالحذفُ على وجهين ألَّا يُقَامَ شيءٌ مقامَ المحذوفِ كما مرَّ ، وأَنْ يُقَامَ ، نحو ـ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ـ أي فلا تحزنْ واصبرْ .

وأدلته كثيرةٌ : منها أن يدلَّ العقلُ عليه والمقصودُ الأظهرُ على تعيين المحذوف ، نحو ـ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ـ

[وإما أكثر] عَطْفٌ على ـ إما جملة ـ أي أكثر [من جملة] واحدة [نحو ـ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ، يوسف أي] فأرسلون [إلى يوسف لأستعبره الرؤيا ففعلوا فأتاه فقال له يا يوسف] .

[والحذف على وجهين : ألا يقام شيء مقام المحذوف] بل يكتفى بالقرينة [كما مر] في الأمثلة السابقة [وأن يقام ، نحو ـ وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك] فقوله ـ فقد كذبت ـ ليس جزاء الشرط ، لأن تكذيب الرسل متقدم على تكذيبه ، بل هو سبب لمضمون الجواب المحذوف أقيم مقامه [أى فلا تحزن واصبر]

ثم الحذف لابد له من دليل [وأدلته كثيرة : منها أن يدل العقل عليه] أى على الحذف [والمقصود الأظهر (١) على تعيين المحذوف ، نحو ـ حرمت عليكم الميتة] فالعقل دل على أن هنا حذفا ، إذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأفعال دون الأعيان ، والمَقْصُودُ الأظهر من هذه الأشياء المذكورة فى الآية تَنَاوُلُهَا الشَّامِلُ للأكل وشرب

مبتدأ حذف خبره ، فيكون التقدير عليهما هم نحن أو نحن هم ، وأما على قول من يجعله مبتدأ والجملة قبله خبره فيكون المحذوف فى ذلك جزء جملة (١) يعني أظهرية قصده لا المقصود نفسه ، لأنه هو المحذوف فكيف يدل على نفسه .

وَمِنْهَا أَنْ يَدُلَّ الْعَقْلُ عَلَيْهِما ، نَحْوُ ـ وَجَاءَ رَبُّكَ ـ أَىْ أَمْرُهُ أَوْ عَذَابُهُ ، وَمِنْهَا أَنْ يَدُلَّ الْعَقْلُ عَلَيْهِ وَالْعَادَةُ عَلَى التَّعْيِينِ ، نَحْوُ ـ فَذَلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ـ فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ فِى حُبِّهِ لِقَوْلِهِ ـ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً ـ وَفِى مُرَاوَدَتِهِ لِقَوْلِهِ ـ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ـ وَفِى شَأْنِهِ حَتَّى يَشْمَلَهُمَا ، وَالْعَادَةُ دَلَّتْ عَلَى الثَّانِي ، لِأَنَّ الْحُبَّ الْمُفْرِطَ لَا يُلَامُ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ فِى الْعَادَةِ لِقَهْرِهِ إِيَّاهُ ، وَمِنْهَا الشُّرُوعُ فِى الْفِعْلِ ،

الابان ، فدل على تعيين المحذوف ، وفى قوله ـ منها أن يدل ـ أدنى تسامح فكأنه على حذف مضاف (١) [ومنها أن يدل العقل عليهما] أى على الحذف وتعيين المحذوف [نحو ـ وجاء ربك] فالعقل يدل على امتناع مجيء الرب تعـالى وتَقَدَّسَ ، ويدل على تعيين المراد أيضا [أى أمره أو عذابه] فالأمر المعين الذى دل عليه العقل هو أحـد الأمرين لا أحـدهما على التعيين [ومنها أن يدل العقل عليه والعادة على التعيين نحو ـ فذلكن الذي لمتننى فيه] فان العقل دل على أن فيه حذفا ، إذ لا معنى للوم الانسان على ذات الشخص ، وأما تعيين المحـذوف [فانه يحتمل] أن يقـدر [فى حبـه لقوله ـ قد شـغفها حبا ـ وفى مراودته لقوله ـ تراود فتاها عن نفسه ـ وفى شأنه حتى يشملهما] أى الْحُبَّ وَالْمُرَاوَدَةَ [والعادة دلت على الثانى] أى مراودته [لأن الحب المفرط لايلام صاحبه عليه فى العادة لقهره] اى الحب المفرط [إياه] أى صاحبه ، فلا يجوز أن يقدر فى حبه ولا فى شأنه لكونه شاملا له ، ويتعين أن يقدر في مراودته نظرا إلى العادة [ومنها الشروع فى الفعل] يعنى من أدلة تعيين المحذوف لا من أدلة الحذف ، لأن دليل الحذف ههنا هو أن الجـار والمجرور لابد أن يتعلق بشيء (٢) والشروع

---

(١) لأن قوله ـ أن يدل ـ بمعني الدلالة ، وهى ليست من الأدلة ، وتقدير المضاف فى قوله ـ وأدلته كثيرة ـ فالتقدير ودلالة أدلته كثيرة (٢) وهـذا يرجع فى الحقيقة إلى دلالة العقل ، وكذلك دلالة الاقتران ، فالدليل على الحذف هو العقل فى

نَحْوُ ـ بِسْمِ ٱللّٰهِ ـ فَيُقَـدَّرُ ما جُعِلَت التَّسْمِيَةُ مَبْـدَءاً لَهُ ، وَمِنْهَا الاقْتِرَانُ ، كَقَوْلِهِمْ لِلْمُعَرِّسِ ـ بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ ـ أَيْ أَعْرَسْتَ .

فى الفعل دل على أنه ذلك الفعل الذي شُرِعَ فيـه [نحو ـ بسم الله ـ فيقـدر ما جعلت التسمية مبدءا له] فى القراءة يقدر بسم الله أقرأ ، وعلى هذا القياس [ومنها] أى من أدلة تعيين المحذوف [الاقتران كقولهم للمعرس ـ بالرفاء والبنين] فان مقارنه هـذا الـكلام لاعراس المخاطب دل على تعيين المحذوف [أى أعرست] أو مقارنة المُخَاطَب بالاعراس وتلبسه به دل على ذلك ، والرفاء هو الالتئام والاتفاق والباء للملابسة .

كل الأحوال .

تطبيقات على الايجاز :

(١) قوله تعـالى ـ (أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَئِكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ) .

(٢) كُلُّ امرىءٍ سَـتَئِيمُ مِنْـهُ   العِرْسُ أو منهـا يَئِيمْ

(٣) وإنْ هُوَلم يحمل على النفس ضَيْمَهَا   فليس إلى حسن الثناء سَـبِيلُ

ففي الأول إيجاز بالحذف ، والتقـدير كمن لم يشرح صدره ، وفى الثـانى إيجاز بالحذف أيضا ، والتقدير كل امرىء متزوج ، وفى الثالث إيجاز بالقصر ، لأنه جمع من مكارم الأخلاق ما تضام به النفس ، مما يحصل لها به من المشقة والعناء ، مع نقصان اللفظ عن ذلك المعنى .

أمثلة أخرى :

(١) الأمُّ مدرسةٌ إذا أعْدَدْتَهَا   أعْدَدْتَ شَعْباً طَيِّبَ الأعراق

(٢) هُمْ خَلَطُونَا بالنفوس وألجؤا   إلى حُجُرَاتٍ أدفأتْ وأظَلَّتِ

وَالْاطْنَابُ إِمَّا بِالْايضَاحِ بَعْدَ الْابْهَامِ لِيُرَى الْمَعْنَى فِى صُورَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ ، أَوْ لِيَتَمَكَّنَ فِي النَّفْسِ فَضْلَ تَمَكُّنٍ ، أَوْ لِتَكْمُلَ لَذَّةُ الْعِلْمِ بِهِ ، نَحْوِ - رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى - فَانَّ اشْرَحْ لِى يُفِيدُ طَلَبَ شَرْحٍ لِشَيْءٍ مَالَهُ وَصَدْرِى يُفِيدُ تَفْسِيرَهُ ، وَمِنْهُ بَابُ نِعْمَ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ - إِذْ لَوْ أُرِيدَ الاخْتِصَارُ لَكَفَى - نِعْمَ زَيْدٌ - ووجه حسنه

[والاطناب]

[إما بالايضاح بعد الابهام ليرى المعنى فى صورتين مختلفتين] إحداهما مُبهمة والأخري مُوَضَّحةٌ ، وعلْمَان خير من علمٍ واحد [أو ليتمكن فى النفس فضل تمكن] لمَا جَبَلَ الله النفوس عليه من أن الشيء إذا ذكر مبهما ثم بُيِّنَ كان أوقَعَ عندها [أو لتكمل لذة العلم به] أى بالمعنى ، لما لا يخفى من أن نيل الشيء بعد الشوق والطلب ألذ [نحو - رب اشرح لى صدرى (١) فان اشرح لى يفيد طلب شرح لشيء ماله] أي للطالب [وصدرى يفيد تفسيره] أى تفسير ذلك الشيء [ومنه] أي ومن الايضاح بعد الابهام [باب نعم - على أحد القولين] أى قول من يجعل المخصوص خبر مبتدإ محذوف (٢) [إذ لو أريد الاختصار] أى تَرْكُ الاطناب [كفى - نعم زيد] وفى هذا إشعار بأن الاختصار قد يطلق علي ما يشمل المساواة أيضا (٣) [ووجه حسنه] أى حسن باب نعم

---

(٣) أتي الزمانَ بَنُوهُ فى شَبِيبَتِهِ   فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ على الْهَـــرَمِ

(١) لا يخفى أن الخطاب فى هذا لله تعالي ، فلا يتأتى فيه زيادة العلم وما بعده ، وإنما يقصد هنا لازم ذلك وهو زيادة الاهتمام المفيد كمال الرغبة فى الاجابة .

(٢) وكذلك على قول من يجعله مبتدءا محذوف الخبر ، بخلاف قول من يجعله مبتدءا قدم عليه خبره ، لأن الكلام يكون حينئذ جملة واحدة .

(٣) لأن قولنا - نعم زيد - مساواة لا إيجاز .

سِوَى ما ذُكِرَ إبْرَازُ الْكَلَامِ فى مَعْرِضِ الْاعْتِدَالِ وَإِيهَامُ الْجَمْعِ بينَ الْمُتَنَافِيَيْنِ. وَمِنْهُ التَّوْشِيعُ وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فى عَجُزِ الْكَلَامِ بِمُثَنًّى مُفَسَّرٍ بِاثْنَيْنِ ثَانِيهِمَا مَعْطُوفٌ عَلَى الْأَوَّلِ، نَحْوُ - يَشِيبُ ابْنُ آدَمَ وَيَشِبُّ فِيهِ خَصْلَتَانِ: الْحِرْصُ وَطُولُ الْأَمَلِ، وَإِمَّا بِذِكْرِ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ تَنْزِيلًا لِلتَّغَايُرِ فى الْوَصْفِ مَنْزِلَةَ التَّغَايُرِ فى الذَّاتِ، نَحْوُ

[سوى ماذكر] من الايضاح بعد الابهام [إبراز الكلام فى معرض الاعتدال] من جهة الاطناب بالايضاح بعد الابهام، والايجاز بحذف المبتدإ [وإيهام الجمع بين المتنافيين] أى الايجاز والاطناب، وقيل الاجمال والتفصيل، ولا شك أن إيهام الجمع بين المتنافيين من الأمور المستغربة التى تستلذها النفس، وإنما قال - إيهام الجمع - لأن حقيقة جمع المتنافيين أن يصدق على ذات واحدة وصفان يمتنع اجتماعهما على شىء واحد فى زمان واحد من جهة واحدة، وهو محال (١) [ومنه] أى من الايضاح بعد الابهام [التوشيع وهو] فى اللغة لَفُّ الْقُطْنِ الْمَنْدُوفِ، وفى الاصطلاح [أن يؤتى فى عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الأول، نحو - يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الأمل].

[وإما بذكر الخاص بعد العام] عَطْفٌ على قوله - إما بالايضاح بعد الابهام - والمراد الذكر على سبيل العطف (٢) [للتنبيه على فضله] أى مزية الخاص [حتى كأنه ليس من جنسه] أى العام [تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات] يعنى أنه

---

(١) وليس كذلك ما هنا، لأن الايجاز من جهة حذف المبتدإ، والإطناب من جهة ذكر الخبر بعد ذكر ما يعمه، فاختلفت الجهتان (٢) لأن العطف يقتضى المغايرة فيكون ذكر الخاص فيه لأجل تلك النكتة، أما غيره من التوابع فان ذكر الخاص

ـ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ـ .

وَإِمَّا بِالتَّكْرِيرِ لِنُكْتَةٍ كَتَأْكِيدِ الْإِنْذَارِ فِي ـ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ـ وَفِي ثُمَّ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْذَارَ الثَّانِي أَبْلَغُ .

وَإِمَّا بِالْإِيغَالِ فَقِيلَ هُوَ خَتْمُ الْبَيْتِ بِمَا يُفِيدُ نُكْتَةً يَتِمُّ الْمَعْنَى بِدُونِهَا ، كَزِيَادَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي قَوْلِهَا :

لَمَّا امتاز عن سائر أفراد العام بما له من الأوصاف الشريفة جُعِلَ كأنه شيء آخر مغاير للعام لا يشمله العام ولا يُعْرَفُ حُكْمُهُ منه [نحو ـ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى] أي الوسطى من الصلوات ، أو الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط ، وهى صلاة العصر عند الأكثر ـ .

[وإما بالتكرير لنكتة] ليكون إطنابا لا تطويلا (١) وتلك النكتة [كتأكيد الانذار فى ـ كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون] فقوله ـ كلا ـ رَدْعٌ عن الانهماك فى الدنيا وتنبيه ، وسوف تعلمون إنذار وتخويف ، أي سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ماقُدَّامَكُمْ من هَوْلِ المحشر ، وفى تكريره تأكيد للردع والانذار [وفى ثم دلالة على أن الانذار الثانى أبلغ] من الأول ، تنزيلا لبُعْدِ المرتبة منزلة بُعْدِ الزمان ، واستعمالا للفظ ثم فى مجرد التَّدَرُّجِ فى درج الارتقاء .

[وإما بالايغال] من ـ أَوْغَلَ فى البلاد ـ إذا أَبْعَدَ فيها ، واختلف فى تفسيره [فقيل هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعني بدونها ، كزيادة المبالغة فى قولها] أي

فيه بعد العام يكون للايضاح ، فيكون من النوع السابق لا من هذا النوع .

(١) صرح بالنكتة هنا مع وجوبها فى كل إطناب ، لأن التطويل يظهر فى التكرار

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِهِ ... كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِى رَأْسِهِ نَارُ

وَتَحْقِيقِ التَّشْبِيهِ فِى قَوْلِهِ :

كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا ... وَأَرْحُلِنَا الْجَزْعُ الَّذِى لَمْ يُثَقَّبِ

وَقِيلَ لَا يَخْتَصُّ بِالشِّعْرِ ، وَمُثِّلَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ـ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ .

فى قول الخنساء فى مرثيّة أخيها صخر [وإن صخرا لتأتم] أى تقتدي [الهداة به * كأنه علم] أى جبل مرتفع [فى رأسه نار] فقولها ـ كأنه علم ـ وَافٍ بالمقصود ، أعنى التشبيه بما يُهتدَى به ، إلا أن فى قولها ـ فى رأسه نار ـ زيادة مبالغة [وتحقيق] أى وكتحقيق [التشبيه فى قوله : كأن عيون الوحش حول خبائنا] أى خيامنا [وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب] الجزع بالفتح الخَرَزُ اليمانى الذى فيه سواد وبياض ، شبه به عيون الوحش ، وأتى بقوله ـ لم يثقب ـ تحقيقا للتشبيه ، لأنه إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون (١) قال الأصمعى : الظبي والبقرة إذا كانا حَيَّيْن فعيونهما كلها سواد ، فاذا ماتا بدا بياضها ، وإنما شبهها بالجزع وفيه سواد وبياض بعد ما مَوَّتَتْ ، والمراد كثرة الصيد ، يعني مما أكلنا كثرت العيون عندنا ، كذا فى شرح ديوان امرىء القيس ، فعلى هذا التفسير يختص الايغال بالشعر [وقيل لا يختص بالشعر] بل هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها [ومثل] لذلك في غير الشعر [بقوله تعالى] ـ قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ [اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون] بقوله ـ وهم مهتدون ـ مما

أكثر من غيره (١) فالمراد منه دفع المخالفة بين الطرفين ، فيكون لتحقيق التشبيه لا لزيادةِ المبالغة ، والبيت لامرىء القيس .

وَإمَّا بالتَّذْيِيلِ وَهُوَ تَعقِيبُ الْجُمْلَةِ بِجُمْلَةٍ أُخْرَى تَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَاهَا للتَّأكِيدِ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : ضَرْبٌ لَمْ يَخْرُجْ مَخْرَجَ الْمَثَلِ ، نَحْوُ ـ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إلَّا الْكَفُورُ ـ عَلَى وَجْهٍ ، وَضَرْبٌ أُخْرِجَ مَخْرَجَ الْمَثَلِ ، نَحْوُ ـ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ـ وَهُوَ أَيْضاً إمَّا لِتَأكِيدِ مَنْطُوقٍ كَهَذِهِ

يتم المعنى بدونه ، لأن الرسول مُهْتَدٍ لامحالة ، إلا أن فيه زيادة حَثّ على الاتِّبَاعِ وترغيب فى الرسل .

[وإما بالتذييل وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها] أى معنى الجملة الأولى [للتأكيد] فهو أعم من الايغال من جهة أنه يكون فى ختم الكلام وغيره ، وأخص من جهة أن الايغال قد يكون بغير الجملة ولغير التأكيد [وهو] أى التذييل [ضربان : ضرب لم يخرج مخرج المثل] بأن لم يستقل بافادة المراد ، بل يتوقف على ماقبله [نحو ـ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازي إلا الكفور ـ على وجه] وهو أن يراد ـ وهل يجازى ذلك الجزاء المخصوص إلا الكفور ـ فيتعلق بما قبله ، وأما على الوجه الآخر وهو أن يراد ـ وهل يعاقب إلا الكفور ـ بناء على أن المجازاة هي المكافأة (١) إنْ خَيْراً فَخَيْرٌ وإنْ شَرًّا فَشَرٌّ فهو من الضرب الثانى [وضرب أخرج مخرج المثل] بأن يقصد بالجملة الثانية حكم كُلِّيٌّ منفصل عما قبله جارٍ مجرى الأمثال فى الاستقلال وفُشُوِّ الاستعمال [نحو ـ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ـ وهو أيضا] أى التذييل ينقسم قسمة أخري ، وأتى بلفظة أيضا تنبيها على أن هذا التقسيم للتذييل مطلقا لاللضرب الثانى منه [إما] أن يكون [لتأكيد منطوق ، كهذه

---

(١) هذا بيان لأصل معنى المجازاة ، وإلا فالمراد منها فى الآية خصوص المكافأة بالعقوبة ، وإن كان أصل معناها عاما على هذا الوجه ، أما على الوجه الأول فالجزاء فيه بمعنى العقوبة ، لأنه يطلق عليها أيضا ، والفرق بينهما أن المراد في الأول عقاب

الآيَة ، وإمَّا لتأكيد مفهوم ، كَقَوْله :

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أخا لا تَلُمُّه   على شَعَثٍ أىُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ

وَإمَّا بالتَّكْمِيلِ وَيُسَمَّى الاحْتِرَاسَ أَيْضًا ، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فى كَلَامٍ يُوهِمُ خِلَافَ المَقْصُودِ بِمَا يَدْفَعُهُ ، كَقَوْلِه :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا   صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِى

الا ية] فان زهوق الباطل منطوق فى قوله ـ وزهق الباطل [وإما لتأكيد مفهوم ، كقوله : ولست] على لفظ الخطاب [بمستبق أخا لاتلمه] حال من ـ أخا ـ لعمومه (١) أو من ضمير المخاطب فى لست [على شعث] أى تَفَرُّقٍ وذَمِيمِ خصال ، فهذا الكلام دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال ، وقد أكده بقوله [أى الرجال المهذب (٢)] استفهام بمعنى الانكار ، أى ليس فى الرجال مُنَقَّحُ الفعال مَرْضِىُّ الخصال .

[وإما بالتكميل ويسمى الاحتراس أيضا] لأن فيه التَّوَقِّىَ والاحتراز عن تَوَهُّمِ خلاف المقصود [وهو أن يؤتي فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه] أى يدفع إيهام خلاف المقصود ، وذلك الدافع قد يكون فى وسط الكلام وقد يكون فى آخر الكلام ، فالأول [كقوله : فسقى ديارك غير مفسدها] نُصِبَ على الحال من فاعل ـ سقى ـ وهو [صوب الربيع] أي نزول المطر ووقوعه فى الربيع [وديمة تهمى (٣)] أى تسيل ، فلما كان نزول المطر قد يؤول إلى خراب الديار وفسادها أتى بقوله ـ غير

خاص ، والمراد فى الثانى مطلق عقاب (١) بوقوعه فى حيزالنفى ، فيصح مجيء الحال منه ، لأن وقوع النكرة فى حيز النفى يسوغ مجىء الحال منها (٢) البيت للنابغة الذبيانى من قصيدة له فى الاعتذار الى النعمان بن المنذر (٣) البيت لطرفة بن العبد من شعراء الجاهلية ، وهو من قصيدة له فى مدح قَتَادَةَ بن مَسْلَمَةَ الحنفى .

وَنَحْوَ - أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ .

وَإِمَّا بِالتَّتْمِيمِ وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِى كَلَامٍ لَا يُوهِمُ خِلَافَ الْمَقْصُودِ بِفَضْلَةٍ لِنُكْتَةٍ كَالْمُبَالَغَةِ ، نَحْوُ - وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ - فِى وَجْهٍ ، أَىْ مَعَ حُبِّهِ .

وَإِمَّا بِالاعْتِرَاضِ وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِى أَثْنَاءِ الْكَلَامِ أَوْ بَيْنَ كَلَامَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ مَعْنًى بِجُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرَ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ لِنُكْتَةٍ سِوَى دَفْعِ الْإِبْهَامِ ، كَالتَّنْزِيهِ

مفسدها - دفعا لذلك [و] الثانى [نحو - أذلة على المؤمنين] فانه لما كان مما يوهم أن يكون ذلك لضعفهم دفعه بقوله [أعزة على الكافرين] تنبيها على أن ذلك تواضع منهم للمؤمنين ، ولهذا عدّى الذل بعلى (١) لتضمنه معنى العطف ، ويجوز أن يقصد بالتعدية بعلى الدلالة على أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم .

[وإما بالتتميم وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة] مثل مفعول أو حال أو نحو ذلك مما ليس بجملة مستقلة ولا ركن كلام ، ومن زعم أنه أراد بالفضلة ما يتم أصل المعنى بدونه فقد كذبه كلام المصنف فى الايضاح ، وأنه لا تخصيص لذلك بالتتميم (٢) [لنكتة كالمبالغة ، نحو - ويطعمون الطعام على حبه - في وجه] وهو أن يكون الضمير فى - حبه - للطعام [أى] يطعمونه [مع حبه] والاحتياج إليه ، وإن جعل الضمير لله تعالى أى يطعمونه على حب الله فهو لتأدية أصل المراد (٣) .

[وإما بالاعتراض وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لامحل لها من الاعراب لنكتة سوي دفع الايهام] لم يرد بالكلام مجموع المسند اليه والمسند فقط بل مع جميع ما يتعلق بهما من الفَضَلَات والتوابع ، والمراد باتصال الكلامين أن يكون الثاني بيانا للأول أو تأكيدا أو بدلا [كالتنزيه

---

(١) مع أنه يتعدى باللام ، يقال - ذل له (٢) لأن جميع أقسام الاطناب كذلك لا التتميم وحده (٣) وهو مدحهم على ذلك ، لأنه لا مدح شرعا إلا على ما يفعل

فى قَوْله – وَيَجْعَلُونَ للهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ – وَالدُّعَاء فى قَوْله :

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلِّغْتَهَا ... قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانْ

وَالتَّنْبِيه فى قَوْله :

وَاعْلَمْ فَعِلْمُ الْمَرْءِ يَنْفَعُهُ ... أَنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِرَا

فى قوله تعالى – ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون] فقوله – سبحانه – جملة لأنه مَصْدَرٌ بتقدير الفعل (١) وقعت فى أثناء الكلام ، لأن قوله – ولهم ما يشتهون – عَطْفٌ على قوله – لله البنات [والدعاء فى قوله :

إن الثمانين وبلغتها ... قد أحوجت سمعى الى ترجمان (٢)]

أى مُفَسِّرٍ ومُكَرِّر ، فقوله – وبلغتها – اعتراض فى أثناء الكلام لقصد الدعاء ، والواو فى مثله تسمى واوا اعتراضية ليست بعاطفة ولا حَالِيَّة [والتنبيه فى قوله : واعلم فعلم المرء ينفعه] هذا اعتراض بين – اعلم – ومفعوله وهو [أن سوف يأتى كل ما قدرا (٣)] أن هى المخففة من الثقيلة ، وضمير الشأن محذوف ، يعني أن المقدور آت أَلْبَتَّةَ وإن وقع فيه تأخيرٌ مَّا ، وفى هذا تسلية وتسهيل للأمر ، فالاعتراض يباين التتميم لأنه إنما يكون بفضلة ، والفضلة لابد لها من إعراب ، ويباين التكميل لأنه إنما يقع لدفع إيهام خلاف المقصود ، ويباين الايغال لأنه لا يكون إلا فى آخر الكلام ، لكنه يشمل بعض صور التذييل ، وهو ما يكون بجملة لا محل لها من الاعراب وقعت بين

لأجل الله تعالى (١) أى بفعل مقدر من معناه ، والتقدير أنزهه سبحانه أى تنزيها.

(٢) هو لعوف بن مُحَلِّم الشيبانى من شعراء الدولة العباسية ، وكان قد دخل عليه عبد الله بن طاهر فسلم عليه فلم يسمع ، فقال له ذلك من قصيدة فى مدحه والاعتذار إليه (٣) هذا البيت أنشده أبو على الفارسى ولم ينسبه .

وَمَا جَاءَ بَيْنَ كَلَامَيْنِ وَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ جُمْلَةٍ قَوْلُهُ تَعَالَى ـ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ـ فَإِنَّ قَوْلَهُ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ بَيَانٌ لِقَوْلِهِ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ، وَقَالَ قَوْمٌ قَدْ تَكُونُ النُّكْتَةُ فِيهِ غَيْرَ مَا ذُكِرَ ، ثُمَّ جَوَّزَ بَعْضُهُمْ وُقُوعَهُ

بجملتين متصلتين معنى (١) لأنه كما لم يشترط فى التذييل أن يكون بين كلامين لم يشترط فيه ألاّ يكون بين كلامين ، فتأمل حتى يظهر لك فساد ما قيل إنه يباين التذييل بناء على أنه لم يشترط فيه أن يكون بين كلام أو بين كلامين متصلين معنى [وما جاء] أى ومن الاعتراض الذى وقع [بين كلامين] متصلين [وهو أكثر من جملة أيضا] أى كما أن الواقع هو بينه أكثر من جملة [قوله تعالى ـ فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين] فهذا اعتراض أكثر من جملة ، لأنه كلام يشتمل على جملتين وقع بين كلامين أولهما قوله ـ (فأتوهن من حيث أمركم الله) ـ وثانيهما قوله [نساؤكم حرث لكم] والكلامان متصلان معنى [فان قوله ـ نساؤكم حرث لكم ـ بيان لقوله ـ فأتوهن من حيث أمركم الله] وهو مكان الحرث ، فان الغرض الأصلى من الاتيان طلب النسل لا قضاء الشهوة ، والنكتة فى هذا الاعتراض الترغيب فيما أمروا به ، والتنفير عما نهوا عنه [وقال قوم قد تكون النكتة فيه] أى فى الاعتراض [غير ما ذكر] مما سوى دفع الايهام ، حتى إنه قد يكون لدفع إيهام خلاف المقصود [ثم] القائلون بأن النكتة فيه قد تكون دفع الايهام افترقوا فرقتين [جوز بعضهم وقوعه]

---

(١) أى وكان وقوعها بينهما للتأكيد ، ويمكن أن يكون منه الاعتراض الآتى فى قوله تعالى (فأتوهن من حيث أمركم الله) الآية .

آخِرَ جُمْلَةٍ لا تَلِيها جُمْلَةٌ مُتَّصِلَةٌ بِها فَيَشْمَلُ التَّذْيِيلَ وَبَعْضَ صُوَرِ التَّكْمِيلِ ، وَبَعْضُهُمْ كَوْنَهُ غَيْرَ جُمْلَةٍ فَيَشْمَلُ بَعْضَ صُوَرِ التَّتْمِيمِ وَالتَّكْمِيلِ .

أى الاعتراض فى [آخر جملة لا تليها جملة متصلة بها] وذلك بألاَّ تَلِيَ الجملةَ جملةٌ أخرى أصلا ، فيكون الاعتراض فى آخر الكلام ، أو تليها جملة أخرى غير متصلة بها معنى ، وهذا الاصطلاح مذكور فى مواضع من الكشاف ، فالاعتراض عند هؤلاء أن يؤتى فى أثناء الكلام أو فى آخره أو بين كلامين متصلين أو غير متصلين بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب لنكتة سواء كانت دفع الايهام أو غيره [فيشمل] أى الاعتراض بهذا التفسير [التذييل] مطلقا ، لأنه يجب أن يكون بجملة لا محل لها من الاعراب وإن لم يذكره المصنف (١) [وبعض صور التكميل] وهو ما يكون بجملة لا محل لها من الاعراب ، فإن التكميل قد يكون بجملة وقد يكون بغيرها ، والجملة التكميلية قد تكون ذات إعراب وقد لا تكون ، لكنها (٢) تباين التتميم ، لأن الفضلة لابد لها من إعراب ، وقيل لأنه لا يشترط فى التتميم أن يكون جملة كما اشترط فى الاعتراض ، وهو غلط كما يقال إن الانسان يباين الحيوان لأنه لم يشترط فى الحيوان النطق ، فافهم [وبعضهم] أى وجوز بعض القائلين بأن نكتة الاعتراض قد تكون دفع الايهام [كونه] أى الاعتراض [غير جملة] فالاعتراض عندهم أن يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو غيرها لنكتة مَّا [فيشمل] الاعتراض بهذا التفسير [بعض صور التتميم و] بعض صور [التكميل] وهو (٣) ما يكون واقعا

---

(١) أى لم يذكر فى التذييل أنه يجب أن يكون بجملة لا محل لها من الاعراب .
(٢) الضمير للاعتراض ، وقد أنثه نظر إلى كونه جملة ، فالمراد لكن الجملة المعترضة تباين الخ (٣) الضمير راجع لبعض صور التتميم والتكميل .

وَإِمَّا بِغَيْرِ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ـ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ـ فَإِنَّهُ لَوِ اخْتُصِرَ لَمْ يُذْكَرْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، لِأَنَّ إِيمَانَهُمْ لَا يُنْكِرُهُ مَنْ يُثْبِتُهُمْ ، وَحَسَّنَ ذِكْرَهُ إِظْهَارُ شَرَفِ الْإِيمَانِ تَرْغِيباً فِيهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يُوصَفُ الْكَلَامُ بِالْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ بِاعْتِبَارِ كَثْرَةِ حُرُوفِهِ وَقِلَّتِهَا

فى أثناء الكلام أو بين الكلامين المتصلين .

[وإما بغير ذلك] عَطْفٌ على قوله ـ إما بالايضاح بعد الابهام وإما بكذا وكذا [كقوله تعالى ـ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ـ فانه لو اختصر] أي ترك الاطناب ، فان الاختصار قد يطلق على ما يعم الايجاز والمساواة كما مر [لم يذكر ـ ويؤمنون به ـ لأن إيمانهم لا ينكره] أى لا يجهله [من يثبتهم] فلا حاجة إلى الاخبار به لكونه معلوما [وحسن ذكره] أى ذكر قوله ـ ويؤمنون به [إظهار شرف الايمان ترغيبا فيه] وكَوْنُ هذا الاطناب بغير ما ذكر من الوجوه السابقة ظَاهِرٌ بالتأمل فيها .

[واعلم أنه قد يوصف الكلام بالايجاز والاطناب باعتبار كثرة حروفه وقلتها

تطبيقات على الاطناب :

(١) قوله تعالى ـ (مَنْ كَانَ عَدُوّاً للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) .

(٢) سَقَى الله نجداً والسلامُ على نَجْدِ ۞ ويا حَبَّذَا نجدٌ على القُرْبِ وَالْبُعْدِ

(٣) من يَلْقَ يوماً على عِلَّاتِه هَرِماً ۞ يَلْقَ السماحَةَ فيه والنَّدَى خُلُقاً

فالأول من ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله ، والثانى من التكرير للتلذذ

بالنِّسْبَةِ الى كَلَامٍ آخَرَ مُساوٍ لَهُ فى أصْلِ المَعْنَى ، كَقَوْلِه :

يَصُدُّ عَنِ الدُّنيا إذَا عَنَّ سُودَدٌ ... وَلَوْ بَرَزَتْ فى زِيِّ عَذْراءَ ناهِد

وَقَوْلِه :

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إلَى جَانِبِ الْغِنَى ... إذَا كَانَت الْعَلْيَاءُ فى جانِبِ الْفَقْر

بالنسبة إلى كلام آخر مساو له] أي لذلك الكلام [فى أصل المعنى] فيقال للأكثر حروفا إنه مُطْنَب ، وللأقل إنه مُوجَز [كقوله : يصد] أى يعرض [عن الدنيا اذا عن] أى ظهر [سودد] أي سيادة :

[* ولو برزتْ فى زيّ عذراءَ ناهد (١) *]

الزى الهيئة ، والعذراء البِكْرُ ، والنهود ارتفاع الثَّدْيِ [وقوله : ولست] بالضم على أنه فعل المتكلم بدليل ما قبله وهو قوله :

وإنى لَصَبَّارٌ على ما ينوبنى ... وحَسْبُكَ أن الله أثنى على الصبر

[بنظار إلى جانب الغنى ... إذا كانت العلياء فى جانب الفقر (٢)]

بذكره ، والثالث من التتميم للمبالغة فى مدحه .

أمثلة أخرى :

(١) المشرقان عليك يَنْتَحِبَان ... قاصيهما فى مَأْتَمٍ والدَّانى

(٢) صَبَبْنَا عليها ظالمين سِيَاطَنَا ... فطارتْ بها أيْدٍ سراعٌ وأرْجُلُ

(٣) لو انَّ الباخلين وأنت منهم ... رأوك تعلَّموا منك المِطَالَا

(١) البيت لأبى تمام من قصيدة له فى رثاء أبي الحسين محمد بن الهَيْثَم .

(٢) البيت لِلْمُعَذَّلِ بن غَيْلَانَ من شعراء الدولة العباسية ، وقيل إنه لأبي سعيد

وَيَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ـ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ـ وَقَوْلُ الحَمَاسِيِّ :

وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ القَوْلَ حِينَ نَقُولُ

يصفه بالميل إلى المعالى ، يعنى أن السيادة مع التعب أحب إليه من الراحة مع الخمول ، فهذا البيت إطناب بالنسبة إلى المصراع السابق (١) [ويقرب منه] أي من هذا القَبِيلِ [قوله تعالى ـ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ـ وقول الحماسى] :

[وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول (٢)]

يصف رياستهم ونفاذ حكمهم ، أي نحن نُغَيِّرُ ما نريد من قول غيرنا ، وأَحَدٌ لا يجسر على الاعتراض علينا ، فالآية إيجاز بالنسبة إلى البيت ، وإنما قال ـ يقرب ـ لأن ما فى الآية يشمل كل فعل ، والبيت مختص بالقول ، فالكلامان لا يتساويان فى أصل المعنى ، بل كلام الله سبحانه وتعالى أَجَلُّ وأعلى ، وكيف لا والله أعلم .

تم الفن الأول بعون الله وتوفيقه ، وإياه أسأل فى إتمام الفنين الآخرين هداية طريقه

المخزومى (١) وهذا المصراع إيجاز بالنسبة إليه ، وهما فى ذاتهما من المساواة ، لأن مثل عبارتيهما يجرى فى متعارف الأوساط (٢) هو للسَّمَوْءَلِ بن عَادِيًا من شعراء الجاهلية ، وهو من قصيدته المشهورة :

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللؤمِ عرضُهُ فَكُلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ

فهرس الجزء الأول من الكتاب

الصفحة الموضوع

(تم)

الجزء الثانى من :

شرح المختصر

لسعد الدين التفتازانى
على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى
فى المعانى والبيان والبديع

ترتيب و تعليق

عبد المتعال الصعيدى المدرس بالمعاهد الدينية الاسلامية

جعلنا متن التلخيص مشكولا بأعلى كل صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفَنُّ الثَّانى : عِلْمُ الْبَيَانِ

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ إِيرَادُ الْمَعْنَى الْوَاحِدِ بِطُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ فى وُضُوحِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ .

الفن الثانى : علم البيان

قدمه على البديع للاحتياج إليه فى نفس البلاغة وتَعَلُّقِ البديع بالتوابع [وهو علم] أى مَلَكَةٌ يقتدر بها على إدراكات جُزْئِيَّةٍ ، أو أصولٌ وقواعد معلومة [يعرف به إيراد المعنى الواحد] أى المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال (١) [بطرق] وتراكيب [مختلفة فى وضوح الدلالة عليه] أي على ذلك المعنى (٢) بأن يكون بعض الطرق واضح الدلالة عليه ، وبعضها أوضح ، والواضح خَفِيٌّ بالنسبة إلى الأوضح ، فلا حاجة إلى ذكر الخفاء ، وتقييد الاختلاف بالوضوح ليخرج معرفة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى اللفظ والعبارة ، واللام في ـ المعنى الواحد ـ للاستغراق العرفى ، أى كل معني واحد يدخل تحت قصد المتكلم وإرادته ، فلو عرف أحد إيراد معنى قولنا ـ زيد جواد ـ بطرق مختلفة لم يكن بمجرد ذلك عالما بالبيان .

---

(١) قيد بهذا لأن اعتبار علم البيان إنما هو بعد اعتبار علم المعانى ، فلا بد من مراعاته فيه ، مثل أن ينكر شخص كرم زيد ، فتقول على طريق الكناية ـ إن زيدا كثير الرماد ـ فاذا لم تأت بالتأكيد لم يعتد بهذه الكناية (٢) والاختلاف فى هذا يكون باعتبار قرب المعنى المجازي والكنائى من المعنى الحقيقى وبعده منه ، وباعتبار وضوح القرينة وخفائها .

وَدَلَالَةُ اللَّفْظِ إِمَّا عَلَى تَمَامِ مَا وُضِعَ لَهُ ، أَوْ عَلَى جُزْئِهِ ، أَوْ عَلَى خَارِجٍ عَنْهُ ، وَتُسَمَّى الْأُولَى وَضْعِيَّةً وَكُلٌّ مِنَ الْأَخِيرَتَيْنِ عَقْلِيَّةً ، وَتُقَيَّدُ الْأُولَي بِالْمُطَابَقَةِ وَالثَّانِيَةُ بِالتَّضَمُّنِ وَالثَّالِثَةُ بِالِالْتِزَامِ ،

ثم لما لم يكن كل دلالة قابلا للوضوح والخفاء أراد أن يشير إلي تقسيم الدلالة وتعيين ماهو المقصود ههنا ، فقال [ودلالة اللفظ] يعنى دلالته الوضعية ، وذلك لأن الدلالة هى كَوْنُ الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، والأول الدَّالُّ والثانى المدلول ، ثم الدال إن كان لفظا فالدلالة لفظية وإلا فغير لفظية ، كدلالة الخطوط والْعُقَد والاشارات والنصب (١) ثم الدلالة اللفظية إما أن يكون للوضع مَدْخَلٌ فيها أَوْ لَا ، فالأولى هى المقصودة بالنظر ههنا ، وهى كَوْنُ اللفظ بحيث يُفْهَمُ منه المعنى عند الاطلاق بالنسبة إلى العالم بوضعه ، وهذه الدلالة [إما على تمام ماوضع] اللفظ [له] كدلالة الانسان على الحيوان الناطق [أو على جزئه] كدلالة الانسان على الحيوان أو الناطق [أو على خارج عنه] كدلالة الانسان على الضاحك [وتسمى الأولى] أى الدلالة على تمام ماوضع له [وضعية] لأن الواضع إنما وضع اللفظ لتمام المعنى [و] يسمى [كل من الأخيرتين] أي الدلالة على الجزء والخارج [عقلية] لأن دلالة اللفظ علي كل من الجزء والخارج إنما هى من جهة حكم العقل بأن حصول الكل أو الملزوم يستلزم حصول الجزء أو اللازم ، والمنطقيون يسمون الثلاثة وضعية باعتبار أن للوضع مدخلا فيها ، ويخصون العقلية بما يقابل الوضعية والطبيعية (٢) كدلالة الدُّخَان على النار [وتقيد الأولى] من الدلالات الثلاث [بالمطابقة] لتَطَابُقِ اللفظ والمعنى [والثانية بالتضمن] لِكَوْنِ الجزء فى ضِمْنِ المعنى الموضوع له [والثالثة بالالتزام] لكون الخارج

---

(١) جمع نُصْبَة ، وهى العلامة المنصوبة على الشيء (٢) الدلالة الطبيعية كدلالة

وَشَرْطُهُ اللُّزُومُ الذِّهْنِيّ

لازما للموضوع له ، فان قيل إذا فرضنا لفظا مشتركا بين الكل وجزئه ولازمه ، كلفظ الشمس المشترك مثلا بين الْجِرْمِ والشُّعَاعِ ومجموعهما ، فاذا أُطْلِقَ على المجموع مُطَابَقَةً واعْتُبِرَ دلالته على الجرم تضمنا والشعاع التزاما ، فقد صدق على هذا التضمن والالتزام أنها دلالة اللفظ على تمام الموضوع له ، وإذا أطلق على الجرم أو الشعاع مُطَابَقَةً صدق عليها أنها دلالة اللفظ علي جزء الموضوع له أو لازمه ، وحينئذ ينتقض تعريف كُلٍّ من الدلالات الثلاث بالأُخْرَيَيْن ، فالجواب أن قيد الحيثية مأخوذ فى تعريف الأمور التى تختلف باعتبار الاضافات (١) حتى إن المطابقة هى الدلالة على تمام ما وضع له من حيث إنه تمام ماوضع له ، والتضمن هى الدلالة على جزء ماوضع له من حيث إنه جزء ماوضع له ، والالتزام هى الدلالة على لازمه من حيث أنه لازم ما وضع له ، وكثيراً مايتركون هذا القيد اعتمادا على شهرة ذلك وانسياق الذهن إليه [وشرطه] أى الالتزام [اللزوم الذهنى] أي كَوْنُ المعنى الخارجى بحيث يلزم من حصول المعنى الموضوع له فى الذهن حصوله فيه ، إمَّا على الْفَوْرِ أو بعد التَّأَمُّلِ فى القرائن والأمارات ، وليس المراد باللزوم عدم انفكاك تَعَقُّلِ المدلول الالتزامى عن تعقل الْمُسَمَّي فى الذهن أصلا ، أعنى اللزوم الْبَيِّنَ المعتبرعند المنطقيين ، وإلا لخرج كثير من معانى المجازات والكنايات عن أن يكون مدلولات التزامية ، ولَمَّا تَأَتَّى الاختلاف بالوضوح فى دلالة الالتزام أيضا ، وتقييد اللزوم بالذهنى إشارة إلى أنه لايشترط اللزوم الخارجىكالعمى ، فانهيدل

لفظ ـ أح ـ على الوجع ، لأن الطبع يقتضى التلفظ به عنده (١) كتعريف الدلالات فانها تختلف بالاضافة إلى الكل أو الجزء أو اللازم ، بخلاف الأمور المتباينة لذواتها كالانسان والفرس ، فلا تحتاج إلى ذلك القيد .

وَلَوْ لاعْتِقَادِ الْمُخَاطَبِ بِعُرْفٍ عَامٍّ أَوْ غَيْرِهِ، وَالْإِيرَادُ الْمَذْكُورُ لَا يَتَأَتَّى بِالْوَضْعِيَّةِ لِأَنَّ السَّامِعَ إِذَا كَانَ عَالِماً بِوَضْعِ الْأَلْفَاظِ لَمْ يَكُنْ بَعْضُهَا أَوْضَحَ وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا دَالًّا عَلَيْهِ ،

على البصر التزاما ، لأنه عدم البصر عما من شانه أن يكون بصيرا ، مع التنافي بينهما في الخارج ، ومن نازع في اشتراط اللزوم الذهنى فكأنه أراد باللُّزوم اللُّزومَ الْبيِّنَ ، بمعنى عدم انفكاك تعقله عن تعقل المسمى ، والمصنف أشار إلى أنه ليس المراد باللزوم الذهنى اللزوم البين المعتبر عند المنطقيين بقوله [ولولا اعتقاد المخاطب بعرف] أى ولو كان ذلك اللزوم مما يثبته اعتقاد المخاطب بسبب عرف عام ، إذ هو المفهوم من إطلاق العرف [أو غيره] يعنى العرف الخاص ، كالشرع واصطلاحات أرباب الصناعات وغير ذلك (١) [والايراد المذكور] أى إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في الوضوح [لايتأتى بالوضعية] أي بالدلالة المطابقية [لأن السامع إذا كان عالما بوضع الألفاظ] لذلك المعنى [لم يكن بعضها أوضح] دلالة عليه من بعض [وإلا] أى وإن لم يكن عالما بوضع الألفاظ [لم يكن كل واحد] من الألفاظ [دالا عليه] لِتَوَقُّفِ الفهم على العلم بالوضع ، مثلا اذا قلنا ـ خدُّه يشبه الورد ـ فالسامع إن كان عالما بوضع المفردات والهيئة التركيبية امتنع أن يكون كلام آخر يُؤَدِّي هذا المعنى بطريق المطابقة دلالةً أوضح أو أخفى ، لأنه إذا أقيم مقام كل لفظ ما يرادفه فالسامع إن علم الوضع فلا تَفَاوُتَ في الفهم ، وإلا لم يتحقق الفهم ، وإنما قال ـ لم يكن كل واحد ـ لأن قولنا هو عالم بوضع الألفاظ معناه أنه عالم بوضع كل لفظ ، فنقيضه المشار اليه بقوله ـ وإلا ـ يكون سَلْباً جُزْئِيًّا ، أي إن لم يكن عالما بوضع كل لفظ ، فيكون اللازم عدم دلالة كل

---

(١) كدلالة المقام والتأمل فى القرينة .

وَيَتَأَتَّى بِالْعَقْلِيَّةِ لِجَوَازِ أَنْ تَخْتَلِفَ مَرَاتِبُ اللُّزُومِ فِى الوُضُوحِ .

لفظ ، ويحتمل أن يكون البعض منها دالاًّ ، لاحتمال أن يكون عالما بوضع البعض ، ولقائل أن يقول لا نسلم عدم التفاوت في الفهم على تقدير العلم بالوضع ، بل يجوز أن يحضر فى العقل معانى بعض الألفاظ المخزونة فى الخيال بأدنى التفات ، لكثرة المُمَارَسَة والمُؤَانَسَة وقرب العهد ، بخلاف البعض فانه يحتاج الى التفات أكثر ومُرَاجَعَة أطول ، مع كَوْن الألفاظ مترادفةً والسامع عالما بالوضع ، وهذا مما نجده من أنفسنا ، والجواب أن التَّوَقُّف إنما هو من جهة تَذَكُّر الواضع ، وبعد تَحَقُّق العلم بالوضع وحصوله بالعقل فالفهم ضَرُورِىٌّ [ويتأتى] الايراد المذكور [بالعقلية] من الدلالات [لجواز أن تختلف مراتب اللزوم فى الوضوح] اى مَرَاتِبُ لزوم الأجزاء للكل فى التضمن ، ومراتبُ لزوم اللوازم للملزوم فى الالتزام ، وهذا فى الالتزام ظاهر ، فانه يجوز أن يكون للشيء لوازم متعددة بعضها أقرب اليه من بعض ، وأسرع انتقالا منه اليه (١) لقلة الوسائط ، فيمكن تأدية الملزوم بالألفاظ الموضوعة لهذه اللوازم المختلفة الدلالة عليه وضوحا وخفاء * وكذا يجوز أن يكون للأزم ملزوماتٌ لُزُومُهُ لبعضها أوضح منه للبعض الآخر ، فيمكن تأدية اللازم بالألفاظ الموضوعة للملزومات المختلفة وضوحا وخفاء ، وأما فى التضمن فلأنه يجوز أن يكون المعنى جُزْءًا من شيء وجزءًا لجزء من شيء آخر ، فدلالة الشيء الذى ذلك المعنى جُزْءٌ منه على ذلك المعنى أوضح من دلالة الشيء الذى ذلك المعنى جُزْءٌ من جزئه ، مثلا دلالة الحيوان على الجسم أوضح من دلالة الانسان عليه ، ودلالة الجدار على التراب أوضح من دلالة البيت عليه ، فان قلت بل الأمر بالعكس ، فان فهم الجزء سابق على فهم الكل ، قلت نعم ، ولكنَّ المراد

(١) أى من ذلك الشيء إلى ذلك البعض .

ثُمَّ اللَّفْظُ المُرَادُ بِهِ لَازِمُ مَا وُضِعَ لَهُ إِنْ دَلَّتْ قَرِينَةٌ عَلَى عَدَمِ إِرَادَتِهِ فَمَجَازٌ وَإِلَّا فَكِنَايَةٌ ، وَقُدِّمَ عَلَيْهَا لِأَنَّ مَعْنَاهُ كَجُزْءِ مَعْنَاهَا ،

هنا انتقال الذهن الى الجزء وملاحظته بعد فهم الكل ، وكثيرا ما يفهم الكُلُّ من غير التفات الى الجزء ، كما ذكره الشيخ الرئيس فى الشفاء. أنه يجوز أن يخطر النوع بالبال ولا يلتفت الذهن الى الجنس .

أبواب علم البيان

[ثم اللفظ المراد به لازم ماوضع له] سواء كان اللازم داخلا فيه كما فى التضمن ، أو خارجا عنه كما فى الالتزام [إن قامت قرينة على عدم إرادته] أى إرادة ما وضع له [فمجاز وإلا فكناية] فعند المصنف (١) أن الانتقال فى المجاز والكناية كلَيْهِمَا من الملزوم الى اللازم ، إذ لادلالة للاَّزِم من حيث إنه لازم على الملزوم (٢) إلا أن إرادة المعنى الموضوع له جائزة فى الكناية دون المجاز [وقدم] المجاز [عليها] أى على الكناية [لأن معناه] أى المجاز [كجزء معناها] أي الكناية ، لأن معنى المجاز هو اللازم فقط ، ومعنى الكناية يجوز أن يكون هو اللازم والملزوم جميعا ، والجزء مقدم على الكل طبعا ، فيقدم بحث المجاز على بحث الكناية وضعا ، وإنما قال ـ كجزء معناها ـ لظهور أنه ليس جزء معناها حقيقة ، فان معنى الكناية ليس هو مجموع اللازم والملزوم ،

---

(١) وأما عند السكاكى فالانتقال فى الكناية من اللازم إلى الملزوم ، والحق أن الخلاف فى ذلك لفظى ، لأن اللازم إنما ينتقل منه عند السكاكى من حيث إنه ملزوم ، وإنما سماه لازما من حيث إنه فى الأصل تابع لغيره ، كتبعية كثرة الرماد للكرم فى قولك ـ زيد كثير الرماد (٢) لجواز أن يكون اللازم أعم من الملزوم ، والعامُّ لا إشعار له بأخَصَّ مُعَيَّنٍ ، فلا يصح أن ينتقل منه إليه .

ثُمَّ مِنْهُ ما يُبْنَى عَلَى التَّشْبِيهِ فَتَعَيَّنَ التَّعَرُّضُ لَهُ ، فَانْحَصَرَ المَقْصُودُ فِى الثَّلاَثَةِ .

التَّشْبِيهُ

التَّشْبِيهُ الدِّلاَلَةُ عَلَى مُشَارَكَةِ أَمْرٍ لِأَمْرٍ فى مَعْنًى ،

بل هو اللازم مع جواز إرادة الملزوم [ثم منه] أى من المجاز [مايبني على التشبيه] وهو الاستعارة التى كان أصلها التشبيه [فتعين التعرض له] أى للتشبيه أيضا قبل التعرض للمجاز الذى أَحَدُ أقسامه الاستعارة المَبْنِيَّةُ على التشبيه ، ولَمَّا كان فى التشبيه مباحثُ كثيرة وفوائد جَمَّةٌ لم يجعل مقدمة لبحث الاستعارة ، بل جعل مقصدا برأسه (١) [فانحصر] المقصود من علم البيان [فى الثلاثة] التشبيه والمجاز والكناية .

التشبيه

أى هذا باب التشبيه الاصطلاحى المَبْنِيّ عليه الاستعارةُ [التشبيه] أي مُطْلَقُ التشبيه أعَمّ من أن يكون على وجه الاستعارة أو على وجه تَنْبَنِى عليه الاستعارة أو غير ذلك ، فلم يأت بالضمير لئلا يعود الى التشبيه المذكور الذى هو أخص (٢) وما يقال إن المعرفة اذا أعيدت كانت عين الأوّل فليس على إطلاقه ، يعنى أن معنى التشبيه فى اللغة [الدلالة] هو مصدر قولك - دَلَلْتُ فلانا على كذا - اذا هديته له [على مشاركة أمر لأمر فى معنى] فالأمر الأول هو المُشَبَّهُ ، والثاني هو المُشَبَّهُ به ، والمعني هو وجه

---

(١) بل قيل إنه أصل مستقل من أصول هذا الفن ، بناء على أن دلالته عقلية تختلف وضوحا وخفاء ، ومن لا يجعله أصلا مستقلا فيه يرى أن دلالته وضعية لا عقلية .

(٢) وهو التشبيه الاصطلاحي .

وَالمُرَادُ هُنا مالَمْ تَكُنْ عَلَى وَجْهِ الاسْتعارَةِ التَّحْقيقِيَّةِ وَالاسْتعارَةِ بالكِنايَةِ وَالتَّجْريدِ ، فَدخَلَ نحوُ - زَيدٌ أسدٌ - وقولهُ تعالَى - صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ -

---

الشَّبه ، وهذا شامل لمثل - قاتل زيد عمرا وجاءنى زيد وعمرو (١) [والمراد] بالتشبيه المُصْطَلَحِ عليه [هنا] أى فى علم البيان [مالم تكن] أى الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بحيث لا تكون [على وجه الاستعارة التحقيقية] نحو رأيت أسدا فى الحمام [ولا على] وجه [الاستعارة بالكناية] نحو أنشبت المَنِيَّةُ أظفارها [و] لا على وجه [التجريد] الذى يذكر فى علم البديع من نحو - لقيت بزيد أسدا ، أو لقينى منه أسد - فان فى هذه الثلاثة دلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى ، مع أن شيئا منها لا يسمى تشبيها اصطلاحا ، وإنما قيد الاستعارة بالتحقيقية والكناية لأن الاستعارة التخييلية كاثبات الأظفار للمنية فى المثال المذكور ليس فى شىء من الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى على رأى المصنف ، إذ المراد بالأظفار هنا معناها الحقيق على ماسيجىء ، فالتشبيه الاصطلاحى هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى لا على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد [فدخل فيه نحو قولنا - زيد أسد] بحذف أداة التشبيه [و] نحو [قوله تعالى - صم بكم عمى] بحذف الأداة والمُشَبَّه جميعا ، أي هم كَصُمٍّ ، فان المحققين على أنه تشبيه بليغ لا استعارة ، لأن الاستعارة إنما تطلق حيث يُطْوَى ذِكْرُ المستعار له (٢) بالكُلِّيَّةِ (٣) ويجعل الكلام خِلْواً عنه صالحا لأن يراد

---

(١) أى مع أن كلا منهما لايقال له تشبيه فى اللغة ، فيجب أن يزاد فى التعريف - بالكاف ونحوها لفظا أو تقديرا (٢) وهو المُشَبَّهُ ، وهذا فى الاستعارة التصريحية ، أما المكنية فالذى يطوى فيها هو المستعار منه ، وهو المُشَبَّهُ به (٣) أى من اللفظ والتقدير ، ولاشك أن المشبه فى المثال الأول ملفوظ وفى الآية (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ) مقدر ، لأنه مبتدأ

وَالنَّظَرُ هٰهُنَا فِى أَرْكَانِه وَهِىَ : طَرَفَاهُ وَوَجْهُهُ وَأَدَاتُهُ ، وَفِى الْغَرَضِ مِنْهُ وَفِى أَقْسَامِه .

طَرَفَاهُ إِمَّا حِسِّيَّانِ ، كَالْخَدِّ وَالْوَرْدِ ، وَالصَّوْتِ الضَّعِيفِ وَالْهَمْسِ ، وَالنَّكْهَةِ وَالْعَنْبَرِ ، وَالرِّيقِ وَالْخَمْرِ ، وَالْجِلْدِ النَّاعِمِ وَالْحَرِيرِ ،

به المنقول عنه والمنقول اليه (١) لولا دلالة الحال أو فَحْوَى الكلام (٢) .

[والنظر ههنا فى أركانه] أى البحث فى هـذا المقصد عن أركان التشبيه المصطلح عليـه [وهى] أربعة [طرفاه] أى المشبه والمشبه به [ووجهه وأداته ، وفي الغرض منـه وفى أقسامه] وإطلاق الأركان على الأربعـة المذكورة إمّا باعتبار أنها مأخوذة فى تعريفه ، أعنى ـ الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معني بالكاف ونحوه ، وإمّا باعتبار أن التشبيه فى الاصطلاح كثيرًا مّا يطلق على الكلام الدال على المشاركة المذكورة كقولنا ـ زيد كالأسد فى الشجاعة .

ولَمَّا كان الطرفان هما الأصل والعمدة في التشبيه لِكَوْنِ الوجه معنى قائما بهما والأداة آلة فى ذلك قَدَّمَ بحثهما فقال .

[طرفاه]

أىَ المشبه والمشبه به [إما حسيان كالخد والورد] فى الْمُبْصَرَاتِ [والصوت الضعيف والهمس] أى الصوت الذى أُخْفِيَ حتى كأنه لا يخرج عن فضاء الفم ـ فى المسموعات [والنكهة] وهى ريح الفم [والعنبر] فى المشمومات [والريق والخمر] فى المذوقات [وَالْجِلْدُ النـاعم والحرير] فى الملموسات ،

محذوف (١) المنقول عنه هو المشبه به ، والمنقول إليه هو المشبه .

(٢) المراد بدلالة الحال القرينة الحالية ، وبفحوى الكلام القرينة الْمَقَالِيَّةُ .

أَوْ عَقْلِيَّانِ ، كَالعِلْمِ وَالْحَيَاةِ ، أَوْ مُخْتَلِفَانِ ، كَالْمَنِيَّةِ وَالسَّبُعِ ، وَالعِطْرِ وَخُلُقٍ كَرِيمٍ ،

وفى أكثر ذلك تَسَامُحٌ ، لأن المدرك بالبصر مثلا إنما هو لون الخد والورد ، وبالشم رائحة العنبر ، وبالذوق طعم الريق والخمر ، وباللمس ملاسة الجلد الناعم والحرير ولينهما ، لا نفس هذه الأجسام ، لكن اشتهر فى العرف أن يقال أبصرت الورد وشممت العنبر وذقت الخمر ولمست الحرير [أو عقليان كالعلم والحياة] ووجه الشبه بينهما كَوْنُهُمَا جِهَتَيْ إدراك ، كذا فى المفتاح والايضاح ، فالمراد بالعلم هنا الملكة التى يقتدر بها على الادراكات الجزئية ، لا نفس الادراك (١) ولا يخفى أنها جهة وطريق الى الادراك كالحياة ، وقيل وجه الشبه بينهما الادراك ، إذ العلم نوع من الادراك ، والحياة مقتضية للحس الذي هو نوع من الادراك ، وفساده واضح ، لأن كَوْنَ الحياة مقتضية للحس لايوجب اشتراكهما (٢) فى الادراك على ماهو شَرْطٌ فى وجه الشبه ، وأيضا لا يخفى أنْ ليس المقصود من قولنا ـ العلم كالحياة ، والجهل كالموت ـ أن العلم إدراك كما أن الحيـاة معها إدراك ، بل ليس فى ذلك كبير فائدة ، كما فى قولنا ـ العلم كالحس فى كونهما إدراكا (٣) [أو مختلفان] بأن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا [كالمنية والسبع] فان المنيـة أى الموت عقلى ، لأنه عدم الحياة عما من شأنه الحياة ، والسبع حسى ، أو بالعكس [و] ذلك مثل [العطر] الذى هو محسوس مشموم [وخلق كريم] وهو عقلى ، لأنه كيْفِيَّةٌ نفسانية يصدر عنها الأفعال بسهولة ، والوجه فى تشبيه المحسوس بالمعقول أن يُقَدَّرَ المعقول محسوسا ويجعل كالأصل لذلك المحسوس

(١) لأنه لو أريد به ذلك لم يصح أن يكون وجه الشبه كونهما جهتى إدراك ، لئلا يلزم أن يكون الشىء طريقا إلى نفسه ، وهو باطل (٢) أى العلم والحياة .

(٣) الحق أن ما اختاره من جعل وجه الشبه كونهما جهتى إدراك ليس فيـه كبير فائدة أيضا ، وأن وجه الشبه فيهما هو الانتفاع وحصول الآثار .

وَالْمُرَادُ بِالْحِسِّيِّ الْمُدْرَكُ هُوَ أَوْ مَادَّتُهُ بِإِحْدَى الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ الظَّاهِرَةِ ، فَدَخَلَ فِيهِ الْخَيَالِيُّ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ :

وَكَأَنَّ مُحْمَرَّ الشَّقِيـ ... ـقِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدْ

أَعْلَامُ يَاقُوتٍ نُشِرْ ... نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبَرْجَدْ

على طريق المبالغة ، وإلا فالمحسوس أصل للمعقول ، لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية اليها ، فتشبيهه بالمعقول يكون جَعْلاً للفرع أصلاً والأَصْل فرعاً ، وذلك لا يجوز ، ولمَّا كان منَ المشبه والمشبه به مالا يدرك بالقوة العاقلة ولا بالْحِسّ - أعني الحس الظاهر - مثل الْخَيَالِيَّات والْوَهْمِيَّات والْوِجْدَانيَّات أراد أن يجعل الحسي والعقلي بحيث يشملانها ، تسهيلا للضبط بتقليل الأقسام ، فقال [والمراد بالحسي المدرك هو أو مادته باحدى الحواس الخمس الظاهرة] أعني البصر والسمع والشم والذوق واللمس [فدخل فيه] أي في الحسي بسبب زيادة قولنا - أو مادته [الخيالي] وهو المعدوم الذي فُرِضَ مجتمعا من أمور كُلٌّ واحد منها مما يدرك بالحس [كما في قوله :

وكأن محمر الشقيق] هو من باب - جَرْدُ قطيفة (١) والشقيق ورد أحمر في وسطه سواد ينبت بالجبال [اذا تصوب] أي مال الى السُّفْل [أو تصعد] أي مال الى العُلُوّ [أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد (٢)] فان كُلًّا من الْعَلَمِ والياقوت والرمح والزبرجد محسوس ، لكن المركب الذى هذه الأمورُ مَادَّتُهُ ليس بمحسوس ، لأنه ليس بموجود ، والحس لا يدرك إلا ماهو موجودٌ في المادَّة حاضرٌ عند الْمُدْرِك على هيئة مخصوصة

---

(١) اي قطيفة جرداء ذهب وبرها ، فهو من إضافة الصفة إلى الموصوف .

(٢) قيل إن البيتين لأبي بكر أحمد بن محمد المعروف بالصنوبري ، من شعراء الدولة

وَبالعقْلِيِّ ماعَدَا ذلكَ ، فَدَخَلَ فيه الوَهْمِيُّ أىْ ماهُوَ غيرُ مُدرَكٍ بهَا ولَوْ أُدْرِكَ لَكانَ مُدْرَكًا بِهَا ، كما فى قَوْله :

* ومسنونَةٌ زُرْقٌ كَأَنيَابِ أَغْوَالِ *

وَما يُدْرَكُ

[و] المراد [بالعقلى ماعدا ذلك] أى مالا يكون هو ولا مادته مدركا باحدى الحواس الخمس الظاهرة [فدخل فيه الوهمى] أي الذى لا يكون للحس مَدْخَلٌ فيه [أي ماهو غير مدرك بها] أى باحدى الحواس المذكورة [و] لكنه بحيث [لو أدرك لكان مدركا بها] وبهذا القيد يتميز عن العقلى (١) [كما فى قوله] :

أيقتلنى والمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعي [ومسنونة زرق كأنياب أغوال (٢)]

، أى أيقتلنى ذلك الرجل الذى تَوَعَّدَنى والحال أن مضاجعى سيف منسوب الى مَشَارِف اليمن ، وسهام محدَّدةُ النِّصال صافية مَجْلُوَّةٌ ، وأنياب الأغوال مما لا يدركها الحس لعدم تَحَقُّقهَا ، مع أنها لو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر ، ومما يجب أن يعلم فى هذا المقام أن من قُوَى الادراك ما يسمى مُتَخَيِّلَةً ومُفَكِّرَةً ، ومن شأنها تركيب الصور والمعانى وتفصيلها والتصرف فيها واختراع أشياء لاحقيقة لها ، والمراد بالخياليِّ المعدوم الذى رَكَّبَتْهُ المتخيلة من الأمور التى أُدْرِكَتْ بالحواسِّ الظاهرة ، وبالوهميِّ مااخترعته المتخيلة من عند نفسها ، كما اذا سمع أنَّ الغُولَ شىء مهلك به النفوس كالسبع ، فأخذت المتخيلة فى تصويرها بصورة السبع واختراع ناب لها كما للسبع [وما يدرك

---

(١) يعني العقلى الصرف ، لأن الوهمي داخل فى العقلى هنا على ذلك التعريف .

(٢) هو لامريء القيس .

العباسية

بالوِجْدَانِ كاللَّذَّةِ والأَلَمِ .

بالوجدان] أى ودخل أيضا فى العقلى ما يدرك بالقُوَى الباطنة ، ويسمى وجدانياً [كاللذة] وهي إدراك ونَيْلٌ لِمَا هو عند المُدْرِك كمالٌ وخير من حيث هو كذلك (١) [والألم] وهو إدراك ونيل لما هو عند المدرك آفَةٌ وشَرٌّ من حيث هو كذلك ، ولا يخفى أن إدراك هذين المعنيين ليس بشيء من الحواس الظاهرة ، وليسا أيضا من العقليات الصِّرْفَة لِكَوْنهما من الجزئيات المستندة الى الحواسّ (٢) بل هما من الوجدانيات

---

(١) قَيَّدَ بذلك لأن الشيء قد يكون كمالا وخيرا من وجه دون وجه ، فالالتذاذ به إنما يكون من الوجه الأول (٢) يعنى الحواس الباطنة ، وهى القوى التى يدرك بها المعانى الجزئية ، مثل القوة الغضبية ، والقوة الشهوية .

تطبيقات على الطرفين :

(١) لها بَشَرٌ مثل الحرير ومَنْطِقٌ رَخِيمُ الحواشي لا هُرَاءٌ ولا نَزْرُ

(٢) الرأى كالليل مُسْوَدٌّ جوانبُه والليلُ لا ينجلى إلاَّ باصباحِ

(٣) أهديتُ عِطْرًا مثل طيب ثنائه فكأنما أُهْدِى له أخلاقَهُ

فالأول من تشبيه المحسوس بالمحسوس ، والثانى من تشبيه العقلى بالحسى ، والثالث من تشبيه الحسى بالعقلى .

أمثلة أخرى :

(١) تُشْرِقُ أعراضُهم وأَوْجُهُهُمْ كأنها فى نفوسهم شِيَمُ

(٢) أيَهْجُرُني قومى عفا الله عنهمُ إلى لُغَةٍ لم تَتَّصِلْ برُوَاةِ

سرتْ لُوثَةُ الإفْرَنْجِ فيها كما سرى لُعَابُ الأفاعِي فى مَسِيلِ فُرَاتِ

وَوَجْهُهُ ما يَشتَرِكانِ فيه تَحْقيقاً أَوْ تَخْييلاً ، والمُرادُ بالتَّخْييلِيِّ نَحْوُ مافي قَوْلِهِ :

وَكَأَنَّ النجومَ بَيْنَ دُجاهُ ... سُنَنٌ لاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِداعُ

فَإِنَّ وَجْهَ الشَّبَهِ فيهِ هُوَ الْهَيْئَةُ الْحَاصِلَةُ مِنْ حُصُولِ أَشْياءَ مُشْرِقَةٍ بِيضٍ في جَوانِبِ شَيْءٍ مُظْلِمٍ أَسْوَدَ ، فَهِيَ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي الْمُشَبَّهِ بِهِ

المدركة بالقوي الباطنة ، كالشبع والجوع والفرح والغم والغضب والخوف وما شاكل ذلك ، والمراد هنا اللذة والألم الحسيان ، وإلا فاللذة والألم العقليان من العقليات الصرفة .

[ووجهه]

أى وجه الشبه [مايشتركان فيه] أى المعنى الذى قُصدَ اشتراك الطرفين فيه ، وذلك ان زيدا والأسد يشتركان فى كثير من الذّاتيّات وغيرها كالحيوانية والجسمية والوجود وغير ذلك ، مع أن شيئا منها ليس وجه الشبه ، وذلك الاشتراك يكون [تحقيقيا أو تخييليا ، والمراد بالتخييلى] ألَّا يوجد ذلك المعنى فى أحد الطرفين أو فى كليْهمَا إلا على سبيل التخييل والتأويل [نحو مافى قوله : وكأن النجوم بين دجاه] جمع دُجْيَة وهى الظلمة ، والضمير للّيل ، وروي ـ دجاها ـ والضمير للنجوم [سنن لاح بينهن ابتداع (١) فان وجه الشبه فيه] أى فى هذا التشبيه [هو الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض فى جوانب شيء مظلم أسود ، فهى] أي تلك الهيئة [غير موجودة فى المشبه به]

فجاءتْ كثوبٍ ضَمَّ سبعين رُقْعَةً ... مُشَكَّلَةَ الألوانِ مختلفات

(١) البيت للقاضى التنوخيّ ، وهو أبو القاسم على بن محمد من شعراء الدولة العباسية .

إلّا عَلَى طَرِيقِ التَّخْيِيلِ ، وَذٰلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتِ الْبِدْعَةُ وَكُلُّ مَا هُوَ جَهْلٌ تَجْعَلُ صَاحِبَهَا كَمَنْ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ فَلَا يَهْتَدِي لِلطَّرِيقِ وَلَا يَأْمَنُ أَنْ يَنَالَ مَكْرُوهاً شُبِّهَتْ بِهَا ، وَلَزِمَ بِطَرِيقِ الْعَكْسِ أَنْ تُشَبَّهَ السُّنَّةُ وَكُلُّ مَا هُوَ عِلْمٌ بِالنُّورِ ، وَشَاعَ ذٰلِكَ حَتَّى تُخُيِّلَ أَنَّ الثَّانِيَ مِمَّا لَهُ بَيَاضٌ وَإِشْرَاقٌ ، نَحْوُ - أَتَيْتُكُمْ بِالْحَنِيفِيَّةِ الْبَيْضَاءِ - وَالْأَوَّلَ عَلَى خِلَافِ ذٰلِكَ ، كَقَوْلِكَ - شَاهَدْتُ سَوَادَ الْكُفْرِ مِنْ جَبِينِ فُلَانٍ - فَصَارَ تَشْبِيهُ النُّجُومِ بَيْنَ الدُّجَى بِالسُّنَنِ بَيْنَ الْابْتِدَاعِ كَتَشْبِيهِهَا بِبَيَاضِ الشَّيْبِ فِي سَوَادِ الشَّبَابِ ، أَوْ بِالْأَنْوَارِ مُؤْتَلِقَةً

أعني السنن بين الابتداع [إلا على طريق التخييل وذلك] أي وجودها فى المشبه به على طريق التخييل [أنه] الضمير للشأن [لما كانت البدعة وكل ماهو جهل تجعل صاحبها كمن يمشي فى الظلمة فلا يهتدى للطريق ولا يأمن أن ينال مكروها شبهت] أى البدعة وكل ماهو جهل [بها] أى بالظلمة [ولزم بطريق العكس] إذا أريد التشبيه [أن تشبه السنة وكل ماهو علم بالنور] لأن السنة والعلم يقابل البدعة والجهل ، كما أن النور يقابل الظلمة [وشاع ذلك] أي كَوْنُ السنة والعلم كالنور والبدعة والجهل كالظلمة [حتى تخيل أن الثانى] أي السنة وكل ماهو علم [مما له بياض وإشراق نحو - أتيتكم بالحنيفية البيضاء - والأول على خلاف ذلك] أى وتُخُيِّلَ أن البدعة وكل ماهو جهل مما له سواد وإظلام [كقولك - شاهدت سواد الكفر من جبين فلان - فصار] بسبب تَخَيُّلِ أن الثانى مما له بياض وإشراق ، والأول مما له سواد وإظلام [تشبيه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع كتشبيهها] أى النجوم [ببياض الشيب فى سواد الشباب] أى أبيضه فى أسوده (١) [أو بالأنوار] أى الأزهار [مؤتلقة]

---

(١) فسره بذلك لأن النجوم فى الدجى لم تشبه بنفس السواد فى البياض ، وإنما

بَيْنَ النَّبَاتِ الشَّدِيدِ الْخُضْرَةِ ، فَعُلِمَ فَسَادُ جَعْلِهِ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ ـ النَّحْوُ فِي الْكَلَامِ كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ ـ كَوْنَ الْقَلِيلِ مُصْلِحًا وَالْكَثِيرِ مُفْسِدًا ، لِأَنَّ النَّحْوَ لَا يَحْتَمِلُ الْقِلَّةَ وَالْكَثْرَةَ بِخِلَافِ الْمِلْحِ .

وَهُوَ إِمَّا غَيْرُ خَارِجٍ عَنْ حَقِيقَتِهِمَا ، كَمَا فِي تَشْبِيهِ ثَوْبٍ بِآخَرَ فِي نَوْعِهِمَا أَوْ

بالقاف أى لامعة [بين النبات الشديد الخضرة] حتى يضرب إلى السواد ، فبهذا التأويل أعنى تخييل ماليس بِمُتَلَوِّنٍ متلوناً ظهر اشتراك النجوم بين الدجى والسنن بين الابتداع فى كَوْنِ كُلٍّ منهما شيئا ذا بياض بين شىء ذى سواد ، ولا يخفى أن قوله ـ لاح بينهن ابتداع ـ من باب القلب ، أى سنن لاحت بين الابتداع [فعلم] من وجوب اشتراك الطرفين فى وجه التشبيه [فساد جعله] أى وجه الشبه [فى قول القائل ـ النحو فى الكلام كالملح فى الطعام ـ كون القليل مصلحا والكثير مفسدا] لأن المشبه أعنى النحو لا يشترك فى هذا المعنى [لأن النحو لا يحتمل القلة والكثرة] إذ لا يخفى أن المراد به ههنا رعاية قواعده واستعمال أحكامه ، مثل رفع الفاعل ونصب المفعول ، وهذه إن وجدت فى الكلام بكمالها صار صالحا لفهم المراد ، وإن لم توجد بقى فاسدا ولم ينتفع به [بخلاف الملح] فانه يحتمل القلة والكثرة ، بأن يجعل فى الطعام القدر الصالح منه (١) أَوْ أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ ، بل وجه الشبه هو الصلاح باعمالهما والفساد باهمالهما .

[وهو] أي وجه الشبه [إما غير خارج عن حقيقتهما] أي حقيقة الطرفين ، بأن يكون تمام مَاهِيَّتِهِمَا أو جزءاً منهما (٢) [كما فى تشبيه ثوب بآخر فى نوعهما أو

---

(١) وهو القليل الذى ذكر فيما سبق أنه مصلح .

(٢) تمام ماهيتهما هو النوع ، وجزؤها هو الجنس والفصل .

شبهت بالشعر الأبيض فى الأسود

جِنْسِهِمَا أَوْ فَصْلِهِمَا ، أَوْ خَارِجٌ صِفَةٌ إِمَّا حَقِيقِيَّةٌ وَهِيَ إِمَّا حِسِّيَّةٌ ، كَالْكَيْفِيَّاتِ الْجِسْمِيَّةِ مِمَّا يُدْرَكُ بِالْبَصَرِ مِنَ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ وَالْمَقَادِيرِ وَالْحَرَكَاتِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا ،

جنسهما أو فصلهما] كما يقال هذا القميص مثل ذاك فى كونهما كَتَّانا أو ثوبا أو من القطن (١) [أو خارج] عن حقيقة الطرفين [صفة] أى معنى قائم بهما ضرورة اشتراكهما فيه ، وتلك الصفة [إما حقيقية] أى هيئة متمكنة فى الذات متقررة فيها [وهي إما حسية] أى مدركة باحدى الحواسّ الظاهرة ، وهي [كالكيفيات الجسمية] أى المختصة بالجسم [مما يدرك بالبصر] وهى قوة مُرَتَّبَة فى العَصَبَتَيْن المُجَوَّفَتَيْن اللَّتين تتلاقيان فتفترقان إلى العينين [من الالوان والاشكال] والشكل هَيْئَة إحاطَة نهاية واحدة أو أكثر بالجسم ، كالدائرة ونصف الدائرة والمُثَلَّث والمُرَبَّع (٢) وغير ذلك [والمقادير] جمع مقدار ، وهو كَمٌّ متصل قَارُّ الذات ، كالخط والسطح [والحركات] والحركة هى الخروج من القوة إلى الفعل على سبيل التدريج (٣) وفى جعل المقادير والحركات من الكيفيات تَسَامُحٌ (٤) [وما يتصل بها] أي بالمذكورات ، كالحسن والقبح المتصف بهما الشخص باعتبار الخِلْقَة التى هى مجموع الشكل واللون ، وكالضحك

---

(١) الكتان والقطن مثال للفصل ، والثوب مثال للجنس ، ومثال النوع — هذا الثوب مثل هذا الثوب فى كونه قميصا (٢) الدائرة مثال لما أحاط به نهاية واحدة ، ونصف الدائرة لما أحاط به نهايتان ، والمثلث لما أحاط به ثلاث نهايات ، والمربع لما أحاط به أربع (٣) كخروج الانسان من شبابه إلى الهرم ، فهو انتقال من الهرم بالقوة إلى الهرم بالفعل (٤) لأن المقادير من مقولة الكَمّ ، والحركة من الأعراض النسبية ، والخطب فى ذلك سهل ، لأنه يكفى فيه فرض أنها من الكيفيات .

أَوْ بِالسَّمْعِ مِنَ الأَصْوَاتِ الضَّعِيفَةِ وَالْقَوِيَّةِ وَالَّتِي بَيْنَ بَيْنَ ، أَوْ بِالذَّوْقِ مِنَ الطُّعُومِ ، أَوْ بِالشَّمِّ مِنَ الرَّوَائِحِ ، أَوْ بِاللَّمْسِ مِنَ الحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ وَالرُّطُوبَةِ وَالْيُبُوسَةِ وَالْخُشُونَةِ وَالْمَلَاسَةِ وَاللِّينِ

والبكاء الحاصلين باعتبار الشكل والحركة [أو بالسمع] عَطْفٌ على قوله - بالبصر - والسمع قُوَّةٌ رُتِّبَتْ فى العَصَبِ المفروش على سطح باطن الصِّمَاخَيْنِ تدرك بها الأصوات [من الأصوات الضعيفة والقوية والتى بين بين] والصوت يحصل من التَّمَوُّجِ المعلول للقَرْعِ الذي هو إمْسَاسٌ عَنِيفٌ (١) والقَلْعِ الذي هو تفريق عنيف بشرط مُقَاوَمَةِ المقروع للقارع والمقلوع للقالع ، ويختلف الصوت قوة وضعفا بحسب قوة المقاومة وضعفها [أو بالذوق] وهي قوة مُنْبَثَّةٌ فى العَصَبِ المفروش على جِرْمِ اللسان [من الطعوم] كالحرافة والمرارة والملوحة والحموضة وغير ذلك [أو بالشم] وهى قوة رُتِّبَتْ فى زائدتى مُقَدَّمِ الدماغ المشبهتين بِحَلَمَتَيِ الثَّدْيِ (٢) [من الروائح ، أو باللمس] وهى قوة سارية فى البدن يدرك بها الملموسات [من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة] هذه الأربعة هى أوائل الملموسات ، فالأُولَيَانِ منها فعليَّتَانِ (٣) وَالأُخْرَيَانِ منها انفعَالِيَّتَانِ (٤) [والخشونة] وهى كَيْفِيَّةٌ حاصلة من كَوْنِ بعض الأجزاء أخفض وبعضها أرفع [والملاسة] وهى كيفية حاصلة عن استواء وَضْعِ الأجزاء [واللين]

---

(١) إنما قيد بهذا لأن وضع حجر على آخر بمهل لا يحصل به تموج ولا صوت .

(٢) وتقابل كل واحدة منهما ثقبة من ثقبتى الأنف (٣) لأنهما يقتضيان الجمع والتفريق وكلاهما فعل (٤) لأنهما يقتضيان تأثر موصوفهما ، فيكون سهل التشكل فى الرطوبة وصعبه فى اليبوسة .

وَالصَّلَابَة وَالْخِفَّة وَالثِّقَل وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا ، أَوْ عَقْلِيَّةٌ ، كَالْكَيْفِيَّات النَّفْسَانِيَّة مِنَ الذَّكَاء وَالْعِلْمِ وَالْغَضَبِ وَالْحِلْمِ وَسَائِرِ الْغَرَائِزِ ، وَإِمَّا إِضَافِيَّةٌ ، كَإِزَالَةِ الحِجَاب فِى تَشْبِيه الحُجَّة بِالشَّمْس .

وهى كيفية تقتضى قبول الغمز الى الباطن ويكون للشىء بها قوام غير سيال [والصلابة] وهى تقابل اللين [والخفة] وهى كيفية بها يقتضى الجسم أن يتحرك الى صَوْب المحيط لو لم يعقه عائق [والثقل] وهى كيفية بها يقتضى الجسم أن يتحرك الى صَوْب المركز لو لم يعقه عائق [وما يتصل بها] أى بالمذكورات كالبِلَّة والجفاف واللزوجة والهشاشة واللطافة والكثافة وغير ذلك [او عقلية] عَطْف على - حسية [كالكيفيات النفسانية] أى المختصة بذوات الأنفس [من الذكاء] وهى شِدَّة قوة للنفس مُعَدَّة لاكتساب الآراء [والعلم] وهو الادراك المُفَسَّر بحصول صورة الشىء عند العقل ، وقد يقال على مَعَانٍ أُخَر [والغضب] وهو حركة للنفس مبدؤها إرادة الانتقام [والحلم] وهو أن تكون النفس مطمئنة بحيث لا يحركها الغضب بسهولة ولا تضطرب عند إصابة المكروه [وسائر الغرائز] جمع غريزة وهى الطبيعة ، أعنى مَلَكَةً تصدر عنها صفات ذاتية ، مثل الكرم والقدرة والشجاعة وغير ذلك [وإما إضافية] عَطْف على قوله إما - حقيقية - ونعنى بالاضافية مالا تكون هيئة متقررة فى الذات (١) بل تكون معنى متعلقاً بشيئين [كازالة الحجاب فى تشبيه الحجة بالشمس] فانها ليست هيئة متقررة فى ذات الحجة والشمس ، ولا فى ذات الحجاب (٢) وقد يقال الحقيقى على ما يقابل الاعتبارى الذي لا تحقق له إلا بحسب اعتبار العقل ، وفي المفتاح إشارة إلى أنه مراد

---

(١) يعنى ذات المشبه والمشبه به (٢) الأولى حذفه ، لأنه ليس واحدا من الطرفين ،

وَأَيْضًا إِمَّا وَاحِدٌ وَإِمَّا بِمَنْزِلَةِ الْوَاحِدِ لِكَوْنِهِ مُرَكَّبًا مِنْ مُتَعَدِّدٍ ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا حِسِّيٌّ أَوْ عَقْلِيٌّ ، وَإِمَّا مُتَعَدِّدٌ كَذَلِكَ أَوْ مُخْتَلِفٌ ، وَالْحِسِّيُّ طَرَفَاهُ حِسِّيَّانِ لَا غَيْرُ ،

ههنا حيث قال : الوصف العقلي منحصر بين حقيقي كالكيفيات النفسانية ، وبين اعتبارى ونسبي (١) كاتصاف الشيء بكونه مطلوب الوجود أو العدم عند النفس (٢) أو كاتصافه بشيء تَصَوُّرِيّ وَهْمِيّ محض .

[وأيضا] لوجه الشبه تقسيم آخر وهو أنه [إما واحد ، وإما بمنزلة الواحد لكونه مركبا من متعدد] تركيبا حقيقيًّا ، بأن يكون حقيقة مُلْتَئِمَةً من أمور مختلفة ، أو اعتباريًّا ، بأن يكون هيئة انتزعها العقل من عدة أمور [وكل منهما] أى من الواحد وماهو بمنزلته [حسى أو عقلي، وإما متعدد] عطف على قوله - إما واحد وإما بمنزلة الواحد - والمراد بالمتعدد أن يُنْظَرَ إلى عدة أمور ويُقْصَدَ اشتراك الطرفين فى كل واحد منها ليكون كل منها وجه شبه ، بخلاف المركب الْمُنَزَّل منزلة الواحد ، فانه لم يقصد اشتراك الطرفين فى كل من تلك الأمور ، بل فى الهيئة المنتزعة أو فى الحقيقة الملتئمة منها [كذلك] أى المتعدد أيضا حسى أو عقلي [أو مختلف] بعضه حسى وبعضه عقلى [والحسى] من وجه الشبه سواء كان بتمامه حسيا أو ببعضه [طرفاه حسيان (٣) لا غير]

والشيئان اللذان تتعلق بهما إزالة الحجاب هما الحجاب والشمس أو الحجاب والحجة .

(١) عطف النسبي على الاعتبارى من عطف الخاص على العام ، لأن الأمور النسبية لا وجود لها عند المتكلمين ، وإنما هى أمور اعتبارية .

(٢) هذا مثال للاعتباري النسبي ، لأن كون الشيء مطلوبا أمر نسبي يتوقف تعقله على تعقل الطالب والمطلوب ، وما بعده مثال للاعتبارى الوهمى (٣) ولو تنزيلا كما فى قول الشاعر (وكأن النجوم بين دجاها * البيت) وقد سبق .

لاَمْتناعِ أَنْ يُدْرَكَ بِالْحِسِّ مِنْ غَيْرِ الْحِسِّيِّ شَيْءٌ ، وَالْعَقْلِيُّ أَعَمُّ لِجَوَازِ أَنْ يُدْرَكَ بِالْعَقْلِ مِنَ الْحِسِّيِّ شَيْءٌ ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ التَّشْبِيهُ بِالْوَجْهِ الْعَقْلِيِّ أَعَمُّ ، فَإِنْ قِيلَ هُوَ مُشْتَرَكٌ فِيهِ فَهُوَ كُلِّيٌّ وَالْحِسِّيُّ لَيْسَ بِكُلِّيٍّ ، قُلْنَا الْمُرَادُ أَنَّ أَفْرَادَهُ مُدْرَكَةٌ بِالْحِسِّ ،

أى لايجوز أن يكون كلاهُمَا أو أحدهما عقليا [لامتناع أن يدرك بالحس من غير الحسى شيء] فان وجه الشبه أمر مأخوذ من الطرفين موجود فيهما ، والموجود فى العقلى إنما يدرك بالعقل دون الحس ، إذ المدرك بالحس لا يكون إلا جسما أو قائما بالجسم [والعقلى] من وجه الشبه [أعم] من الحسى [لجواز أن يدرك بالعقل من الحسى شيء] أى يجوز أن يكون طرفاه حسيين أو عقليين أو أحدهما حسيا والآخر عقليا ، إذ لا امتناع فى قيام المعقول بالمحسوس وإدْرَاكِ العقل من المحسوس شيئا [ولذلك يقال التشبيه بالوجه العقلى أعم] من التشبيه بالوجه الحسى ، بمعنى أن كل مايصح فيه التشبيه بالوجه الحسى يصح بالوجه العقلى من غير عكس [فان قيل هو] أى وجه الشبه [مشترَك فيه] ضرورة اشتراك الطرفين فيه [فهو كلى] ضرورة أن الجزئى يمتنع وقوع الشركة فيه [والحسى ليس بكلى] قطعا ضرورة أن كل حسى فهو موجود في المادّة حاضر عند المُدْرِكْ ، ومثل هـذا لا يكون إلا جزئيا ضرورة ، فوجه الشبه لا يكون حسيا قط [قلنا المراد] بكون وجه الشبه حسيا [أن أفراده] أى جزئياته [مدركة بالحس] كالحمرة التى تدرك بالبصر جزئياتها الحاصلة فى الْمَوَادِّ ، فالحاصل أن وجه الشبه إما واحد أو مركب أو متعدد ، وكل من الأولين إما حسى أو عقلى ، والأخير إما حسى أو عقلى أو مختلف ، تصير سبعة ، والثلاثة العقلية (١) طرفاها إما حسيان أو عقليان أو المشبه

---

(١) وهى الواحد العقلى والمركب العقلى والمتعدد العقلى .

فالواحـد الحسّيّ كالحُمرة والخفاء وطيب الرائحة ولذّة الطّعم ولين الملمس فيما مرّ ، والعقليّ كالعراء عن الفائدة والجراءة والهـداية واستطابة النّفس فى تشبيه وجود الشّىء العـديم النّفع بعدمه ، والرجل الشّجاع بالأسد ، والعلم بالنّور ، والعطر بخلق كريم ،

حسى والمشبه به عقلى أو بالعكس ، صارت ستة عشر قسما [فالواحد الحسى كالحمرة] من المبصرات [والخفاء] يعنى خفاء الصوت من المسموعات [وطيب الرائحة] من المشمومات [ولذة الطعم] من المذوقات [ولين الملمس] من الملموسات [فيما مر] أى فى تشبيه الخد بالورد ، والصوت الضعيف بالهمس ، والنّكهة بالعنبر ، والرّيق بالخمر ، والجلد الناعم بالحرير ، وفى كون الخفاء من المسموعات والطّيب من المشمومات واللذة من المذوقات تسامح (١) [و] الواحد [العقلى كالعراء عن الفائدة والجراءة] على وزن الجرعة أى الشجاعة ، وقد يقال جرؤ الرجل جراءة بالمد [والهداية] أي الدلالة على طريق يوصل الى المطلوب [واستطابة النفس فى تشبيه وجود الشىء العديم النفع بعدمه] فيما طرفاه عقليان ، إذ الوجود والعدم من الأمور العقلية [و] تشبيه [الرجل الشجاع بالأسد] فيما طرفاه حسيان [و] تشبيه [العلم بالنور] فيما المشبه عقلى والمشبه به حسى ، فبالعلم يوصل الى المطلوب ويفرق بين الحق والباطل ، كما أن بالنور يدرك المطلوب ويفصل بين الأشياء ، فوجه الشبه بينهما الهداية [و] تشبيه [العطر بخلق] شخص [كريم] فيما المشبه حسى والمشبه به عقلى ، ولا يخفى مافى الكلام من اللّف

---

(١) لأن المدرك بالحس الصوت الخفي ورائحة الطيب وطعم الخمر ، لا الخفاء والطيب واللذة ، لأنها أمور عقلية .

وَالمُرَكَّبُ الحِسِّيُّ فِيمَا طَرَفَاهُ مُفْرَدَانِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :

وَقَدْ لَاحَ فِي الصُّبْحِ الثُّرَيَّا كَمَا تُرَى   كَعُنْقُودِ مُلَّاحِيَّةٍ حِينَ نَوَّرَا

مِنَ الْهَيْئَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ تَقَارُنِ الصُّوَرِ الْبِيضِ الْمُسْتَدِيرَةِ الصِّغَارِ الْمَقَادِيرِ فِي الْمَرْأَى عَلَى الْكَيْفِيَّةِ

والنَّشْر ، وما فى وَحْدَة بعض الأمثلة من التَّسَامُح ، كالعراء عن الفائدة مثلا (١) [والمركب الحسى] من وجه الشبه طرفاه إما مفردان أو مركبان أو أحدهما مفرد والآخر مركب ، ومعنى التركيب هنا أن تَقْصِدَ الى عدَّة أشياء مختلفة فتنتزع منها هيئة وتجعلها مُشَبَّهاً أو مشبها بها ، ولهذا صرح صاحب المفتاح فى تشبيه المركب بالمركب بأن كُلًّا من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة ، وكذا المراد بتركيب وجه الشبه أن تعمد إلى عدة أوصاف لشىء فتنتزع منها هيئة ، وليس المراد بالمركب هنا ما يكون حقيقة مركبة من أجزاء مختلفة ، بدليل أنهم يجعلون المشبه والمشبه به فى قولنا ـ زيد كالأسد مفردين لامركبين ، ووجه الشبه فى قولنا ـ زيد كعمرو فى الانسانية ـ واحدا لامُنَزَّلاً منزلة الواحد ، فالمركب الحسى [فيما] أى فى التشبيه الذى [طرفاه مفردان كما فى قوله : وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى ٭ كعنقود ملاحية] بضم الميم وتشديد اللام عنب أبيض فى حبه طول ، وتخفيف اللام أكثر [حين نورا (٢)] أى تَفَتَّحَ نَوْرُه [من الهيئة] بيان لما فى ـ كما فى قوله [الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير فى المرأى] وإن كانت كبارا فى الواقع ، حال كونها [على الكيفية

---

(١) وكذا استطابة النفس ، لما فيهما من شائبة التركيب بتقييد الأول بالظرف والثانى بالمضاف إليه ، ولا يخفى أن التقييد بذلك لا يقتضى التركيب ، فلا تسامح أصلا (٢) هو لأبى قيس بن الأسْلَت من شعراء الجاهلية .

الْمَخْصُوصَة إلَى المِقْدَار المَخْصُوص ، وَفِيمَا طَرَفَاهُ مُرَكَّبَان كما فى قَوْل بشّار :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنا وَأَسْيافَنَا لَيْلٌ تَهاوَى كَوَاكِبُهْ

مِنَ الْهَيْئَة الحاصلَة مِنْ هُوِيِّ أَجْرَامٍ مُشْرِقَة مُسْتَطِيلَة مُتَنَاسِبَة المِقْدَار مُتَفَرِّقَة فى جَوَانِب شَيْء مُظْلِم ،

المخصوصة] أى لا مجتمعة اجتماع التَّضَامِّ وَالتَّلَاصُق ولا شديدة الافتراق ، مُنْضَمَّة [إلى المقـدار المخصوص] من الطُّول وَالْعَرْض ، فقـد نظر الى عدة أشـياء وقصد إلى هيئـة حاصلة منها ، والطرفان مفردان ، لأن المشبه هو الثريا والمشبه به هو العنقود مقيدا بكونه عنقود الملاحية فى حال إخراج النَّوْر ، والتقييد لا ينافى الافراد كما سيجىء إن شاء الله تعالى [وفيما] أى والمركب الحسى فى التشبيه الذى [طرفاه مركبان كما فى قول بشار : كأن مثار النقع] من ـ أثَارَ الْغُبَارَ هَيَّجَهُ [فوق رؤوسنا ۝ وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه] أي يتساقط بعضها إثْرَ بعض ، والأصل تتهاوى حذفت إحـدى التاءين [من الهيئـة الحاصلة من هوى] بفتح الهاء (١) أى سـقوط [أجرام مشرقة مستطيلة متناسـبة المقدار متفرقة فى جوانب شيء مظلم] فوجه الشبه مركب كما ترى ، وكذا الطرفان ، لأنه لم يقصد تشبيه الليل بالنقع والكواكب بالسيوف ، بل عمـد الى تشبيه هيئـة السيوف وقد سُلَّتْ من أغمـادها وهى تَعْلُو وتَرْسُبُ وتجىء وتذهب وتضطرب اضطرابا شـديدا وتتحرك بسرعة الى جهات مختلفة وعلى أحوال تنقسم بين الاعوجاج والاسـتقامة والارتفاع والانخفاض مع التَّلَاقِى والتَّدَاخُلِ والتَّصَادُمِ والتَّلَاحُقِ (٢) وكذا فى جانب المشبه به ، فان للكواكب فى تَهَاوِيهَا تَوَاقُعاً وتَدَاخُلاً

---

(١) بل بضمها ، أما الفتح فبمعنى الصعود .

(٢) التصادم هو التلاقى ، وكذا التلاحق بمعنى التتابع .

وَفِيمَا طَرَفَاهُ مُخْتَلِفَانِ كَمَا مَرَّ فِى تَشْبِيهِ الشَّقِيقِ ، وَمِنْ بَدِيعِ الْمُرَكَّبِ الْحِسِّىِّ مَا يَجِىءُ مِنَ الْهَيْئَاتِ الَّتِى تَقَعُ عَلَيْهَا الْحَرَكَةُ ، وَيَكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَقْرِنَ بِالْحَرَكَةِ غَيْرُهَا مِنْ أَوْصَافِ الْجِسْمِ كَالشَّكْلِ وَاللَّوْنِ

واستطالةً لأشكالها [و] المركب الحسى [فيما طرفاه مختلفان] أحدهما مفرد والآخر مركب [كما مر فى تشبيه الشقيق] بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد (١) من الهيئة الحاصلة من نشر أجرام حُمْرٍ مبسوطة على رؤوس أجرام خُضْرٍ مستطيلة ، فالمشبه مفرد وهو الشَّقِيقُ ، والمشبه به مركب وهو ظاهر ، وعكسه تشبيه نهار مشمس قد شابه أى خالطه زهر الربا بليل مقمر على ماسيجيء (٢) [ومن بديع المركب الحسى ما] أى وجه الشبه الذي [يجيء فى الهيئات التى تقع عليها الحركة] أى يكون وجه الشبه الهيئة التى تقع عليها الحركة من الاستدارة والاستقامة وغيرهما ويعتبر فيها التركيب [ويكون] مايجيء فى تلك الهيئات [على وجهين : أحدهما أن يقترن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل واللون] والأوضح عبارة أسرار البلاغة : اعلم أن مما يزداد به التشبيه دقةً وسحرا أن يجيء فى الهيئات التى تقع عليها الحركات ، والهيئة المقصودة فى التشبيه على وجهين : أحدهما أن تقترن بغيرها من الأوصاف ، والثانى أن

---

(١) أى فى قول الصنوبري :

وكأنَّ مُحْمَرَّ الشَّقِيـ ... ـقِ إذا تَصَوَّبَ أو تَصَعَّدْ
أعـــلامُ ياقوتٍ نُشِرْ ... نَ على رماحٍ من زَبَرْجَدْ

(٢) من قول أبي تمام :

يا صاحبيَّ تَقَصَّيَا نظريكما ... تَرَيَا وجوهَ الأرض كيف تصوَّرُ
تريا نهاراً مُشْمِسًا قد شَابَهُ ... زَهْرُ الرُّبَى فكأنما هو مُقْمِرُ

كَمَا فِى قَوْلِه :

* وَالشَّمْسُ كَالمِرْآة فِى كَفِّ الأَشَلّ *

مِنَ الهَيْئَةِ الحَاصِلَة مِنَ الاسْتِدَارَة مَعَ الاشْرَاق وَالحَرَكَة السَّرِيعَة المُتَّصِلَة مَعَ تَمَوُّجِ الاشْرَاق حَتَّى يُرَى الشُّعَاعُ كَأَنَّهُ يَهُمُّ بِأَنْ يَنْبَسِطَ حَتَّى يَفِيضَ مِنْ جَوَانِب الدَّائِرَة ثُمَّ يَبْدُو لَهُ فَيَرْجِعَ إِلَى الانْقِبَاض ، وَالثَّانِى أَنْ تُجَرَّدَ الحَرَكَةُ عَن غَيْرِهَا ، فَهُنَاكَ أَيْضًا

تُجَرَّدَ هيئة الحركة حتي لا يزاد عليها غيرها ، فالأول [كما فى قوله :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل (١)

من الهيئة] بيان لما فى ـ كما فى قوله [الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموج الاشراق حتى يرى الشعاع كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له] يقال ـ بَدَا لَهُ إذا نَدِمَ ـ والمعنى ظهرله رأى غير الأول [فيرجع] من الانبساط الذي بدا له [إلى الانقباض] كأنه يرجع من الجوانب إلى الوسط ، فان الشمس إذا أَحَدَّ الانسان النظر إليها ليتبين جرمها وجدها مُؤَدِّيَةً لهذه الهيئة الموصوفة ، وكذلك المرآة فى كف الأشل [و] الوجه [الثانى أن تجرد الحركة عن غيرها] من الأوصاف [فهناك أيضا] يعنى كما أنه لابُدَّ فى الأول من أن يقترن

---

(١) هو من قول أبى النجم أو ابن المعتز :

والشمس كالمرآة فى كف الأشَلّ   لما رأيْتُهَا بَدَتْ فوق الجبلْ

والأشل المصاب بالشَّلَلِ والمراد به المرتعش ، لأن المرآة إنما تودى هذه الهيئة المقصودة فى كفه .

لَابُدَّ مِنَ ٱخْتِلَاطِ حَرَكَاتٍ إِلَى جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَحَرَكَةُ الرَّحَى وَالسَّهْمِ لَا تَرْكِيبَ فِيهَا بِخِلَافِ حَرَكَةِ الْمُصْحَفِ فِي قَوْلِهِ :

وَكَأَنَّ الْبَرْقَ مُصْحَفُ قَارٍ   فَانْطِبَاقًا مَرَّةً وَانْفِتَاحَا

وَقَدْ يَقَعُ التَّرْكِيبُ فِي هَيْئَةِ السُّكُونِ كَمَا فِي قَوْلِهِ فِي صِفَةِ الْكَلْبِ

* يُقْعِي جُلُوسَ الْبَدَوِيِّ الْمُصْطَلِي *

مِنَ الْهَيْئَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ

بالحركة غيرها من الأوصاف فكذا فى الثانى [لابد من اختلاط حركات] كثيرة للجسم [الى جهات مختلفة] له ، كأن يتحرك بعضه الى اليمين وبعضه الى الشمال وبعضه الى العُلُوّ وبعضه الى السُّفْل ، ليتحقق التركيب ، وإلا لكان وجه الشبه مفردا وهو الحركة [فحركة الرحى والسهم لا تركيب فيها] لاتحادها [بخلاف حركة المصحف فى قوله : وكأن البرق مصحف قار] بحذف الهمزة أى قارىء [فانطباقا مرة وانفتاحا (١)] أى فينطبق انطباقا مرة ، وينفتح انفتاحا أخرى ، فان فيها تركيبا ، لأن المصحف يتحرك فى حالتى الانطباق والانفتاح الى جهتين ، فى كل حالة الى جهة [وقد يقع التركيب فى هيئة السكون ، كما فى قوله فى صفة الكلب : يقعى] أي يجلس على أَلْيَتَيْه [جلوس البدوي المصطلى (٢)] من ـ اصطلى بالنار [من الهيئة الحاصلة من

---

(١) هو لعبد الله بن المعتز من شعراء العصر العباسى ، من قصيدة له مطلعها :

عرفَ الدارَ فَحَيَّا وناحَا   بعد ما كان صَحَا واستراحَا

(٢) هو من قول المتنبى :

يقعى جلوس البدوى المصطلى   بأربعة مَجْدُولَةٍ لم تُجْدَلِ

والمصطلى المستدفىء ، ومعنى كون الأربعة مجدولة لم تجدل أنها محكمة مفتولة بفعل

مَوْقِعِ كُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ فِى إِقْعَائِهِ ، وَالْعَقْلِىُّ كَحِرْمَانِ الاِنْتِفَاعِ بِأَبْلَغِ نَافِعٍ مَعَ تَحَمُّلِ التَّعَبِ فِى اسْتِصْحَابِهِ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى ـ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ـ وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يُنْتَزَعُ مِنْ مُتَعَدِّدٍ فَيَقَعُ الْخَطَأُ لِوُجُوبِ انْتِزَاعِهِ مِنْ أَكْثَرَ ، كَمَا إِذَا انْتُزِعَ مِنَ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِهِ :

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةٌ ... فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتِ

موقع كل عضو منه] أى من الكلب [فى إقعائه] فانه يكون لكل عضو منه فى الاقعاء موقع خاص ، وللمجموع صورة خاصة مؤلفة من تلك المواقع ، وكذلك صورة جلوس البدوى عند الاصطلاء بالنار المُوقَدَة على الأرض [و] المركب [العقلى] من وجه الشبه [كحرمان الانتفاء بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه ، فى قوله تعالى ـ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا] جمع سِفر بكسر السين وهو الكتاب ، فانه أمر عقلى منتزع من عِدَّةِ أمور ، لأنه رُوعِىَ من الحمار فعل مخصوص هو الحمل وأن يكون المحمول أَوْعِيَةَ العلوم وأن الحمار جاهل بما فيها ، وكذا فى جانب المشبه [واعلم أنه قد ينتزع] وجه الشبه [من متعدد فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر] من ذلك المتعدد [كما إذا انتزع] وجه الشبه [من الشطر الأول من قوله : كما أبرقت قوما عطاشا] فى الأساس ـ أبرقت لى فلانة إذا تحسَّنَتْ لك وتعرَّضَتْ ـ فالكلام هنا على حذف الجار وإيصال الفعل ، أى أبرقت لقوم عطاش جمع عطشان [غمامة * فلما رأوها أقشعت وتجلت (١)] أى تفرقت وانكشفت ، فانتزاع وجه الشبه من مجرد قوله ـ كما أبرقت قوما عطاشا

الله لا بفعل الانسان (١) ذكر شارح الشواهد أنه لم يعرف قائله .

لِوُجُوبِ انْتِزَاعِهِ مِنَ الجَمِيعِ ، فَانَّ المُرَادَ التَّشْبِيهُ بِاتِّصَالِ ابْتِدَاءِ مُطْمِعٍ بِانْتِهَاءِ مُؤْيِسٍ ، وَالمُتَعَدِّدُ الحِسِّيُّ كَاللَّوْنِ وَالطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ فِى تَشْبِيهِ فَاكِهَةٍ بِأُخْرَى ، وَالعَقْلِيُّ كَحِدَّةِ النَّظَرِ وَكَمَالِ الحَذَرِ وَإِخْفَاءِ السِّفَادِ فِى تَشْبِيهِ طَائِرٍ بِالْغُرَابِ ، وَالْمُخْتَلِفُ كَحُسْنِ الطَّلْعَةِ وَنَبَاهَةِ الشَّأْنِ فِى تَشْبِيهِ إِنْسَانٍ بِالشَّمْسِ ،

غمامة ـ خطأ [لوجوب انتزاعه من الجميع] أعنى جميع البيت [فان المراد التشبيه] أى تشبيه الحالة المذكورة فى الأبيات السابقة (١) بحالة ظهور غمامة للقوم العطاش ثم تَفَرُّقِهَا وانكشافها وبقائهم متحيرين [باتصال] أى باعتبار اتصال ، فالباء ههنا مثلها في قولهم ـ التشبيه بالوجه العقلى أعم (٢) إذ الأمر المشترك فيه ههنا هو اتصال [ابتداء مطمع بانتهاء مؤيس] وهذا بخلاف التشبيهات المجتمعة ، كما فى قولنا ـ زيد كالأسد والسيف والبحر ـ فان القصد فيها إلى التشبيه بكل واحد من الأمور على حدَة ، حتى لو حُذِفَ ذِكْرُ البعض لم يتغير حال الباقى فى إفادة معناه ، بخلاف المركب فان المقصود منه يختل باسقاط بعض الأمور [والمتعدد الحسى كاللون والطعم والرائحة فى تشبيه فاكهة بأخرى ، و] المتعدد [العقلى كحدة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد] أى نَزْوِ الذكر على الأنثى [فى تشبيه طائر بالغراب ، و] المتعدد [المختلف] الذى بعضه حسى وبعضه عقلى [كحسن الطلعة] الذى هو حسى [ونباهة الشأن] أى شَرَفُهُ واشتهاره الذى هو عقلى [فى تشبيه إنسان بالشمس] فنى المتعدد يُقْصَدُ اشتراك الطرفين فى كل من الأمور المذكورة ، ولا يُعْمَدُ إلى انتزاع هيئة منها تشترك هى فيها

---

(١) وهى حالة من ظهر له شيء وهو فى غاية الحاجة إليه وقارن ذلك ذهابه ذهابا أوجب اليأس منه (٢) فهى للآلة ومجرورها وجه الشبه ، وليست صلة للتشبيه كما فى قولك ـ شبهته بالأسد ـ لأنها تدخل على المشبه به .

وَاعْلَمْ أنه قد يُنتزَعُ الشَّبهُ مِنْ نَفْسِ التَّضادِّ لاشْتِرَاكِ الضِّدَّيْنِ فيه ، ثُمَّ يُنزَّلُ مَنزِلَةَ التَّنَاسُبِ بِوَاسِطَةِ تَمْلِيحٍ أوْ تَهَكُّمٍ ،

[واعلم أنه قد ينتزع الشبه] أي التماثل يقال بينهما شبه بالتحريك أى تَشَابُهٌ ، والمراد به ههنا مابه التَّشَابُهُ أعني وجه التشبيه [من نفس التضاد لاشتراك الضدين فيه] أى فى التضاد ، لِكَوْنِ كل منهما مُضَادًّا للآخر [ثم ينزل] التضاد [منزلة التناسب بواسطة تمليح] أى إتْيَان بما فيه مَلَاحَةٌ وظرافة ، يقال ـ مَلَّحَ الشاعر ـ إذا أتي بشيء مليح ، وقال الامام المرزوقى فى قول الْحَمَاسِيِّ :

أتانى من أبى أنَسٍ وَعِيـدٌ   فَسُلَّ لِغَيْظَةِ الضَّحَّاكِ جسمي (١)

إن قائل هذه الأبيات قد قصد بها الهزؤ والتمليح ؛ وأما الاشارة إلى قِصَّةٍ أو مَثَلٍ أو شِعْرٍ فانما هو التلميح بتقديم اللام على الميم ، وسيجيء ذكره فى الخاتمة ؛ والتسوية بينهما إنما وقعت من جهة العلامة الشِّيرَازِيِّ رحمه الله تعالى ، وهو سَهْوٌ [أو تهكم] أى

(١) هو لِشَقِيق بن سُلَيْك الأسدى من الشعراء الاسلاميين ، وسل بمعنى أصيب بالسل ، وهو مرض معروف ، والضحاك اسم أبى أنس ، وقيل إنه اسم ملك أطلقه على أبى أنس زيادة فى التهكم ، لتضمنه تشبيهه به على جهة الهزؤ والسخرية أو التمليح ولكن الظاهر من قوله بعد هذا البيت :

ولم أَعْصِ الأمير ولم أَرِبْهُ   ولم أسبق أبا أنس بِرَغْمِ
ولكنّ الْبُعُوثُ جَنَتْ علينا   فصرنا بين تَطْوِيحٍ وغُرْمِ
وخافتْ من جبال السُّغْد نفسى   وخافت من جبال خُوَارَزْمِ

فَيُقَالُ للجبانِ - ما أشبَهَهُ بالأسَد - وللبخيلِ - هُوَ حاتِمٌ .

سخرية واستهزاء [فيقال للجبان ماأشبهه بالأسد وللبخيل هو حاتم] كل من المثالين صالح للتمليح والتهكم ، وإنما يفرق بينهما بحسب المقام ، فان كان القصد إلى ملاحة وظرافة دون استهزاء وسخرية بأحد فتمليح ، وإلا فتهكم (١) وقد سبق إلى بعض الأوهام نظرا إلى ظاهر اللفظ أن وجه الشبه فى قولنا للجبان - هو أسد - وللبخيل - هو حاتم - هو التضاد المشترك بين الطرفين باعتبار الوصفين المتضادين ، وفيه نظر ،

أنه لا يريد التهكم ولا التشبيه بذلك الملك ، وإنما يريد استرضاء ذلك الأمير ، وهو الضحاك بن قيس الفهري (١) وقد يجتمع التمليح والتهكم إذا قصد الملاحة والاستهزاء معا .

تطبيقات على وجه الشبه :

(١) قوله تعالى - (وَلَهُ الْجَوَارِى الْمُنْشَآتُ فِى الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) .

(٢) كأَنَّ سُهَيْلاً والنُّجومَ وراءَهُ ... صُفوفُ صلاة قام فيها إمَامُهَا

(٣) والنفسُ كالطِّفلِ إن تُهمِلْهُ شَبَّ على ... حُبِّ الرضاعِ وإن تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

فالأول وجه الشبه فيه مفرد تحقيق حسى وهو الضخامة ، وطرفاه مفردان حسيان ، والثانى وجه الشبه فيه مركب تحقيق حسى وهو الهيئة المنتزعة من أشياء مجتمعة خلف واحد منها ، وطرفاه مركبان حسيان ، والثالث وجه الشبه فيه مفرد تحقيقي عقلى وهو قبول التعود للعادات ، وطرفاه أحدهما عقلى والآخر حسى .

أمثلة أخرى :

(١) والبدرُ فى أُفُقِ السماء كَغَادَةٍ ... بيضاءَ لاحتْ فى ثياب حِدَادِ

(٢) إنّى وتَزْيِينِى بمدحِىَ معشرًا ... كَمُعَلِّقٍ دُرًّا على خِنْزِيرِ

(٣) مصر الأَسِيفَةُ رِيفُهَا وصَعِيدُهَا ... قَبْرٌ أَبَرُّ على عظامك حَانِ

وَأَدَاتُهُ الْكَافُ وَكَأَنَّ وَمِثْلُ وَمَافِي مَعْنَاهُ ، وَالْأَصْلُ فِي نَحْوِ الْكَافِ أَنْ يَلِيَهُ الْمُشَبَّهُ بِهِ وَقَدْ يَلِيهِ غَيْرُهُ ، نَحْوُ - وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ -

---

لأنا إذا قلنا ـ الجبان كالأسد فى التضاد ـ أي فى كَوْنِ كل منهما مُضَاداً للآخر لا يكون هذا من التمليح والتهكم في شيء ، كما إذا قلنا ـ السواد كالبياض فى اللَّوْنِيَّة أوفى التَّقَابُلِ ، ومعلوم أنا إذا أردنا التصريح بوجه الشبه فى قولنا للجبان ـ هو أسد ـ تمليحا أو تهكما لم يَتَأَتَّ لنا إلا أن نقول فى الشجاعة ، لكن الحاصل فى الجبان إنما هو ضدُّ الشجاعة ، فنزلنا تَضَادَّهُمَا منزلة التناسب ، وجعلنا الجبن بمنزلة الشجاعة على سبيل التمليح والهزؤ .

[وأداته]

أي أداة التشبيه [الكاف وكأن] وقد تستعمل عند الظن بثبوت الخبر من غير قصد إلى التشبيه ، سواء كان الخبر جامدا أو مشتقا ، نحو ـ كأن زيدا أخوك ، وكأنه قائم [ومثل وما فى معناه] مما يشتق من المماثلة والمشابهة وما يؤدى هذا المعنى [والأصل فى نحو الكاف] أي فى الكاف ونحوها (١) كلفظ ـ نحو ومثل وشبه ـ بخلاف ـ كأن ويُمَاثِلُ وَيُشَابِهُ (٢) [أن يليه المشبه به] لفظا نحو ـ زيد كالأسد ـ أو تقديرا نحو ـ قوله تعالى (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ) على تقدير ـ أو كمثل ذَوِى (٣)صيب [وقد يليه] أي نحو الكاف [غيره] أى غير المشبه به [نحو ـ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه] الآية ، إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يُتَمَحَّلُ

---

(١) أى من كل ما يدخل على المفرد كلفظ مشابه ومماثل ونحوهما (٢) فالأصل فيها أن يليها المشبه ، نحو ـ زيد يماثل عمرا ـ فالضمير العائد على زيد هو المشبه ، وعمرو هو المشبه به (٣) إنما قدر ذلك ليعود عليه ضمير الجمع فى قوله بعد (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ) .

وَقد يذكر فعل ينبئ عنه ، كما في ـ عَلِمْتُ زَيْدًا أَسدًا ـ إنْ قَرُبَ ـ وَحَسِبْتُ ـ نْ بعدَ .

تقديره ، بل المراد تشبيه حالها فى نضارتها وبهجتها وما يعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات الحاصل من الماء يكون أخضر ناضرا شديد الخضرة ثم ييبس فتطيره الرياح كأن لم يكن ، ولا حاجة إلى تقدير ـ كمثل ماء ـ لأن المعتبر هو الكيفية الحاصلة من مضمون الكلام المذكور بعد الكاف ، واعتبارها مستغن عن هذا التقدير ، ومن زعم أن التقدير ـ كمثل ماء ـ وأن هذا مما يلى الكاف غيرُ المشبه به بناء على أنه محذوف فقد سها سهوا بيِّناً ، لأن المشبه به الذى يلى الكاف قد يكون ملفوظا به وقد يكون محذوفا على ما صرح به فى الايضاح [وقد يذكر فعل ينبىء عنه] أى عن التشبيه [كما فى ـ علمت زيدا أسدا ـ إن قرب] التشبيه وادُّعِىَ كمال المشابهة ، لما فى ـ علمت ـ من معنى التحقيق [وحسبت] زيدا أسدا [إن بعد] التشبيه ، لما في الحُسْبان من الاشعار بعدم التحقيق والتيقُّن ، وفى كون مثل هذه الأفعال منبئا عن التشبيه نوع خفاء (١)

---

(١) لأنه لا دلالة للعلم والحسبان على ذلك ، وإنما الذى يدل عليه عدم صحة حمل الأسد على زيد إلا بتقدير أداة التشبيه .

تطبيقات على أداة التشبيه :

(١) تشابَهَ دمعى إذ جرى ومُدَامَتى ... فَمِنْ مثل مافي الكأس عَيْنِىَ تسكبُ

(٢) يكاد يَحْكيكَ صَوْبُ الغيث مُنْسَكِباً ... لو كان طَلْقَ المُحَيَّا يمطر الذهبَا

(٣) يا فَرَنْسَا نلت أسباب السماءْ ... وتملَّكت مقاليد الجواءْ

لكِ خيل بجناحٍ أشبهتْ ... خيل جبْريلَ لنصر الانبياءْ

وَالْغَرَضُ مِنْهُ فِى الأَغْلَبِ يَعُودُ إِلَى الْمُشَبَّهِ ، وَهُوَ بَيَانُ إِمْكَانِهِ كَمَا فِى قَوْلِهِ :

فَإِنْ تَفُقِ الأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ   فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

أَوْ حَالِهِ ، كَمَا فِى تَشْبِيهِ ثَوْبٍ بِآخَرَ فِى السَّوَادِ ، أَوْ مِقْدَارِهَا ، كَمَا فِى تَشْبِيهِهِ

والأظهر أن الفعل ينبىء عن حال التشبيه فى القرب والبعد .

[والغرض منه]

أى من التشبيه [فى الأغلب يعود إلى المشبه وهو] أي الغرض العائد إلى المشبه [بيـان إمكانه] أي المشبه ، وذلك إذا كان أمرا غريبا يمكن أن يُخَالَفَ فيـه وَيُدَّعَى امتناعه [كما فى قوله :

فإن تفق الأنام وأنت منهم   فان المسك بعض دم الغزال(١)]

فانه لمـا ادعى أن الممدوح قد فاق النـاس حتى صار أصلا برأسه وجنسا بنفسه ، وكان هـذا في الظاهر كالممتنع ، احتج لهذه الدعوى وبَيَّنَ إمكانها بأن شبه هـذه الحال بحال المسك الذى هو من الدماء ثم إنه لا يُعَـدُّ من الدماء ، لمـا فيه من الأوصاف الشريفة التى لا توجد فى الدم ، وهذا التشبيه ضمنيٌّ ومكْنيٌّ عنه (٢) [أو حاله] عطْفٌ على ـ إمكانه ـ أى بيان حال المشبه بأنه على أىٍّ وصف من الأوصاف [كما فى تشبيه ثوب بآخر فى السواد] إذا علم السامع لون المشبه به [أو مقدارها] أى بيان مقـدار حال المشبه فى القوة والضعف والزيادة والنقصان [كما فى تشبيهه] أى تشبيه الثوب

---

(١) هو للمتنبي من قصيدة له فى رثاء والدة سـيف الدولة ، والخطاب فيـه له لا لوالدته (٢) التشبيه الضمني هو المدلول عليـه باللازم كما فى البيت ، فانه ذكر فيـه وجه الشبه وهو فَوْقُ الفرع أصله وأراد به ملزومه وهو التشبيه .

بِالْغُرَابِ فى شدَّته ، أَوْ تقريرُها ، كما فى تَشْبيه مَنْ لاَ يَحْصُلُ مِنْ سَعْيه عَلَى طَائِل بِمَنْ يَرْقُمُ عَلَى المَاء ، وهٰذه الأَرْبعَةُ تَقتَضِي أَنْ يَكُونَ وَجْهُ الشَّبَه فى المُشَبَّه به أَتَمَّ وَهُوَ به أَشْهَرَ ، أَوْ تَزْيِينُهُ ، كما فى تَشْبِيه وَجْه أَسْوَدَ بِمُقْلَة الظَّبْيِ ، أَوْ تَشْوِيهُه ، كَمَا فى تَشْبِيه وَجْهٍ مَجْدُور ، بِسَلْحَة جَامدَة قَدْ نَقَرَتْهَا

الأسود [بالغراب فى شدته] أى فى شدة السواد [أو تقريرها] مرفوعٌ عَطْفًا على بيان إمكانه — أى تقرير حال المشبه فى نفس السامع وتقوية شأنه [كما فى تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل بمن يرقم على الماء] فانك تجد فيه من تقرير عدم الفائدة وتقوية شأنه مالا تجده فى غيره ، لأن الفِكْرَ (١) بالحِسِّيَّات أتم منه بالعقليات ، لِتَقَدُّمِ الحسيات وفَرْطِ إلْفِ النفس بها [وهذه] أى الأغراض [الأربعة تقتضى أن يكون وجه الشبه فى المشبه به أتم وهو به أشهر] أي وأن يكون المشبه به بوجه الشبه أشهر وأعرف ، وظاهر هذه العبارة أن كلا من الأربعة يقتضى الأَتَمِّيَّةَ وَالأَشْهَرِيَّةَ ، لكن التحقيق أن بيان الامكان وبيان الحال لا يقتضيان إلا الأشهرية ، ليصح القياس ويتم الاحتجاج فى الأول ، ويعلم الحال فى الثانى ، وكذا بيان المقدار لايقتضى الأتمية بل يقتضى أن يكون المشبه به على حد مقدار المشبه لا أَزْيَدَ ولا أَنْقَصَ ، ليتعين مقدار المشبه على ماهو عليه ، وأما تقرير الحال فيقتضى الأمرين جميعا ، لأن النفس إلى الأتم والأشهر أَمْيَلُ ، فالتشبيه به بزيادة التقرير والتقوية أَجْدَرُ [أو تزيينه] مرفوعٌ عَطْفًا على بيان إمكانه ، أى تزيين المشبه فى عين السامع [كما فى تشبيه وجه أسود بمقلة الظبي ، أو تشويهه] أي تقبيحه [كما فى تشبيه وجه مجدور بسلحة جامدة قد نقرتها

---

(١) هو في الأصل بمعنى التأمل ، والمراد به هنا الجزم .

الدِّيَكَةُ ، أَوْ اسْتِطْرَافُهُ ، كما فى تَشْبِيهِ فَحْمٍ فيـــه جَمْرٌ مُوقَدٌ بِبَحْرٍ من المِسْكِ مَوْجُهُ الذَّهَبُ لإبْرَازِهِ فى صُورَةِ المُمْتَنِعِ عَادَةً ، وَلِلاسْتِطْرَافِ وَجْهٌ آخَرُ وهو أَنْ يَكُونَ المُشَبَّهُ بِهِ نَادِرَ الحُضُورِ فى الذِّهْنِ إِمَّا مُطْلَقًا كما مَرَّ ، وَإِمَّا عِنْدَ حضورِ المُشَبَّهِ كَمَا فى قَوْلِهِ :

وَلَازَوَرْدِيَّةٍ تَزْهُو بِزُرْقَتِهَا بَيْنَ الرِّيَاضِ عَلَى حُمْرِ الْيَوَاقِيتِ

الديكة] جمع دِيك [أو استطرافه] أي عَدُّ المشبه طريفا حديثا بديعا [كما فى تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب لابرازه] أى إنما اسْتُطْرِفَ الْمُشَبَّهُ فى هذا التشبيه لابراز الْمُشَبَّهِ [فى صورة الممتنع] الوقوع [عادة] وإن كان ممكنا عقلا ، ولا يخفى أن الممتنع عادة مستطرف غريب [وللاستطراف وجه آخر] غير الابراز فى صورة الممتنع عادة (١) [وهو أن يكون المشبه نادر الحضور فى الذهن إما مطلقا كما مر] فى تشبيه فحم فيه جمر موقد [وإما عند حضور المشبه ، كما فى قوله : ولازوردية] يعنى الْبَنَفْسَجَ [تزهو] قال الجوهري فى الصحاح - زُهِيَ الرجل فهو مَزْهُوٌّ إذا تَكَبَّرَ - وفيه لغة أخرى حكاها ابن دُرَيْد - زَهَا - يَزْهُو زَهْوًا (٢) [بزرقتها * بين الرياض على حمر اليواقيت] يعنى الأزهار والشَّقَائِقَ الْحُمْرَ :

---

(١) وهو الابراز فى صورة النادر الحضور فى الذهن . والفرق بين الوجهين أن الأول أخص من الثانى ، لأنه يلزم من كون الشيء ممتنع الحصول فى الخارج ندرة حضوره فى الذهن ، ولا عكس (٢) فالفعل على هـذا مبنى للفاعل ، وقد ورد عليه مافى البيت ، ولو ورد على اللغة الأولى لقال - تُزْهَي - بالبناء للمفعول .

كَأَنَّهَا فَوْقَ قَامَاتٍ ضَعُفْنَ بِهَا   أَوَائِلُ النَّارِ فى أَطْرَافِ كِبْرِيتِ

وَقَدْ يَعُودُ إِلَى الْمُشَبَّهِ بِهِ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا إِيهَامُ أَنَّهُ أَتَمُّ مِنَ الْمُشَبَّهِ ، وَذَلِكَ فى التَّشْبِيهِ الْمَقْلُوبِ كَقَوْلِهِ :

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ   وَجْهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ

[كأنها فوق قامات ضعفن بها   أوائل النار فى أطراف كبريت (١)] فان صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لايندر حضورها في الذهن ندرة حضور بحر من المسك موجه الذهب ، لكنْ يندر حضورها عند حضور صورة البنفسج ، فَيُسْتَطْرَفُ بمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين غاية البعد .

[وقد يعود] أى الغرض من التشبيه [إلى المشبه به ، وهو ضربان : أحدهما إيهام أنه أتم من المشبه] في وجه الشبه [وذلك فى التشبيه المقلوب] الذي يجعل فيه الناقص مُشَبَّهًا به قَصْدًا إلى ادِّعَاء أنه أكمل [كقوله : وبدا الصباح كأن غرته *] هى بياض فى جبهة الفرس فوق الدرهم استعير لبياض الصبح [وجه الخليفة حين يمتدح (٢)] فانه قُصِدَ إيهامُ أنَّ وجه الخليفة أَتَمُّ من الصباح فى الوضوح والضياء ، وفى قوله - حين يمتدح - دلالة على اتصاف الممدوح بمعرفة حق المادح وتعظيم شأنه عند الحاضرين بالاصغاء إليه والارتياح له ، وعلى كماله فى الكرم حيث يتصف بالْبِشْرِ والطَّلَاقَةِ عند استماع المديح .

---

(١) البيتان لابن الرومى (٢) البيت لمحمد بن وُهَيْب فى مدح المأمون من قصيدة له مطلعها :

العذرُ إن أنصفت مُتَّضِحُ   وشهودُ حبك أدمعٌ سُفُحُ

وَالثَّانى بيانُ الاهْتِمامِ به ، كَتَشْبِيه الجَائِع وجْهاً كالْبَدْرِ فى الإشْراق وَالاسْتِدَارَة بالرَّغيف ، ويُسَمَّى هٰذَا إظْهارَ المَطْلوب .

هٰـذَا إذَا أُريدَ إلْحَاقُ الناقص حَقيقَةً أَو ادِّعَاءً بالزَّائد ، فَإنْ أُرِيدَ الجَمْعُ بَيْنَ شَيْئَيْن فى أَمْر فالأحسَنُ تَرْكُ التَّشْبيه الَى الْحُكْمِ بالتَّشَابُه احْتَرازًا مِنْ تَرْجِيحِ أَحَدِ الْمُتَسَاوِيَيْن ، كَقَوْله :

تَشَـابَهَ دَمْعى إذْ جَرَى وَمُدَامَتِى   فَمِنْ مثْلِ مافى الْكَأْس عَيْنَى تَسْكُبُ
فَوَاللهِ ما أَدْرى أَبالخَمْرِ اَسْـبَلَتْ   جُفُونِى أَم مِنْ عبْرَتى كُنْتُ أَشْرَبُ

[و] الضرب [الثانى] من الغرض العائد إلى المشبه به [بيان الاهتمام به] أى بالمشبه به [كتشبيه الجائع وجها كالبدر فى الاشراق والاستدارة بالرغيف ، ويسمى هـذا] أى التشبيه المشتمل على هذا النوع من الغرض [إظهار المطلوب] .

[هـذا] الذي ذكرناه من جعل أحـد الشيئين مشبها والآخر مشبها به إنما يكون [اذا أريد إلحـاق الناقص] فى وجه الشبه [حقيقة] كما فى الغرض العائد الى المشبه [أو ادعاء] كما فى الغرض العائد الى المشبه به [بالزائد] فى وجه الشبه [فان أريد الجمع بين شـيئين فى أمر] من الأمور من غير قصد الى كون أحـدهما ناقصا والآخر زائدا سواء وجدت الزيادة والنقصان أم لم توجدا [فالأحسن ترك التشبيه] ذاهبا [الى الحـكم بالتشابه] ليكون كل من الشيئين مشبها ومشبها به [احترازا من ترجيح أحـد المتساويين] فى وجه الشبه [كقوله :

تشابه دمعى إذ جرى ومـــدامتى   فمن مثل (١) مافى الكأس عينى تسكب
فوالله ما أدري أبالخمر أســـبلت   جفونى] يقال ـ أسبل الدمع والمطر اذا هطل وأسـبلت السماء ـ والباء فى قوله ـ أبالخمر ـ للتعـدية وليست بزائدة على ما توهم

(١) أى ومن مثل ما تسكب أشرب ، وإنما قدر هذا ليتفق مع ادعاء المساواة .

وَيجوزُ التّشبيهُ أَيْضًا ، كَتَشبيهِ غُرَّةِ الْفَرَسِ بالصُّبْحِ وعَكْسِه مَتَى أُرِيدَ ظُهُورُ مُنِيرٍ فى مُظْلِمٍ أَكْثَرَ مِنْهُ .

بعضهم ، [* أم من عبرتى كنت أشرب (١) *] لمَّا اعتقد التساوى بين الدمع والخمر ترك التشبيه الى التشابه [ويجوز] عند إرادة الجمع بين شيئين فى أمر [التشبيه أيضا] لأنهما وإن تساويا فى وجه الشبه بحسب قصد المتكلم إلا أنه يجوز له أن يجعل أحدهما مشبها والآخر مشبها به لغرض من الأغراض وسبب من الأسباب ، مثل زيادة الاهتمام وكَوْن الكلام فيه [كتشبيه غرة الفرس بالصبح وعكسه] أى تشبيه الصبح بغرة الفرس [متى أريد ظهور منير فى مظلم أكثر منه] أي من ذلك المنير من غير قصد الى المبالغة

(١) البيتان لأبى إسحاق إبراهيم الصابى من كتاب وشعراء الدولة العباسية .

تطبيقات على أغراض التشبيه :

(١) كأن مِشيَتَهَا من بيت جارتها   مرُّ السحابة لاريْثٌ ولاعَجَلُ

(٢) من يهن يسهل الهوانُ عليه   ما لجرحٍ بميِّتٍ إيلامُ

(٣) أنظُرْ إليه كَزَوْرَقٍ من فضّةٍ   قد أثقلته حمولةٌ من عَنْبَرِ

فالغرض فى الأول بيان مقدار حال المشبه ، وفى الثانى تقرير حاله ، وهو تشبيه ضمني ، وفى الثالث تزيينه .

أمثلة أخرى :

(١) ولاح ضوءُ قُمَيْرٍ كاد يفضحنا   مثْلُ القُلامة قَدْ قُدَّتْ من الظُّفُرِ

(٢) وياوطنى لَقِيتُكَ بعد يأس   كأنى قد لقيتُ بك الشبابَا

(٣) تُزْجِى أغَنَّ كأن إبْرَةَ رَوْقِه   قَلَمٌ أصاب من الدَّوَاة مِدَادَهَا

وَهُوَ باعْتبارِ طَرَفَيْـهِ إمَّا تَشْبِيهُ مفْرَدٍ بمفْرَدٍ وَهُما غيرُ مُقيَّـدَيْنِ كَتَشْبِيهِ الخَدِّ بالوَرْدِ ، أَوْ مُقَيَّدَانِ كَقَوْلِهِمْ ـ هُوَ كالرَّاقِمِ عَلَى المَاءِ ، أَوْ مُخْتَلفانِ كَقَوْلِهِ ـ وَالشَّمسُ كالمِرْآةِ وَعَـكْسِهِ ، وَإمَّا تَشْبيهُ مُرَكَّبٍ بِمُرَكَّبٍ كما فى بَيْتِ بَشَارٍ ، وَإمَّا تَشْبيهُ مُفْرَدٍ

في وصف غرة الفرس بالضياء والانبساط وفَرْطِ التَّلأْلُؤِ ونحو ذلك ، إذ لو قصد ذلك لوجب جعل الغرة مشبها والصبح مشبها به .

أقسامه

[وهو] أى التشبيه [باعتبار الطرفين] المشبه والمشبه به أربعة أقسام : لأنه [إما تشبيه مفرد بمفرد وهما] أى المفردان [غير مقيدين كتشبيه الخد بالورد ، أو مقيدان كقولهم] لمن لا يحصل من سعيه على طائل [هو كالراقم على الماء] فالمشبه هو الساعى المقيد بألاَّ يحصل من سعيه على شىء ، والمشبه به هو الراقم المقيد بكَوْنِ رَقْمِه على الماء ، لأن وجه الشبه هو التسوية بين الفعل وعدمه ، وهو موقوف على اعتبار هذين القيدين [أو مختلفان] أي أحدهما مقيـد والآخر غير مقيد [كقوله : والشمس كالمرآة] فى كف الأشل (١) فالمشبه به أعنى المرآة مقيدة بكَوْنِهَا فى كف الأشل ، بخلاف المشبه أعنى الشمس [وعكسه] أى تشبيه المرآة فى كف الأشل بالشمس ، فالمشبه مقيد دون المشبه به [وإما تشبيه مركب بمركب] بأن يكون كل من الطرفين كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تَضَامَّتْ وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا [كما فى بيت بشار] :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ٭ وأسيافنا

---

(١) هو من قول ابن المعتز فيما سبق :

والشمسُ كالمِرْآةِ فى كَفِّ الأشَلّ ٭ لَمَّا رأيتها بدتْ فوق الجَبَلْ

بِمُرَكَّب كما مَرَّ من تَشْبِيهِ الشَّقِيق ، وَإِمَّا تَشْبِيهُ مُرَكَّب بِمُفْرَد كَقَوْلِه :

يا صَاحِبَيَّ تَقَصَّيَا نَظَرَيْكُمَا ... تَرَيَا وُجُوهَ الأَرْضِ كَيْفَ تَصَوَّرُ

تَرَيَا نَهَاراً مُشْمِساً قَدْ شَابَهُ ... زَهْرُ الرُّبَى فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْمِرُ

على ماسبق تقريره (١) [وإما تشبيه مفرد بمركب كما مر من تشبيه الشقيق (٢)] وهو مفرد بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد وهو مركب من عدة أمور ، والفرق بين المركب والمفرد المقيد أحْوَجُ شيء الى التأمل ، فكثيراً مَّا يقع الالتباس(٣) [وإما تشبيه مركب بمفرد كقوله : يا صاحبي تقصيا نظريكما] فى الأساس ـ تَقَصَّيته أى بلغت أقصاه ـ أى اجتهدا فى النظر وابلغا أقصى نظريكما [تريا وجوه الأرض كيف تصور] أى تَتَصَوَّرُ حذفت التاء ، يقال ـ صَوَّرَهُ الله صورةً حسنة فَتَصَوَّرَ (٤) [تريا نهارا مشمسا] أى ذا شمس لم يستره غَيْمٌ [قد شابه] أى خالطه [زهر الربى] خَصَّهَا لأنهـا أنضر وأشد خضرة ، ولأنها المقصود بالنظر [فكأنما هو] أى ذلك النهار المشمس الموصوف [مقمر (٥)] أى ليل ذو قمر ، لأن الأزهار باخضرارها قد نقصت من ضوء الشمس حتى صار يضرب الى السواد ، فالمشبه مركب ، والمشبه به

---

(١) أنظر صفحة ٢٥ من هذا الجزء.

(٢) أى فى قول الصَّنَوْبَرِيِّ :

وكأَنَّ مُحْمَرَّ الشَّـقِيـ ... ـقِ إذا تَصَوَّبَ أو تَصَعَّدْ

أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْ ... نَ على رماحٍ من زَبَرْجَدْ

(٣) والفرق بينهما أنه إذا كان هناك شيء واحد هو الأصل المقصود وما عداه كالتكملة له فهو مقيد ، وإلا فهو مركب (٤) فالثاني مُطَاوِعٌ الأول (٥) البيتان لأبي تمام من قصيدة له فى مدح المعتصم أولها :

وَأَيْضًا إِنْ تَعَدَّدَ طَرَفَاهُ فَامَّا مَلْفُوفٌ كَقَوْلِهِ :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا   لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَّابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

أَوْ مَفْرُوقٌ كَقَوْلِهِ :

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوهُ دَنَا   نِيرٌ وَأَطْرَافُ الأَكُفِّ عَنَمْ

وَإِنْ تَعَدَّدَ طَرَفُهُ الأَوَّلُ

مفرد وهو القمر .

[وأيضا] تقسيم آخر للتشبيه باعتبار الطرفين ، وهو أنه [إن تعدد طرفاه فاما ملفوف] وهو أن يؤتى أولا بالْمُشَبَّهات على طريق العطف أو غيره ثم بالمشبه به كذلك [كقوله] فى صفة الْعُقَاب بكثرة اصطياد الطيور [كأن قلوب الطير رطبا] بَعْضُها [ويابسا] بعضها [لدي وكرها العناب والحشف] هو أردأ التمر [البالى (١)] شبه الرطب الطَّرِىَّ من قلوب الطير بالعناب ، واليابس العتيق منها بالحشف البالى ، إذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها ، إلا أنه ذكر أوَّلاً الْمُشَبَّهَيْن ثم المشبه بهما على الترتيب [أومفروق] وهوأن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم آخر وآخر [كقوله : النشر] أى الطِّيبُ والرائحة [مسك والوجوه دنا * نير وأطراف الأكف] وروى ـ أطراف البنان [عنم (٢)] هو شجر أحمر لَيِّنٌ [وإن تعدد طرفه الأول]

رَقَّتْ حواشي الزهر فهى تُمَرْمِرُ   وغَدَا الثَّرَى فى حَلْيِهِ يتَكَسَّرُ

(١) البيت لامرىء القيس من قصيدته التى مطلعها :

ألاَ عِمْ صَباحًا أيها الطَّلَلُ البالِى   وهل يَعِمَنْ مَنْ كان فى الْعُصُرِ الخالى

(٢) البيت لِلْمُرَقِّشِ الأكبر من شعراء الجاهلية .

فَتَشْبِيهُ التَّسْوِيَةِ كَقَوْلِهِ :

صُدْغُ الحَبِيبِ وَحَالِى　　كِلاَهُمَا كاللَّيَالِى

وَإِنْ تَعَدَّدَ طَرَفُهُ الثَّانِى فَتَشْبِيهُ الجَمْعِ كَقَوْلِهِ :

كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَنْ لُؤْلُؤٍ　　مُنَضَّدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاحْ

يعنى المشبه دون الثاني [فتشبيه التسوية ، كقوله :

صدغ الحبيب وحالى　　كلاهما كالليالى (١)

وإن تعدد طرفه الثانى] يعنى المشبه به دون الأول [فتشبيه الجمع كقوله] :

بات نديما لى حتى الصَّبَاحْ　　أغْيَدُ مجدولُ مكَانِ الوشاحْ

[كأنما يبسم] ذلك الأغيد ، أى الناعم البدن [عن لؤلؤ منضد] منظم [أو برد] هوحَبُّ الغمام [أوأقاح (٢)] جمع أُقْحوَانٍ وهو وَرْدٌ له نَوْرٌ ، شبه ثغره بثلاثة أشياء .

---

(١) ذكر شارح الشواهد أنه لم يعرف قائل هذا البيت ، وبعده :

وثَغْرُهُ في صـفاء　　وأدمعى كاللآلى

(٢) البيتان للبحترى ، وهما مطلع قصيدة له فى مدح عيسى بن إبراهيم .

تطبيقات على أقسام التشبيه باعتبار الطرفين :

(١) الخدُّ وَرْدٌ والصُّدْغُ غاليـةٌ　　والرِّيقُ خمر والثَّغـــر كالدُّرَرِ

(٢) تُحَطِّمُنَا الأيامُ حتى كأننا　　زجاجٌ ولـكن لا يعادلنا سَـبْكُ

(٣) والبدرُ فى أُفُقِ السماء كغادة　　بيضاءَ لاحتْ فى ثياب حِـدَادِ

فالأول من التشبيه المفروق ، والثاني من تشبيه المفرد بالمفرد ، والثالث من تشبيه المفرد المقيد بالمفرد المقيد .

وَباعْتبار وَجْهه إمَّا تَمْثِيلٌ وَهُوَ ما وَجْهه مُنتزَعٌ من متعَددٍ كما مرَّ ، وقَيَّدَه السَّكَّاكِي بكَوْنه غَيْرَ حَقيقيّ ، كما في تَشْبيه مَثَل الْيهُود بِمَثَل الْحمَار ، وَإمَّا غير تَمْثِيل وهُوَ بخلافه .

[وباعتبار وجهه] عَطْفٌ على قوله - باعتبار الطرفين [إما تمثيل وهو ما] أى التشبيه الذى [وجهه] وَصْفٌ [منتزع من متعدد] أى أمرين أو أمور [كما مر] من تشبيه الثريا ، وتشبيه مُثَار النَّقْعِ مع الأسياف ، وتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل (١) وغير ذلك [وقيده] أى المنتزع من متعدد [السكاكى بكونه غير حقيقى (٢)] حيث قال : التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقى وكان منتزعا من عدة أمور خص باسم التمثيل [كما فى تشبيه مثل اليهود بمثل الحمار (٣)] فان وجه الشبه هو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع الْكَدِّ والتعب فى استصحابه ، فهو وصف مركب من متعدد وليس بحقيقى بل هو عائد الى التوهم [وإما غير تمثيل وهو بخلافه] أى بخلاف التمثيل ، يعنى مالا يكون وجهه منتزعا من متعدد ، وعند السكاكى مالا يكون منتزعا من متعدد

أمثلة أخرى :

(١) وقصائد مثل الرياض أضعتها   في باخل ضاعت به الأَحساب

(٢) إنى وتزيينى بِمَدْحِى معشراً   كَمُعَلِّقٍ درًّا على خنزير

(٣) إنما الدنيا كبيتٍ   نَسْجُهُ من عَنْكَبُوتِ

(١) أنظر ص ٢٤ و ص ٢٥ و ص ٢٧ من هذا الجزء (٢) أى غير متحقق حسا ولا عقلا ، وقيده الشيخ بكونه غير حسى ، فيشمل عنده الوهمي والعقلى .

(٣) أنظر ص ٢٩ من هذا الجزء .

وَأَيْضًا إمَّا مُجْمَلٌ وهو مالَمْ يُذْكَرْ وجهه ، فَمِنْهُ ظَاهِرٌ يَفْهَمُهُ كُلُّ أحَدٍ ، نَحْوَ - زَيْدٌ أَسَدٌ - وَمِنْهُ خَفِيٌّ لا يُدْرِكُهُ إلاَّ الخاصَّةُ ، كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ - هُمْ كالحَلْقَةِ المُفْرَغَةِ لا يُدْرَى أَيْنَ طَرَفَاهَا - أى هُمْ مُتَنَاسِبُونَ فى الشَّرَفِ كما أَنَّهَا مُتَنَاسِبَةُ الأَجْزَاءِ فى الصُّورَةِ . وَأَيْضًا مِنْهُ

ولا يكون وهميا واعتباريا ، بل يكون حقيقيا ، فتشبيه الثريا بالعنقود المنور تمثيل عند الجمهور دون السكاكى .

[وأيضا] تقسيم آخر للتشبيه باعتبار وجهه وهو أنه [إما مجمل وهو مالم يذكر (١) وجهه ، فمنه] أي فمن المجمل ماهو [ظاهر] وَجْهُهُ ، أو فمن الوجه الغير المذكور ماهو ظاهر [يفهمه كل أحد] ممن له مدخل فى ذلك [نحو زيد كالأسد ، ومنه خفى لا يدركه إلا الخاصة كقول بعضهم] ذكر الشيخ عبد القاهر أنه قول من (٢) وصف بنى المُهَلَّب للحَجَّاج لما سأله عنهم ، وذكر جَارُ الله أنه قول الأَنْمَارِيَّة فاطمة بنت الخُرْشُب ، وذلك أنها سئلت عن بنيها أيُّهم أفضلُ ؟ فقالت : عُمَارَةُ لا بل فلان لا بل فلان ، ثم قالت : ثَكِلْتُهُمْ إن كنت أعلم أيهم أفضل [هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها - أى هم متناسبون فى الشرف] يمتنع تعيين بعضهم فاضلا وبعضهم أفضل منه [كما أنها] أى الحلقة المفرغة [متناسبة الأجزاء فى الصورة] يمتنع تعيين بعضها طرفا وبعضها وسطا ، لكَوْنِهَا مفرغة مُصْمَتَةَ الجوانب كالدائرة .

[وأيضا منه] أى من المجمل ، وقوله - منه - دون أن يقول - وأيضا إما كذا

---

(١) أي ذكرا صريحا ، فلا ينافى الاجمال ذكر مايشير إلى وجه الشبه كما في مثال الحلقة المفرغة (٢) هو كعب بن مَعْدَانَ الأشعرى .

مالم يذكر فيه وصف أحد الطرفين ، ومنه ما ذكر فيه وصف المشبه به وحده ،
ومنه ما ذكر فيه وصفهما كقوله :

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه عني وعاوده ظني فلم يخب
كالغيث إن جئته وافاك ريقه وإن ترحلت عنه لج في الطلب

وإما مفصل وهو ما ذكر وجهه كقوله :

وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي

وإما كذا – إشعار بأن هذا من تقسيمات المجمل لا من تقسيمات مطلق التشبيه ، أي ومن المجمل [مالم يذكر فيه وصف أحد الطرفين] يعني الوصف الذي يكون فيه إيماء الى وجه الشبه ، نحو – زيد أسد [ومنه ما ذكر فيه وصف المشبه به وحده] أي الوصف المشعر بوجه الشبه كقولها : هم كالحلقة المفرغة لايدري أين طرفاها [ومنه ماذكر فيه وصفهما] أي المشبه والمشبه به كليهما [كقوله : صدفت عنه] أي أعرضت عنه [ولم تصدف مواهبه . عني وعاوده ظني فلم يخب . كالغيث إن جئته وافاك] أي أتاك [ريقه] يقال – فعله في رَوْق شبابه ورَيِّقه أي أوله وأصابه رَيِّقُ المطر ورَيِّقُ كل شيء أفضله [وإن ترحلت عنه لج في الطلب (١)] وصف المشبه أعني الممدوح بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أو لم يعرض ، وكذا وصف المشبه به أعني الغيث بأنه يصيبك إن جئته أو ترحلت عنه ، والوصفان مشعران بوجه الشبه أعني الاضافة في حالتي الطلب وعدمه وحالتي الاقبال عليه والاعراض عنه [وإما مفصل] عَطْفٌ على – إما مجمل [وهو ماذكر فيه وجهه كقوله :

وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي (٢)]

---

(١) البيتان لأبي تمام من قصيدة له في مدح الحسن بن رجاء .

(٢) ذكر شارح الشواهد أنه لا يعرف قائل هذا البيت كما سبق في البيت قبله :

وَقَدْ يُتَسامح بذكرِ ما يستتبعه مكانه ، كَقَوْلِهِمْ لِلْكَلَامِ الْفَصِيحِ هُوَ كَالْعَسَلِ فِى الحَلَاوَة ، فإنَّ الجامعَ فيه لازمُها وَهُوَ ميلُ الطَّبعِ .

وَأَيْضًا إمَّا قريبٌ مبتذلٌ وهو ما يُنتقلُ فيه من المُشبَّه الى المُشبه به من غير تدقيق نَظَر لظُهور وَجْهه فى بادى الرَّأى لِكَوْنه أمرًا جمليًّا ، فَانَّ الجُملة أَسبقُ الى النَّفس ، أَوْ قَليلَ التَّفصِيلِ مع غَلَبَة حُضور المُشبَّه به فى الذِّهْن إمَّا عند حضُور المُشبه لقُرْب المُناسَبة

[وقد يتسامح بذكر مايستتبعه مكانه] أى بأن يذكر مكان وجه الشبه مايستلزمه ، أي يكون وجه الشبه تابعا له لازما فى الجملة [كقولهم للكلام الفصيح - هو كالعسل فى الحلاوة - فان الجامع فيه لازمها] أى وجه الشبه فى هذا التشبيه لازم الحلاوة [وهو ميل الطبع] لأنه المشترك بين العسل والكلام لاالحلاوة التى هى من خواص المطعومات .

[وأيضا] تقسيم ثالث للتشبيه باعتبار وجهه وهو أنه [إما قريب مبتذل وهو ما ينتقل فيه من المشبه الى المشبه به من غير تدقيق نظر لظهور وجهه فى بادى الرأى] أي فى ظاهره إذا جعلته من - بدا الأمر يبدو - أى ظهر ، وإن جعلته مهموزا من - بدأ - فمعناه فى أول الرأى ، وظهوروجهه فى بادى الرأي يكون لأمرين : إما [لكونه امرا جمليا] لا تفصيل فيه [فان الجملة أسبق الى النفس] من التفصيل ، ألا ترى أن إدراك الانسان من حيث إنه شىء أو جسم أو حيوان أسهل وأقدم من إدراكه من حيث إنه جسم نَامٍ حَسَّاسٌ متحرك بالارادة ناطق [أو] لِكَوْنِ وجه الشبه [قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به فى الذهن إما عند حضور المشبه لقرب المناسبة]

صُدْغُ الحبيب وحَالِى كلاهما كَاللَّيَالِى

كَتَشْبِيهِ الْجَرَّةِ الصَّغِيرَةِ بِالْكُوزِ فِى الْمِقْدَارِ وَالشَّكْلِ ، أَوْ مُطْلَقاً لِتَكَرُّرِهِ عَلَى الْحِسِّ كَالشَّمْسِ بِالْمِرْآةِ الْمَجْلُوَّةِ فِى الْاسْتِدَارَةِ وَالاسْتِنَارَةِ ، لِمُعَارَضَةِ كُلٍّ مِنَ الْقُرْبِ وَالتَّكَرُّرِ التَّفْصِيلَ ، وَإِمَّا بَعِيدٌ غَرِيبٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ لِعَدَمِ الظُّهُورِ إِمَّا

بين المشبه والمشبه به، إذ لا يخفى أن الشيء مع ما يناسبه أسهل حضورا منه مع ما لا يناسبه [كتشبيه الجرة الصغيرة بالكوز فى المقدار والشكل] فانه قد اعتبر فى وجه الشبه تفصيلٌ مَّا أعنى المقدار والشكل ، إلا أن الكوز غالب الحضور عند حضور الجرة [أو (١) مطلقا] عَطْفٌ على قوله ـ عند حضور المشبه ـ ثم غلبة حضور المشبه به فى الذهن مطلقا تكون [لتكرره] أي المشبه به [على الحس] فان المتكرر على الحس كصورة القمر غير منخسف أسهل حضورا مما لا يتكرر على الحس كصورة القمر منخسفا [كالشمس] أى كتشبيه الشمس [بالمرآة المجلوة فى الاستدارة والاستنارة] فان فى وجه الشبه تفصيلاً مَّا ، لكن المشبه به أعنى المرآة غالب الحضور فى الذهن مطلقا [لمعارضة كل من القرب والتكرر التفصيل] أى وإنما كانت قلة التفصيل فى وجه الشبه مع غلبة حضور المشبه به بسبب قرب المناسبة أو التكرر على الحس سببا لظهوره المؤدى الى الابتذال مع أن التفصيل من أسباب الغرابة لأن قرب المناسبة فى الصورة الأولى والتكرر على الحس فى الثانية يعارض كل منهما التفصيل بواسطة اقتضائهما سرعة الانتقال من المشبه الى المشبه به ، فيصير وجه الشبه كأنه أمر جملى لا تفصيل فيه ، فيصير سببا للابتذال [وإما بعيد غريب] عَطْفٌ على قوله ـ إما قريب مبتذل [وهو بخلافه] أى ما لا ينتقل فيه من المشبه الى المشبه به إلا بعد فكر وتدقيق نظر [لعدم الظهور] أى لخفاء وجهه فى بادي الرأى ، وذلك أعنى عدم الظهور [إما

---

(١) أو هنا لمنع الخلو لا لمنع الجمع ، لأن غلبة حضور المشبه به عند حضور المشبه بجامع غلبة حضور المشبه به مطلقا ، كما فى تشبيه الجرة الصغيرة بالكوز .

لِكَثْرَةِ التَّفْصِيلِ كَقَوْلِهِ ـ وَالشَّمْسُ كَالمِرْآةِ ـ أَوْ نُدُورِ حُضُورِ الْمُشَبَّهِ بِهِ إِمَّا عِنْدَ حُضُورِ المشبهِ لِبُعْدِ الْمُنَاسَبَةِ كَمَا مَرَّ ، وَإِمَّا مُطْلَقًا لِكَوْنِهِ وَهْمِيًّا أَوْ مُرَكَّبًا خَيَالِيًّا أَوْ عَقْلِيًّا كَمَا مَرَّ ، أَوْ لِقِلَّةِ تَكَرُّرِهِ عَلَى الْحِسِّ كَقَوْلِهِ ـ وَالشَّمْسِ كَالمِرْآةِ ـ فَالْغَرَابَةُ فِيهِ مِنْ وَجْهَيْنِ .

لكثرة التفصيل كقوله : والشمس كالمرآة] فى كف الأشل فان وجه الشبه فيه من التفصيل ماقد سبق (١) ولذا لا يقع فى نفس الرائى للمرآة الدائمة الاضطراب إلا بعد أن يستأنف تأملا ويكون فى نظره متمهلا [أو ندور] أى أو لندور [حضور المشبه به إما عند حضور المشبه لبعد المناسبة كما مر] فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت (٢) [وإما مطلقا] وندور حضور المشبه به مطلقا يكون [إما لكونه وهميا] كأنياب الأغوال (٣) [أو مركبا خياليا] كأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد (٤) [أو] مركبا [عقليا] كمثل الحمار يحمل أسفارا ، وقوله [كما مر] إشارة الى الأمثلة التي ذكرناها آنفا [أو لقلة تكرره] أى المشبه به [على الحس ، كقوله : والشمس كالمرآة] فى كف الأشل ، فان الرجل ربما ينقضى عمره ولا يتفق له أن يرى مرآة فى يد الأشل [فالغرابة فيه] أى فى تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل [من وجهين] أحدهما كثرة التفصيل فى وجه الشبه ، والثانى قلة التكرر على الحس ، فان قلت كيف تكون ندرة حضور المشبه به سببا لعدم ظهور وجه الشبه ، قلت لأنه فرع الطرفين ، والجامع المشترك الذى بينهما إنما يطلب بعد حضور الطرفين ، فاذا ندر

---

(١) أنظر ص ٢٧ من هذا الجزء (٢) أنظر ص ٣٧ من هذا الجزء .

(٣) فى قول امرىء القيس :

أيقتلني وَالْمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي ومسنونةٌ زُرْقٌ كأنياب أغوالِ

(٤) أنظر ص ١٢ من هذا الجزء .

وَالْمُرَادُ بِالتَّفْصِيلِ أَنْ يُنْظَرَ فِي أَكْثَرَ مِنْ وَصْفٍ ، وَيَقَعُ عَلَى وُجُوهٍ أَعْرَفُهَا أَنْ تَأْخُذَ بَعْضًا وَتَدَعَ بَعْضًا كَمَا فِي قَوْلِهِ :

حَمَلْتُ رُدَيْنِيًّا كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

وَأَنْ تَعْتَبِرَ الْجَمِيعَ كَمَا مَرَّ مِنْ تَشْبِيهِ الثُّرَيَّا ، وَكُلَّمَا كَانَ التَّرْكِيبُ مِنْ أُمُورٍ أَكْثَرَ كَانَ التَّشْبِيهُ أَبْعَدَ ، وَالْبَلِيغُ مَا كَانَ مِنْ هٰذَا الضَّرْبِ

حضورهما ندر التفات الذهن الى ما يجمعهما ويصلح سببا للتشبيه بينهما .

[والمراد بالتفصيل أن ينظر فى أكثر من وصف] واحد لشيء واحد أو أكثر ، بمعني أن يعتبر فى الأوصاف وجودها أو عدمها أو وجود البعض وعدم البعض ، كلٌّ من ذلك فى أمر واحد أو أمرين أو ثلاثة أو أكثر ، فلذا قال [ويقع] أى التفصيل [على وجوه] كثيرة [أعرفها أن تأخذ بعضا] من الأوصاف [وتدع بعضا] أى تعتبر وجود بعضها وعدم بعضها [كما فى قوله : حملت ردينيا] يعنى رمحا منسوبا الى رُدَيْنَةَ (١) [كأن سنانه * سنا لهب لم يتصل بدخان (٢)] فاعتبر فى اللهب الشكل واللون واللَّمَعَانَ وتَرَكَ الاتصال بالدخان ونفاه [وأن تعتبر الجميع كما مر من تشبيه الثريا] بعنقود المُلَّاحِيَّةِ الْمُنَوَّرَةِ باعتبار اللون والشكل (٣) وغير ذلك [وكلما كان التركيب] خياليا كان أو عقليا [من أمور أكثر كان التشبيه أبعد] لِكَوْنِ تفاصيله أكثر [و] التشبيه [البليغ (٤) ما كان من هذا الضرب] أى من البعيد الغريب دون القريب المبتذل

(١) هى امرأة كانت تحسن صنعة الرماح (٢) البيت لامرىء القيس من قصيدته التى مطلعها :

لمن طَلَلٌ أبصرته فشجانى كخطِّ زَبُورٍ فى عَسِيبِ يَمَانِي

(٣) أنظر ص ٢٤ من هذا الجزء (٤) يعنى الذى يتخاطب به أذكياء البلغاء ،

لغرابته ، ولأن نيل الشيء بعد طلبه ألذ ، وقد يتصرف في القريب بما يجعله غريبا كقوله :

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء

وقوله :

عزماته مثل النجوم ثواقبا لو لم يكن للثاقبات افول

[لغرابته] أي لكون هذا الضرب غريبا غير مبتذل [ولأن نيل الشيء بعد طلبه ألذ] وموقعه في النفس ألطف ، وإنما يكون البعيد الغريب بليغا حسنا إذا كان سببه لطف المعنى ودقته أو ترتيب بعض المعاني على بعض وبناء ثان على أول ورد تال الى سابق ، فيحتاج الى نظر وتأمل [وقد يتصرف في] التشبيه [القريب] المبتذل [بما يجعله غريبا] ويخرجه عن الابتذال [كقوله :

[لم تلق هذا الوجهين شمس نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء (١)]

فتشبيه الوجه بالشمس مبتذل إلا أن حديث الحياء ومافيه من الدقة والخفاء أخرجه الى الغرابة ، وقوله ـ لم تلق ـ إن كان من لقيته بمعنى أبصرته فالتشبيه مكنى غير مصرح به ، وإن كان من لقيته بمعنى قابلته وعارضته فهو فعل ينبيء عن التشبيه ، أى لم يقابله في الحسن والبهاء إلا بوجه ليس فيه حياء [وقوله : عزماته مثل النجوم ثواقبا] أي لوامعا [لو لم يكن للثاقبات أفول (٢)] فتشبيه العزم بالنجم مبتذل إلا أن اشتراط

فهو خلاف التشبيه البليغ المشهور ، لأنه ما كان محذوف الأداة كما سبق .

(١) هو للمتنبي من قصيدة له في مدح هارون بن عبد العزيز مطلعها :

أمن ازديارك في الدجى الرقباء إذ حيث كنت من الظلام ضياء

(٢) هو لرشيد الدين الوطواط من شعراء الدولة العباسية ، والأفول الغروب .

وَيُسَمَّى هٰذَا التَّشْبِيهَ المَشْرُوطَ .

وَباعْتِبارِ أَدَاتِه إمَّا مُؤَكَّدٌ وَهُوَ مَا حُذِفَتْ أَدَاتُهُ ، مِثْلُ - وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ - وَمِنْهُ

عدم الأفول أخرجه الى الغرابة [ويسمى] مثل [هذا] التشبيه [التشبيه المشروط] لتقييد المشبه أو المشبه به أو كليهما بشرط وجودى أو عدمى يدل عليه بصريح اللفظ أو بسياق الكلام .

[وباعتبار] أى والتشبيه باعتبار [أداته إما مؤكد وهو ما حذفت أداته ، مثل - وهي تمر مر السحاب] أي مثل مَرِّ السحاب [ومنه] أى ومن المؤكد ما أضيف

تطبيقات على أقسام التشبيه باعتبار وجهه :

(١) إن السحاب لَتَسْتَحْيِي إذا نظرتْ ... إلى نَدَاكَ فقاسَتْهُ بما فيهَا

(٢) أنت مثل الورد لَوْناً ... ونسيماً وبَلالَا

(٣) كأن سُهَيْلاً والنجومَ وراءهُ ... صفوفُ صلاة قام فيها إمامُهَا

فالأول مجمل غريب غير تمثيل ، والثانى مفصل غير تمثيل ، والثالث مجمل قريب تمثيل .

أمثلة أخرى :

(١) والليلُ فى لون الغُرابِ كأنَّهُ ... هو فى حُلُوكَتِه وإن لم يَنْعَبِ

(٢) ومُكَلِّفُ الأيام ضِدَّ طباعها ... مُتَطَلِّبٌ فى الماء جَذْوَةَ نارِ

(٣) فحملتُ هَيْكَلَ عظمها وكأنَّنى ... حَمَلْتُ حين حَمَلْتُ عُودَ خِلَالِ

نحو قوله :

وَالرِّيحُ تَعْبَثُ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ

أَوْ مُرْسَلٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ

المشبه به الى المشبه بعد حذف الأداة [نحو قوله : والريح تعبث بالغصون] أى تُميلها الى الاطراف والجوانب [وقد جرى ، ذهب الأصـيل] هو الوقت بعد العصر الى الغروب يُعَدُّ من الأوقات الطيبة كالسَّحَر ويوصف بالصفرة كقوله :

وَرُبَّ نهارٍ للفراق أصيلُهُ ووجهي كلاَ لونيهما متناسبُ

فذهب الأصيل صفرته وشعاع الشمس فيه [على لجين الماء (١)] أي على ماء كاللجين أي الفضة فى الصفاء والبياض ، فهذا تشبيه مؤكد ، ومن الناس من لم يميز بين لُجَيْن الكلام ولَجينه (٢) ولم يعرف هِجَانَه من هَجينه (٣) حتى ذهب بعضهم الى أن اللجين إنما هو بفتح اللام وكسر الجيم ، يعنى الوَرَق الذى يسقط من الشجر ، وقد شبه به وجه الماء ، وبعضهم الى أن الأصيل هو الشجر الذي له أصل وعِرْق وذهبه ورقه الذى اصْفَرَّ ببرد الخريف وسقط منه على وجه الماء ، وفساد هذين الوهمين غنى عن البيان (٤) [أو مرسل] عَطْفٌ على ـ إما مؤكد [وهو بخلافه] أى ما ذكر أداته فصار مرسلا عن التأكيد المستفاد من حذف الأداة المشعر بحسب الظاهر بأن

---

(١) البيت لابن خفاجة من شعراء الأندلس (٢) الأول بمعنى الحسن ، والثانى بمعنى القبح (٣) هجانه شريفه ، وهجينه رديئه (٤) أما الأول فلأنه لا معنى لتشبيه وجه الماء بمطلق الورق الساقط من الشجر ، وأما الثانى فلأنه لا اختصاص للورق المصفر من برد الخريف بالشجر الذى له أصل وعرق ، فلا وجه لاضافة الذهب إلى الأصيل عليه .

كما مرَّ .

وَباعْتبارِ الْغَرَضِ إمَّا مقبولٌ وَهُوَ الْوافى بافَادَته كَأَنْ يَـكُونَ الْمُشبهُ به أعْرَفَ شَىْء بوَجْه الشَّبَه فى بَيان الحَال ، أَوْ أَتَمَّ شَىْء فيه فى إلْحَاق النَّاقص بالْكَامل ، أَوْ

المشبه عين المشبه به [كما مر] من الأمثلة المذكورة فيها أداة التشبيه .

[و] التشبيه [باعتبار الغرض إما مقبول وهو الوافى بافادته] أي إفادة الغرض [كأن يكون المشبه به أعرف شيء بوجه الشبه فى بيان الحال ، أو] كأن يكون المشبه به [أتم شيء فيه] أى فى وجه الشبه [فى إلحاق الناقص بالكامل ، أو] كأن يكون

تطبيقات عامة على أقسام التشبيه :

(١) الْخِلُّ كالماء يُبْدِى لى ضمائرَهُ   مع الصفاء ويخفيها مع الْكَدَر

(٢) والدهر كالبحر لا ينفكُّ ذا كَدَر   وإنما صَفْوُهُ بين الورى لُمَعُ

(٣) وتَرَاكَضُوا خيلَ الشباب وبَادَرُوا   أن تُسْتَرَدَّ فانهنَّ عَوَارِ

فالأول تشبيه مرسل مفصل تمثيل والطرفان حسيان ، والثانى تشبيه مرسل مجمل غير تمثيل والمشبه عقلى والمشبه به حسى ، والثالث تشبيه مؤكد مجمل غير تمثيل والمشبه عقلى والمشبه به حسى .

أمثلة أخرى :

(١) وإذا افتقرتَ إلى الذخائر لم تجِدْ   ذُخْرًا يكون كصالح الأعمال

(٢) هو السيف إن لاَيَنْتَهُ لان مَتْنُهُ   وحَدَّاه إن خاشنته خَشِنَان

(٣) وحديقة غَنَّاءَ ينتظم النَّدَى   بفروعها كالدُّرِّ فى الأسلاك

مُسَلَّمُ الْحُكْمِ فِيهِ مَعْرُوفُهُ عِنْدَ الْمُخَاطَبِ فِي بَيَانِ الْإِمْكَانِ ، أَوْ مَرْدُودٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ .

خَاتِمَةٌ

أَعْلَى مَرَاتِبِ التَّشْبِيهِ فِي قُوَّةِ الْمُبَالَغَةِ بِاعْتِبَارِ أَرْكَانِهِ أَوْ بَعْضِهَا

المشبه به [مسلم الحكم فيه] أى فى وجه الشبه [معروفه عند المخاطب فى بيان الامكان ، أو مردود] عَطْفٌ على مقبول [وهو بخلافه] أى ما يكون قاصرا عن إفادة الغرض بألاّ يكون على شرط المقبول كما سبق ذكره .

خاتمة

فى تقسيم التشبيه بحسب القوة والضعف فى المبالغة باعتبار ذكر الأركان وتركها ، وقد سبق أن الأركان أربعة ، والمشبه به مذكور قطعا ، فالمشبه إما مذكور أو محذوف ، وعلى التقديرين فوجه الشبه إما مذكور أو محذوف ، وعلى التقادير الأربعة فالأداة إما مذكورة أو محذوفة ، تصير ثمانية ، و[أعلى مراتب التشبيه فى قوة المبالغة] إذا كان اختلاف المراتب وتَعَدُّدُهَا [باعتبار ذكر أركانه] أى أركان التشبيه [كلها أو بعضها] أى بعض الأركان ، فقوله - باعتبار - متعلق بالاختلاف الدالِّ عليه سَوْقُ الكلام ، لأن أعلى المراتب إنما يكون بالنظر الى عدة مراتب مختلفة ، وإنما قيد بذلك لأن اختلاف المراتب قد يكون باعتبار اختلاف المشبه به نحو - زيد كالأسد وزيد كالذئب فى الشجاعة - وقد يكون باختلاف الأداة نحو - زيد كالأسد وكأن زيدا الأسد (١) وقد يكون باعتبار ذكر الأركان كلها أو بعضها بأنه اذا ذكر الجميع فهو أدنى المراتب ، وإن حذف الوجه والأداة فأعلاها ، وإلا فمتوسط ، وقد توهم بعضهم أن

---

(١) فالثانى أبلغ ، لأن كأن للظن وهو قريب من العلم .

حَذْفُ وَجْهِهِ وَأَدَاتِهِ فقط أَوْ مَعَ حَذْفِ الْمُشَبَّهِ ، ثُمَّ حَذْفُ أَحَدِهِمَا كَذَلِكَ ، وَلَا قُوَّةَ لِغَيْرِهِمَا .

الْحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ

وَقَدْ يُقَيَّدَانِ بِاللُّغَوِيَّيْنِ ،

قوله - باعتبار - متعلق بقوة المبالغة فاعترض بأنه لاقوة مبالغة عند ذكر جميع الأركان، فالأعلى [حذف وجهه وأداته فقط] أى بدون حذف المشبه ، نحو - زيد أسد [أو مع حذف المشبه] نحو - أسد - فى مقام الاخبار عن زيد [ثم] الأعلى بعد هذه المرتبة [حذف أحدهما] أي وجهه أو أداته (١) [كذلك] أي فقط أو مع حذف المشبه ، نحو - زيد كالأسد - ونحو - كالأسد - عند الاخبار عن زيد ، ونحو - زيد أسد فى الشجاعة - ونحو - أسد فى الشجاعة - عند الاخبار عن زيد [ولا قوة لغيرهما] وهما الاثنان الباقيان أعنى ذكر الأداة والوجه جميعا إما مع ذكر المشبه أو بدونه نحو - زيد كالأسد فى الشجاعة - ونحو - كالأسد فى الشجاعة - خبرا عن زيد ، وبيان ذلك أن القوة إما بعموم وجه الشبه ظاهرا أو بحمل المشبه به على المشبه بأنه هو ، فما اشتمل على الوجهين جميعا فهو فى غاية القوة ، وما خلا عنهما فلا قوة له،وما اشتمل على أحدهما فقط فهو متوسط ، والله أعلم .

الحقيقة والمجاز

هذا هو المقصد الثانى من مقاصد علم البيان ، أى هذا بحث الحقيقة والمجاز ، والمقصود الأصلى بالنظر الى علم البيان هو المجاز ، إذ به يتأتي اختلاف الطرق دون الحقيقة ، إلا أنها لما كانت كالأصل للمجاز إذ الاستعمال فى غير ما وضع له فرع الاستعمال فيما وضع له جرت العادة بالبحث عن الحقيقة أوّلاً [وقد يقيدان باللغويين]

---

(١) وقد اختلف فى الأقوي من هذين ، فقيل أقواها حذف الأداة لما فيه من دعوى الاتحاد ، وقيل أقواها حذف الوجه لما فيه من إطلاق المماثلة .

الحَقِيقَةُ الـكَلِمَةُ الْمُسْتَعمَلَةُ فِيمَا وُضِـعَتْ لَهُ فى اصْطَلَاحِ التَّخَاطُبِ ، وَالْوَضْعُ

ليتميزا عن الحقيقة والمجاز العقليين اللذين هما فى الاسـناد ، والأكثر ترك هذا التقييد لئلا يتوهم أنه مقابل للشرعى والعرفى (١) [الحقيقة] فى الأصل فَعيلٌ بمعنى فاعِل من حَقَّ الشىء إذا ثبت ، أو بمعنى مفعول من حَقَّقْتُـهُ اذا أثبته ، نقل الى الـكلمة الثابتـة أو المثبتة فى مكانهـا الأصلى ، والتاء فيها للنقل من الوصـفية الى الاسمية ، وهى فى الاصطلاح [الـكلمة المستعملة فيما] أى فى معنى [وضعت] تلك الكلمة [له فى اصطلاح التخاطب]. أى وضـعت له فى اصطلاح به يقع التخاطب بالـكلام المشتمل على تلك الـكلمة ، فالظرف أعنى فى اصطلاح متعلق بقوله ـ وضعت ـ وتعلقه بالمستعملة على ما توهمه البعض مما لا معنى له (٢) فاحترز بالمستعملة عن الكلمة قبل الاستعمال ، فانها لاتسمى حقيقة ولامجازا ، وبقوله ـ فيما وضعت له ـ عن الغلط نحو ـ خذ هذا الفرس ـ مشيرا الى كتاب ، وعن المجـاز المستعمل فيما لم يوضع له فى اصطلاح التخاطب ولا فى غيره ، كالأسد فى الرجل الشجاع ، لأن الاسـتعارة وإن كانت موضوعة بالتأويل إلا أن المفهوم من إطلاق الوضع إنما هو الوضع بالتحقيق ، واحترز بقوله ـ في اصطلاح التخاطب ـ عن المجـاز المستعمل فيما وضع له فى اصطلاح آخر غير الاصطلاح الذى يقع به التخاطب ، كالصلاة اذا استعملها الْمُخَاطِبُ بعُرْف الشرع فى الدعاء ، فانها تـكون مجازا لاستعماله في غير ما وضع له فى الشرع أعنى الأركان المخصوصة ، وإن كانت مستعملة فيما وضع له فى اللغـة [والوضع] أي وضع اللفظ

(١) أى فيخرجان بالتقييد مع أنهما داخلان فى ذلك ، وإنما قال ـ يتوهم ـ لأن المراد باللغوى ما للغة فيه مدخل ، وهذا فى التحقيق يشمل الشرعى والعرفى .

(٢) المراد مما لا معنى له صحيح ، لأن اسـتعمال الشىء فى الشىء عبارة عن أن يطلق الشىء الأول ويراد الثانى ، فيكون الأول دالا والثاني مدلولا ، وليس اصطلاح التخاطب هنا مدلولا .

تَعْيِينُ اللَّفْظِ للدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنًى بِنَفْسِهِ ، فَخَرَجَ المَجازُ لِأَنَّ دَلَالَتَهُ بِقَرِينَةٍ دُونَ المُشْتَرَكِ ،

[تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه] أى ليدل بنفسه لا بقرينة تنضم اليه ، ومعنى الدلالة بنفسه أن يكون العلم بالتعيين كافيا فى فهم المعنى عند إطلاق اللفظ ، وهذا شامل للحرف أيضا ، لأنا نفهم معانى الحروف عند إطلاقها بعد علمنا بأوضاعها ، إلا أن معانيها (١) ليست تامة فى أنفسها ، بل تحتاج الى الغير بخلاف الاسم والفعل ، نعم لا يكون هذا شاملا لوضع الحرف عند من يجعل معنى قولهم ـ الحرف مادل على معنى فى غيره ـ أنه مشروط (٢) فى دلالته على معناه الافرادى (٣) ذكر مُتَعَلَّقِه [فخرج المجاز] عن أن يكون موضوعا بالنسبة الى معناه المجازي [لأن دلالته] على ذلك المعنى إنما تكون [بقرينة] لابنفسه [دون المشترك] فانه لم يخرج ، لأنه قد عين للدلالة على كل من المعنيين بنفسه ، وعدم فهم أحد المعنيين بالتعيين لعارض الاشتراك لا ينافى ذلك، فالقُرْءُ مثلا عين مرة للدلالة على الطهر بنفسه ومرة أخرى للدلالة على الحيض بنفسه ، فيكون موضوعا ، وفى كثير من النسخ بدل قوله ـ دون المشترك ـ دون الكناية ، وهو سهو ، لأنه إن أريد أن الكناية بالنسبة الى معناها الأصلى موضوعة فكذا المجاز ضرورة أن الأسد فى قولنا ـ رأيت أسدا يرمى ـ موضوع للحيوان المفترس وإن لم يستعمل فيه ، وإن أريد أنها موضوعة بالنسبة الى معنى الكناية أعنى لازم المعنى الأصلى ففساده ظاهر ، لأنه لا يدل عليه بنفسه بل بواسطة القرينة ، لا يقال معنى قوله ـ بنفسه ـ أي من غير قرينة مانعة عن إرادة الموضوع له أو من غير قرينة لفظية ، فعلى هذا يخرج من الوضع المجاز دون الكناية ، لأنا نقول أخذ الموضوع فى تعريف الوضع فاسد للزوم الدور ، وكذا حصر القرينة فى اللفظى ، لأن المجاز

---

(١) أى الجزئية ، فهى عند الشارح كليات وضعا جزئيات استعمالا ، فتدل بنفسها على ما وضعت له ، وذكر المتعلق لفهم الجزئيات المستعملة فيها (٢) فتكون ـ فى ـ الواقعة فى تعريف الحرف سببية لا ظرفية (٣) كدلالة من على الابتداء ، وفى على الظرفية ، بخلاف المعنى التركيبى ، لأنه لا خلاف فيه بين الحرف والاسم والفعل .

وَالقَوْلُ بِدَلَالَةِ اللَّفْظِ لِذَاتِهِ ظَاهِرُهُ فَاسِدٌ ، وَقَدْ تَأَوَّلَهُ السَّكَّاكِيُّ .

قد تكون قرينته معنوية ، لا يقال معنى الكلام أنه خرج عن تعريف الحقيقة المجاز دون الكناية فانها أيضا حقيقة على ما صرح به صاحب المفتاح ، لأنا نقول هذا فاسد على رأى المصنف ، لأن الكناية لم تستعمل عنده فيما وضع له ، بل إنما استعملت فى لازم الموضوع له مع جواز إرادة الملزوم ، وسيجيء لهذا زيادة تحقيق(١) [والقول بدلالة اللفظ لذاته ظاهره فاسد] يعنى ذهب بعضهم (٢) الى أن دلالة الألفاظ على معانيها لا تحتاج إلى الوضع ، بل بين اللفظ والمعنى مناسبة طبيعية تقتضى دلالة كل لفظ على معناه لذاته ، فذهب المصنف وجميع المحققين الى أن هذا القول فاسد ما دام محمولا على مايفهم منه ظاهرا ، لأن دلالة اللفظ على المعنى لو كانت لذاته كدلالته على اللافظ لوجب ألا تختلف اللغات باختلاف الأمم ، وأن يفهم كل أحد معنى كل لفظ لعدم انفكاك المدلول عن الدليل ، ولامتنع أن يجعل اللفظ بواسطة القرينة بحيث يدل على المعنى المجازي دون الحقيقى ، لأن ما بالذات لا يزول بالغير ، ولامتنع نقله من معنى الى معنى آخر بحيث لايفهم منه عند الاطلاق إلا المعنى الثانى [وقد تأوله] أى القول بدلالة اللفظ لذاته [السكاكى] أى صرفه عن ظاهره وقال : إنه تنبيه على ما عليه أئمة علمى الاشتقاق والتصريف من أن للحروف فى أنفسها خَوَاصَّ بها تختلف كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط بينهما وغير ذلك ، وتلك الخواص تقتضى أن يكون العالم بها إذا أخذ فى تعيين شيء مركب منها لمعنى لا يهمل التناسب بينهما قضاء لحق الحكمة ، كالفصم بالفاء الذى هو حرف رِخْوٌ لكسر الشيء من غير أن يَبِينَ ، والقصم بالقاف الذى هو حرف شديد لكسر الشيء حتى يبين ، وأن لهيآت تركيب الحروف أيضا خَوَاصَّ كالْفَعَلَانِ والْفَعَلَى بالتحريك لما فيه حركة ، كالنَّزَوَانِ والْحَيَدَى (٣)

---

(١) وهذا فى باب الكناية (٢) هو عَبَّادُ بن سليمان الصَّيْمَرِىُّ .

(٣) فالنزوان مشتمل على هيئة حركات متوالية فيناسب مافيه حركة ، ولذا وضع

وَالْمَجَازُ مُفْرَدٌ وَمُرَكَّبٌ ، أَمَّا الْمُفْرَدُ فَهُوَ الْكَلِمَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَتْ لَهُ فِي اصْطِلَاحِ التَّخَاطُبِ

وكذا باب فَعُلَ بالضم مثل شرف وكرم للأفعال الطبيعية اللازمة (١) .

[والمجاز] فى الأصل مَفْعَلٌ من ـ جاز المكان يجوزه ـ اذا تعداه ، نقل الى الكلمة الجائزة أى المتعدية مكانها الأصلى ، أو الْمَجُوزِ بها (٢) على معنى أنهم جازوا بها وعَدَّوْهَا مكانها الأصلى ، كذا ذكره الشيخ فى أسرار البلاغة ، وذكر المصنف أن الظاهر أنه من قولهم ـ جعلت كذا مجازاً إلى حاجتى ـ أي طريقا لها ، على أن معنى جاز المكان سلكه ، فان المجاز طريق إلى تصور معناه ، فالمجاز [مفرد ومركب] وهما مختلفان فعرفوا كُلًّا على حِدَة [أما المفرد فهو الكلمة المستعملة] احترز بها عن الكلمة قبل الاستعمال ، فانها ليست بمجاز ولا حقيقة [فى غير ماوضعت له] احترز به عن الحقيقة مرتجلا (٣) كان أو منقولا أو غيرهما ، وقوله [فى اصطلاح التخاطب] متعلق بقوله ـ وضعت ـ قَيَّدَ بذلك ليدخل المجاز المستعمل فيما وضع له فى اصطلاح آخر ، كلفظ الصلاة إذا استعمله الْمُخَاطِبُ بعرف الشرع فى الدعاء مجازا ، فانه وإن كان مستعملا فيما وضع له فى الجملة فليس بمستعمل فيما وضع له فى الاصطلاح الذى

لضِرَاب الذكر ، والحيدى كذلك ، ولذا وضع للحمار الذى له نشاط فى حركاته .

(١) لأن الضم يناسب عدم الانبساط ، فجعل دالا على أفعال الطبيعة اللازمة لذواتها (٢) وهو على هذا مصدر بمعنى اسم المفعول ، أما على الأول فهو مصدر بمعنى اسم الفاعل (٣) نائب فاعله ضمير يعود على الحقيقة ، وقد أتى به مذكرا باعتبار أن الحقيقة لفظ ، والحقيقة المرتجلة كسعاد وأسد ، والمنقولة كالدابة والصلاة ، وغيرهما كالمشتقات ، فانها ليست مرتجلة محضة لتقدم وضع موادها ، ولا منقولة لعدم وضعها بنفسها قبل ماالشتقت له .

عَلَى وَجْه يَصِحُّ مَعَ قَرِينَة عدَم إرادَته ، فَلَابُدَّ مِنَ الْعَلَاقَة لِيَخْرُجَ الْغَلَطُ وَالْكِنَايَةُ ،
وَكُلٌّ مِنْهُمَا لُغَوِيٌّ وَشَرْعِيٌّ وَعُرْفِيٌّ خَاصٌّ أَوْ عَامٌّ ، كَأَسَدٍ لِلسَّبُعِ وَالرَّجُلِ الشُّجَاعِ ،
وَصَلَاةٍ لِلْعِبَادَةِ وَالدُّعَاءِ ، وَفِعْلٍ لِلَّفْظِ

وقع به التخاطب أعنى الشرع ، وليخرج من الحقيقة (١) ما يكون له معنى آخر باصطلاح آخر ، كلفظ الصلاة المستعملة بحسب الشرع فى الاركان المخصوصة ، فانه يصدق عليه أنه كلمة مستعملة فى غير ما وضعت له لكن بحسب اصطلاح آخر وهو اللغة ، لا بحسب اصطلاح التخاطب وهو الشرع [على وجه يصح] متعلق بالمستعملة [مع قرينة عدم إرادته] أى إرادة الموضوع له [فلا بد] للمجاز [من العلاقة] ليتحقق الاستعمال على وجه يصح ، وإنما قيد بقوله - على وجه يصح - واشترط العلاقة [ليخرج الغلط] من تعريف المجاز كقولنا - خذ هذا الفرس - مشيرا الى كتاب ، لأن هذا الاستعمال ليس على وجه يصح [و] إنما قيد بقوله - مع قرينة عدم إرادته - لتخرج [الكناية] لأنها مستعملة فى غير ماوضعت له مع جواز إرادة ماوضعت له .

[وكل منهما] أى من الحقيقة والمجاز [لغوى وشرعى وعرفى خاص] وهو ما يتعين ناقله كالنحوى والصرفى وغير ذلك [أو] عرفى [عام] لا يتعين ناقله ، وهذه النسبة فى الحقيقة بالقياس الى الواضع ، فان كان واضعها واضع اللغة فلغوية ، وإن كان الشارع فشرعية ، وعلى هذا القياس ، وفى المجاز باعتبار الاصطلاح الذى وقع الاستعمال فى غير ماوضعت له فى ذلك الاصطلاح ، فان كان هو اصطلاح اللغة فالمجاز لغوى ، وإن كان اصطلاح الشرع فشرعى ، وإلا فعرفى عام أو خاص [كأسد للسبع] المخصوص [والرجل الشجاع] فانه حقيقة لغوية فى السبع مجاز لغوي فى الرجل الشجاع [وصلاة للعبادة] المخصوصة [والدعاء] فانها حقيقة شرعية فى العبادة مجاز شرعى في الدعاء. [وفعل للفظ] المخصوص أعنى مادل على معنى فى نفسه مُقْتَرِن بأحد الأزمنة الثلاثة

---

(١) أى عن تعريف المجاز ، فهذا القيد للادخال والاخراج .

وَالْحَدَث ، وَدَابَّةٌ لِذِى الْأَرْبَعِ وَالْإِنْسَان .

وَالْمَجَازُ مُرْسَلٌ إِنْ كَانَت الْعَلَاقَةُ غَيْرَ الْمُشَابَهَةِ وَإِلَّا فَاسْتِعَارَةٌ، وَكَثِيرًا مَّا تُطْلَقُ الاسْتِعَارَةُ عَلَى اسْتِعْمَالِ اسْمِ الْمُشَبَّهِ بِهِ فِى الْمُشَبَّهِ ، فَهُمَا مُسْتَعَارٌ مِنْهُ وَمُسْتَعَارٌ لَهُ وَاللَّفْظُ مُسْتَعَارٌ .

وَالْمُرْسَلُ كَالْيَدِ فِى النِّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ ،

[والحدث] فانه حقيقة عرفيـة خاصة أى نحوية فى اللفظ مجاز نحوى فى الحدث [ودابة لذى الأربع والانسان] فانها حقيقة عرفية عامة فى الأول مجاز عرفى عام فى الثانى .

[والمجاز مرسل إن كانت العلاقة] الْمُصَحِّحَةُ [غير المشابهة] بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقى [وإلا فاستعارة] فعلى هذا الاستعارة هى اللفظ المستعمل فيما شُبِّهَ بمعناه الأصلى لعلاقة المشابهة ، كأسد فى قولنا ـ رأيت أسدا يرمى [وكثيرا ما تطلق الاستعارة] على فعل المتكلم أعنى [على استعمال اسم المشبه به فى المشبه] فعلى هذا تكون بمعنى المصدر ويصح منه الاشتقاق [فهما] أى المشبه به والمشبه [مستعار منه ومستعار له واللفظ] أي لفظ المشبه به [مستعار] لأنه بمنزلة اللباس الذى استعير من أحد فَأُلْبِسَ غَيْرُهُ .

المجاز المرسل

[والمرسل] وهو ما كانت العلاقة (١) غير المشابهة [كاليد] الموضوعة للجارحة المخصوصة إذا استعملت [فى النعمة] لكونها بمنزلة العلة الْفَاعِلِيَّةِ للنعمة ، لأن النعمة منها تصدر وتصل الى المقصود بها (٢) [و] كاليد فى [القدرة] لأن أكثر مايظهر

---

(١) أل عوض عن المضاف اليـه أى علاقته (٢) ولكنها لا تستعمل فيها إلا مع الاشارة الى الْمُنْعِمِ ، فتقول ـ لزيد عندي يد ـ ولا تقول ـ اتسعت اليد عندنا .

وَالرَّاوِيَةِ فِى الْمَزَادَةِ ، وَمِنْهُ تَسْمِيَةُ الشَّىْءِ بِاسْمِ جُزْئِهِ كَالْعَيْنِ فِى الرَّبِيئَةِ ، وَعَكْسُهُ كَالْأَصَابِعِ فِى الْأَنَامِلِ ،

سلطان القدرة يكون فى اليد ، وبها تكون الأفعال الدلالة على القدرة من البطش والضرب والقطع والأخذ وغير ذلك [والراوية] التى هى في الأصل اسم للبعير الذى يحمل المزادة اذا استعملت [فى المزادة] أى الْمِزْوَد (١) الذى يجعل فيه الزاد أى الطعام المتخذ للسفر ، والعلاقة كَوْنُ البعير حاملا لها وبمنزلة العلة الْمَادِّيَّة (٢) .

ولما أشار بالمثال الى بعض (٣) أنواع العلاقة أخذ في التصريح بالبعض الآخر من أنواع العلاقات فقال [ومنه] أي من المرسل [تسمية الشىء باسم جزئه] (٤) فى هذه العبارة نوع من التسامح ، والمعنى أن فى هذه التسمية مجازا مرسلا ، وهو اللفظ الموضوع لجزء الشىء عند إطلاقه على نفس ذلك الشىء [كالعين] وهى الجارحة المخصوصة [فى الربيئة] وهي الشخص الرَّقِيبُ ، والعين جزء منه ، ويجب أن يكون الجزء الذى يطلق على الكل مما يكون له من بين الأجزاء مَزِيدُ اختصاص بالمعنى الذى قصد بالكل ، مثلا لا يجوز إطلاق اليد أو الأصبع على الربيئة [وعكسه] (٥) أى ومنه عكس المذكور يعنى تسمية الشىء باسم كله [كالأصابع] المستعملة [فى الأنامل] التى هى أجزاء

---

(١) تفسير المزادة بالمزود خطأ ، لأن المزادة ظرف الماء الذى يستقى به على الدابة ، أما المزود فظرف الطعام ، والرواية إنما تستعمل عرفا في المزادة لا فى المزود .

(٢) معطوف على قوله ـ حاملا لها ـ وإنما كانت كذلك لأنه لا وجود لها بوصف كونها مزادة فى العادة إلا بحمل البعير لها ، فيكون توقفها بهذا الوصف على البعير كتوقف الصورة على المادة ، وقيل إن العلاقة فى ذلك المجاورة (٣) وهو علاقة السببية فى المثالين ، ولا يخفى أن هذه العلاقة داخلة فى قوله الآتى ـ أو باسم سببه ـ لأنه عبارة عن علاقة السببية (٤) والعلاقه فى ذلك الجزئية (٥) والعلاقة فى ذلك الكلية .

وتَسْمِيَتُهُ بِاسْمِ سَبَبِهِ نَحْوُ ـ رَعَيْنَا الغَيْثَ ـ أَوْ مُسَبَّبِهِ ، نَحْوُ ـ أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ نَبَاتاً ـ أَوْ مَا كَانَ عَلَيْهِ ، نَحْوُ ـ وَآتُوا اليَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ـ أَوْ مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ ، نَحْوُ ـ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً ـ أَوْ مَحَلِّهِ ، نَحْوُ ـ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ـ أَوْ حَالِّهِ ، نَحْوُ ـ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ ـ أَيْ فِي الْجَنَّةِ ، أَوْ

من الاصابع فى قوله تعالى (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فى آذانهِمْ) [وتسميته] أى ومنه تسمية الشيء [باسم سببه (١) نحو ـ رعينا الغيث] أى النبات الذي سببه الغيث [أو] تسمية الشيء باسم [مسببه (٢) نحو ـ أمطرت السماء نباتا] أى غيثا يكون النبات مُسَبَّباً عنه ، وأَوْرَدَ فى الايضاح فى أمثلة تسمية السبب باسم المسبب قولهم ـ فُلَانٌ أكل الدَّمَ ـ أى الدية الْمُسَبَّبَةَ عن الدم ، وهو سهو ، بل هو من تسمية المسبب باسم السبب [أو ما كان عليه] أي تسمية الشيء باسم الشيء الذي كان هو عليه فى الزمان الماضى لكنه ليس عليه الآن (٣) [نحو ـ وآتوا اليتامى أموالهم] أى الذين كانوا يتامى قبل ذلك ، إذ لا يُتْمَ بعد البلوغ [أو] تسمية الشيء باسم [مايؤول] ذلك الشيء [إليه] فى الزمان المستقبل (٤) [نحو ـ إنى أرانى أعصر خمرا] أى عصيرا يؤول الى الخمر [أو] تسمية الشيء باسم [محله (٥) نحو ـ فليدع ناديه] أى أهل ناديه الْحَالَّ فيه ، والنادى المجلس [أو] تسمية الشيء باسم [حاله] أى باسم ما يَحُلُّ في ذلك الشيء (٦) [نحو ـ وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله ـ أي في الجنة] التى تحل فيها الرحمة [أو] تسمية

---

(١) والعلاقة فى ذلك السببية (٢) والعلاقة في ذلك المسببية (٣) والعلاقة فى ذلك اعتبار ما كان (٤) والعلاقة فى ذلك اعتبار ما يكون (٥) والعلاقة فى ذلك الْمَحَلِّيَّةُ .

(٦) والعلاقة فى ذلك الْحَالِّيَّةُ .

آلتَه ، نحوُ - واَجْعَلْ لى لسَانَ صدْقٍ فى الآخرِينَ - أىْ ذِكْراً حَسَناً .

الشىء باسم [آلته (١) نحو - واجعل لى لسان صدق فى الآخرين - أي ذكرا حسنا] واللسان اسم لآلة الذكر ، ولما كان فى الأخيرين نوع خفاء (٢) صرح به فى الكتاب (٣) فان قيل قد ذكر فى مقدمة هذا الفن أن مبْنَى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم ، وبعض أنواع العلاقة بل أكثرها (٤) لا يفيد اللزوم ، فكيف ذلك ؟ قلنا ليس معنى اللزوم ههنا امتناع الانفكاك فى الذهن أو الخارج ، بل تلَاَصُقٌ واتّصَالٌ يُنْتَقَلُ بسببه من أحدهما الى الآخر فى الجملة (٥) وفي بعض الأحيان ، وهذا متحقق فى كل أمرين بينهما علاقة وارتباط .

---

(١) والعلاقة فى ذلك الآليَّةُ ، والفرق بين الآلة والسبب أن الآلة هى ما به يفعل الشىء ، أما السبب فما به وجوده (٢) لأن استعمال الرحمة فى الجنة واللسان فى الذكر ليس من المجاز العرفى العام (٣) حيث قال - أي فى الجنة وأى ذكرا حسنا .

(٤) كاليتامى فان حقيقته لا تستلزم مجازه ، وكذلك العصير لا يستلزم الخمر ، والنادى لا يستلزم الأهل ، والرحمة لا تستلزم الجنة ، واللسان لا يستلزم الذكر .

(٥) لا يخفى أن هذا هو معنى ما سبق فى المقدمة من أن المعتبر اللزوم الذهنى ولو لاعتقاد المخاطب بعرف أو غيره ، فلم يكن هناك حاجة إلى إعادته هنا .

تطبيقات على المجاز المرسل :

(١) قوله تعالى - (إنَّكَ إنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عبادَكَ وَلاَ يلدُوا إلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً) .

(٢) تسيل على حَدِّ الظُّبَاتِ نفوسُنَا وليستْ على غير الظبات تسيلُ

(٣) وذى رَحِمٍ قلَّمْتُ أظفارَ ضغْنِه بحلْمِىَ عنه وَهْوَ ليس له حِلْمُ

فالمجاز فى الأول فى قوله - فاجرا كفارا ، أى من يكون مآله ذلك ، والعلاقة فيه اعتبار ما يكون ، والمجاز فى الثانى فى قوله - نفوسنا - أى دماؤنا ، والعلاقة فيه

وَالاسْتِعَارَةُ قَدْ تُقَيَّدُ بِالتَّحْقِيقِيَّةِ لِتَحَقُّقِ مَعْنَاهَا حِسًّا أَوْ عَقْلاً ، كَقَوْلِهِ :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مُقَذَّفِ

الاستعارة

[والاستعارة] وهى مجاز تكون علاقته المشابهة ، أى قُصِدَ أنَّ الاطلاق بسبب المشابهة ، فاذا أطلق الْمِشْفَرُ (١) على شَفَةِ الانسان فان قصد تشبيهها بمشفر الابل في الغلظ والتَّدَلِّي فهو استعارة ، وإن أريد أنه من إطلاق الْمُقَيَّدِ على المطلق كاطلاق الْمَرْسِنِ (٢) على الأنف من غير قصد الى التشبيه فمجاز مرسل (٣) فاللفظ الواحد بالنسبة الى المعنى الواحد قد يكون استعارة وقد يكون مجازا مرسلا ، والاستعارة [قد تقيد بالتحقيقية] لتتميز عن التَّخْيِيلِيَّةِ والْمَكْنِيِّ عنها [لتحقق معناها] أي ما عُنِيَ بها واسْتُعْمِلَتْ هى فيه [حسا أو عقلا] بأن يكون اللفظ قد نقل الى أمر معلوم يمكن أن يُنَصَّ عليه ويشار إليه إشارة حسية أوعقلية ، فالحسى [كقوله : لدى أسد شاكى السلاح]

الكلية ، والمجاز فى الثالث في قوله ـ وذي رحم ـ أى قرابة ، والعلاقة فيه السببية .

أمثلة أخرى :

(١) قُمْ يا ابن مِصْرَ فأنت حُرٌّ واسْتَعِدْ مَجْدَ الجدود ولا تَعُدْ لمِرَاحِ

(٢) وإن حلفتْ لا ينقض النَّأْيُ عهدها فليس لمخضوبِ الْبَنَانِ يمينُ

(٣) كَفَى بالمرءِ عيباً أن تَرَاهُ له وجــهٌ وليس له لسانُ

(١) هو شفة البعير (٢) هو أنف البعير (٣) وعلاقته الاطلاق والتقييد ، ويجوز أن يكون استعارة أيضا إذا قصد تشبيه أنف إنسان به فى الاتساع والتسطيح .

أَىْ رَجُلٍ شُجاعٍ ، وَقَوْلِه تَعَالَى ـ اهْدِنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ـ أَىْ الدِّينَ الحَقَّ ،

أي تَامّ السلاح [مقذف (١) أى رجل شجاع] أى قُذِفَ به كثيرا إلى الوقائع ، وقيل قُذِفَ باللحم ورمى به فصار له جَسَامَةٌ ونَبَالَةٌ ، فالأسد هنا مستعار للرجل الشجاع ، وهو أمر متحقق حسا [وقوله] أي والعقلى كقوله [تعالى ـ اهدنا الصراط المستقيم ـ أى الدين الحق] وهو ملة الاسلام ، وهـذا أمر متحقق عقلا ، قال المصنف رحمـه الله : فالاسـتعارة ماتضمن تشبيه معناه بما وضع له ، والمراد بمعناه ماعُنِىَ باللفظ واسـتعمل اللفظ فيه ، فعلى هذا يخرج من تفسيرالاستعارة نحو ـ زيد أسد ، ورأيت زيدا أسداً ، ومررت بزيد أسد ـ مما يكون اللفظ مستعملا فيما وضع له وإن تَضَمَّنَ تشبيه شىء به ، وذلك لأنه إذا كان معناه عين المعنى الموضوع له لم يصح تشبيه معناه بالمعنى الموضوع له ، لاسـتحالة تشبيه الشىء بنفسه ، على أن مافى قولنا ـ ما تضمن ـ عبـارةٌ عن المجاز بقرينة تقسيم المجاز الىالاستعارة وغيرها ، وأسد فى الامثلة المذكورةليس بمجاز لـكَوْنه مستعملا فيما وضع له ، وفيه بحث لأنا لا نسلم أنه مستعمل فيما وضع له بل فى معنى الشجاع ، فيكون مجازا واستعارة (٢) كما فى ـ رأيت أسدا يرمى ـ بقرينة حمله على زيد ، ولا دليل لهم على أن هذا على حذف أداة التشبيه وأن التقدير زيد كاسد ، واسْتِدْلَالُهُمْ

---

(١) هو من قول زهير بن أبى سُلْمَى فى معلقته :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف له لِبَـــدٌ أظفارُهُ لم تُقَـلَّمِ

واللبد الشعر المجتمع بين كتفى الأسد (٢) وليس فى ذلك جمع بين الطرفين ؛ لأن زيدا ليس هو المشبه بالأسد ، وإنمـا المشبه بالأسد كُلِّيـهُ وهو الشجاع ، وأصل التركيب زيد رجل شجاع كالأسد ، ولا يخفى مافى ذلك من التكلف ، والأظهر أنه تشبيه بليغ لا استعارة .

على ذلك بأنه قد أُوقِعَ الاسد على زيد ومعلوم أن الانسان لا يكون أسدا فوجب المصير الى التشبيه بحذف أداته قَصْداً الى المبالغة فأسدٌ ، لأن المصير الى ذلك إنما يجب إذا كان أسد مستعملا فى معناه الحقيق ، وأما اذا كان مجازا عن الرجل الشجاع فحمله على زيد صحيح ، ويدل على ماذكرناه أن المشبه به فى مثل هذا المقام كثيرا مايتعلق به الجار والمجرور (١) كقوله :

أسدٌ عَلَيَّ وفى الحروب نَعَامَةٌ (٢)

أى مجترئ صائل علي ، وكقوله ـ والطير أغربة عليه (٣) أى باكية ، وقد استوفينا ذلك فى الشرح .

---

(١) قيل إنه يمكن أن يجعل الجار والمجرور فى ذلك متعلقا بالأداة ، لأنها فى معنى الفعل وهو ـ أُشَبِّهُ ـ فلا يتعين به ماذهب إليه الشارح من أنه استعارة .

(٢) هو من قول عِمْرَانَ بن حِطَّانَ من شعراء الخوارج فى عصر بنى أمية :

أسـد علي وفي الحروب نعامة ... فَتْخَاءُ تنفر من صَـفِيرِ الصَّافِرِ

هَلَّا برزتَ إلى غَزَالَةَ فى الْوَغَى ... بل كان قلبك فى جَنَاحَيْ طائر

والنعامة طائر معروف ، وقد تعلق به الجار والمجرور قبله لأنه بمعنى جبان ، فهو مثل قوله ـ أسد علي ـ والفتخاء المسترخية الضعيفة ، والخطاب فى قوله ـ برزت ـ لِلْحَجَّاجِ بن يوسف الثَّقَفِيِّ ، وغزالة امرأة شَبِيبٍ الخارجيِّ .

(٣) هو بعض بيت لأبى العلاء الْمَعَرِّيِّ ، وتمامه :

والطـير أغْرِبَةٌ عليـــه بأسْرِهَا ... فُتْخُ السَّرَاةِ وسا كناتُ لِصَافِ

وفتخ جمع فتخاء من الْفَتَخَ وهو اللين ، والسراة جبال باليمن ، ولصاف جبل لتميم ، وإنما نقل لفظ الأغربة إلى معنى الباكية ، لأن الغراب يشبه به الباكى الحزين ، ومعنى البيت أن كل الطيور في الحزن على ذلك الميت مثل الأغربة الباكية عليه .

وَدَلِيلُ أَنَّهَا مَجَازٌ لُغَوِيٌّ كَوْنُهَا مَوْضُوعَةً لِلْمُشَبَّهِ بِهِ لَا لِلْمُشَبَّهِ وَلَا لِلْأَعَمِّ مِنْهُمَا ، وَقِيلَ إِنَّهَا مَجَازٌ عَقْلِيٌّ بِمَعْنَى أَنَّ التَّصَرُّفَ فِى أَمْرٍ عَقْلِيٍّ لَا لُغَوِيٍّ ، لِأَنَّهَا لَمَّا لَمْ تُطْلَقْ عَلَى الْمُشَبَّهِ إِلَّا بَعْدَ ادِّعَاءِ دُخُولِهِ فِى جِنْسِ الْمُشَبَّهِ بِهِ

واعلم أنهم قد اختلفوا فى أن الاستعارة مجاز لغوى أو عقلى ، فالجمهور على أنها مجاز لغوي بمعنى أنها لفظ استعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة [ودليل أنها] أى الاستعارة [مجاز لغوى كونها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا للأعم منهما] أي من المشبه والمشبه به ، فأسد فى قولنا ـ رأيت أسدا يرمى ـ موضوع للسبع المخصوص لا للرجل الشجاع ولا لمعنى أعم من السبع والرجل كالحيوان المجترىء مثلا ، ليكون إطلاقه عليهما حقيقة كاطلاق الحيوان على الأسد والرجل ، وهذا معلوم بالنقل عن أئمة اللغة قطعا ، فاطلاقه على المشبه وهو الرجل الشجاع إطلاق على غير ما وضع له مع قرينة مانعة عن إرادة ما وضع له ، فيكون مجازا لغويا ، وفى هذا الكلام دلالة على أن لفظ العام إذا أطلق على الخاص لا باعتبار خصوصه (١) بل باعتبار عمومه فهو ليس من المجاز في شيء ، كما إذا لقيت زيدا فقلت ـ لقيت رجلا أو إنسانا أو حيوانا ـ بل هو حقيقة ، إذ لم يستعمل اللفظ إلا فى معناه الموضوع له [وقيل ـ إنها] أى الاستعارة [مجاز عقلى بمعنى (٢) أن التصرف فى أمر عقلى لا لغوى ، لأنها لما لم تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله] أى دخول المشبه [فى جنس المشبه به] بأن

---

(١) فاذا أطلق عليه باعتبار خصوصه كان مجازا ، ولهذا كان العام الذى أريد به الخصوص مجازا عند الأصوليين قطعا ، وهذا مثل قوله تعالى (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ) الآية ـ فالمراد بالناس الأول نُعَيْمُ بن مسعود الأشجعى .

(٢) أشار بهذا إلى أنه ليس المراد بالمجاز العقلى هنا ما سبق فى علم المعانى ، وهو إسناد الفعل لغير من هو له ، لأنه إنما يكون فى الكلام المركب المشتمل على إسناد ، وهذا غير متحقق هنا .

كَانَ اسْتِعْمَالُهَا فِيما وُضِعَتْ لَهُ ، وَلِهٰذَا صَحَّ التَّعَجُّبُ فِى قَوْلِه :

قَامَتْ تُظَلِّلُنِى مِنَ الشَّمْسِ ۞ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِى

قَامَتْ تُظَلِّلُنِى وَمِنْ عَجَبٍ ۞ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِى مِنَ الشَّمْسِ

جُعِلَ الرجل الشجاع فردا من أفراد الأسد [كان استعمالها] أى الاستعارة فى المشبه استعمالا [فيما وضعت له] وإنما قلنا إنها لم تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به لأنها لو لم تكن كذلك لَمَا كانت استعارة ، لأن مُجَرَّدَ نَقْلِ الاسم لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة استعارة ، وَلَمَا كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة ، إذ لا مبالغة فى إطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه ، وَلَمَا صَحَّ أن يقال لمن قال — رأيت أسدا — وأرادا به زيدا إنه جعله أسدا ، كما لا يقال لمن سَمَّى ولده أسدا إنه جعله أسدا ، إذ لا يقال جعله أميرا إلا وقد أثبت فيه صفة الامارة ، وإذا كان نقل اسم المشبه به الى المشبه تبعا لنقل معناه اليه بمعنى أنه أثبت له معنى الأسد الحقيقى ادِّعَاءً ثم أطلق عليه اسم الأسد كان الأسد مستعملا فيما وضع له ، فلا يكون مجازا لغويا بل عقليا ، بمعنى أن العقل جعل الرجل الشجاع من جنس الأسد ، وجَعْلُ ماليس فى الواقع وَاقِعًا مَجَازٌ عقلى [ولهذا] أى ولأن إطلاق اسم المشبه به على المشبه إنما يكون بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به [صح التعجب فى قوله : قامت تظللنى] أى تُوقِعُ الظِّلَّ عَلَيَّ [من الشمس ۞ نفس أعز على من نفسى ۞ قامت تظللنى ومن عجب ۞ شمس] أي غلام كالشمس فى الحسن والبهاء [تظللنى من الشمس (١)] فلولا أنه ادعى لذلك الغلام معنى الشمس الحقيقى وجعله شمسا على الحقيقة لما كان لهذا التعجب معنى،

---

(١) البيتان لابن العميد من كتاب الدولة العباسية .

وَالنَّهْيُ عَنْهُ فى قَوْلِه :

لَا تَعْجَبُوا مِنْ بِلَى غِلَالَتِه   قَدْ زَرَّ أَزْرَارَهُ عَلَى الْقَمَرِ

وَرُدَّ بِأَنَّ الادِّعَاءَ لَا يَقْتَضِى كَوْنَهَا مُسْتَعملَةً فِيمَا وُضِعَتْ لَهُ ،

إذ لا تَعَجُّبَ فى أن يُظَلِّلَ إنسان حسن الوجه إنسانا آخر [والنهى عنه] أى ولهذا صح النهى عن التعجب [فى قوله : لاتعجبوا من بلى غلالته *] هى شِعَارٌ يلبس تحت الثوب وتحت الدِّرْعِ أيضا [قد زر أزراره على القمر (١)] تقول ـ زَرَرْتُ القميص عليه ـ أَزُرُّهُ إذا شَدَدْتَ أزراره عليه (٢) فلولا أنه جعله قمرا حقيقيا لما كان للنهي عن التعجب معنى ، لأن الْكَتَّانَ إنما يسرع اليه الْبِلَى بسبب ملابسة القمر الحقيقى لا بملابسة إنسان كالقمر فى الحسن ، لا يقال القمر فى البيت ليس باستعارة لأن المشبه مذكور وهو الضمير في ـ غلالته وأزراره ـ لأنا نقول لا نسلم أن الذكر على هذا الوجه ينافى الاستعارة المذكورة (٣) كما فى قولنا ـ سيف زيد فى يد أسد ـ فان تعريف الاستعارة صادق على ذلك [ورد] هذا الدليل [بأن الادعاء] أي ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به [لايقتضى كونها] أى الاستعارة [مستعملة فيما وضعت له] للعلم الضروري بأن أسدا فى قولنا ـ رأيت أسدا يرمى ـ مستعمل فى الرجل الشجاع ، والموضوع له هو السبع المخصوص ، وتحقيق ذلك أن ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به مَبْنِيٌّ

---

(١) البيت لمحمد بن طَبَاطَبَا الْعَلَوِيِّ من شعراء الدولة العباسية (٢) يشير بهذا إلى أن تعدية ـ زَرَّ ـ إلى الأزرار فيها تسامح ، لأنه إنما يتعدي إلى القميص ويتضمن الدلالة على الأزرار ، ولا يتعدي إلى الأزرار كما عداه الشاعر (٣) لأن الذى ينافيها إنما هو ذكره على وجه ينبىء عن التشبيه ، بأن يكون المشبه به خبرا عن المشبه أو حالا أو صفة ، نحو ـ زيد أسد ، ومررت بزيد أسدا ، وجاءني رجل أسد .

وَأَمَّا التَّعَجُّبُ وَالنَّهْيُ عَنْهُ فَلِلْبِنَاءِ عَلَى تَنَاسِي التَّشْبِيهِ قَضَاءً لِحَقِّ الْمُبَالَغَةِ ،

وَالاسْتِعَارَةُ تُفَارِقُ الْكَذِبَ بِالْبِنَاءِ عَلَى التَّأْوِيلِ وَنَصْبِ الْقَرِينَةِ عَلَى إِرَادَةِ خِلَافِ الظَّاهِرِ ، وَلَا تَكُونُ عَلَمًا

على أنه جعل أفراد الأسد بطريق التأويل قسمين : أحدهما الْمُتَعَارَفُ وهو الذي له غاية الْجُرْأة ونهاية القوة فى مثل تلك الْجُثَّة المخصوصة ، والثانى غير المتعارف وهو الذى له تلك الجرأة لكن لا فى تلك الجثة المخصوصة والْهَيْكَل المخصوص ، ولفظ الأسد إنما هو موضوع للمتعارف ، فاستعماله فى غير المتعارف استعمال فى غير ما وضع له ، والقرينة مانعة عن إرادة المعنى المتعارف ليتعين المعنى الغير المتعارف ، وبهذا يندفع مايقال إن الاصرار على دعوى الأَسَدِيَّة للرجل الشجاع ينافى نصب القرينة المانعة عن إرادة السبع المخصوص [وأما التعجب والنهى عنه] كما فى البيتين المذكورين [فللبناء على تناسى التشبيه قضاء لحق المبالغة] ودلالةً على أن المشبه بحيث لا يتميز عن المشبه به أصلا ، حتى إن كل ما يترتب على المشبه به من التعجب والنهى عن التعجب يترتب على المشبه أيضا .

[والاستعارة تفارق الكذب] بوجهين [بالبناء على التأويل] في دعوي دخول المشبه فى جنس المشبه به بأن يجعل أفراد المشبه به قسمين : متعارفا وغير متعارف كما مر ، ولا تأويل فى الكذب [ونصب] أى وبنصب [القرينة على إرادة خلاف الظاهر] فى الاستعارة ، لمَا عرفت أنه لا بد للمجاز من قرينة مانعة عن إرادة الموضوع له بخلاف الكذب ، فان قائله لا ينصب قرينة على إرادة خلاف الظاهر ، بل يبذل المجهود فى ترويج ظاهره .

[ولا تكون] أى الاستعارة [علما] لمَا سبق من أنها تقتضى إدخال المشبه فى جنس المشبه به بجعل أفراده قسمين : مُتَعَارَفًا وغير متعارف ، ولا يمكن ذلك فى العلم (١)

---

(١) أي الشخصى ، أما العلم الجنسي فهو كاسم الجنس هنا ، وقد قيل إن الاستعارة

لِمُنَافَاته الْجِنْسِيَّةَ إِلاَّ إِذَا تَضَمَّنَ نَوْعَ وَصْفِيَّةٍ كَحَاتِم .

وَقَرِينَتُهَا إِمَّا أَمْرٌ وَاحِدٌ كَمَا فِى قَوْلِكَ ـ رَأَيْتُ أَسَدًا يَرْمِى ـ أَوْ أَكْثَرُ كَقَوْلِهِ :

فَإِنْ تَعَافُوا الْعَدْلَ وَالْإِيمَانَا فَإِنَّ فِى أَيْمَانِنَا نِيرَانَا

[لمنافاته الجنسية] لأنه يقتضى التَّشَخُّصَ وَمَنْعَ الاشتراك، والجنسية تقتضى العموم وتناول الأفراد [إلا إذا تضمن] العلم [نوع وصفية] بواسطة اشتهاره بوصف من الأوصاف [كحاتم] الْمُتَضَمِّنِ الاتصاف بالجود ، ومَادِرٍ بالبخل ، وسَحْبَانَ بالفصاحة ، وبَاقِلٍ بالفهاهة ، فحينئذ يجوز أن يشبه شخص بحاتم فى الجود ، ويُتَأَوَّلَ فى حاتم فيجعل كأنه موضوع للجواد سواء كان ذلك الرجل المعهود أو غيره كما مَرَّ فى الأسد ، فبهذا التأويل يتناول ـ حاتم ـ الْفَرْدَ الْمُتَعَارَفَ المعهود والفرد الغير المتعارف ، ويكون إطلاقه على المعهود أعنى حاتما الطَّائِيَّ حقيقةً وعلى غيره ممن يتصف بالجود استعارةً ، نحو ـ رأيت اليوم حاتما .

[وقرينتها] يعنى أن الاستعارة لِكَوْنِهَا مجازا لابُدَّ لهـا من قرينة مانعة عن إرادة المعنى الموضوع له ، وقرينتها [إما أمر واحد كما فى قولك ـ رأيت أسدا يرمى ـ أو أكثر] أى أمران أو أمور يكون كل واحد منها قرينة [كقوله : فان تعافوا] أى تكرهوا [العدل والايمانا ، فان فى أيماننا نيرانا (١)] أى سيوفا تلمع كَشُعَلِ النيران ، فَتَعَلُّقُ قوله تعافوا ـ بكل واحد من العدل والايمان قَرِينَةٌ على أن المراد بالنيران السيوف ،

يجوز أن تكون علما شخصيا ولو لم يتضمن ذلك ، لأن المقصود منها المبالغة ، وهى كما تحصل بجعل المشبه من جنس المشبه به تحصل بجعله عينه كما فى علم الشخص .

(١) ذكر شارح الشواهد أن هذا البيت لبعض العرب ولم يعينه .

أَوْ مَعانٍ مُلْتَئِمَةٍ كَقَوْلِه :

وَصَاعِقَــةٍ مِنْ نَصْلِه تَنْكَفِي بِهَا   عَلَى أَرْؤُسِ الأَقْرانِ خَمْسُ سَحائِبِ

وَهِيَ بِاعْتِبارِ الطَّرَفَيْنِ قِسْمانِ : لأَنَّ اجْتِماعَهُمَا فِي شَيْءٍ إِمَّا مُمْكِنٌ نَحْوُ ـ أَحْيَيْنَاهُ فِي قَوْلِه تَعَـالَى ـ

لدلالته على أن جواب هذا الشرط تُحَارَبُونَ وتُلْجَؤُونَ الى الطاعة بالسيوف [أو معان ملتئمة] مَرْبُوطٌ بعضها ببعض يكون الجميع قرينة لا كُلٌّ واحد ، وبهذا ظهر فساد قول من زعم أن قوله ـ أو أكثر ـ شامل لقوله ـ أو معان ـ فلا يصح جعله مقابلا له وقَسِيماً [كقوله : وصاعقة من نصله] أي من نصل سيف الممدوح [تنكفى بها] من ـ انْكَفَأَ أى انقلب ـ والباء للتعدية ، والمعنى رُبَّ نار من حَدِّ سيفه يقلبها [على أروس الأقران خمس سحائب (١)] أى أنامِلُهُ الخمس التى هى فى الجود وعموم العطايا كالسحائب أى يَصَبُّهَا على أكْفَائِه فى الحرب فيهلكهم بها ، ولما استعار السحائب لأنامل الممدوح ذكر أن هناك صاعقة ، وبَيَّنَ أنها من نصل سيفه ، ثم قال ـ على أروس الأقران ـ ثم قال ـ خمس ـ فذكر العدد الذى هو عدد الأنامل ، فظهر من جميع ذلك أنه أراد بالسحائب الأنامل .

أقسامها

[وهى] أى الاستعارة [باعتبار الطرفين] المستعار منه والمستعار له [قسمان : لأن اجتماعهما] أي اجتماع الطرفين [فى شىء إما ممكن نحو ـ أحييناه ـ فى قوله تعالى ـ

---

(١) هذا البيت لِلْبُحْتُرِيِّ وبعده :

يكاد النَّدَى منها يَفِيضُ على الْعِدَى   لَدَى الحرب تَنْيَّ فى قَنًا وقَوَاضِبِ

أَوَمَنْ كَانَ مَيتاً فَأَحْيَيْنَاهُ ـ أَىْ ضَالاًّ فَهَدَيْنَاهُ ، وَلْتُسَمَّ وِفَاقِيَّةً ، وَإِمَّا مُمْتَنِعٌ كَاسْتِعَارَةِ اسْمِ المَعْدُومِ لِلْمَوْجُودِ لِعَدَمِ غَنَائِهِ ، وَلْتُسَمَّ عِنَادِيَّةً ، وَمِنْهَا التَّهَكُّمِيَّةُ وَالتَّمْلِيحِيَّةُ ، وَهُمَا مَا اسْتُعْمِلَ فِى ضِدِّهِ أَوْ نَقِيضِهِ لِمَا مَرَّ ،

ـ أومن كان ميتا فأحييناه ـ أى ضالا فهديناه] استعار الاحياء من معناه الحقيق وهو جَعْلُ الشيء حَيًّا للهداية التى هى الدلالة على طريق يوصل الى المطلوب ، والاحياء والهداية مما يمكن اجتماعهما فى شيء واحد ، وهذا أولى من قول المصنف (١) إن الحياة والهداية مما يمكن اجتماعهما فى شيء واحد ، لأن المستعار منه هو الاحياء لا الحياة ، وإنما قال نحو ـ أحييناه ـ لأن الطرفين فى استعارة الْمَيِّت للضَّالِّ مما لا يمكن اجتماعهما فى شيء ، إذ الميت لا يوصف بالضلال (٢) [ولتسم] الاستعارة التى يمكن اجتماع طرفيها فى شيء [وفاقية] لِمَا بَيْنَ الطرفين من الاتفاق [وإما ممتنع] عَطْفٌ على ـ إما ممكن [كاستعارة اسم المعدوم للموجود لعدم غنائه] هو بالفتح النفع ، أى لانتفاء النفع فى ذلك الموجود كما فى المعدوم ، ولا شك أن اجتماع الوجود والعدم فى شيء ممتنع ، وكذلك استعارة اسم الموجود لمن عُدِمَ وفُقِدَ لٰكِنْ بقيت آثار الجميلة التى تُحْيِي ذكره ، وتديم فى الناس اسمه [ولتسم] الاستعارة التى لا يمكن اجتماع طرفيها فى شيء [عنادية] لتَعَانُد الطرفين وامتناع اجتماعهما [ومنها] أي من العنادية الاستعارة [التهكمية والتمليحية ، وهما ما استعمل فى ضده] أى الاستعارة التى استعملت فى ضد معناها الحقيق [أو نقيضه لما مر] أى لتنزيل التضاد أو التناقض منزلة التناسب بواسطة تمليح أو تهكم (٣) على

---

(١) أى فى كتاب الايضاح (٢) لأن المراد بالضلال الكفر وهو جحد الحق ، والجحد لا يقع من الميت لانتفاء شرطه وهو الحياة (٣) فالاستعارة التهكمية والتمليحية بمعنى واحد ، وإنما يفرق بينهما من جهة الغرض الحامل على استعمال اللفظ فى ضد

نحوُ ـ فبشِّرهُمْ بعذابٍ أليمٍ .

وَباعْتِبارِ الْجَامِعِ قِسْمَانِ : لأنَّهُ إمَّا دَاخِلٌ فى مَفْهُومِ الطَّرَفَيْنِ نَحْوُ ـ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعةً طَارَ إلَيْهَا ـ

ما سبق تحقيقه فى باب التشبيه [نحو ـ فبشرهم بعذاب أليم] أى أنذرهم ، استعيرت البشارة التى هي الاخبار بما يظهر سرورا فى الْمُخْبَرِ به للانذار الذى هو ضده بادخال الانذار فى جنس البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء ، وكقولك ـ رأيت أسدا ـ وأنت تريد جبانا على سبيل التمليح والظرافة ، ولايخفى امتناع اجتماع التبشير والانذار من جهة واحدة وكذا الشجاعة والجبن .

[و] الاستعارة [باعتبار الجامع] أى ماقُصدَ اشتراك الطرفين فيه [قسمان : لأنه] أى الجامع [إما داخل فى مفهوم الطرفين] المستعار له والمستعار منه [نحو] قوله عليه الصلاة والسلام : خير الناس رجل ممسك بعنَان فرسه [كلما سمع هيعة طار اليها] او رجل فى شَعَفَةٍ فى غُنَيْمَةٍ له يعبد الله حتى يأتيه الموت ، قال جارُ الله : الهيعة الصيحة

معناه أو نقيضه ، فان كان الغرض منه الهزؤ والسخرية كانت تهكمية ، وإن كان بسط السامعين بواسطة الاتيان بشيء مستظرف كانت تمليحية .

تطبيقات على أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين :

(١) إذ الملكُ الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... أتينا إليه بالسيوف نُعَاتِبُهْ

(٢) هَبْ من له شيءٌ يريد حجابَهُ ... ما بالُ لا شيءٍ عليه حجابُ

فى الأول استعارة تهكمية فى قوله ـ نعاتبه ـ استعير فيها العتاب للضرب بالسيوف بادخاله فى جنسه هزؤا وسخرية ، وفى الثاني استعارة عنادية فى قوله ـ لا شيء ـ استعير فيها اسم المعدوم للموجود لعدم غنائه .

فَإِنَّ الْجَامِعَ بَيْنَ الْعَدْوِ وَالطَّيَرَانِ هُوَ قَطْعُ الْمَسَافَةِ بِسُرْعَةٍ ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِيهِمَا ،

التي يُفْزَعُ منها ، وأصلها من ـ هَاعَ يَهِيعُ ـ إذا جَبُنَ ، والشعفة رأس الجبل ، والمعنى خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه واستعد للجهاد فى سبيل الله ، أو رجل اعتزل الناس وسكن فى رؤوس بعض الجبال فى غنم له قليل يرعاها ويكتفي بها فى أمر معاشه ويعبد الله حتى يأتيه الموت ، استعار الطَّيَرَانَ للْعَدْو ، والجامع داخل فى مفهومهما [فان الجامع بين العدو والطيران هو قطع المسافة بسرعة وهو داخل فيهما] أى فى مفهوم العدو والطيران ، إلا أنه فى الطيران أقوى منه فى العدو ، والأظهر أن الطيران هو قطع المسافة بالجناح ، والسرعة لازمة له فى الأكثر لا داخلة فى مفهومه ، فالأولى أن يُمَثَّل باستعارة التقطيع الموضوع لازالة الاتصال بين الأجسام الملتزقة بعضها ببعض لتفريق الجماعة وإبعاد بعضها عن بعض فى قوله تعالى (وَقَطَّعْنَاهُمْ فى الأَرْضِ أُمَماً) والجامع إزالة الاجتماع الداخلة فى مفهومهما ، وهى فى القطع أشد ، والفرق (١) بين هذا وبين إطلاق الْمَرْسِنِ على الأنف مع أن فى كل من المرسن والتقطيع خُصُوصَ وَصْف(٢) ليس فى الأنف وتفريق الجماعة هو أن خصوص الوصف الكائن فى التقطيع مَرْعِيٌّ وملحوظ فى استعارته لتفريق الجماعة بخلاف خصوص الوصف فى المرسن ، والحاصل أن التشبيه ههنا منظور بخلافه ثَمَّتَ (٣) فان قلت قد تقرر فى غير هذا الفن أن جزء الْمَاهِيَّة لا يختلف بالشدة والضعف فكيف يكون جامعا والجامع يجب أن يكون فى

---

(١) هذا جواب عما يقال ـ كيف يكون إطلاق التقطيع على تفريق الجماعة استعارة وإطلاق المرسن على الأنف مجازا مرسلا مع اشتراكهما فى ذلك .

(٢) هو فى المرسن كونه أنف ذى رَسَنٍ وفي التقطيع كونه بين الأجسام الملتزقة .

(٣) ولو نظر إلى التشبيه في إطلاق المرسن كان استعارة أيضا .

وَإِمَّا غَيْرُ دَاخِلٍ كَمَا مَرَّ ، وَأَيْضًا إِمَّا عَامِيَّةٌ وَهِيَ الْمُبْتَذَلَةُ لِظُهُورِ الْجَامِعِ فِيهَا نَحْوُ ـ رَأَيْتُ أَسَدًا يَرْمِي ـ أَوْ خَاصِيَّةٌ وَهِيَ الْغَرِيبَةُ ، وَالْغَرَابَةُ قَدْ تَكُونُ فِي نَفْسِ الشَّبَهِ كَقَوْلِهِ :

وَإِذَا احْتَبَى قَرَبُوسَهُ بِعِنَانِهِ ... عَلَكَ الشَّكِيمَ إِلَى انْصِرَافِ الزَّائِرِ

المستعار منه أقوى ، قلت امتناع الاختلاف إنما هو فى الماهية الحقيقية (١) والمفهوم لا يجب أن يكون ماهية حقيقية ، بل قد يكون أمرا مركبا من أمور بعضها قابل للشدة والضعف ، فيصح كَوْنُ الجامع داخلا فى مفهوم الطرفين مع كونه فى أحد المفهومين أَشَدَّ وأقوى ، ألا ترى أن السواد جزء من مفهوم الأسود أعنى المركب من السواد والْمَحَلِّ مع اختلافه بالشدة والضعف [وإما غير داخل] عَطْفٌ على ـ إما داخل [كما مر] من استعارة الأسد للرجل الشجاع والشمس للوجه الْمُتَهَلِّلِ ونحو ذلك ، لظهور أن الشجاعة عارض للأسد لا داخل فى مفهومه ، وكذا التَّهَلُّلُ للشمس .

[وأيضا] الاستعارة تقسيم آخر باعتبار الجامع وهو أنها [إما عامية ، وهى المبتذلة لظهور الجامع فيها ، نحو ـ رأيت أسدا يرمى ـ أو خاصية وهى الغريبة] التى لا يطلع عليها إلا الْخَاصَّةُ الذين أوتوا ذهنا به ارتفعوا عن طبقة الْعَامَّةِ [والغرابة قد تكون فى نفس الشبه] بأن يكون تشبيها فيه نوع غرابة [كما فى قوله] فى وصف الفرس بأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل صاحبه عنه وألقى عِنَانَهُ فى قَرَبُوسِ سَرْجِهِ وقف مكانه الى أن يعود اليه [وإذا احتبى قربوسه] أي مُقَدَّمَ سرجه [بعنانه ٭ علك الشكيم الى انصراف الزائر (٢)] الشكيم والشكيمة هى الحديدة الْمُعْتَرِضَةُ فى فم الفرس ، وأراد بالزائر

---

(١) وهي المركبة من الذاتيات ، ويقابلها الماهية الاعتبارية وهى ما تتركب من أمور غير ذاتيات لها (٢) هو ليزيد بن مَسْلَمَةَ بن عبد الملك من شعراء الدولة الأموية .

وَقَدْ تَحْصُلُ بِتَصَرُّفٍ فِى الْعَامِّيَّةِ كَمَا فِى قَوْلِهِ :

* وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ *

إِذْ أَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَبَاطِحِ دُونَ الْمَطِيِّ وَأَدْخَلَ الْأَعْنَاقَ فِى السَّيْرِ .

نفسه ، شَبَّهَ هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج ممتدا الى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب فى موقعه من رُكْبَتَي الْمُحْتَبِي ممتدا الى جانبي ظهره ، ثم استعار الاحتباء وهو أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب أو غيره لوقوع العنان فى قربوس السرج ، فجاءت الاستعارة غريبة لغرابة الشبه (١) [وقد تحصل] أى الغرابة [بتصرف فى] الاستعارة [العامية ، كما فى قوله] :

أخــذنا بأطراف الأحاديث بيننا [وسالت بأعناق المطي الأباطح (٢)]

جمع أبطح وهو مَسِيلُ الماء فيه دقَاقُ الحصى ، استعار سَيَلَانَ السُّيُول الواقعة فى الأباطح لسير الابل سيرا حثيثا فى غاية السرعة المشتملة على لين وسَلَاسَة ، والشبه فيها ظاهر عَامِّيٌّ لَٰكِنْ قد تُصُرِّفَ فيه بما أفاد اللطف والغرابة [إذ أسند الفعل] أعنى سالت [الى الأباطح دون المطى] وأعناقها ، حتى أفاد أنه امتلأت الأباطح من الابل كما (٣) فى قوله تعالى (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) [وأدخل الأعناق فى السير] لأن

---

(١) وجه الغرابة فيه أن الانتقال إلى الاحتباء عند استحضار إلقاء العنان على القربوس فى غاية الندور ، لأن أحدهما من وادى القعود والآخر من وادى الركوب مع مافى الوجه من دقة التركيب وكثرة الاعتبارات الموجبة لغرابة إدراكه .

(٢) هو لِكُثَيِّرِ عَزَّةَ من شعراء الدولة الأموية (٣) ففيه أيضا إسناد ما للحالّ للمحل لافادة استغراق الحالّ وشيوعه حتى صار كأنه المحل .

وَباعْتبَارِ الثَّلاَثَةِ سِتَّةُ أَقْسام : لأَنَّ الطَّرَفَيْنِ إِنْ كَانَا حِسِّيَّيْنِ فَالْجَامِعُ إِمَّا حِسِّيٌّ نَحْوُ ـ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ ـ فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ وَلَدُ الْبَقَرَةِ وَالْمُسْتَعَارَ لَهُ الْحَيَوَانُ الَّذِى خَلَقَهُ اللّٰهُ

السرعة والبطء فى سير الابل يظهران غالبا فى الأعناق، ويتبين أمرهما فى الْهَوَادى (١) وسائر الأجزاء تستند إليها فى الحركة، وتتبعها فى الثِّقَلِ وَالْخِفَّةِ .

[و] الاستعارة [باعتبار الثلاثة] المستعار منه والمستعار له والجامع [ستة أقسام] لأن المستعار منه والمستعار له إما حسيان أو عقليان أو المستعار منه حسى والمستعار له عقلى أو بالعكس تصير أربعة، والجامع فى الثلاثة الأخيرة عقلى لا غير لمَا سبق فى التشبيه (٢) لكنه في القسم الأول إما حسى أو عقلى أومختلف تصير ستة، وإلى هذا أشار بقوله [لأن الطرفين إن كانا حسيين فالجامع إما حسى، نحو ـ فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار (٣) فان المستعار منه ولد البقرة والمستعار له الحيوان الذى خلقه الله

---

(١) جمع هادية وهى مقدم العنق (٢) أنظر ص ٢١ من هذا الجزء .

تطبيقات على أقسام الاستعارة باعتبار الجامع :

(١) نَثَرْتَهُمْ فوق الأُحَيْدِبِ نَثْرَةً كما نُثِرَتْ فوق الْعَرُوسِ الدراهمُ

(٢) وجعلتُ كُورى فوق ناجيةٍ يقتاتُ شحمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ

(٣) فقلتُ له لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وأَرْدَفَ أعجازًا وناءَ بِكَلْكَلِ

فى الأول استعارة النثر لاسقاط المنهزمين، والجامع داخل فى مفهوم الطرفين، وفى الثاني استعارة الاقتيات لاذهاب الرحل شحم السنام، وهي استعارة غريبة لا يدركها إلا الخاصة، وفى الثالث حصلت الغرابة فى الاستعارة بالجمع بين عدة استعارات، فقد أراد وصف الليل بالطول فاستعار له اسم الصلب ثم الاعجاز ثم الكلكل، وتم له بهذا تصوير الليل بصورة البعير على أبلغ وجه وأدقه (٣) قيل إن هذا ليس من الاستعارة،

تَعَالَى مِنْ حُلِيِّ الْقِبْطِ وَالْجَامِعُ لَهُمَا الشَّكْلُ ، وَالْجَمِيعُ حِسِّيٌّ ، وَإِمَّا عَقْلِيٌّ نَحْوُ - وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ - فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ كَشْطُ الْجِلْدِ عَنْ نَحْوِ الشَّاةِ وَالْمُسْتَعَارَ لَهُ كَشْفُ الضَّوْءِ عَنْ مَكَانِ اللَّيْلِ وَهُمَا حِسِّيَّانِ ، وَالْجَامِعُ مَا يُعْقَلُ مِنْ تَرَتُّبِ أَمْرٍ عَلَى آخَرَ ،

تعالى من حلى القبط] التى سبكتها نار السَّامِرِيِّ عند إلقائه فى تلك الحلى التُّرْبَةَ التى أخذها من مَوْطِيءِ فرس جبريل عليه السلام [والجامع الشكل] فان ذلك الحيوان كان على شكل ولد البقرة [والجميع] من المستعار منه والمستعار له والجامع [حسى] أى مدرك بالبصر [وإما عقلى نحو - وآية لهم الليل نسلخ منه النهار - فان المستعار منه] معنى السلخ وهو [كشط الجلد عن نحو الشاة والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل] وهو موضع إلقاء ظله [وهما حسيان (١) والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر] أى حصوله عَقِيبَ حصوله دائما أو غالبا ، كترتب ظهور اللحم على الكشط وترتب ظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل ، والترتب أمر

لأن قوله - جسدا له خوار - صريح فى أنه لم يكن عجلا ، إذ لا يقال للبقر إنه جسد له صوت البقر ، فالمراد فأخرج لهم مثل عجل كما فى قوله تعالى (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) فالبيان فيهما أخرجهما من الاستعارة إلى التشبيه ، وأجيب بأن البيان هنا أخرجه عن إرادة العجل الحقيقى إلى الادعائى ، فهو قرينة الاستعارة ، بخلاف البيان فى قوله - من الفجر - فانه أخرجه عن إرادة الخيط الحقيقى وإرادة الادعائى وهو الفجر ، إذ لا يبين الشيء نفسه ، فلا بد فيه من تقدير المثل (١) هذا باعتبار الهيئة الحاصلة عندهما ، وإلا فهما معنيان مصدريان ، والمعنى المصدري لا يدرك بالحس .

عقلى ، وبيان ذلك أن الظلمة هى الأصل والنور طَارِ عليها يسترها بضوئه ، فاذا غربت الشمس فقد سُلِخَ النهار من الليل أى كشط وأزيل كما يكشط عن الشَّىْءِ الشَّىْءُ الطارىء عليه الساتر له ، فَجُعِلَ ظهور الظلمة بعد ذهاب ضوء النهار بمنزلة ظهور المسلوخ بعد سلخ إهَابِهِ عنه ، وحينئذ صح قوله تعالي (فَاذَاهُمْ مُظْلِمُونَ) لأن الواقع عَقِيبَ إذهاب الضوء عن مكان الليل هو الاظلام ، وأما على ماذكر فى المفتاح من أن المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل ففيه إشكال ، لأن الواقع بعده إنما هو الابصار دون الاظلام ، وحاول بعضهم التوفيق بين الكلامين بحمل كلام صاحب المفتاح على القلب أى ظهور ظلمة الليل من النهار ، أو بأن المراد من الظهور التمييز ، أو بأن الظهور بمعنى الزوال ، كما فى قول الحماسى :

وذلك عَارٌ يا ابن رَيْطَةَ ظاهر (١)

وفى قول أبى ذؤيب :

وتلك شَكَاةٌ ظاهرٌ عنك عارُهَا (٢)

أى زائل ، وذكر العلامة فى شرح المفتاح أن السلخ قد يكون بمعنى النزع مثل - سلخت الاهاب عن الشاة - وقد يكون ، بمعنى الاخراج نحو - سلخت الشاة عن الاهاب - فذهب صاحب المفتاح الى الثانى (٣) وصح قوله تعالى (**فاذاهم مظلمون**) بالفاء لأن التَّرَاخِيَ وعَدَمَهُ مما يختلف باختلاف الأمور والعادات ، وزمان النهار

---

(١) هو عجز بيت من الحماسة :

أعَيَّرْتَنَا ألبانَهَا ولحومَهَا   وذلك عارٌ يا ابن ريطة ظاهر

(٢) هو عجز بيت لأبى ذؤيب :

وعَيَّرَها الواشون أنِّي أُحِبُّهَا   وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

والشكاة مصدر بمعنى الشكاية (٣) وحينئذ فلا حاجة إلى تأويله بما سبق .

وَإمَّا مُخْتَلِفٌ كَقَوْلِكَ ـ رَأَيْتُ شَمْسًا ـ وَأَنْتَ تُرِيدُ إنْسَانًا كَالشَّمْسِ فِى حُسْنِ الطَّلْعَةِ وَنَبَاهَةِ الشَّأْنِ ، وَإلَّا فَهُمَا إمَّا عَقْلِيَّانِ نَحْوُ ـ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ـ فَانَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ الرُّقَادُ وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ الْمَوْتُ وَالْجَامِعُ عَدَمُ ظُهُورِ الْفِعْلِ ، وَالْجَمِيعُ عَقْلِيٌّ ،

وإن توسط بين إخراج النهار من الليل وبين دخول الظلام لٰكِنْ لعظَم شأن دخول الظلام بعد إضاءة النهار وكَوْنه مما ينبغي ألَّا يحصل إلا فى أضعاف ذلك الزمان من الليل عُدَّ الزمان قريبا ، وجُعِلَ الليل كأنه يفاجئهم عَقِيبَ إخراج النهار من الليل بلا مُهْلَة ، وعلى هـذا حسن إذا المفاجأة ، كما يقال ـ أُخْرِجَ النهار من الليل ففاجأه دخول الليل ـ ولو جعلنا السلخ بمعنى النزع وقلنا ـ نُزِعَ ضوء الشمس عن الهواء ففاجأه الظلام ـ لم يستقم أو لم يحسن (١) كما اذا قلنا ـ كُسِرَت الكوز ففاجأه الانكسار [وإما مختلف] بعضه حسى وبعضه عقلى [كقولك ـ رأيت شمسا ـ وأنت تريد إنسانا كالشمس فى حسن الطلعة] وهو حسى [ونباهة الشأن] وهى عقلية [وإلا] عَطْفٌ على قوله ـ وإن كانا حسيين ـ أي وإن لم يكن الطرفان حسيين [فهما] أى الطرفان [إما عقليان نحو ـ من بعثنا من مرقدنا ـ فان المستعار منه الرقاد] أي النوم على أن يكون المرقد مصدراً وتكون الاستعارة أصلية ، أو على أنه بمعنى المكان إلا أنه اعتبر التشبيه فى المصدر لأن المقصود بالنظر فى اسم المكان وسائر المشتقات إنما هو فى المعنى القائم بالذات لا نفس الذات ، واعتبار التشبيه فى المقصود الاهم أولى ، وستسمع لهذا زيادة تحقيق فى الاستعارة التبعية [والمستعار له الموت والجامع عدم ظهور الفعل والجميع عقلى] وقيل عدم ظهور الأفعال فى المستعار له أعني الموت أقوى ، ومن شرط الجامع

---

(١) لأن الدخول فى الظلام مصاحب لنزع الضوء ، فلا محل فى ذلك للترتيب الذى تفيده المفاجأة ، وعلى هذا يكون الصحيح ما ذهب إليه السكاكى لا ماذهب إليه

وَإِمَّا مُخْتَلِفَانِ وَالْحِسِّيُّ هُوَ الْمُسْتَعَارُ مِنْهُ نَحْوُ - فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ - فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ كَسْرُ الزُّجَاجَةِ وَهُوَ حِسِّيٌّ ، وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ التَّبْلِيغُ وَالْجَامِعُ التَّأْثِيرُ وَهُمَا عَقْلِيَّانِ، وَإِمَّا

أن يكون فى المستعار منه أقوى ، فالحق أن الجامع هو البعث (١) الذى هو فى النوم أظهر وأشهر وأقوى لكَوْنه مما لا شبهة فيه لأحد ، وقرينة الاستعارة هى كَوْنُ هذا الكلام كلام الموتى مع قوله (هٰذَا مَاوَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) [وإما مختلفان] أى أحد الطرفين حسى والآخر عقلى [والحسى هو المستعار منه نحو - فاصدع بما تؤمر - فان المستعار منه كسر الزجاجة وهو حسى (٢) والمستعار له التبليغ والجامع التأثير وهما عقليان] والمعنى أبِن الأمر إبانةً لا تَنْمَحِى كما لايلتئم صَدْعُ الزجاجة [وإما

الخطيب ، لأنه هو الذى جعل السلخ بمعنى النزع ، والحق أن الترتيب على ماذهب إليه الخطيب عقلى ، وهو ظاهر لا غبار عليه (١) المراد به التيقظ لا البعث المعروف .

(٢) أى باعتبار مُتعلَّقه .

تطبيقات على أقسام الاستعارة باعتبار الثلاثة :

(١) قوله تعالى - (وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا) (٢) قوله تعالى - (تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) (٣) قوله تعالى - (وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) .

فى الأول استعير الْمَوَجَانُ للاضطراب الناشىء عن الحيرة ، والجامع بينهما الحركة الشديدة والاهتزاز ، والثلاثة حسية ، وفى الثانى استعير الغيظ للحالة المتوهمة للنار ، والجامع إرادة الانتقام ، والثلاثة عقلية ، وفى الثالث استعير النبذ وهو حسى للأمر المتناسى حاله وهو عقلى ، والجامع عدم العناية فيهما وهو عقلى .

عَكْسُ ذٰلِكَ نَحْوُ - إِنَّا لَمَّا طَغَي الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِى الْجَارِيَةِ - فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ لَهُ كَثْرَةُ الْمَاءِ وَهُوَ حِسِّىٌّ ، وَالْمُسْتَعَارَ مِنْهُ التَّكَبُّرُ وَالْجَامِعَ الاسْتِعْلَاءُ الْمُفْرِطُ وَهُمَا عَقْلِيَّانِ .

وَبِاعْتِبَارِ اللَّفْظِ قِسْمَانِ : لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ اسْمَ جِنْسٍ فَأَصْلِيَّةٌ كَأَسَدٍ وَقَتْلٍ ، وَإِلَّا فَتَبَعِيَّةٌ كَالْفِعْلِ وَمَا اشْتُقَّ مِنْهُ وَالْحَرْفِ ،

عكس ذلك] أي الطرفان مختلفان والحسى هو المستعار له [نحو - إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية - فان المستعار له كثرة الماء وهو حسى ، والمستعار منه التكبر والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان] .

[و] الاستعارة [باعتبار اللفظ] المستعار [قسمان : لأنه] أى اللفظ المستعار [إن كان اسم جنس] حقيقة أو تأويلا كما فى الأعلام المشتهرة بنوع وَصْفِيَّةٍ (١) [فأصلية] أي فالاستعارة أصلية [كأسد] إذا استعير للرجل الشجاع [وقتل] إذا استعير للضرب الشديد ، الأول اسم عين ، والثانى اسم معنى [وإلا فتبعية] أي وإن لم يكن اللفظ المستعار اسم جنس فالاستعارة تبعية [كالفعل وما اشتق منه] مثل اسم الفاعل والمفعول والصفة الْمُشَبَّهَةِ وغير ذلك [والحرف] وإنما كانت تبعية لأن الاستعارة تعتمد التشبيه ، والتشبيه يقتضى كَوْنَ الْمُشَبَّهِ موصوفا بوجه الشبه أو بكونه مشاركا للمشبه به فى وجه الشبه ، وإنما يصلح لِلْمَوْصُوفِيَّةِ الحقائق أى الأمور المتقررة الثابتة ، كقولك - جسم أبيض ، وبياض صَافٍ - دون معانى الأفعال والصفات المشتقة منها لِكَوْنِهَا متجددة غير متقررة بواسطة دخول الزمان في مفهوم الأفعال

---

(١) كحاتم وَمَادِرٍ ونحوهما ، والمراد باسم الجنس هنا ما يشمل علم الجنس كأسامة ونحوه .

فَالتَّشْبِيهُ فى الْأَوَّلَيْنِ لِمَعْنَى الْمَصْدَرِ ، وَفِى الثَّالِثِ لِمُتَعَلَّقِ مَعْنَاهُ

وعروضه للصفات (١) ودون الحروف وهو ظاهر (٢) كذا ذكروه وفيه بحث ، لأن هذا الدليل بعد استقامته لا يتناول اسم الزمان والمكان والآلة لأنها تصلح للموصوفية (٣) وهم أيضا (٤) صرحوا بأن المراد بالمشتقات هو الصفات دون اسم الزمان والمكان والآلة ، فيجب أن تكون الاستعارة فى اسم الزمان ونحوه أصلية ، بأن يقدر التشبيه فى نفسه لافى مصدره ، وليس كذلك للقطع بأنا إذا قلنا ـ هذا مَقْتَلُ فلان ـ للموضع الذى ضُرِبَ فيه ضربا شديدا ، أو ـ مُرْقَدُ فلان ـ لقبره ، فان المعنى على تشبيه الضرب بالقتل والموت بالرقاد ، وأن الاستعارة فى المصدر لافى نفس المكان ، بل التحقيق أن الاستعارة فى الأفعال وجميع المشتقات التى يكون القصد بها الى المعانى القائمة بالذوات تبعية ، لأن المصدر الدال على المعنى القائم بالذات هو المقصود الْأَهَمُّ الجدير بأن يُعْتَبَرَ فيه التشبيه ، وإلا لذكرت الألفاظ الدالة على نفس الذوات دون مايقوم بها من الصفات [فالتشبيه فى الأولين] أي الفعل وماشتق منه [لمعنى المصدر ، وفى الثالث] أى الحرف [لمتعلق معناه] أى لمـا تَعَلَّقَ به معنى الحرف ، قال صاحب المفتاح : المراد بمتعلقات معانى الحروف مايعبر بها عنها عند تفسير معانيها ، مثل قولنا ـ مِنْ معناها ابتداء الغاية ، وفى معناها الظرفية ، وكَىْ معناها الغرض ـ فهذه ليست معانى الحروف وإلا لَمَا كانت حروفا بل أسماء ، لأن الاسمية والحرفية إنمـا هي باعتبار

(١) بخلاف المصدر لعدم اشتماله على النسبة المستلزمة للزمان .

(٢) لأن معانيها آلات لملاحظة غيرها ، فيكون غيرها هو المقصود بالافادة ، وهذا يمنع من وصفها ومن الحكم عليها (٣) نحو ـ مقام واسع وزمان صعب ومفتاح معتدل (٤) هذا اعتراض بقصور دعواهم بعد الاعتراض بقصور دليلهم ، لأن الاستعارة فى الثلاثة تبعية كسائر المشتقات باتفاق ، وكان الأولى قصر الاعتراض على قصور الدعوى ، لأنه لا يكون هناك قصور فى الدليل بعد قصورها .

كَالْمَجْرُورِ فِى ـ زَيْدٌ فِى نِعْمَةٍ ـ فَيُقَدَّرُ فِى ـ نَطَقَتِ الْحَالُ ، وَالْحَالُ نَاطِقَةٌ بِكَذَا ـ لِلدَّلَالَةِ بِالنُّطْقِ ، وَفِى لَامِ التَّعْلِيلِ نَحْوُ ـ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ـ لِلْعَدَاوَةِ وَالْحُزْنِ بَعْدَ الِالْتِقَاطِ بِعِلَّتِهِ الْغَائِيَّةِ ،

المعنى ، وإنما هي متعلقات لمعانيها أى إذا أفادت هذه الحروف معانى رُدَّتْ تلك المعاني الى هذه بنوع استلزام (١) فقول المصنف فى تمثيل متعلق معنى الحرف [كالمجرور فى ـ زيد فى نعمة] ليس بصحيح ، وإذا كان التشبيه لمعنى المصدر ولمتعلق معنى الحرف [فيقدر] التشبيه [فى ـ نطقت الحال ، والحال ناطقة بكذا ـ للدلالة بالنطق] أي يجعل دلالة الحـال مشبها ، ونُطْقُ الناطق مشبها به ، ووجه الشبه إيضاح المعنى وإيصاله الى الذهن ، ثم يستعار للدلالة لفظ النطق ، ثم يشتق من النطق المستعار الفعل والصفة ، فتكون الاستعارة فى المصدر أصلية وفى الفعل والصفة تبعية ، وإن أطلق النطق على الدلالة لا باعتبار التشبيه بل باعتبار أن الدلالة لازمة له يكون مجازا مرسلا ، وقد عرفت (٢) أنه لا امتناع فى أن يكون اللفظ الواحد بالنسبة الى المعنى الواحد استعارة ومجازا مرسلا باعتبار العلاقتين [و] يقـدر التشبيه [فى لام التعليل نحو ـ فالتقطه] أى موسى [آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ـ للعداوة] أى يقدر تشبيه العداوة [والحزن] الحاصلين [بعد الالتقاط بعلته] أى علة الالتقاط [الغائية] كالمحبة والتَّبَنِّي في الترتب على الالتقاط والحصول بعده ، ثم اسْتُعْمِلَ فى العداوة والحزن ما كان حَقُّهُ أن يستعمل فى العلة الغائيـة ، فتكون الاستعارة فيها تَبَعاً للاستعارة فى المجرور ، وهـذا الطريق مأخوذ من كلام صاحب الكشّاف ومَبْنِيٌّ على أن مُتَعَلَّقَ معنى اللام هو المجرور على

---

(١) وهو استلزام الخاص للعام ، لأن معانيها على هـذا جزئية من الابتـداء المخصوص ونحوه ، أما تلك المعانى الكلية فهى متعلقات لها .

(٢) اي مما ذكر سابقا فى المشفر ص ٦٧ من هذا الجزء .

وَمَدَارُ قَرِينَتِهَا فِى الْأَوَّلَيْنِ

ما سبق ، لكنه غير مستقيم على مذهب المصنف فى الاستعارة المصرحة (١) لأن المتروك يجب أن يكون هو المشبه سواء كانت الاستعارة أصلية أو تبعية ، وعلى هذا الطريق المشبه أعنى العداوة والحزن مذكور لا متروك (٢) بل تحقيق الاستعارة التبعية ههنا أنه شُبِّهَ تَرَتُّبُ العداوة والحزن على الالتقاط بترتب علته الغائية (٣) عليه ثم استعمل فى المشبه (٤) اللام الموضوعة للمشبه به أعنى ترتب علة الالتقاط الغائية عليه ، فجرت الاستعارة أوّلاً فى الْعِلِّيَّةِ وَالْغَرَضِيَّةِ ، وتَبَعِيَّتَهَا فى اللام كما مر فى نطقت الحال فصار حكم اللام حكم الأسد حيث استعيرت لمَا يشبه العلية ، وصار متعلق معنى اللام هو العلية والغرضية لا المجرور على ما ذكره المصنف سهوا ، وفى هذا المقام زيادة تحقيق أوردناها فى الشرح .

[ومدار قرينتها] أى قرينة الاستعارة التبعية [فى الأولين] أي في الفعل وما اشتق

(١) وكذلك مذهب الجمهور أيضا ، لأنه لا خلاف بينهم فى معناها .

(٢) قد أجيب عن ذلك بأن مراد المصنف أن فى المجرور تشبيها يصح أن تترتب عليه الاستعارة فى الحرف ، فتكون الاستعارة التبعية المصرحة عنده فى الحرف أيضا ، أما الاستعارة فى المجرور فاستعارة بالكناية (٣) أي علته المطلقة بجامع مطلق الترتب فى كل ، وفى الكلام حذف والأصل - ثم استعير ترتب العلة الغائية على الالتقاط لترتب العداوة والحزن عليه فسري التشبيه الى الجزئيات ثم استعمل فى المشبه الخ وإنما قدر هذا لأن تبعية الاستعارة فى الحرف لا تتحقق بدونه .

(٤) أي جزئى المشبه وهو ترتب العداوة والحزن المتعلقين بموسى ، وكذلك يقدر فى المشبه به ، وعلى هذا تكون الاستعارة فى الحرف تابعة لاستعارة قبلها ، وقال بعضهم إنها تابعة للتشبيه ، بأن يشبه فى الكليات ثم يسرى التشبيه الى الجزئيات ، فتستعير الحرف الموضوع لجزئى من المشبه به لجزئى من المشبه ، وعلى هذا تكون المذاهب فى إجراء هذه الاستعارة ثلاثة .

عَلَى الْفَاعِلِ نَحْوُ ـ نَطقَتِ الحَالُ ـ أَوِ الْمَفْعُولِ نَحْوُ :

* قَتَلَ البُخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاحَا *

وَنَحْوُ :

* نَقْرِيهِمُ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقُدُّ بِهَا *

منه [على الفاعل نحو ـ نطقت الحال] بكذا ، فان النطق الحقيقى لايسند الى الحال [أو المفعول نحو] :

جُمِعَ الحق لنا فى إمامٍ * [قتل البخل وأحيا السماحا(١)]

فان القتل والاحياء الحقيقيين لا يتعلقان بالبخل والجود [ونحو :

نقريهم لهذميات نقد بها] * ما كان خاط عليهم كُلُّ زَرَّادِ(٢) ،

---

(١) هو لابن المعتز من قصيدة له فى مدح أبيه .

(٢) هو للقُطَامِىِّ من قصيدة له فى مدح زُفَرَ بن الحارث مطلعها :

ما اعتاد حُبُّ سُلَيْمَى غَيْرُ معتادِ ولا تَقَضَّى بوافى دَيْنِهَا الصَّادى

تطبيقات على الاستعارة الأصلية والتبعية :

(١) فامطرتْ لُؤْلُؤًا من نرجس وسَقَتْ وَرْدًا وعَضَّتْ على الْعُنَّابِ بالْبَرَدِ

(٢) قوله تعالى ـ (قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ) :

(٣) دَقَّاتُ قلب المرء قائلةٌ له إن الحياةَ دقائقٌ وثَوَانِ

فى الأول استعارات خمس فى اللؤلؤ للدموع ، والنرجس للعيون ، والورد للخدود ، والعناب للأنامل ، والبرد للأسنان ، وهى من الاستعارة الأصلية ، وفي الثاني استعيرت ـ فى ـ من الظرفية الحقيقية للظرفية المعنوية ، وهى استعارة تبعية ، وفى

أَوِ الْمَجْرُورِ . نَحْوُ ـ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ .

وَبِاعْتِبَارٍ آخَرَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ : مُطْلَقَةٌ وَهِيَ مَا لَمْ تَقْتَرِنْ بِصِفَةٍ وَلَا تَفْرِيعٍ ، وَالْمُرَادُ الْمَعْنَوِيَّةُ لَا النَّعْتُ النَّحْوِيُّ ، وَمُجَرَّدَةٌ وَهِيَ مَا قُرِنَ بِمَا يُلَائِمُ الْمُسْتَعَارَ لَهُ

اللَّهْذَمُ من الأَسِنَّةِ القاطع فأراد بلهذميات طعنات منسوبة الى الأسنة القاطعة ، أو أراد نفس الأسنة ، والنسبة للمبالغة كأحمريّ ، والقَدُّ القطع ، وزَرَدَ الدِّرْعَ وسَرَدَهَا نَسَجَهَا ، فالمفعول الثانى أعنى لهذميات قرينة على أن نقريهم استعارة [أو المجرور نحو ـ فبشرهم بعذاب أليم] فان ذكر العذاب قرينة على أن ـ بَشِّرْ ـ استعارة تبعية تَهَكُّمِيَّةٌ ، وإنما قال ـ ومدار قرينتها على كذا ـ لأن القرينة لا تنحصر فيما ذكر ، بل قد تكون حَالِيَّةً كقولك ـ قتلت زيدا ـ اذا ضربته ضربا شديدا .

[و] الاستعارة [باعتبار آخر] غير اعتبار الطرفين والجامع واللفظ [ثلاثة أقسام] لأنها إما ألَّا تقترن بشيء يلائم المستعار له والمستعار منه ، أو تقترن بما يلائم المستعار له ، أو تقترن بما يلائم المستعار منه (١) الأول [مطلقة ، وهى مالم تقترن بصفة ولا تفريع] أى تفريع كلام مما يلائم المستعار له والمستعار منه (٢) نحو ـ عندى أسد [والمراد] بالصفة [المعنوية] التى هى معنى قائم بالغير [لا النعت] النحوي الذى هو أحد التوابع [و] الثانى [مجردة ، وهى ما قرن بما يلائم المستعار له

الثالث شبه القول بالدلالة واشتق منه قائلة بمعنى دالة ، وهى استعارة تبعية .

(١) ولا بد أن يكون ذلك فيهما بعد ذكر القرينة ، لأنها مما يلائم المستعار له فى المصرحة والمستعار منه فى المكنية (٢) الفرق بين الصفة والتفريع أن الملائم إن كان من تتمة الكلام الذي فيه الاستعارة فهو الصفة ، كما فى قوله ـ فتبسم ضاحكا ـ وإن كان كلاما مستقلا بنى على الاستعارة فهو التفريع ، نحو ـ فما ربحت تجارتهم .

كَقَوْله :

* غَمْرُ الرِّدَاء إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكاً *

وَمُرَشَّحَةٌ وَهِيَ ما قُرِنَ بِمَا يُلاَئِمُ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ نَحوُ ـ أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ ـ وَقَدْ يَجْتَمِعَانِ كَقَوْله :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلاَحِ مُقَذَّفٍ لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ

كقوله : غمر الرداء] أى كثير العطاء ، استعار الرداء للعطاء لأنه يصون عِرْض صاحبه كما يصون الرداء ما يُلْقَى عليه ، ثم وصفه بالغمر الذى يناسب العطاء دون الرداء تجريدا للاستعارة ، والقرينة سياق الكلام أعنى قوله [اذا تبسم ضاحكا] أى شارعا فى الضحك آخذا فيه ، وتمامه :

غَلقَتْ لضَحْكَته رقابُ المال (١)

أى اذا تبسم غلقت رقاب أمواله فى أيدي السائلين ، يقال غلق الرهن فى يد المرتهن اذا لم يقدر على انفكاكه [و] الثالث [مرشحة ، وهى ماقرن بما يلائم المستعار منه نحو ـ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم] استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار ، ثم فرع عليها ما يلائم الاشتراء من الربح والتجارة [وقد يجتمعان] أي التجريد والترشيح [كقوله : لدى أسد شاكى السلاح] هذا تجريد ، لأنه وصف يلائم المستعار له أعنى الرجل الشجاع [مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم (٢)] هذا ترشيح ، لأن هذا الوصف مما يلائم المستعار منه أعنى الأسد الحقيقى ، واللبد جمع لبدة وهى ما تَلَبَّدَ من شعر الأسد على منكبيه ، والتقليم مبالغة القَلْمِ وهو القطع .

---

(١) هو لِكُثَيِّر عَزَّةَ (٢) البيت لزهير بن أبى سُلْمَى ، والمقذف الذى يرمى به فى الحروب أو الذى قذف باللحم ورمى به ، وهو على الأول تجريد ، وعلى الثانى ليس

وَالتَّرْشِيحُ أَبْلَغُ لاشتماله عَلَى تَحْقِيقِ الْمُبَالَغَةِ ، وَمَبْنَاهُ عَلَى تَنَاسِي التَّشْبِيهِ حَتَّى إِنَّهُ يُبْنَى عَلَى عُلُوِّ الْقَدْرِ مَا يُبْنَى عَلَى عُلُوِّ الْمَكَانِ كَقَوْلِهِ :

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الْجَهُولُ   بِأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ

وَنَحْوُهُ مَا مَرَّ مِنَ التَّعَجُّبِ

[والترشيح أبلغ] من الاطلاق والتجريد ومن جَمْعِ التجريد والترشيح (١) [لاشتماله على تحقيق المبالغة] فى التشبيه ، لأن في الاستعارة مبالغة فى التشبيه ، فترشيحها بما يلائم المستعار منه تحقيق لذلك وتقوية له [ومبناه] أى مبنى الترشيح [على تناسى التشبيه] وادّعاء أن المستعار له نفس المستعار منه لا شيْء شبيه به [حتى إنه يبنى على علو القدر] الذي يستعار له علو المكان [ما يبنى على علو المكان ، كقوله :

ويصعد حتى يظن الجهول   بأن له حاجة فى السماء (٢)]

استعار الصعود لعلو القدر والارتقاء فى مدارج الكمال ، ثم بَنَى عليه ما يُبْنَى على علو المكان والارتقاء الى السماء من ظَنِّ الجهول أن له حاجة فى السماء ، وفى لفظ الجهول زيادة مبالغة فى المدح ، لمَا فيه من الاشارة الى أن هذا إنما يظنه الجهول ، وأما العاقل فيعرف أنه لا حاجة له فى السماء لاتصافه بسائر الكمالات ، وهذا المعنى مما خفى على بعضهم فتوهم أن فى البيت تقصيرا فى وصف علوه حيث أثبت هذا الظن للكامل الجهل بمعرفة الأشياء [ونحوه] أى مثل البناء على علو القدر ما يبنى على علو المكان لتناسى التشبيه [مامر من التعجب] فى قوله :

قامتْ تُظَلِّلُنِي ومن عَجَبٍ   شَمْسٌ تظللنى من الشَّمْسِ

بترشيح ولا تجريد ، لأنه يلائم المستعار له والمستعار منه (١) ويلى الاطلاق فى ذلك الترشيح ، فهو أبلغ أيضا من التجريد ، والجمع بينهما فى مرتبته مالم يغلب أحدهما الآخر

(٢) هو لأبى تمام من قصيدة له فى رثاء خالد بن يزيد الشيبانى .

وَالنَّهيِ عَنْهُ ، وَإذَا جازَ الْبِناءُ عَلَى الْفَرْعِ مَعَ الاعْتِرَافِ بِالأَصْلِ كَمَا فى قَوْلِه :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فى السَّماءِ فَعَزِّ الفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيــلاَ

فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إلَيْهَا الصُّعُودَا وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إلَيْكَ النُّزُولاَ

[والنهى عنه] أى عن التعجب فى قوله :

لا تعجبوا من بِلَى غلالَتِـه قد زرَّ أزرارَهُ على القَمَر

إذ لولم يقصد تناسى التشبيه وإنكاره لما كان للتعجب والنهى عنه جهة على ماسبق(١) ثم أشار الى زيادة تقرير لهذا الكلام فقال [واذا جاز البناء على الفرع] أى المشبه به [مع الاعتراف بالأصل] أى المشبه ، وذلك لأن الأصل فى التشبيه وإن كان هو المشبه به من جهة أنه أقوى وأعرف إلا أن المشبه هو الأصل من جهة أن الغرض يعود اليه ، وأنه المقصود فى الكلام بالنفى والاثبات [كما فى قوله : هى الشمس مسكنها فى السماء * فعز] أمر من ـ عَزَّاهُ ـ حمله على العزاء وهو الصبر [الفؤاد عزاء جميلا * فلن تستطيع] أنت [اليها] أى الى الشمس [الصعودا * ولن تستطيع] الشمس [اليك النزولا (٢)] والعامل فى ـ اليها واليك ـ هو المصدر بعدهما إن جوزنا تقديم الظرف

---

(١) أنظر ص ٧١ من هذا الجزء .

(٢) البيتان للعباس بن الأحنف من شعراء الدولة العباسية .

تطبيقات على الاستعارة المطلقة والمرشحة والمجردة :

(١) رَمَتْني بسهم ريشهُ الكُحْلُ لم يَضرْ ظَوَاهِرَ جلد وهوَ للقلب جارحُ

(٢) إنَّ التباعُـــدَ لا يَضُرُّ إذ تقاربَت القـــلوبْ

(٣) فَتًى كلما فاضتْ عيونُ قبيلةٍ دَمًا ضحكتْ عنهُ الأحاديثُ والذِّكْرُ

فى الأول استعارة السهم للنظر بجامع التأثير فيهما ، وذكر الريش الملائم للسهم

فَمَعَ جَحْدِهِ أَوْلَى .

وَأَمَّا الْمُرَكَّبُ فَهُوَ اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِيمَا شُبِّهَ بِمَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ تَشْبِيهَ التَّمْثِيلِ لِلْمُبَالَغَةِ ، كَمَا يُقَالُ لِلْمُتَرَدِّدِ فِي أَمْرٍ - إِنِّي أَرَاكَ تُقَدِّمُ رِجْلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى -

---

على المصدر ، وإلا فمحذوف يفسره الظاهر ، فقوله - هى الشمس - تشبيه لا استعارة ، وفى التشبيه اعتراف بالمشبه ، ومع ذلك فقد بُنِيَ الكلام على المشبه به أعنى الشمس وهو واضح ، فقوله - واذا جاز البناء - شرط جوابه قوله [فمع جحده] أي جحد الأصل كما فى الاستعارة البناءُ على الفرع [أولى] بالجواز ، لأنه قد طُوِيَ فيه ذِكْرُ المشبه أصلا ، وجعل الكلام خِلْوًا عنه ، ونقل الحديث الى المشبه به ، وقد وقع فى بعض أشعار العجم النهي عن التعجب مع التصريح بأداة التشبيه ، وحاصله لا تعجبوا من قِصَرِ ذوائبه فانها كالليل ووجهه كالربيع والليل فى الربيع مائل الى القصر ، وفى هذا المعنى من الغرابة والملاحة بحيث لا يخفى .

المجاز المركب

[وأما] المجاز [المركب فهو اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى] أى بالمعنى الذى يدل عليه ذلك اللفظ بالمطابقة [تشبيه التمثيل] وهو ما يكون وجهه مُنْتَزَعًا من مُتَعَدِّدٍ ، واحترز بهذا عن الاستعارة فى المفرد [للمبالغة] فى التشبيه (١) [كما يقال للمتردد فى أمر - إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخري] شبه صورة تَرَدُّدِهِ فى ذلك

ترشيح ، وفى الثانى استعارة التقارب للتَّوَادِّ بجامع الألفة ، وهى استعارة مطلقة ، وفى الثالث استعارة الفيضان لنزول الدموع بجامع الكثرة فيهما ، وذكر الدم تجريد لأنه يناسب العيون (١) هذا القيد لبيان الواقع ، وقد أشار به الى اتحاد الغاية فى الاستعارة

وَهٰذَا يُسَمَّي التَّمْثِيلَ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِعَارَةِ ، وَقَدْ يُسَمَّي التَّمْثِيلَ مُطْلَقاً ، وَمَتَى فَشَا اسْتِعْمَالُهُ كَذٰلِكَ سُمِّيَ مَثَلاً ، وَلِهٰذَا لَا تُغَيَّرُ الأَمْثَالُ .

الأمر بصورة تردد من قام ليذهب فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا وتارة لا يريد فيؤخر أخري ، فاستعمل فى الصورة الأولى الكلام الدال بالمطابقة على الصورة الثانية ، ووجه الشبه وهو الاقدام تارة والاحجام أخرى منتزع من عدة أمور كما ترى

[وهذا] المجاز المركب [يسمى التمثيل] لكون وجهه منتزعا من متعدد [على سبيل الاستعارة] لأنه قد ذكر فيه المشبه به وأريد المشبه كما هو شأن الاستعارة [وقد يسمي التمثيل مطلقا] من غير تقييد بقولنا ـ على سبيل الاستعارة ـ ويمتاز عن التشبيه بأن يقال له ـ تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثيلي ، وفى تخصيص المجاز المركب بالاستعارة نظر ، لأنه كما أن المفردات موضوعة بحسب الشخص فالمركبات موضوعة بحسب النوع ، فاذا استعمل المركب فى غير ما وضع له فلا بد من أن يكون ذلك بعلاقة ، فان كانت هى الْمُشَابَهَةَ فاستعارة ، وإلا فغير استعارة ، وهو كثير فى الكلام كالجمل الخبرية التى لم تستعمل فى الاخبار (١) [ومتى فشا استعماله] أى المجاز المركب [كذلك] أي على سبيل الاستعارة (٢) [يسمي مثلا ، ولهذا] أي ولكون المثل تمثيلا فشا استعماله على سبيل الاستعارة [لا تغير الأمثال] لأن الاستعارة يجب أن تكون لفظ المشبه به المفردة والمركبة

---

(١) وذلك نحو قول الشاعر :

هَوَايَ مع الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ   جَنِيبٌ وجثمانى بمكة مُوثَقُ

فان هذا المركب موضوع للاخبار بمفارقة محبوبه له مع بقائه موثقا بمكة ، ولكنه لم يستعمل فى ذلك بل استعمل فى إنشاء التحسر والتحزن اللازم للاخبار بذلك ، فهو مجاز مرسل مركب علاقته اللزوم (٢) الحق أن المراد بقوله ـ كذلك ـ بقاؤه على هيئته في حال مَوْرِدِه بحيث لا يتغير فى حال مَضْرِبه لا فى تذكير ولا تأنيث وغيرهما .

المستعمل فى المشبه ، فلو غُيِّرَ المثل لما كان لفظ المشبه به بعينه ، فلا يكون استعارة ، فلا يكون مثلا ، ولهذا لا يلتفت فى الأمثال الى مَضَارِبِهَا تذكيرا وتأنيثا وإفراداً وتثنية وجمعا ، بل إنما ينظر الى مَوَارِدِهَا كما يقال للرجل — الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ — بكسر تاء الخطاب ، لأنه فى الأصل لامرأة (١) .

---

(١) وكانت تزوجت شيخا كبيرا فكرهته فطلقها فى زمن الصيف ، ثم تزوجت شابا فقيرا فأصابها جدب فأرسلت تطلب لبنا من زوجها الأول فقال لها ذلك ، ثم ضرب فى كل قضية تضمنت طلب شىء بعد تضييعه ، وشبه فى ذلك حال المضرب بحال المورد على سبيل الاستعارة التمثيلية .

تطبيقات على المجاز المركب :

(١) قوله تعالى — (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ والْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً) .

(٢) مَحَا الْبَيْنُ ما أَبْقَتْ عيونُ الْمَهَا مِنِّى ... فَشِبْتُ ولم أَقْضِ اللُّبَانَةَ من سِنِّى

(٣) ما كُلُّ ما يَتَمَنَّى المرءُ يُدرِكُهُ ... تَأْتِى الرِّيَاحُ بِمَا لاَ تَشْتَهِى السُّفُنُ

فى الأول استعارة تمثيلية شبه فيها حال التكاليف فى ثقل حملها وصعوبة الوفاء بها بحال عرضها على تلك الأشياء وعجزها عن حملها بجامع عدم تحقق الحمل فيهما ، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه استعارة تمثيلية ، وفى الثانى مجاز مرسل مركب استعمل فيه الخبر فى إنشاء التحسر والتحزن ، وفى الثالث مثل شبه فيه حال من أمل شيئا فلم يحصل عليه بحال السفينة يرجى لها ريح رخاء فيأتيها عاصف بجامع تحقق مالا يرغب فيه ، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه استعارة تمثيلية .

فَصلٌ

قَدْ يُضمَرُ التَّشْبِيهُ فى النَّفْسِ فَلَا يُصَرَّحُ بِشَىْءٍ من أَرْكَانه سوَى المُشبَّهِ ويَدُلُّ عَلَيهِ بأَنْ يُثبَتَ لِلْمشبَّهِ أمرٌ مُختصٌّ بالمُشبَّهِ بِهِ ، فيسمَّى التَّشْبِيهُ اسْتعارةً بالكِنايَةِ أَوْ مكْنياً عَنْهَا ،

[فصل] فى بيان الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية

ولما كانتا عند المصنف (١) أمرين معنويين غير داخلين فى تعريف المجاز أورد لهما فصلا على حدة ليستوفى المعانى التى يطلق عليها لفظ الاستعارة فقال [قد يضمر التشبيه فى النفس فلا يصرح بشىء من أركانه سوى المشبه] وأما وجوب ذكر المشبه به فانما هو فى التشبيه المصطلح عليه ، وقد عرفت أنه غير الاستعارة بالكناية [ويدل عليه] أى على ذلك التشبيه المضمر فى النفس [بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به] من غير أن يكون هناك أمر مُتحقِّق حسًّا أو عقلا يطلق عليه اسم ذلك الأمر [فيسمى التشبيه] المضمر فى النفس [استعارة بالكناية أو مكنيا عنها] أما الكناية فلأنه لم

(١) والمذاهب فى الاستعارة بالكناية ثلاثة : أحدها مذهب السلف أنها اسم المشبه به المستعار فى النفس للمشبه ، وأن إثبات لازمه للمشبه استعارة تخييلية ، وثانيها مذهب السكاكى أنها لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به ادعاء بقرينة استعارة ماهو من لوازم المشبه به لصورة متوهمة شبهت به أثبتت للمشبه ، وثالثها مذهب المصنف أنها التشبيه المضمر فى النفس المدلول عليه باثبات لازم المشبه به للمشبه ، وهو الاستعارة التخييلية ، ومن هذا يعلم أن فى التخييلية مذهبين مذهب السلف والمصنف أنها إثبات لازم المشبه به للمشبه ، ومذهب السكاكى أنها اسم لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التى أثبتت

وَإِثْبَاتُ ذٰلِكَ الأَمْرِ لِلْمُشَبَّهِ اسْتِعَارَةً تَخْيِيلِيَّةً ، كما فى قَوْلِ الْهُذَلِيِّ :

* وإذا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا *

شَبَّهَ الْمَنِيَّةَ بِالسَّبُعِ فى اغتيال النُّفُوس بالْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ من غَيْرِ تَفْرِقَةٍ بين نَفَّاعٍ وَضَرَّارٍ ، فَأَثْبَتَ لَهَا الأَظْفارَ التَّى لاَ يَكْمُلُ ذٰلِكَ فيه بدُونها ، وكَمَا فى قَوْلِ الآخَرِ :

يصرح به ، بل إنما دل عليه بذكر خَوَاصِّه ولوازمه ، وأما الاستعارة فَمُجَرَّدُ تسمية خالية عن المناسبة (١) [و] يسمى [إثبات ذلك الأمر] المختص بالمشبه به [للمشبه استعارة تخييلية] لأنه قد استعير للمشبه ذلك الأمر الذى يخص المشبه به وبه يكون كمال المشبه به أو قِوَامُهُ فى وجه الشبه ، ليُخَيَّلَ أن المشبه من جنس المشبه به [كما فى قول الهذلى (٢) وإذا المنية أنشبت] أي عَلَّقَتْ [أظفارها]

* أَلْفَيْتَ كل تَمِيمَةٍ لا تنفَعُ *

التميمة الْخَرَزَةُ التى تجعل مَعَاذَةً أي تعويذا ، أي اذا عَلَّقَ الموتُ مِخْلَبَهُ فى شيء ليذهب به بطلت عنده الْحِيَلُ [شبه] الهذلى فى نفسه [المنية بالسبع فى اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار] ولا رِقَّة لمرحوم ، ولا بُقْيَا على ذي فضيلة [فأثبت لها] أي للمنية [الأظفار التى لا يكمل ذلك] الاغتيال [فيه] أى فى السبع [بدونها] تحقيقا للمبالغة فى التشبيه ، فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية ، وإثبات الأظفار لها استعارة تخييلية [وكما فى قول الآخر :

---

(١) الحق أن المناسبة موجودة لما فيه من ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به للمشبه حتى استحق خَوَاصَّهُ ، وذلك الادعاء شأن الاستعارة (٢) هو أبو ذُؤَيْبٍ خُوَيْلِدُ بن خالد من الشعراء المخضرمين .

وَلَئِنْ نَطَقْتُ بِشُكْرِ بِرِّكَ مُفْصِحًا فَلِسَانُ حَالِى بِالشِّكَايَةِ أَنْطَقُ

شَبَّهَ الْحَالَ بِإِنْسَانٍ مُتَكَلِّمٍ فِى الدِّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ ، فَأَثْبَتَ لَهَا اللِّسَانَ الَّذِى بِهِ قِوَامُهَا فِيهِ ،

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا فلسان حالى بالشكاية أنطق (١)

شبه الحال بانسان متكلم فى الدلالة على المقصود] وهو استعارة بالكناية [فأثبت لها] أى للحال [اللسان الذى به قوامها] أى قوام الدلالة [فيه] أى فى الانسان المتكلم ، وهذا الاثبات استعارة تخييلية ، فعلى هذا كُلٌّ من لفظى الأظفار والمنية حقيقة مستعملة فى معناها الموضوع له ، وليس في الكلام مجاز لغوي (٢) والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية فعلان من أفعال المتكلم متلازمان ، إذ التخييلية يجب أن تكون قرينة للمكنية أَلْبَتَّةَ ، والمكنية يجب أن تكون قرينتها تخييلية ألبتة (٣) فمثل قولنا ـ أظفار المنية الشبيهة بالسبع أهلكت فلانا ـ يكون ترشيحا للتشبيه ، كما أن أطولكن فى قوله عليه السلام « أسرعكنَّ لُحُوقًا بى أطولكنَّ يدا » أى نعمة ترشيح للمجاز (٤) .

---

(١) ذكر شارح الشواهد أنه لم يعرف قائله ، وقبله هذا البيت :

لاتحسبنَّ بَشَاشَتِى لك عن رِضًا فَوَحَقِّ جُودِكَ إننى أَتَمَلَّقُ

ومراده أن لسان حاله أنطق بالشكاية منه ، لأن ضَرَّهُ أكثره من بِرِّهِ .

(٢) وإنما ذلك مجاز عقلى نحو ـ أنبت الربيع البقل ـ لأنه ليس فيه إلا إثبات شيء لشيء ليس هو له (٣) قد خالف الزمخشرى فى هذا ، وجوز أن تكون قرينة المكنية استعارة تصريحية تحقيقية كما فى قوله تعالى (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ) .

(٤) فالترشيح على هذا لا تختص بالاستعارة التصريحية ، بل يأتى فى التشبيه والمجاز المرسل ، أما التخييل فختص بالاستعارة المكنية .

وكذا قولُ زهير :

صحا القلبُ عن سلمى وأقصر باطلُهْ وعرّى أفراسُ الصِّبا ورواحلُهْ

أراد أن يبين

هذا - ولكن تفسير الاستعارة بالكناية بما ذكره المصنف شيء لا مُستَنَد له في كلام السلف ، ولاهو مَبْنِيٌّ على مناسبة لغوية ، ومعناها المأخوذ من كلام السلف هو ألّا يُصرَّح (١) بذكر المستعار بل بذكر رَديفه ولازمه الدالّ عليه ، فالمقصود بقولنا - أظفار المنية - استعارة السبع للمنية كاستعارة الأسد للرجل الشجاع ، إلا أنا لم نصرح بذكر المستعار أعني السبع ، بل اقتصرنا على ذكر لازمه وهو الأظفار لِيُنتَقَلَ منه الى المقصود كما هو شأن الكناية ، فالمستعار هو لفظ السبع الغيرُ المُصرَّح به ، والمستعار منه هو الحيوان المُفتَرِس ، والمستعار له هو المَنِيَّةُ ، قال صاحب الكَشَّاف : إن من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من رَوَادفه ، فينبهوا بذلك الرمز على مكانه نحو - شجاع يفترس أقرانه - ففيه تنبيه على أن الشجاع أسد ، هذا كلامه وهو صريح في أن المستعار هو اسم المشبه به المتروك صريحا المرموز اليه بذكر لوازمه ، وسيجيء الكلام على ما ذكره السكاكي [وكذا قول زهير : صحا] أي سلا مجازا (٢) من الصَّحْو خلاف السُّكْر [القلب عن سلمى وأقصر باطله] يقال - أقصر عن الشيء - اذا أقلع عنه أي تركه وامتنع عنه ، أي امتنع باطله عنه وتركه بحاله [وعرى أفراس الصبا ورواحله - أراد] زهير [أن يبين

---

(١) الكلام على حذف مضاف تقديره هو ذو الايصرح أى اسم المشبه به المستعار في النفس الموصوف بعدم التصريح به على ما سبق في بيان مذهب السلف .

(٢) أي بالاستعارة ، شبه فيه السلو بالصحو الخ .

أَنَّهُ تَرَكَ مَا كَانَ يَرْتَكِبُهُ زَمَنَ الْمَحَبَّةِ مِنَ الْجَهْلِ وَأَعْرَضَ عَنْ مُعَاوَدَتِهِ فَبَطَلَتْ آلَاتُهُ ، فَشَبَّهَ الصِّبَا بِجِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ الْمَسِيرِ كَالْحَجِّ وَالتِّجَارَةِ قَضَى مِنْهَا الْوَطَرَ فَأُهْمِلَتْ آلَاتُهَا فَأَثْبَتَ لَهَا الْأَفْرَاسَ وَالرَّوَاحِلَ ، فَالصِّبَا مِنَ الصَّبْوَةِ بِمَعْنَى الْمَيْلِ إِلَى الْجَهْلِ وَالْفُتُوَّةِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِالْأَفْرَاسِ وَالرَّوَاحِلِ دَوَاعِيَ النُّفُوسِ وَشَهَوَاتِهَا وَالْقُوَى الْحَاصِلَةَ لَهَا فِي اسْتِيفَاءِ اللَّذَّاتِ أَوِ الْأَسْبَابَ الَّتِي قَلَّمَا تَتَأَخَذُ فِي اتِّبَاعِ الْغَيِّ إِلَّا أَوَانَ الصِّبَا ،

أنه ترك ما كان يرتكبه زمن المحبة من الجهل وأعرض عن معاودته فبطلت آلاته] الضمير في معاودته وآلاته لما كان يرتكبه [فشبه] زهير في نفسه [الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة قضى منها] أى من تلك الجهة [الوطر فأهملت آلاتها] ووجه الشبه الاشتغال التَّامّ وركوب المسالك الصعبة فيه غير مُبَال بمهلكة ولا محترز عن معركة ، وهذا التشبيه المضمر فى النفس استعارة بالكناية [فأثبت له] أى للصبا بعض ما يخص تلك الجهة أعنى [الأفراس والرواحل] التى بها قِوَامُ جهة المسير والسفر ، فاثبات الأفراس والرواحل استعارة تخييلية [فالصبا] على هذا التقدير (١) [من الصبوة بمعني الميل الى الجهل والفتوة] يقال ـ صَبَا يَصْبُو صَبْوَةً وَصُبُوًّا ـ أى مال الى الجهل والفتوة ، كذا في الصَّحَاحِ ، لامن الصِّبَاء بالفتح والمد ، يقال ـ صَبِيَ صَبَاءً مثل سمع سماعا ـ أى لعب مع الصبيان [ويحتمل أنه] أي زهيرا [أراد] بالأفراس والرواحل [دواعي النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها فى استيفاء اللذات ، أو] أراد بها [الأسباب التى قلما تتآخذ في اتباع الغى إلا أوان الصبا] وعُنْفُوَان الشباب ، مثل

---

(١) وكذلك على التقدير الآتى وإنما لم يكن من الصباء على هذا التقدير لأنه لايناسبه قوله ـ صحا القلب عن سلمى ـ ولا على التقدير الآتى ، لأنه لاتناسبه الأفراس والرواحل

فَتَكُونُ الاسْتِعَارَةُ تَحْقِيقِيَّةً .

المال والمُنَال والاخوان والأعوان [فتكون الاستعارة] أي استعارة الأفراس والرواحل [تحقيقية] لتَحَقُّقِ معناها عقلا اذا أريد بهما الدواعى ، وحسًّا إذا أريد بهما أسباب اتباعِ الغى من المال والمنال (١) مَثَّلَ المصنف بثلاثة أمثلة : الأول ما تكون

ولا استعارتها (١) وعلى هذا لا يكون فى البيت استعارة مكنية ولا تخييلية ، وإنما يكون فيه استعارة تحقيقية تصريحية ، وقد سبق أن الزمخشرى يجوز أن تكون قرينة المكنية استعارة تحقيقية ، فيكون فى البيت عليه استعارة مكنية وتصريحية .

تطبيقات عامة على الاستعارة :

(١) بكتْ لُؤْلُؤًا رَطْبًا ففاضتْ مدامعي عَقيقًا فصار الكُلُّ فى نحرها عقْدَا

(٢) لَسْنَا وإنْ أحسابُنَا كَرُمَتْ يومًا على الأحساب نَتَّكِلُ

(٣) إذا ما الدهر جَرَّ على أناسٍ كَلَاكِلَهُ أَنَاخَ بآخَرِينَا

(٤) أَحَشَفًا وسُوءَ كِيلَة .

شبه فى الأول الدمع باللؤلؤ بجامع البياض والاتساق ، واستعير اللؤلؤ للدمع استعارة تصريحية أصلية ، وكذلك تشبيه الدمع بالعقيق فى الاحمرار ، وقرينة الأولى ـ بكت ـ والثانية ـ فاضت ـ وشبه فى الثانى مطلق ارتباط بين مُتَلَبِّسٍ ومتلبس به بمطلق ارتباط بين مُسْتَعْلٍ ومُسْتَعْلًى عليه بجامع التمكن والاستقرار فى كل ، ثم استعيرت ـ على ـ من جزئي من جزئيات الأول لجزئي من جزئيات الثانى استعارة تصريحية تبعية ، وشبه فى الثالث الدهر بجمل يبرك فيصيب الأرض بكلكله بجامع التأثير فيهما ، ثم استعير الجمل للدهر وحذف ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو كلاكله استعارة مكنية أصلية ، وإثبات الكلاكل للدهر استعارة تخييلية ، وذكر الاناخة ترشيح ،

فَصْلٌ

عَرَّفَ السَّكَّاكِيُّ الْحَقِيقَةَ اللُّغَوِيَّةَ بِالْكَلِمَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِيمَا وُضِعَتْ هِيَ لَهُ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ فِى الْوَضْعِ ، وَاحْتَرَزَ بِالْقَيْدِ الْأَخِيرِ

التخييلية إثباتَ مابه كمال المشبه به ، والثانى ماتكون إثباتَ مابه قِوَامُ المشبه به ، والثالث ما تحتمل التخييلية والتحقيقية .

[فصل]

فى مباحث من الحقيقة والمجاز والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وقعت فى المفتاح مخالفة لما ذكره المصنف والكلام عليها .

[عرف السكاكى الحقيقة اللغوية] أى غير العقلية [بالكلمة المستعملة فيما وضعت هى له من غير تأويل فى الوضع ، واحترز بالقيد الأخير] وهو قوله - من غير تأويل

وشبه فى الرابع هيئة من يظلم من جهتين بهيئة رجل اشترى من آخر رديئا وطفف له فى المكيال بجامع الظلم من جهتين ، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه استعارة تمثيلية .

أمثلة أخرى :

(١) إذاامتحن الدنيالَبِيبٌ تكشَّفَتْ ... له عن عَدُوٍّ فى ثياب صديق

(٢) إن أمطرتْ عيناىَ سُحْبًا فَمَنْ ... بِوَارق فى مَفْرِق لُمَّعُ

(٣) لقد حَانَ توديع العميد وإنّهُ ... حَقِيقٌ بتشييع المحبِّين والعِدَا

فَلِمْ لاترى الاهرامَ يانيلُ مُيَّدًا ... وفرعونُ عن واديك مرتَحِلٌ غدا

عَنْ الاُسْتِعَارَةِ عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ ، فَأَنَّهَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا وُضِعَتْ لَهُ بِتَأْوِيلٍ ، وَعَرَّفَ الْمَجَازَ اللُّغَوِيَّ بِالْكَلِمَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِى غَيْرِ مَا وُضِعَتْ لَهُ بِالتَّحْقِيقِ فِى اصْطِلَاحٍ بِهِ التَّخَاطُبُ مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ عَنْ إِرَادَتِهِ ، وَأَتَى بِقَيْدِ التَّحْقِيقِ لِتَدْخُلَ الاُسْتِعَارَةُ عَلَى مَا مَرَّ ،

فى الوضع [عن الاستعارة على أصح القولين] وهو القول بأن الاستعارة مجاز لغوى ، لكَوْنِهَا مستعملة فى غير الموضوع له الحقيقى فيجب الاحتراز عنها ، وأما على القول بأنها مجاز عقلى واللفظ مستعمل فى معناه اللغوى فلا يصح الاحتراز عنها [فانها] أى إنما وقع الاحتراز بهذا القيد عن الاستعارة لأنها [مستعملة فيما وضعت له بتأويل] وهو ادِّعَاءُ دخول المشبه فى جنس المشبه به بجَعْلِ أفراده قسمين : مُتَعَارَفًا وغير مُتَعَارَف [وعرف] السكاكى [المجاز اللغوي بالكلمة المستعملة] فى غير ما هى موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها فى ذلك النوع ، وقوله - بالنسبة - متعلق بالغير ، واللام فى الغير للعهد أى المستعملة فى معنى غير المعنى الذى الكلمةُ موضوعةٌ له فى اللغة أو الشرع أو العرف غَيْرًا بالنسبة الى نوع حقيقة تلك الكلمة ، حتى لو كان نوع حقيقتها لغويا تكون الكلمة قد استعملت في غير معناها اللغوى فتكون مجازا لغويا ، وعلى هذا القياس ، ولما كان قوله - استعمالا فى الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها - بمنزلة قولنا - فى اصطلاح به التخاطب - مع كَوْن هـــذا أَوْضَحَ وأَدَلَّ على المقصود أقامه المصنف مَقَامَهُ آخذًا بالحاصل من كلام السكاكى فقال [فى غير ما وضعت له بالتحقيق في اصطلاح به التخاطب مع قرينة مانعة عن إرادته] أى إرادة معناها فى ذلك الاصطلاح [وأتى] السكاكى [بقيد التحقيق] حيث قال - موضوعة له بالتحقيق [لتدخل] فى تعريف المجاز [الاستعارة] التى هى مجاز لغوى [على ما مر] من أنها مستعملة فيما وضعت له بالتأويل

وَرُدَّ بِأَنَّ الْوَضْعَ إِذَا أُطْلِقَ لاَ يَتَنَاوَلُ الْوَضْعَ بِتَأْوِيلٍ ،

لا بالتحقيق ، فلو لم يقيد الوضع بالتحقيق لم تدخل هي فى التعريف ، لأنها ليست مستعملة فى غير ماوضعت له بالتأويل ، وظاهر عبارة صاحب المفتاح ههنا فاسد لأنه قال - وقولى بالتحقيق احتراز عن ألاَّ تَخْرُجَ الاستعارة ، وظاهر أن الاحتراز إنما هو عن خروج الاستعارة لا عن عدم خروجها ، فيجب أن تكون - لا زائدة ، أو يكون المعنى احترازا لئلا تخرج الاستعارة (١) [ورد] ما ذكره السكاكى [بأن الوضع] وما يشتق منه كالموضوعة مثلا [إذا أطلق لا يتناول الوضع بتأويل] لأن السكاكى نفسه قد فسر الوضع بتعيين اللفظ بازاء المعنى بنفسه ، وقال : وقولى بنفسه احتراز عن المجاز المعين بازاء معناه بقرينة - ولا شك أن دلالة الأسد على الرجل الشجاع إنما هو بالقرينة ، فحينئذ لا حاجة الى تقييد الوضع فى تعريف الحقيقة بعدم التأويل وفى تعريف المجاز بالتحقيق ، اللهم إلا أن يقصد زيادة الايضاح لا تتميم الحد (٢) ويمكن الجواب بأن السكاكى لم يقصد أن مطلق الوضع بالمعنى الذى ذكره يتناول الوضع بالتأويل ، بل مراده أنه قد عَرَضَ للفظ الوضع اشتراك بين المعنى المذكور وبين الوضع بالتأويل كما فى الاستعارة ، فقيده بالتحقيق ليكون قرينة على أن المراد بالوضع معناه المذكور لا المعنى الذى يستعمل فيه أحيانا وهو الوضع بالتأويل ، وبهذا يخرج الجواب عن سؤال آخر وهو أن يقال لو سلم تناول الوضع للوضع بالتأويل فلاتخرج الاستعارة (٣) أيضا ، لأنه يصدق عليها أنها مستعملة فى غير ماوضعت له فى الجملة أعنى الوضع بالتحقيق ، إذ غاية (٤) مافى الباب ان الوضع يتناول الوضع بالتحقيق والتأويل ،

---

(١) فتكون - عن - فى كلامه للتعليل وصلة الاحتراز محذوفة ، والمعنى احترازا عن خروج الاستعارة لأجل تحقق عدم خروجها ، ولا يخفى مافى ذلك من التكلف

(٢) رد بأن هذا لا يصح فى كلام السكاكى ، لأنه جعله للاحتراز لا لزيادة الايضاح

(٣) أى من تعريف المجاز على تقدير عدم زيادة القيد الأخير .

(٤) هذا تعليل لِلْمُعَلَّلِ مع علته .

وَبِأَنَّ التَّقْيِيدَ بِاصْطِلَاحِ بِهِ التَّخَاطُبُ لَابُدَّ مِنْهُ فِى تَعْرِيفِ الْحَقِيقَةِ .

لَكِنْ لا جِهَةَ لتخصيصه بالوضع بالتأويل فقط حتى تخرج الاستعارة أَلْبَتَّةَ [و] رُدَّ أيضا ما ذكره [بأن التقييد باصطلاح به التخاطب] أو مايؤدي معناه كما لابد منه فى تعريف المجاز ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعمله الشارع فى الدعاء مجازا كذلك [لابد منه فى تعريف الحقيقة] أيضا ليخرج عنه نحو هذا اللفظ ، لأنه مستعمل فيما وضع له فى الجملة وإن لم يكن ماوضع له فى هذا الاصطلاح ، ويمكن الجواب بأن قيد الْحَيْثِيَّةِ مرادِ فى تعريف الأمور التى تختلف باختلاف الاعتبارات والاضافات ، ولا يخفى أن الحقيقة والمجاز كذلك ، لأن الكلمة الواحدة بالنسبة الى المعنى الواحد قد تكون حقيقة وقد تكون مجازا بحسب وضعين مختلفين ، فالمراد أن الحقيقة هى الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من حيث إنها موضوعة له ، لا سيَّمَا أن تعليق الحكم بالوصف (١) مفيد لهذا المعنى ، كما يقال ـ الجواد لايخيب سائله ـ أى من حيث إنه جواد ، وحينئذ يخرج عن التعريف مثل لفظ الصلاة المستعملة فى عرف الشرع في الدعاء ، لأن استعماله فى الدعاء ليس من حيث إنه موضوع للدعاء بل من حيث إن الدعاء جزء من الموضوع له ، وقد يجاب بأن قَيْدَ اصْطِلَاحِ به التخاطب مراد فى تعريف الحقيقة ، لكنَّهُ اكْتَفَى بذكره فى تعريف المجاز لِكَوْنِ البحث عن الحقيقة غير مقصود بالذات فى هذا الفن ، وبأن اللام فى الوضع للعهد أي الوضع الذى وقع به التخاطب ، فلا حاجة الى هذا القيد ، وفى كليهما نظر (٢) واعترض أيضا على تعريف المجاز بأنه يتناول

---

(١) المراد بالحكم الاستعمال المأخوذ من قوله ـ المستعملة ـ ومن الوصف الوضع المأخوذ من قوله ـ وُضِعَتْ له (٢) وجه النظر فى الأول أن التعريفات يجب أن تكون مستقلة ، فلا يصح فيها مثل ذلك الاكتفاء ، ووجهه فى الثانى أن أل فى الوضع إذا كانت للعهد فالمعهود هو الوضع المطلق المفهوم من قوله ـ فيما وضعت له ـ لا الوضع الذي روعى

وَقَسَّمَ الْمَجَازَ إِلَى الاِسْتِعَارَةِ وَغَيْرِهَا ، وَعَرَّفَ الاِسْتِعَارَةَ بِأَنْ تَذْكُرَ أَحَدَ طَرَفَي التَّشْبِيهِ وَتُرِيدَ بِهِ الآخَرَ مُدَّعِياً دُخُولَ الْمُشَبَّهِ فِي جِنْسِ الْمُشَبَّهِ بِهِ ، وَقَسَّمَهَا إِلَى الْمُصَرَّحِ بِهَا وَالْمَكْنِيِّ عَنْهَا ، وَعَنَى بِالْمُصَرَّحِ بِهَا أَنْ يَكُونَ الْمَذْكُورُ هُوَ الْمُشَبَّهَ بِهِ ، وَجَعَلَ مِنْهَا تَحْقِيقِيَّةً وَتَخْيِيلِيَّةً ،

الْغَلَطَ ، لأن الفرس فى ـ خذ هذا الفرس ـ مشيرا إلى كتاب بين يديه مستعمل فى غير ما وضع له ، والاشارة إلى الكتاب قرينة على أنه لم يرد بالفرس معناه الحقيقى .

[وقسم] السكاكى [المجاز اللغوى] الرَّاجعَ إلى معنى الكلمة الْمُتَضَمِّنَ للفائدة (١) [إلى الاستعارة وغيرها] بأنه إن تضمن المبالغة فى التشبيه فاستعارة وإلا فغير استعارة [وعرف] السكاكي [الاستعارة بأن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به] أى بالطرف المذكور [الآخر] أي الطرف المتروك [مدعيا دخول المشبه فى جنس المشبه به] كما تقول ـ فى الحمام أسد ـ وأنت تريد به الرجل الشجاع مدعيا أنه من جنس الأسد فتثبت له ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه ، وكما تقول ـ أنشبت المنية أظفارها ـ وأنت تريد بالمنية السبع بادعاء السَّبُعِيَّةِ لها ، فتثبت لها ما يخص السبع المشبه به وهو الأظفار ، ويسمى المشبه به سواء كان هو المذكور أو المتروك مستعارا منه ، ويسمى اسم المشبه به مستعارا ، ويسمى المشبه مستعارا له [وقسمها] أى الاستعارة [إلى المصرح بها والمكنى عنها ، وعنى بالمصرح بها أن يكون] الطرف [المذكور] من طرفى التشبيه [هو المشبه به ، وجعل منها] أى من الاستعارة المصرح بها [تحقيقية وتخييلية] وإنما لم يقل قسمها اليهما ، لأن المتبادر إلي الفهم من التحقيقية والتخييلية

فى اصطلاح التخاطب (١) احترز بقوله الراجع إلى معنى الكلمة ـ عن الراجع الى حكمها ، نحو ـ وجاء ربك ـ أصله وجاء أمر ربك ، فالحكم الأصلى لقوله ـ ربك ـ هو الجر ، وأما الرفع فمجاز ، واحترز بقوله ـ المتضمن للفائدة ـ عن المقيد إذا استعمل فى المطلق ،

وَفَسَّرَ التَّحْقِيقِيَّةَ بِمَا مَرَّ ، وَعَدَّ التَّمْثِيلَ مِنْهَا ، وَرُدَّ بِأَنَّهُ مُسْتَلْزِمٌ لِلتَّرْكِيبِ الْمُنَافِي لِلْإِفْرَادِ .

ما يكون على الجزم وهو قد ذكر قسما آخر سماه الْمُحْتَمَلَةَ للتحقيق والتخييل كما ذُكِرَ في بيت زهير (١) [وفسر التحقيقية بما مر] أي بما يكون المشبه المتروك مُتَحَقِّقًا حسًّا أو عقلا [وعد التمثيل] على سبيل الاستعارة كما في قولك ـ أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى [منها] أي من التحقيقيـة مع القطع ، قال : ومن الأمثلة استعارة وصف إحدى صورتين منتزعتين من أمور لوصف صورة أخرى [ورد] ذلك [بأنه] أي التمثيل [مستلزم للتركيب المنافي للافراد] فلا يصح عده من الاستعارة التي هي من أقسام المجاز المفرد ، لأن تنافي اللوازم يدل على تنافي الملزومات ، وإلا لزم اجتماع المتنافيين ضَرُورَةَ وجود اللازم عند وجود الملزوم ، والجواب أنه عَدَّ التمثيل قسما من مطلق الاستعارة التصريحية التحقيقية لا من الاستعارة التي هي مجاز مفرد ، وقسمة المجاز المفرد إلى الاستعارة وغيرها لا توجب كَوْنَ كُلِّ استعارة مجازاً مفرداً ، كقولنا ـ الأبيض إما حيوان أو غيره ـ والحيوان قد يكون أبيض وقد لا يكون ، على أن لفظ المفتاح صريح في أن المجاز الذي جعله منقسما إلى أقسام ليس هو المجاز المفرد المفسر بالكلمة المستعملة في غير ما وضعت له ، لأنه قال بعد تعريف المجاز : إن المجاز عند السلف قسمان : لغوي ، وعقلي ، واللغوي قسمان : راجع إلى معنى الكلمة ، وراجع إلى حكم الكلمة ، والراجع إلى المعنى قسمان : خَالٍ عن الفائدة ، ومُتَضَمِّنٌ لها ، والمتضمن للفائدة قسمان : استعارة ، وغير استعارة ، وظاهر أن المجاز العقلي والراجع إلى حكم الكلمة خارجان عن المجاز بالمعنى المذكور (٢) فيجب أن يريد بالراجع الى معنى

كاستعمال الْمَرْسِنِ في أنف الانسان من حيث إنه مطلق أنف ، إذ المرسن هو أنف البعير ، ولا فائدة لهذا التجوز فيه (١) أنظر ص ١٠١ من هذا الجزء (٢) وهو الكلمة المستعملة

وَفَسَّرَ التَّخْيِيلِيَّةَ بِمَا لَا تَحَقُّقَ لِمَعْنَاهُ حِسًّا وَلَا عَقْلًا بَلْ هُوَ صُورَةٌ وَهْمِيَّةٌ مَحْضَةٌ ،

الكلمة أعَمّ من المفرد والمركب ليصح الحصر فى القسمين (١) وأجيب بوجوه أُخَر : الأول أن المراد بالكلمة اللفظ الشامل للمفرد والمركب نحو ـ كلمة الله (٢) والثانى أنا لا نسلم أن التمثيل يستلزم التركيب ، بل هو استعارة مبنية على التشبيه التمثيلى ، وهو قد يكون طرفاه مفردين (٣) كما فى قوله تعالى (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا) الآية ، والثالث أن إضافة الكلمة إلى شىء أو تقييدها واقترانها بألف شىء لا يخرجها عن أن تكون كلمة ، فالاستعارة فى مثل ـ أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ـ هو التقديم المضاف إلى الرجل المقترن بتأخير أخرى ، والمستعار له هو التَّرَدُّدُ ، فهو كلمة مستعملة فى غير ماوضعت له (٤) وفى الكل نظر أوردناه فى الشرح .

[وفسر] السكاكي الاستعارة [التخييلية بما لاتحقق لمعناه حسا ولاعقلا بل هو] أى معناه [صورة وهميـــة محضة] لا يَشُوبُهَا شىء من التحقيق العقلى أو الحسى

فى غير ما وضعت له (١) يعنى اللغوي والعقلى ، وإنما وجب ذلك لأنه لوأراد بالراجع الى معنى الكلمة المفرد فقط لم يصح الحصر فيهما ، لأن اللغوي حينئذ لايشمل الراجع الى معنى الكلمة إذا كان مركبا ، فيبقى قسم آخر خارج عن القسمين .

(٢) أى من قوله تعالى (وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا) فالمراد بها كلامه ، وقد رد هذا الجواب بأن إطلاق الكلمة على ذلك مجاز ، والتعريفات يجب صونها عن المجازات الخالية عن القرينة (٣) الحق أن كلا من مجاز التمثيل وتشبيه التمثيل لايجرى فى المفردين أصلا ، وما سبق من أن تشبيه الثريا بالعنقود من تشبيه التمثيل خلاف التحقيق .

(٤) هذا الجواب مردود أيضا ، للقطع بأن مجموع اللفظ المركب هو المنقول عن الحالة التركيبية الى حالة أخرى مثلها ، وحينئذ فقوله ـ تُقَدِّمُ ـ فى المثال المذكور مستعمل فى حقيقته ، والمجاز إنما هو فى استعمال هذا الكلام فى غير معناه الأصلى .

كَلَفْظ الْأَظْفَار في قَوْل الهُذَلِيِّ ، فانَّهُ لَمَّا شَبَّهَ المَنِيَّةَ بالسَّبُعِ في الاغْتِيال أَخَذَ الوَهْمُ في تَصْوِيرِهَا بِصُورَتِه وَاخْتِرَاعِ لَوَازِمه لَهَا ، فاخْتَرَعَ لَهَا مِثْلَ صُورَةِ الأَظْفَار ثُمَّ أَطْلَقَ عَلَيْه لَفظَ الأَظْفَار ، وَفيه تَعَسُّفٌ

[كلفظ الأظفار في قول الهذلي] :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

[فانه لما شبه المنية بالسبع في الاغتيال أخذ الوهم في تصويرها] أي المنية [بصورته] أي السبع [واختراع لوازمه لها] أي لوازم السبع للمنية وعلى الخصوص ما يكون قِوَامُ اغتيال السبع للنفوس به [فاخترع لها] أي للمنية صورةً [مثل صورة الأظفار] المُحَقَّقَةِ [ثم أطلق عليه] أي على ذاك المثل أعني الصورة التي هي مثل صورة الأظفار [لفظ الأظفار] فيكون استعارة تصريحية ، لأنه قد أطلق اسم المشبه به وهو الأظفار المحققة على المشبه وهو صورة وَهْمِيَّةٌ شبيهة بصورة الأظفار المحققة ، والقرينة إضافتها إلى المنية ، والتخييلية عنده قد تكون بدون الاستعارة بالكناية ، ولهذا مثل لها بنحو - أظفار المنية الشبيهة بالسبع - فصرح بالتشبيه لتكون الاستعارة في الأظفار فقط من غير استعارة بالكناية في المنية ، وقال المصنف : إنه بعيد جداً لا يوجـد له مثال في الكلام (١) [وفيه] أي في تفسير التخييلية بما ذكره [تعسف] أي أَخْذٌ على غير الطريق ، لِمَا فيه من كثرة الاعتبارات التي لا يدل عليها دليل ، ولا تمس اليها حاجة ،

---

(١) أي البليغ ، ولهذا استهجن قول أبي تمام :

لا تَسْقِني ماء المَلامِ فانَّني صَبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بكائي

لأنه استعار الماء لصورة متوهمة للملام تشبيهه استعارة تصريحية تخييلية بدون استعارة مكنية .

وَيُخَالِفُ تَفْسِيرَ غَيْرِهِ لَهَا بِجَعْلِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ ، وَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ التَّرْشِيحُ تَخْيِيلِيَّةً لِلُزُومِ مِثْلِ ما ذَكَرَهُ فِيهِ .

وقد يقال إن التعسف فيه هو أنه لوكان الأمر كما زعم لوجب أن تسمى هذه الاستعارة تَوْهِيمِيَّةً لاتخييلية ، وهذا فى غاية السقوط لأنه يكفى فى التسمية أدنى مناسبة ، على أنهم يسمون حكم الوهم تخييلا ، ذكر فى الشفاء أن القوة المُسَمَّاةَ بالوَهْمِ هى الرئيسة الحاكمة فى الحيوان حكما غير عقلى ، ولٰكِنْ حكما تخييليا [ويخالف] تفسيره للتخييلية بما ذكره [تفسير غيره لها] أي غير السكاكى للتخييلية [بجعل الشىء للشىء(١)] كجعل اليد للشمال وجعل الأظفار للمنية ، قال الشيخ عبد القاهر : إنه لا خلاف فى أن اليد استعارة ، ثم إنك لا تستطيع أن تزعم أن لفظ اليد قد نقل عن شىء إلى شىء ، إذ ليس المعنى على أنه شَبَّهَ شيئا باليد ، بل المعنى على أنه أراد أن يثبت للشمال يدا ، ولبعضهم فى هذا المقام كلمات واهية بينا فسادها فى الشرح ، نعم يَتَّجِهُ أن يقال إن صاحب المفتاح فى هذا الفن خصوصا فى مثل هذه الاعتبارات ليس بصدد التقليد لغيره حتى يعترض عليه بأن ما ذكره هو مخالف لما ذكره غيره [ويقتضى] ما ذكره السكاكى فى التخييلية [أن يكون الترشيح] استعارة [تخييلية للزوم مثل ماذكره] السكاكي فى التخييلية من إثبات صورة وهمية [فيه] أى فى الترشيح ، لأن فى كُلٍّ من التخييلية والترشيح إثباتَ بعض مايخص المشبه به للمشبه ، فكما أُثْبِتَ للمنية التي هى المشبه ما يخص السبع الذى هو المشبه به من الأظفار ، كذلك أُثْبِتَ لاختيار الضلالة على الهدى (٢) الذى هو المشبه ما يخص المشبه به الذى هو الاشتراء الحقيقى من الربح

---

(١) أل فى الشيئين للعهد ، والمراد جعل لازم المشبه به للمشبه ، فلا يدخل فى ذلك التعريف المجاز العقلى (٢) فى قوله تعالى (أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى

وَعَنَى بِالْمَكْنِيِّ عَنْهَا أَنْ يَكُونَ الْمَذْكُورُ هُوَ الْمُشَبَّهُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَنِيَّةِ السَّبُعُ بِادِّعَاءِ السَّبُعِيَّةِ لَهَا

والتجارة ، فكما اعتُبِرَ هنالك صورةٌ وهمية شبيهة بالأظفار فليعتبر ههنا أيضا أمر وهمى شبيه بالتجارة وآخر شبيه بالربح ، ليكون استعمال الربح والتجارة بالنسبة اليهما استعارتين تخييليتين ، إذ لا فرق بينهما إلا بأن التعبير عن المشبه الذي أثبت له ما يخص المشبه به كالمنية مثلا فى التخييلية بلفظه الموضوع له كلفظ المنية ، وفى الترشيح بغير لفظه كلفظ الاشتراء المعبر به عن الاختيار والاستبدال الذى هو المشبه ، مع أن لفظ الاشتراء ليس بموضوع له ، وهذا الفرق لا يوجب اعتبار المعنى الْمُتَوَهَّمِ فى التخييلية وعدم اعتباره فى الترشيح ، فاعتباره فى أحدهما دون الآخر تحكم (١) والجواب أن الأمر الذي هو من خواص المشبه به لما قُرِنَ فى التخييلية بالمشبه كالمنية مثلا جعلناه مجازا عن أمر متوهم يمكن إثباته للمشبه ، وفى الترشيح لما قرن بلفظ المشبه به لم يحتج إلى ذلك ، لأن المشبه به جُعِلَ كأنه هو هذا المعنى مقارنا للوازمه وخَوَاصِّه ، حتى إن المشبه به فى قولنا ـ رأيت أسدا يفترس أقرانه ـ هو الأسد الموصوف بالافتراس الحقيقى من غير احتياج إلى تَوَهُّمِ صورة واعتبار مجاز فى الافتراس ، بخلاف ما إذا قلنا ـ رأيت شجاعا يفترس أقرانه ـ فانا نحتاج إلى ذلك ليصح إثباته للشجاع ، فَلْيَتَأَمَّلْ فى الكلام دِقَّةً مَّا .

[وعنى بالمكنى عنها] أى أراد السكاكى بالاستعارة المكنى عنها [أن يكون] الطرف [المذكور] من طرفى التشبيه [هو المشبه] ويراد به المشبه به [على أن المراد بالمنية] في مثل ـ أنشبت المنية أظفارها ـ هو [السبع بادعاء السبعية لها] وإنكار أن

فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) (١) وهذا مع أنه لا يمكن اعتباره فيهما ، لأنه لم يقل أحد بوجود التخييل فى الاستعارة المصرحة لما فيه من مزيد التعسف ، فليس امام السكاكى إلا عدم اعتباره فى أحدهما دون الآخر وارتكاب التحكم .

بِقَرِينَةِ إِضَافَةِ الأَظْفَارِ إِلَيْهَا ، وَرُدَّ بِأَنَّ لَفْظَ الْمُشَبَّهِ فِيهَا مُسْتَعْمَلٌ فِيمَا وُضِعَ لَهُ تَحْقِيقًا وَالاسْتِعَارَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ ، وَإِضَافَةُ نَحْوِ الأَظْفَارِ قَرِينَةُ التَّشْبِيهِ .

تكون شيئا غير السبع [بقرينة إضافة الأظفار] التي هي من خواص السبع [اليها] أى إلى المنية ، فقد ذكر المشبه وهو المنية وأراد به المشبه به وهو السبع ، فالاستعارة بالكناية لا تَنْفَكُّ عن التخييلية ، بمعنى أنه لا توجد استعارة بالكناية بدون الاستعارة التخييلية (١) لأن فى إضافة خواص المشبه به إلى المشبه استعارة تخييلية [ورد] ما ذكره من تفسير الاستعارة المكنى عنها [بأن لفظ المشبه فيها] أى فى الاستعارة بالكناية كلفظ المنية مثلا [مستعمل فيما وضع له تحقيقا] للقطع بأن المراد بالمنية هو الموت لا غير [والاستعارة ليست كذلك] لأنه قد فسرها بأن تذكر أحد طَرَفَى التشبيه وتريد به الطرف الآخر ، ولما كان ههنا مَظَنَّةُ سؤال وهو أنه لو أريد بالمنية معناها الحقيقى فما معنى إضافة الأظفار اليها أشار إلى جوابه بقوله [وإضافة نحو الأظفار قرينة التشبيه] المضمر فى النفس يعنى تشبيه المنية بالسبع ، وكأن هذا الاعتراض من أقوى اعتراضات المصنف على السكاكى ، وقد يجاب عنه بأنه وإن صُرِّحَ بلفظ المنية إلا أن المراد به السبع ادِّعَاءً (٢) كما أشار اليه فى المفتاح من أنا نجعل ههنا اسم المنية اسما للسبع مرادفا له ، بأن ندخل المنية فى جنس السبع للمبالغة فى التشبيه ، بِجَعْلِ أفراد السبع قسمين : مُتَعَارَفًا وغير متعارف ، ثم نُخَيِّلُ أن الواضع كيف يصح منه

---

(١) وليس ذلك بمعنى أن كلا منهما لا يوجد بدون الآخر ، لأن التخييلية عند السكاكى قد توجد بدون المكنية كما سبق فى ص ١١١ من هذا الجزء (٢) يعنى الموت المدعى سَبُعِيَّتُهُ ، فلا يكون لفظ المنية مستعملا فيما وضع له تحقيقا حتى ينافى ذلك كونه استعارة ، لأنه حقيقة فى الموت من حيث هو لا فى هذا الموت الادعائى .

وَاخْتارَ رَدَّ التَّبَعِيَّة الى الْمَكْنِيِّ عَنْهَا بجَعْلِ قَرِينَتِهَا مَكْنِياًّ عَنْهَا وَالتَّبَعِيَّة قَرِينَتَهَا

أن يضع اسمين كلفظى المنية والسبع لحقيقة واحدة (١) ولا يكونان مترادفين ، فيأتي لنا بهذا الطريق دعوي السَّبُعِيَّة للمنية مع التصريح بلفظ المنية ، وفيه نظر لأن ما ذكره لا يقتضى كَوْنَ المراد بالمنية غيرما وضعت له بالتحقيق حتى يدخل فى تعريف الاستعارة ، للقطع بأن المراد بها الموت ، وهذا اللفظ موضوع له بالتحقيق ، وجَعْلُه مرادفا للفظ السبع بالتأويل المذكور لا يقتضى أن يكون استعماله فى الموت استعارة (٢) ويمكن الجواب بأنه قد سبق أن قيد الْحَيْثِيَّة مراد فى تعريف الحقيقة أى هى الكلمة المستعملة فيما هى موضوعة له بالتحقيق من حيث إنه موضوع له بالتحقيق ، ولا نسلم أن استعمال لفظ المنية فى الموت فى مثل ـ أظفار المنية ـ استعمالٌ فيما وضع له بالتحقيق من حيث إنه موضوع له بالتحقيق ، مثله فى قولنا ـ دَنَتْ منية فلان ـ بل من حيث إن الموت جُعِلَ من أفراد السبع الذى لَفْظُ المنية موضوع له بالتأويل ، وهذا الجواب وإن كان مُخْرِجًا له عن كَوْنِه حقيقة إلا أن تحقيق كونه مجازاً ومراداً به الطرف الآخر (٣) غير ظاهر بَعْدُ (٤) .

[واختار] السكاكى [رد] الاستعارة [التبعية] وهي ما تكون فى الحروف والأفعال وما يشتق منها [إلى] الاستعارة [المكني عنها بجعل قرينتها] أى قرينة التبعية استعارة [مكنيا عنها و] جعل الاستعارة [التبعية قرينتها] أى قرينة الاستعارة المكنى عنها

---

(١) وهي الموت المدعى سبعيته ، ومراده بذلك بيان أن الترادف تخييلي لاحقيق .

(٢) لأن الادعاء لا يخرج الأشياء عن حقائقها (٣) وهو المشبه به أى الأسد فى المثال (٤) لأن غاية ما يفيده الجواب أنه استعمل فيما وضع له وإن كان لا من حيث إنه موضوع له ، بل من حيث إنه من جنس المشبه به ادعاء ، واللفظ لا يكون مجازا إلا باستعماله فى غير ما وضع له .

عَلَى نَحْوِ قَوْلِه فِى الْمَنِيَّةِ وَأَظْفَارِهَا، وَرُدَّ بِأَنَّهُ إِنْ قَدَّرَ التَّبَعِيَّةَ حَقِيقَةً لَمْ تَكُنْ تَخْيِيلِيَّةً لِأَنَّهَا مَجَازٌ عِنْدَهُ فَلَمْ تَكُنِ الْمَكْنِيُّ عَنْهَا مُسْتَلْزِمَةً لِلتَّخْيِيلِيَّةِ وَذٰلِكَ بَاطِلٌ بِالاتِّفَاقِ ،

[على نحو قوله] أى قول السكاكى [فى المنية وأظفارها] حيث جعل المنية استعارة بالكناية وإضافة الأظفار اليها قرينتها ، ففى قولنا ـ نطقت الحال بكذا ـ جَعَلَ القوم ـ نطقت ـ استعارة عن ـ دلَّتْ ـ بقرينة الحال ، والحال حقيقة ، وهو يجعل الحال استعارة بالكناية عن المتكلم ، و نسبة النطق اليها قرينة الاستعارة ، وهكذا فى قوله : نقريهم لهذميات (١) يجعل اللهذميات استعارة بالكناية عن المطعومات الشَّهِيَّة على سبيل التهكم ، ونسبة الْقِرَى اليها قرينة الاستعارة ، وعلى هذا القياس ، وإنما اختار ذلك إيثارا للضبط وتقليل الأقسام [ورد] مااختاره السكاكى [بأنه إن قدر التبعية] كنطقت فى ـ نطقت الحال بكذا [حقيقة] بأن يراد بها معناها الحقيقى (٢) [لم تكن] التبعية استعارة [تخييلية ، لأنها] أي التخييلية [مجاز عنده] أي عند السكاكى ، لأنه جعلها من أقسام الاستعارة الْمُصَرَّحِ بها المفسرة بذكر المشبه به وإرادة المشبه ، إلا أن المشبه فيها يجب أن يكون مما لا تَحَقُّقَ لمعناه حسًّا ولا عقلا بل وَهْمًا ، فتكون مستعملة فى غير ماوضعت له بالتحقيق ، فتكون مجازاً ، وإذا لم تكن التبعية تخييلية [فلم تكن] الاستعارة [المكنى عنها مستلزمة للتخييلية] بمعنى أنها لا توجد بدون التخييلية ، وذلك لأن المكنى عنها قد وجدت بدون التخييلية فى مثل ـ نطقت الحال بكذا ـ على هذا التقدير [وذلك] أى عدم استلزام المكنى عنها للتخييلية [باطل بالاتفاق] وإنما الخلاف فى أن التخييلية هل تستلزم المكنى عنها ، فعند السكاكى لا تستلزم كما في قولنا ـ اظفار المنية الشبيهة بالسبع ـ وبهذا ظهر فساد ما قيل إن مراد السكاكى بقوله ـ لاتنفك المكنى عنها عن

---

(١) أنظر ص ٩٠ من هذا الجزء (٢) الحق أن ترديد المصنف بأن هنا قبيح ، لأنه لا يمكن بعد قوله ـ على نحو قوله فى المنية وأظفارها ـ أن يتوهم أن التبعية حقيقة عند السكاكى .

وَإِلَّا فَتَكُونُ اسْتِعَارَةً فَلَمْ يَكُنْ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مُغْنِياً عَمَّا ذَكَرَهُ غَيْرُه .

التخييلية ـ أن التخييلية مستلزمة للمكنى عنها لا العكس كما فهمه المصنف * نعم يمكن أن ينازع فى الاتفاق على استلزام المكنى عنها للتخييلية ، لأن كلام الكَشَّافِ مُشْعِرٌ بخلاف ذلك ، وقد صُرِّحَ فى المفتاح أيضا فى بحث المجاز العقلى بأن قرينة المكنى عنها قد تكون أمرا وَهْمِياً كاظفار المنية ، وقد تكون أمرا مُحَقَّقاً كالانبات فى ـ أنبت الربيع البقل ـ والْهَزْمِ فى ـ هزم الامير الجند ـ إلا أن هذا لا يدفع الاعتراض عن السكاكى ، لانه قد صرح فى المجاز العقلى بأن نطقت فى ـ نطقت الحال بكذا ـ أمر وهمى جُعِلَ قرينة للمكنى عنها ، وأيضا فلما جَوَّزَ وجود المكنى عنها بدون التخييلية كما فى ـ أنبت الربيع البقل ـ ووجود التخييلية بدونها كما فى ـ أظفار المنية الشبيهة بالسبع ـ فلا جهة لقوله ـ إن المكني عنها لا تنفك عن التخييلية (١) [وإلا] أى وإن لم يقدر التبعية التى جعلها السكاكى قرينة المكني عنها حقيقة بل قدرها مجازا [فتكون] التبعية كنطقت الحال مثلا [استعارة] ضَرُورَةَ أنه مجاز علاقته المشابهة ، والاستعارة فى الفعل لا تكون إلا تبعية [فلم يكن ما ذهب اليه] السكاكى من رَدِّ التبعية إلى المكنى عنها [مغنيا عما ذكره غيره] من تقسيم الاستعارة إلى التبعية وغيرها ، لأنه اضْطَرَّ آخر الأمر إلى القول بالاستعارة التبعية ، وقد يجاب بأن كل مجاز تكون علاقته المشابهة لا يجب أن يكون استعارة ، لجواز أن يكون له علاقة أخرى باعتبارها وقع الاستعمال كما بَيْنَ النطق والدلالة فانها لازمة للنطق ، بل إنما يكون استعارة إذا كان الاستعمال باعتبار علاقة المشابهة وقصد المبالغة فى التشبيه ، وفيه نظر لأن السكاكى قد صرح بأن ـ نطقت ـ ههنا أمر مُقَدَّرٌ وَهْمِيٌّ كالأظفار المنية المستعارة للصورة الوهمية الشبيهة بالأظفار المحققة ، ولو كان مجازا مرسلا عن الدلالة لكان أمرا محققا عقليا ، على أن هذا لا يجرى فى جميع الأمثلة ، ولو سلم فحينئذ يعود الاعتراض الأول وهو

(١) سيأتى قريبا توجيهه له .

فَصْلٌ

حُسْنُ كُلٍّ مِنَ التَّحْقِيقِيَّةِ وَالتَّمْثِيلِ بِرِعَايَةِ

وجود المكنى عنها بدون التخييلية ، ويمكن الجواب بأن المراد (١) بعدم انفكاك الاستعارة بالكناية عن التخييلية أن التخييلية لاتوجدبدونها فيما شاع من كلام الفصحاء ، إذ لانزاع فى عدم شيوع مثل ـ أظفار المنية الشبيهة بالسبع ـ وإنما الكلام فى الصحة (٢) وأما وجود الاستعارة بالكناية بدون التخييلية فشائع (٣) على ما قرره (٤) صاحب الكشاف فى قوله تعالى (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ) وصاحب المفتاح فى مثل ـ أنبت الربيع البقل ـ فصار الحاصل من مذهبه أن قرينة الاستعارة بالكناية قد تكون استعارة تخييلية مثل ـ أظفار المنية ، ونطقت الحال ـ وقد تكون استعارة تحقيقية على ماذكر فى قوله تعالى (يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ) أن ابْلَعِ استعارةٌ عن غَوْرِ الماء فى الأرض ، والماء استعارة بالكناية عن الغذاء ، وقد تكون حقيقة كما فى ـ أنبت الربيع (٥) .

[فصل] فى شرائط حسن الاستعارة

[حسن كل من] الاستعارة [التحقيقية والتمثيل] على سبيل الاستعارة [برعاية

---

(١) أى مراد السكاكى ، وهذا جواب عن قوله ـ ولو سلم يعود الاعتراض الأول (٢) أى فى صحة مثل ـ أظفار المنية الشبيهة بالسبع ـ فهو صحيح عند السكاكى وغير صحيح عند القوم إلا إذا جعلت الأظفار ترشيحا للتشبيه لا استعارة تخييلية .

(٣) وحينئذ لا يمكن أن يريد السكاكى خلافه ، ولا يصح الاعتراض به عليه .

(٤) فقد ذكر أن العهد مشبه بالحبل على طريق المكنية ، وأن ـ ينقضون ـ مستعار ليبطلون استعارة تحقيقية قرينة للمكنية (٥) والحق بعد هذا كله أن هناك استعمالات كثيرة للبلغاء فى الاستعارة التبعية يكون تشبيه المصادر هو الغرض الأصلى

جهات حُسْن التَّشبيه ، وأَلاَّ يُشَمَّ رائحتُه لفظًا ولذلك يُوصَى أَنْ يكونَ الشَّبه بينَ الطَّرَفَيْن جليًّا لئلاَ تَصيرَ إلغازًا ، كما لو قيلَ - رأيتُ أسدًا - وأُريدَ إنسانٌ أبخرُ - ورأيتُ إبلًا مائةً لا تجدُ فيها راحلةً - وأُريدَ النَّاسُ ،

جهات حسن التشبيه] كأن يكون وجه الشبه شاملا للطرفين (١) والتشبيه وافيا بافادة ما عُلِّقَ به من الغرض ، ونحو ذالك (٢) [وألا يشم رائحته لفظا] أى وبألاَّ يُشَمَّ شيء من التحقيقية والتمثيل رائحة التشبيه من جهة اللفظ ، لأن ذلك يبطل الغرض من الاستعارة أعني ادِّعَاءَ دخول المشبه فى جنس المشبه به ، لما في التشبيه من الدلالة على أن المشبه به أقوي فى وجه الشبه [ولذلك] أى ولأن شرط حسنه ألاَّ يُشَمَّ رائحة التشبيه لفظا [يوصى أن يكون الشبه] أى ما به الْمُشَابَهَةُ [بين الطرفين جليا] بنفسه أو بواسطة عُرْف أو اصطلاح خاصّ [لئلا تصير] الاستعارة [إلغازا] وتعمية إن رُوعِيَ شرائط الحسن ولم تُشَمَّ رائحة التشبيه (٣) وإن لم يُرَاعَ فات الحسن ، يقال - ألْغَزَ فى كلامه إذا عَمَّى مراده - ومنه اللُّغَزُ (٤) وجمعه ألغاز مثل رُطَب وأرطاب [كما لو قيل] فى التحقيقية [رأيت أسدا - وأريد إنسان أبخر] فوجه الشبه بين الطرفين خفى [و] فى التمثيل [رأيت إبلا مائة لا تجد فيها راحلة - وأريد الناس] من قوله عليه

فيها ، وهناك استعمالات يكون التشبيه فى متعلقات المصادر هو المقصود ، ولا شك أنه لا يحسن فى الاستعمالات الأولى رد التبعية الى المكنية بخلاف الثانية .

(١) المراد ظاهر الشمول لهما ، لأن أصل الشمول شرط فى صحة التشبيه لاحسنه

(٢) كأن يكون وجه الشبه غير مبتذل ، ويستثنى من رعاية جهات حسن التشبيه في حسن الاستعارة ما يأتي فى قوله - ويتصل به أنه إذا قوى الشبه بين الطرفين الخ .

(٣) لأنه إذا لم تشم رائحته كان خفيا ، فاذا ضم الى هذا خفاء وجهه زاد خفاؤه وكان إلغازا (٤) هو المعنى الْمُلْغَزُ فيه ، أو اللفظ المستعمل فى ذلك المعنى .

وَبِهَذَا ظَهَرَ أَنَّ التَّشْبِيهَ أَعَمُّ مَحَلًّا ، وَيَتَّصِلُ بِهِ أَنَّهُ إِذَا قَوِيَ الشَّبَهُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ حَتَّى اتَّحَدَا كَالْعِلْمِ وَالنُّورِ وَالشُّبْهَةِ وَالظُّلْمَةِ لَمْ يَحْسُنِ التَّشْبِيهُ وَتَعَيَّنَتِ الِاسْتِعَارَةُ .

وَالْمَكْنِيُّ عَنْهَا كَالتَّحْقِيقِيَّةِ، وَالتَّخْيِيلِيَّةُ حُسْنُهَا بِحَسَبِ حُسْنِ الْمَكْنِيِّ عَنْهَا .

السلام : الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة ، وفى الفائق : الراحلة البعير الذى يرتحله الرجل جملا كان أو ناقة ، يعنى أن المَرْضِيَّ المُنْتَخَبَ من الناس في عزّة وجوده كالنَّجِيبَةِ (١) المنتخبة التى لا توجد فى كثير من الابل [وبهذا ظهر أن التشبيه أعم محلا] إذ كل ما يتأتي فيه الاستعارة يتأتى فيه التشبيه من غير عكس (٢) لجواز أن يكون وجه الشبه غير جلى فتصير الاستعارة إلغازا كما فى المثالين المذكورين ، فان قيل قد سبق أن حسن الاستعارة برعاية جهات حسن التشبيه ، ومن جملتها أن يكون وجه الشبه بعيدا غير مبتذل ، فاشتراط جلائه فى الاستعارة ينافى ذلك ، قلنا الجلاء والخفاء مما يقبل الشدة والضعف ، فيجب أن يكون من الجلاء بحيث لا يصير إلغازا ، ومن الغرابة بحيث لا يصير مبتذلا [ويتصل به] أي بما ذكرنا من أنه إذا خفى التشبيه لم تحسن الاستعارة ويتعين التشبيه [أنه إذا قوى الشبه بين الطرفين حتى اتحدا كالعلم والنور والشبهة والظلمة لم يحسن التشبيه وتعينت الاستعارة] لئلا يصير كتشبيه الشيء بنفسه ، فاذا فهمت مسألة تقول ـ حصل فى قلبي نور ـ ولا تقول علم كالنور ، وإذا وقعت فى شبهة تقول ـ وقعت فى ظلمة ـ ولا تقول فى شبهة كالظلمة .

[و] الاستعارة [المكنى عنها كالتحقيقية] فى أن حسنها برعاية جهات حسن التشبيه ، لأنها تشبيه مضمر (٣) [و] الاستعارة [التخييلية حسنها بحسب حسن المكنى عنها]

---

(١) النجيبة هى الناقة الكريمة (٢) هذه النسبة بينهما باعتبار الاستعارة الحسنة والتشبيه مطلقا ، أما النسبة بينها وبين التشبيه الحسن فالعموم والخصوص الوجهى ، لأنها تنفرد عنه فيما يأتي فى قوله ـ ويتصل به أنه إذا قوى الشبه بين الطرفين الخ .

(٣) وأما شرط ألا يشم رائحة التشبيه لفظا فلا يتأتي فيها ، لأن من لوازمها ذكر

لأنها لا تكون إلا تابعة للمكنى عنها (١) وليس لها فى نفسها تشبيه بل هي حقيقة ، فحسنها تابع لحسن متبوعها .

ماهو من خَوَاصِّ المشبه به . وذلك مشعر بالتشبيه قطعا (١) قد سبق أن بعضهم يخالف فى ذلك ، فاذا لم تكن تابعة للمكنية على مذهبه فقيل إن حسنها يكون برعاية جهات حسن التشبيه ، وقيل إنه لا حسن فيها مطلقا ، ولهذا استهجن ماء الملام فى بيت أبى تمام السابق فى ص ١١١ من هذا الجزء .

تطبيقات على الاستعارة الحسنة والقبيحة :

(١) لا تعجبوا من بِلَى غِلَالَتِهِ قد زَرَّ أزْرارَهُ على القَمَرِ

(٢) مَا لِرِجْلِ المالِ أضحتْ تشتكى منك الْكَلَالَا

(٣) تَظَلَّمَ المالُ والاعداءُ من يدِهِ لا زال للمال والاعداء ظَلَّامَا

في الأول استعارة قبيحة فى إطلاق القمر على محبوبه ، لأنه ذكر المشبه بضميره فى قوله ـ أزراره ـ وذلك يشم منه رائحة التشبيه لفظا ، وفى الثانى استعارة قبيحة أيضا ، لأنه لا مناسبة بين المستعار والمستعار له ، إذ لا شيء أبعد استعارة من رجل المال ، وفى الثالث استعارة حسنة ، لأنه أفاد معنى البيت الثانى بدون إبعاد في الاستعارة .

أمثلة أخرى :

(١) قوله تعالى ـ (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) .

(٢) بُحَّ صوتُ المالِ مِمَّا منك يشكو ويصيحْ

(٣) يَشُقُّ عليه الرِّيحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ جيوبَ الغمامِ بين بِكْرٍ وأَيِّمِ

فَصْلٌ

وَقَدْ يُطْلَقُ الْمَجازُ عَلَى كَلِمَةٍ تَغَيَّرَ حُكْمُ إعْرابِهَا بِحَذْفِ لَفْظٍ أَوْ زِيادَةِ لَفْظٍ كَقَوْلِه تَعَالَى - وَجَاءَ رَبُّكَ ، واسْأَلِ الْقَرْيَةَ - وَقَوْلِه تعَالَى - لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ - أَىْ أَمْرُ رَبِّكَ،وَأَهْلَ الْقَرْيَةِ،وَلَيْسَ مِثْلَه شَيْءٌ .

[فصل]

في بيان معنى آخر يطلق عليه لفظ المجاز على سبيل الاشتراك أو التَّشَابُه (١) .

[وقد يطلق المجاز علي كلمة تغير حكم إعرابها] أى حكمها الذى هو الاعراب على أن الاضافة للبيان ، أى تغير إعرابها من نوع الى نوع آخر [بحذف لفظ أو زيادة لفظ] فالأول [كقوله تعالى - وجاء ربك ، واسأل القرية - و] الثاني مثل [قوله تعالى - ليس كمثله شيء - أى] جاء [أمر ربك] لاستحالة المجيء على الله تعالى [و] اسأل [أهل القرية] للقطع بأن المقصود ههنا سؤال أهل القرية ، وإن جُعلَت القرية مجازا عن أهلها لم يكن من هـذا الْقَبِيل (٢) [وليس مثله شيء] لأن المقصود نفى أن يكون شيء مثل الله تعالى ، لا نفى أن يكون شيء مثل مثله ، فالحكم الأصلى لربك والقرية هو الجر ، وقد تغير فى الأول الى الرفع وفى الثانى إلى النصب بسبب حذف المضاف ، والحكم الأصلى فى - مثله - هو النصب لأنه خبر ليس ، وقد تغير إلى الجر بسبب زيادة الكاف ، فكما وصفت الكلمة بالمجاز باعتبار نقلها عن معناها الأصلى كذلك وصفت به باعتبار نقلها عن إعرابها الأصلى ، وظاهر عبارة المفتاح أن الموصوف

---

(١) المراد بالاشتراك الاشتراك اللفظي وبالتشابه مشابهة الكلمة التى تغير إعرابها للكلمة المنقولة عن معناها (٢) لأنه مجاز مرسل من إطلاق المحلّ وإرادة الحالّ .

الْكِنَايَةُ

لَفْظٌ أُرِيدَ بِهِ لَازِمُ مَعْنَاهُ مَعَ جَوَازِ إِرَادَتِهِ مَعَهُ ، فَظَهَرَ أَنَّهَا تُخَالِفُ الْمَجَازَ مِنْ جِهَةِ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ لِلَّفْظِ مَعَ إِرَادَةِ لَازِمِهِ ،

بهذا النوع من المجاز هو نفس الاعراب ، وما ذكره المصنف أقرب (١) والقول بزيادة الكاف فى نحو قوله تعالى (ليس كمثله شيء) أخْذٌ بالظاهر ، ويحتمل ألَّا تكون زائدة بل تكون نفيا للمثل بطريق الكناية التي هى أبلغ ، لأن الله تعالى موجود ، فاذا نفى مثل مثله لزم نفى مثله ضَرُورَةَ أنه لو كان له مثل لكان هو أعنى الله تعالى مثْلَ مثله ، فلم يصح نفى مثل مثله ، كما تقول - ليس لأخى زَيْدٍ أخٌ - أي ليس لزيد أخ نفيا للملزوم ينفى لازمه (٢) والله أعلم .

الكناية

فى اللغة مصدر كَنَيْتُ بكذا عن كذا أو كَنَوْتُ إذا تركت التصريح به ، وفى الاصطلاح [لفظ أريد به لازم (٣) معناه مع جواز إرادته معه] أى إرادة ذلك المعنى مع لازمه ، كلفظ - طويل النِّجَاد - المراد به طول القامة مع جواز أن يراد حقيقة طول النجاد أيضا [فظهر أنها تخالف المجاز من جهة إرادة المعنى الحقيقى مع إرادة لازمه] كارادة طول النجاد مع إرادة طول القامة ، بخلاف المجاز فانه لا يجوز

---

(١) لأن ما ذكره السكاكى إنما يأتى فى المجاز بالحذف لانتقال إعراب المحذوف فيه للمذكور ، أما المجاز بالزيادة فلا انتقال فيه (٢) الملزوم هو أخو زيد ، ولازمه هو أخو أخيه (٣) وقيل إن الكناية مستعملة فى المعنى الحقيقى لينتقل منه الى لازمه ، والخلاف فى ذلك يشبه أن يكون لفظيا .

وَفُرِقَ بِأَنَّ الانْتِقَالَ فِيهاَ مِنَ اللَّازِمِ وَفِيه مِنَ الْمَلْزُومِ ، وَرُدَّ بِأَنَّ اللَّازِمِ مَالَمْ يَكُنْ مَلْزُوماً لَمْ يَنْتَقِلْ

فيه إرادة المعنى الحقيقى للزوم القرينة المانعة عن إرادة المعني الحقيق ، وقوله - من جهة إرادة المعني - معناه من جهة جواز إرادة المعنى ، ليوافق ما ذكره فى تعريف الكناية ، ولأن الكناية كثيرا ماتخلو عن إرادة المعنى الحقيقى ، للقطع بصحة قولنا - فلان طويل النجاد وجبان الكلب ومهزول الْفَصِيل - وإن لم يكن له نجاد ولا كلب ولا فصيل ، ومثل هذا فى الكلام أكثر من أن يحصى ، وههنا بحث لابد من التَّنَبُّه له ، وهو أن المراد بجواز إرادة المعني الحقيقى فى الكناية هو أن الكناية من حيث إنها كناية لا تنافى ذلك كما أن المجاز ينافيه ، لٰكنْ قد يمتنع ذلك فى الكناية بواسطة خصوص الْمَادَّة كما ذكره صاحب الْكَشَّاف فى قوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ) أنه من باب الكناية كما فى قولهم - مثلك لا يبخل - لأنهم إذا نفوه عمن يماثله وعمن يكون على أَخَصِّ أوصافه فقد نفوه عنه كما يقولون - بلغت أَتْرَابُهُ - يريدون بلوغه ، فقولنا - ليس كالله شيء - وقولنا - ليس كمثله شيء - عبارتان مُتَعَاقِبَتَان على معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ، مع أنه لافرق بينهما إلا ماتعطيه الكناية من المبالغة ، ولايخفى ههنا امتناع إرادة الحقيقة وهو نفي المماثلة عمن هو مماثل له وعلى أخص أوصافه (١) [وفرق] بين الكناية والمجاز [بأن الانتقال فيها] أي فى الكناية [من اللازم] إلى الملزوم ، كالانتقال من طول النجاد إلى طول القامة [وفيه] أى فى المجاز الانتقالُ [من الملزوم] إلى اللازم ، كالانتقال من الغيث إلى النَّبْت ومن الأسد إلى الشجاعة [ورد] هذا الفرق [بأن اللازم مالم يكن ملزوما] بنفسه أو بانضمام قرينة اليه [لم ينتقل

---

(١) لأنه لا مثل له تعالى ، وإرادة الحقيقة فى ذلك تقتضى إثباته له .

مِنْهُ ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الانْتِقَالُ مِنَ الْمَلْزُومِ .

وَهِيَ ثَلاَثَةُ أَقْسَامٍ : الأُولَى الْمَطْلُوبُ بِهَا غَيْرُ صِفَةٍ وَلاَ نِسْبَةٍ ، فَمِنْهَا مَا هِيَ مَعْنًى وَاحِدٌ ،

منه] إلى الملزوم ، لأن اللازم من حيث إنه لازم يجوز أن يكون أعَمّ ، ولا دلالة للعامِّ على الخاصّ [وحينئذ] أى وحين إذ كان اللازم ملزوما [يكون الانتقال من الملزوم] إلى اللازم كما فى المجاز ، فلا يتحقق الفرق ، والسكاكى أيضا معترف بأن اللازم مالم يكن ملزوما امتنع الانتقال منه ، وما يقال إن مراده أن اللزوم من الطرفين من خَوَاصّ الكناية دون المجاز أو شَرْطٌ لها دونه فَمِمَّا لا دليل عليه (١) وقد يجاب بأن مراده باللازم ما يكون وجوده على سبيل التَّبَعِيَّة (٢) كطول النجاد التابع لطول القامة ، ولهذا جَوَّزَ كَوْنَ اللازم أخصّ كالضاحك بالفعل للانسان ، فالكناية أن يذكر من المتلازمين ماهو تابع وَرَدِيفٌ ويراد به ماهو متبوع ومَرْدُوفٌ ، والمجاز بالعكس ، وفيه نظر (٣) ولا يخفى عليك أنْ ليس المراد باللزوم ههنا امتناع الانفكاك (٤).

أقسامها

[وهى] أي الكناية [ثلاثة أقسام : الأولى] تأنيثها باعتبار كَوْنِهَا عبارةً عن الكناية [المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ، فمنها] أى فمن الأولى [ماهى معنى واحد]

---

(١) لأنه قد يكون اللازم في الكناية أعم كما يكون مساويا ، فلا يشترط فيها التساوى من الطرفين (٢) وهذا لا يمنع أن يكون ملزوما ، وحينئذ يكون الانتقال من الملزوم كما ذكر المصنف (٣) لأن المجاز ليس بعكس الكناية في ذلك ، إذ يجوز أن ينتقل فيه من التابع أيضا كما في قولك ـ أمطرت السماء نباتا ـ أى غيثا .

(٤) وهو اللزوم العقلى ، وإنما المراد به مطلق الارتباط ولو بقرينة أو عرف ،

كَقَوْلِهِ :

وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ

وَمِنْهَا مَا هِيَ مَجْمُوعُ مَعَانٍ ، كَقَوْلِنَا كِنَايَةً عَنِ الْإِنْسَانِ ـ حَيٌّ مُسْتَوِى الْقَامَةِ عَرِيضُ الْأَظْفَارِ ، وَشَرْطُهُمَا الْاخْتِصَاصُ بِالْمَكْنِيِّ عَنْهُ .

وَالثَّانِيَةُ الْمَطْلُوبُ بِهَا صِفَةٌ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ الانْتِقَالُ

مثل أن يتفق فى صـــفة من الصفات اختصاص بموصوف مُعَيَّن ، فتذكر تلك الصفة ليتوصل بها إلى ذلك الموصوف [كقوله] :

الضاربين بكل أبيَضَ مِخْذَمٍ [والطاعنين مجامع الأضغان (١)]

المخذم القاطع ، والضِّغْنُ الحقد ، ومجامع الأضغان معنى واحد كناية عن القلوب [ومنها ماهو مجموع معان] بأن تؤخذ صفة فتضم إلى لازم آخَرَ وآخَرَ لتصير جملتها مختصة بموصوف ، فيتوصل بذكرها اليه [كقولنا كناية عن الانسان ـ حى مستوى القامة عريض الأظفار] ويسمى هذا خَاصَّةً مُرَكَّبَةً [وشرطهما] أى وشرط هاتين الكنايتين (٢) [الاختصاص بالمكنى عنه] ليحصل الانتقال ، وجعل السكاكى الأولى منهما أعني ماهى معنى واحد قريبة بمعنى سهولة المأخذ والانتقال فيها لبساطتها واستغنائها عن ضَمِّ لازم إلى آخر وتلفيق بينهما ، والثانية بعيدة بخلاف ذلك ، وهذه غير البعيدة بالمعنى الذى سيجيء .

[الثانية] من أقسام الكناية [المطلوب بها صفة] من الصفات كالجود والكرم ونحو ذلك ، وهى ضربان : قريبة وبعيدة (٣) [فان لم يكن الانتقال] من الكناية الى

لأن هذا هو المعتبر فى علم البيان (١) ذكر شارح الشواهد أنه لا يعرف قائله (٢) هذا شرط فى كل كناية ، لأن الانتقال فيها يجب أن يكون من الملزوم الى اللازم ، والملزوم مختص قطعا باللازم المراد منه (٣) هذا التقسيم يأتى فى القسم الأول من الكناية كما لا يخفى .

بَوَاسِطَةٍ فَقَرِيبَةٌ وَاضِحَةٌ ، كَقَوْلِهِمْ كِنَايَةً عَنْ طُولِ الْقَامَةِ - طَوِيلٌ نِجَادُهُ ، وَطَوِيلُ النِّجَادِ - وَالْأُولَى سَاذِجَةٌ ، وَفِي الثَّانِيَةِ تَصْرِيحٌ مَّا لِتَضَمُّنِ الصِّفَةِ الضَّمِيرَ ، أَوْ خَفِيَّةٌ كَقَوْلِهِمْ كِنَايَةً عَنِ الْأَبْلَهِ - عَرِيضُ الْقَفَا - وَإِنْ كَانَ

المطلوب [بواسطة فقريبة] والقريبة قسمان : [واضحة] يحصل الانتقال منها بسهولة [كقولهم كناية عن طول القامة - طويل نجاده وطويل النجاد ، والأولى] أى طويل نجاده كناية [ساذجة] لا يشوبها شيء من التصريح [وفى الثانية] أى طويل النجاد [تصريح ما لتضمن الصفة] أى طويل [الضمير] الراجع الى الموصوف ضرورة احتياجها الى مرفوع مسند اليه ، فيشتمل على نوع تصريح بثبوت الطول له ، والدليل على تضمنه الضمير أنك تقول - هند طويلة النجاد، والزيدان طويلا النجاد ، والزيدون طوال النجاد - فتؤنث وتثنى وتجمع الصفة ألبتَّةَ لاسنادها الى ضمير الموصوف ، بخلاف - هند طويل نجادها والزيدان طويل نجادهما والزيدون طويل نجادهم - وإنما جعلنا الصفة المضافة كناية مشتملة على نوع تصريح ولم نجعلها تصريحا للقطع بأن الصفة فى المعنى صفة للمضاف اليه ، واعتبار الضمير رِعَايَةٌ لأمر لفظي وهو امتناع خلو الصفة عن معمول مرفوع بها [أو خفية] عَطْفٌ على واضحة ، وخفاؤها بأن يتوقف الانتقال منها على تَأَمُّلٍ وإعمال رَوِيَّةٍ [كقولهم كناية عن الأبله - عريض القفاء] فان عِرَضَ القفا وعِظَم الرأس بالافراط مما يستدل به على البلاهة ، فهو ملزوم لها بحسب الاعتقاد(١) لكنْ فى الانتقال منه إلى البلاهة نوع خفاء لا يطلع عليه كل أحد ، وليس الخفاء بسبب كثرة الوسائط والانتقالات حتى تكون بعيدة [وإن كان] الانتقال من الكناية الى

---

(١) أي عند من يعتقد أن البلاهة لازمة لذلك ، ولا يلزم من اعتقاده ذلك أن يكون اللزوم واضحا عنده ، لأنه لا يلزم فى كل ما يعتقده الانسان أن يكون واضحا .

بَوَاسطة فَبَعِيدَةٌ ، كَقَوْلِهِمْ ـ كَثِيرُ الرَّمَادِ ـ كِنَايَةً عَنِ الْمِضْيَافِ ، فَانَّهُ يُنْتَقَلُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّمَادِ إِلى كَثْرَةِ إِحْرَاقِ الحَطَبِ تَحْتَ القُدُورِ ، وَمِنْهَا الى كَثْرَةِ الطَّبَائِخِ ، وَمِنْهَا الى كَثْرَةِ الأَكَلَةِ ، وَمِنْهَا الى كَثْرَةِ الضِّيفَانِ،وَمِنْهَا الَى الْمَقْصُودِ .

الثَّالِثَةُ الْمَطْلُوبُ بِهَا نِسْبَةٌ كَقَوْلِهِ :

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالنَّدَى … فِى قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الحَشْرَجِ

فَانَّهُ أَرَادَ أَنْ يُثْبِتَ اخْتِصَاصَ ابْنِ الحَشْرَجِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ فَتَرَكَ التَّصْرِيحَ بِأَنْ يَقُولَ إِنَّهُ مُخْتَصٌّ بِهَا أَوْ نَحْوَهُ

المطلوب بها [بواسطة فبعيدة كقولهم ـ كثير الرماد ـ كناية عن المضياف ، فانه ينتقل من كثرة الرماد الى كثرة إحراق الحطب تحت القدور ومنها] أى ومن كثرة الاحراق [الى كثرة الطبائخ ومنها الى كثرة الأكله] جمع آكل [ومنها الى كثرة الضيفان] بكسر الضاد جمع ضيف [ومنها الى المقصود] وهو المضياف ، وبحسب قلة الوسائط وكثرتها تختلف الدلالة على المقصود وضوحا وخفاء .

[الثالثة] من أقسام الكناية [المطلوب بها نسبة] أى إثبات أمر لآخر أو نفيه عنه ، وهو المراد بالاختصاص فى هذا المقام [كقوله : إن السماحة والمروءة] هى كمال الرُّجُولِيَّة [والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج ـ فانه أراد أن يثبت اختصاص ابن الحشرج بهذه الصفات] أى ثبوتها له (١) [فترك التصريح] باختصاصه بها [بأن يقول إنه مختص بها أو نحوه] مجرور عَطْفًا على ـ أن يقول ـ أو منصوب عطفا على ـ

---

(١) هذا تفسير لقوله ـ اختصاص ابن الحشرج ـ ويرد عليه أنه بهذا المعنى لا يصح أن يكون مفعولا لقوله ـ يثبت ـ ولهذا قيل إنه بمعنى الحصر بجعل أل فى السماحة وما عطف عليها للاستغراق ، ويكون هذا كناية أخرى فى البيت .

الَى الْكِنَايَةِ بِأَنْ جَعَلَهَا فِى قُبَّةٍ مَضْرُوبَةٍ عَلَيْهِ ، وَنَحْوهُ قَوْلُهُمْ ـ الْمَجْدُ بَيْنَ ثَوْبَيْـهِ وَالْـكَرَمُ بَيْنَ بُرْدَيْهِ .

وَالْمَوْصُوفُ فِى هٰذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ قَدْ يَكُونُ

إنه مختص بها ـ مثل أن يقول ـ ثبتت سماحة ابن الحشرج ، أو السماحة لابن الحشرج أو سَمُحَ ابن الحشرج ، أو حصلت السماحة له ، أو ابن الحشرج سَمْحٌ ـ كذا فى المفتاح ، وبه يعرف أنْ ليس المراد بالاختصاص هنا الحصر [الى الكناية] أي ترك التصريح ومال الى الكناية [بأن جعلها] أى تلك الصفات [فى قبة] تنبيها على أن محلها ذو قبة ، وهي تكون فوق الخيمة يتخذها الرؤساء [مضروبة عليه] أى على ابن الحشرج ، فأفاد إثبات الصفات المذكورة له ، لأنه اذا أُثْبِتَ الأمر فى مكان الرجل وحَيِّزِه فقد أثبت له (١) [ونحوه] أى مثل البيت المذكور فى كَوْنِ الكناية لنسبة الصفة الى الموصوف بأن (٢) تُجْعَلَ فيما يحيط به ويشتمل عليه [قولهم ـ المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه] حيث لم يصرح بثبوت المجد والكرم له ، بل كَنَى عن ذلك بكونهما بين برديه وبين ثوبيه ، فان قلت ههنا قسم رابع وهو أن يكون المطلوب بها صفة ونسبة معا كقولنا ـ كَثُرَ الرماد فى ساحة زيد ـ قلت ليس هذا كناية واحدة بل كنايتان : إحداهما المطلوب بها نفس الصفة وهى (٣) كثرة الرماد كناية عن الْمِضْيَافِيَّةِ ، والثانية المطلوب بها نسبة المضيافية الى زيد وهو جعلها فى ساحته ليفيد إثباتها له .

[والموصوف فى هذين القسمين] يعنى الثانى والثالث [قد يكون] مذكورا كما مر

---

(١) هذا والبيت لزياد الأعجم من شعراء الدولة الأموية وابن الحشرج هو عبد الله ابن الحشرج أمير نَيْسَابُورَ (٢) الباء فى قوله ـ بأن ـ للسببية .

(٣) أى إحداهما لا الصفة .

غَيْرَ مَذْكُورٍ كَمَا يُقَالُ فِى عُرْضِ مَنْ يُؤْذِى الْمُسْلِمِينَ ـ الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ .

السَّكَّاكِىُّ : الْكِنَايَةُ تَتَفَاوَتُ الى تَعْرِيضٍ وَتَلْوِيحٍ وَرَمْزٍ وَإِيمَاءٍ وَإِشَارَةٍ ، وَالْمُنَاسِبُ لِلْعُرْضِيَّةِ التَّعْرِيضُ ،

وقد يكون [غير مذكور كما يقال فى عرض من يؤذى المسلمين ـ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده] فانه كناية عن نفي صفة الاسلام عن المؤذي ، وهو غير مذكور في الكلام ، وأما القسم الأول (١) وهو ما يكون المطلوب بالكناية نفس الصفة وتكون النسبة مصرحا بها فلا يخفى أن الموصوف فيها يكون مذكوراً لا محالة لفظا أو تقديرا ، وقوله ـ فى عرض من يؤذى ـ معناه فى التعريض به ، يقال ـ نظرت اليه من عُرْض بالضم ـ أى من جانب وناحية .

قال [السكاكى : الكناية تتفاوت الى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة] وإنما قال ـ تتفاوت ـ ولم يقل تنقسم لأن التعريض وأمثاله مما ذكر ليس من أقسام الكناية فقط بل هو أعَمّ ، كذا فى شرح المفتاح ، وفيه نظر (٢) والأقرب أنه إنما قال ذلك لأن هذه الأقسام قد تتداخل وتختلف (٣) باختلاف الاعتبارات من الوضوح والخفاء وقلة الوسائط وكثرتها [والمناسب للعرضية التعريض] أى الكناية إذا كانت

---

(١) يعنى به القسم الأول من هذين القسمين لا القسم الأول من الكناية ، ومراده تقييد كلام المصنف فى حذف الموصوف فى هذا القسم بحالة عدم التصريح بالنسبة (٢) لأن أقسام الشىء لا يجب أن تكون أخص منه ، بل يجوز أن يكون بينها وبينه عموم وخصوص من وجه (٣) عطفه على ما قبله من عطف السبب على المسبب ، ويرد عليه أن الأمور الاعتبارية التى وقع بها الاختلاف بين هذه الأشياء يكفى اعتبارها فى كونها أقساما متباينة ، فالحق أن ذلك تقسيم آخر للكناية باعتبار

وَلِغَيْرِهَا إِنْ كَثُرَتِ الْوَسَائِطُ التَّلْوِيحُ ، وَإِنْ قَلَّتْ مَعَ خَفَاءِ الرَّمْزُ ، وَبِلَا خَفَاءٍ الْإِيمَاءُ وَالْإِشَارَةُ ، ثُمَّ قَالَ : وَالتَّعْرِيضُ قَدْ يَكُونُ مَجَازًا كَقَوْلِكَ - آذَيْتَنِي فَسَتَعْرِفُ - وَأَنْتَ تُرِيدُ إِنْسَانًا مَعَ الْمُخَاطَبِ دُونَهُ ،

عرضية مسوقة لأجل موصوف غير مذكور كان المناسب أن يطلق عليها اسم التعريض ، لأنه إمالة الكلام الى عُرْض يدل على المقصود ، يقال - عَرَّضْتُ لفلان وبفلان اذا قلت قولا لغيره وأنت تعنيه فكأنك أشرت به الى جانب وتريد به جانبا آخر [و] المناسب [لغيرها] أى لغير العرضية [إن كثرت الوسائط] بين اللازم والملزوم كما فى - كثير الرماد ، وجبان الكلب ، ومهزول الفَصِيل [التلويح] لأن التلويح هو أن تشير الى غيرك من بعيد [و] المناسب لغيرها [إن قلت] الوسائط [مع خفاء] فى اللزوم كعريض القَفَا ، وعريض الوسادة (١) [الرمز] لأن الرمز هو أن تشير الى قريب منك على سبيل الخُفْيَة ، لأن حقيقته الاشارة بالشَّفَة أو الحاجب [و] المناسب لغيرها إن قلت الوسائط [بلا خفاء] كما فى قوله :

أو ما رأيت المجـــد ألقى رحله   فى آل طلحة ثم لم يتحول (٢)

[الايماء والاشارة ، ثم قال] السكاكى [والتعريض قد يكون مجازا كقولك - آذيتنى فستعرف - وأنت تريد] بتاء الخطاب [إنسانا مع المخاطب دونه] أى لا تريد

الوسائط ، أما التقسيم الذى ذكره المصنف فباعتبار المَكْنِيِّ عنه .

(١) المثال الأول لما إذا لم يكن هناك واسطة أصلا ، والثانى لما إذا كان هناك واسطة ، لأنه ينتقل من عرض الوسادة الى عرض القفا ومن عرض القفا الى المطلوب .

(٢) هو للبحترى ، وقد شبه فيه المجد برجل له رحل على طريق الاستعارة المكنية ، ثم جعل إلقاء الرحل فى آل طلحة كناية عن إثباته لهم ، والواسطة هنا أن المجد صفة لابد لها من موصوف ، فاذا ألقى رحله فيهم لزم قيامه بهم ، وهى واسطة ظاهرة .

وَإنْ أَرَدْتَهُمَا جَمِيعًا كَانَ كِنَايَةً . وَلَا بُدَّ فِيهِمَا مِنْ قَرِينَةٍ .

المخاطب ، ليكون اللفظ مستعملا فى غير ماوضع له فقط ، فيكون مجازا [وإن أردتهما] أي أردت المخاطب وإنسانا آخر معه جميعا [كان كناية] لأنك أردت باللفظ المعنى الأصلى وغيره معا ، والمجاز ينافى إرادة المعنى الأصلى [ولابد فيهما] أى فى الصورتين [من قرينة] دالّة على أن المراد فى الصورة الأولى هوالانسان الذي مع المخاطب وحده ليكون مجازا ، وفى الثانية كلاهمَا جميعا ليكون كناية ، وتحقيق ذلك أن قولك ـ آذيتنى فستعرف ـ كلام دالّ على تهديد المخاطب بسبب الايذاء ، ويلزم منه تهديد كل من صدر عنه الايذاء ، فان استعملته وأردت به تهديد المخاطب وغيره من المُؤْذِينَ كان كناية ، وإن أردت به تهديد غير المخاطب بسبب الايذاء لعلاقة اشتراكه للمخاطب فى الايذاء إما تحقيقا وإما فرضا وتقديرا مع قرينة دالة على عدم إرادة المخاطب كان مجازا (١) .

---

(١) الحق أن التعريض غير المجاز والكناية ، وأنه يكون أيضا فى الحقيقة ، لأن المعنى المجازى والكنائى مقصودان من اللفظ استعمالا ، أما المعني التعريضى فيؤخذ إشارة وسياقا ، فاذا قلت ـ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ـ فمعناه الأصلى انحصار الاسلام فيمن سلم المسلمون منه ، والكنائى نفي الاسلام عن المؤذي مطلقا ، والتعريضى نفيه عن المؤذي الذى وقع الكلام عنده .

تطبيقات على الكناية :

(١) أفاضلُ الناسِ أغراضٌ لذَا الزمَنِ   يخلو من الهَمِّ أخلاهم من الفِطَنِ

(٢) وما يكُ فيَّ من عيبٍ فإنّي   جبانُ الكلب مهزولُ الفَصِيلِ

(٣) يبيت بِمَنْجَاةٍ من اللَّوْمِ بَيْتُهَا   إذا ما بيوتٌ بالملامة حُلَّتِ

فى الأول كناية عن موصوف من نوع الايماء فى قوله ـ أخلاهم من الفطن ـ فهو

فَصْلٌ

أَطْبَقَ الْبُلَغَاءُ عَلَى أَنَّ الْمَجَازَ وَالْكِنَايَةَ أَبْلَغُ مِنَ الْحَقِيقَةِ وَالتَّصْرِيحِ ، لِأَنَّ الْانْتِقَالَ فِيهِمَا مِنَ الْمَلْزُومِ الَى اللَّازِمِ ، فَهُوَ كَدَعْوَى الشَّيْءِ بِبَيِّنَةٍ ،

[فصل]

[أطبق البلغاء على أن المجاز والكناية أبلغ (١) من الحقيقة والتصريح ، لأن الانتقال فيهما من الملزوم الى اللازم فهو كدعوى الشيء ببينة] فان وجود الملزوم

كناية عن الجهال ، وفى الثانى كنايتان عن صفة من نوع التلويح ، ينتقل فى الأولى من جبن الكلب الى دوام زجره وتأديبه ، ومن هذا الى اتصال مشاهدته للزائرين ، ومن هذا إلى كون صاحبه ملجأ للناس ، ومن هذا الى كرمه ، وينتقل فى الثانية من هزال الفصيل الى فقد الأم ، ومن هذا الي قوة الداعى الى نحرها ، ومن هذا الى صرفها فى الطبخ ، ومن هذا الى كثرة الآكلين ، ومن هذا الى كرم الممدوح ، وفى الثالث كناية عن نسبة من نوع الايماء ، كنى بنفي اللوم عن بيتها عن انتفاء أنواع الفجور عنها

أمثلة أخري :

(١) قوله تعالى - (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) .

(٢) أريد بَسْطَةَ كَفٍّ أستعين بها   على قضاء حقوق للعُلَا قِبَلِي

(٣) وقفت امرأة على قيس بن سعد فقالت : أشكو إليك قِلَّةَ الْفَأْرِ ، فقال : ما أحسن ما وَرَّتْ ، املؤا بيتها خبزا وسمنا ولحما .

(١) هو أفعل تفضيل من المبالغة شذوذا لا من البلاغة ، لأن مرجع ذلك فى البلاغة الى مقتضى الحال ، ورب حقيقة أبلغ من المجاز لوقوعها فى مقامها .

وَأَنَّ الاِسْتِعَارَةَ أَبْلَغُ مِنَ التَّشْبِيهِ ، لِأَنَّهَا نَوْعٌ مِنَ الْمَجَازِ .

يقتضى وجود اللازم ، لامتناع انفكاك الملزوم عن لازمه [و] أطبقوا أيضا على [أن الاستعارة أبلغ من التشبيه ، لأنها نوع من المجاز] وقد علم أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وليس معنى كَوْن المجاز والكناية أبلغ أن شيئا منهما يوجب أن يحصل فى الواقع زيادة فى المعنى لا توجد فى الحقيقة والتصريح ، بل المراد أنه يفيد زيادة تأكيد للاثبات ، ويفهم من الاستعارة أن الوصف فى المشبه بَالِغٌ حَدَّ الكمال كما فى المشبه به وليس بقاصر فيه كما يفهم من التشبيه ، والمعنى لايتغير حاله في نفسه بأن يُعَبَّرَ عنه بعبارة أبلغ (١) وهذا مراد الشيخ عبد القاهر بقوله : ليست مَزِيَّةُ قولنا ـ رأيت أسدا ـ على قولنا ـ رأيت رجلا هو والأسد سواء فى الشجاعة ـ أن الأول أفاد زيادة فى مساواته للأسد فى الشجاعة لم يفدها الثانى ، بل الفضيلة هى أن الأول أفاد تأكيدًا لاثبات تلك المساواة له لم يفده الثانى ، والله أعلم ـ كمل القسم الثاني والحمد لله على جزيل نَوَاله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله .

---

(١) وقيل إن المعنى يتغير بذلك ، فيجب أن يراعى فى كل عبارة ما يناسبها من المقام فى قوة المعنى وضعفه .

الفَنُّ الثَّالِثُ: عِلْمُ الْبَدِيعِ

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ وُجُوهُ تَحْسِينِ الْكَلَامِ بَعْدَ رِعَايَةِ الْمُطَابَقَةِ وَوُضُوحِ الدَّلَالَةِ وَهُوَ ضَرْبَانِ: مَعْنَوِيٌّ وَلَفْظِيٌّ.

أَمَّا الْمَعْنَوِيُّ

الفن الثالث: علم البديع

[وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام] أى يتصور به معانيها ويعلم أعدادها وتفاصيلها (١) بقدر الطاقة، والمراد بالوجوه مامرفى قوله ـ وتتبعها وجوه أخر تورث الكلام حسنا (٢) وقَوْلُهُ [بعد رعاية المطابقة] لمقتضى الحال [و] رعاية [وضوح الدلالة] أى الْخُلُوِّعن التعقيد المعنوى إشَارَةٌ الى أن هذه الوجوه إنما تُعَدُّ محسنة للكلام بعد رعاية الأمرين، والظرف أعنى قوله ـ بعد رعاية ـ متعلق بقوله ـ تحسين الكلام.

[وهى] أى وجوه تحسين الكلام [ضربان: معنوى] أى راجع الي تحسين المعنى أوّلاً وبالذات، وإن كان قد يفيد بعضها (٣) تحسين اللفظ أيضا [ولفظى] أى راجع الى تحسين اللفظ كذلك.

المحسنات المعنوية

[أما المعنوى] قَدَّمَهُ لأن المقصود الأصلى والغرض الأوَّلِيَّ هو المعانى، والألفاظ

---

(١) يشير بهذا إلى أن المرادبقوله ـ يعرف ـ تصور معانى تلك الوجوه والتصديق بأعدادها وتفاصيلها، وليس المراد به الادراكات الجزئية المتعلقة بالفروع المستخرجة من القواعد كما سبق فى علم المعاني والبيان، لأنه لا قواعد لهذا العلم (٢) انظر ص ٣١ من الجزء الأول (٣) وهذا كما فى المشاكلة لما فيها من إيهام المجانسة.

فَمِنْهُ الْمُطَابَقَةُ وَتُسَمَّي الطِّبَاقَ وَالتَّضَادَّ أَيْضًا ، وَهِيَ الْجَمعُ بَيْنَ مُتَضَادَّيْنِ أَىْ مَعنَيَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ فى الْجُمْلَة ، وَيَكُونُ بِلَفْظَيْنِ مِنْ نَوْعٍ اسْمَيْنِ نَحْوُ ـ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ـ أَوْ فِعْلَيْنِ نَحْوُ ـ يُحْيِي وَيُمِيتُ ـ أَوْ حَرْفَيْنِ نَحْوُ ـ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ـ أَوْ مِنْ نَوْعَيْنِ نَحْوُ ـ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ ـ وَهُوَ ضَرْبَانِ : طِبَاقُ الْإِيجَابِ كَمَا مَرَّ ، وطِبَاقُ السَّلْبِ

تَوَابِعَ وقَوَالِبُ لها [فمنه .

المطابقة

وتسمى الطباق والتضاد أيضا ، وهي الجمع بين متضادين أى معنيين متقابلين فى الجملة] أي يكون بينهما تَقَابُلٌ وتَنَافٍ ولو فى بعض الصور ، سواء كان التقابل حَقيقياً أو اعتبارياً ، وسواء كان تقابل التَّضَادِّ ، أو تقابل الايجاب والسلب ، أو تقابل العدم والملكة ، أو تقابل التَّضَايُف ، أو ما يشبه شيئا من ذلك (١) [ويكون] ذلك الجمع [بلفظين من نوع] واحد من أنواع الكلمة [اسمين نحو ـ وتحسبهم أيقاظاوهم رقود ـ أو فعلين نحو ـ يحي ويميت ـ أو حرفين نحو ـ لها ما كسبت وعليها ماا كتسبت] فان فى اللام معنى الانتفاع وفى على معنى التضرر ، أى لاينتفع بطاعتها ولايتضرر بمعصيتها غيرها [أو من نوعين نحو ـ أو من كان ميتا فأحييناه] فانه قد اعتبر فى الاحياء معنى الحياة ، والموت والحياة مما يتقابلان ، وقد دلَّ على الأول بالاسم وعلى الثانى بالفعل [وهو] أي الطباق [ضربان : طباق الايجاب كما مر ، وطباق السلب] وهو أن يجمع

---

(١) كالقرب والبعد فى اسم الاشارة كقوله :

مَهَا الوحش إلَّا أنَّ هَاتَا أوانسٌ   قَنَا الخَطِّ إلاَّ أنَّ تلك ذوابلُ

نَحْوُ - وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ - وَنَحْوُ - فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ -
وَمِنَ الطِّبَاقِ نَحْوُ قَوْلِهِ :

تَرَدَّى ثِيَابَ المَوْتِ حُمْرًا فَمَا أَتَى ‏ لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ

بين فعلى مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفى أو أحدهما أمر والآخر نهى، فالأول [نحو قوله تعالى - ولكن أكثر الناس لايعلمون ، يعلمون] ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [و] الثانى [نحو قوله تعالى - فلا تخشوا الناس واخشون ، ومن الطباق] ماسماه بعضهم تدبيجا من - دَبَّجَ المطَرُ الأرضَ اذا زينها - وفسره بأن يُذْكَرَ فى معنى من المدح أو غيره ألوانٌ لقصد الكناية أو التَّوْرِيَةِ (١) وأراد بالألوان مافوق الواحد بقرينة الأمثلة، فتدبيج الكناية [نحو قوله : تردي] من - تَرَدَّيْتُ الثوب أخذته رداء [ثياب الموت حمرا فما أتى * لها] أى لتلك الثياب [الليل إلا وهى من سندس خضر (٢)] يعنى ارتدى الثياب الملطخة بالدم فلم ينقض يوم قتله ولم يدخل فى ليلته إلا وقد صارت الثياب من سندس خضر من ثياب الجنة ، فقد جمع بين الْحُمْرَةِ والْخُضْرَةِ ، وقد قصد بالأول الكناية عن القتل ، وبالثانى الكناية عن دخول الجنة ، وتدبيج التورية كقول الحريري : فَمُذ اغْبَرَّ العيش الأخضر، وازْوَرَّ المحبوب الأصفر ، اسْوَدَّ يومى الأبيض، وابْيَضَّ فَوْدِي الأسود ، حتى رَثَى لى العدو الأزرق (٣) فياحَبَّذَا الموت الأحمر (٤) فالمعنى القريب للمحبوب الأصفر إنسان له صُفْرَةٌ ، والبعيد هو الذهب وهو المراد

---

(١) احترز بهذا عن ذكرها لقصد الحقيقة أو المجاز ، وقيل إن ذلك ليس بقيد ، ومن ذلك فى الحقيقة :

ومنثورُ دمعى غَــدَا أَحْمَرًا ‏ على رأس عَارِضكَ الأَخْضَرِ

(٢) البيت لأبى تمام من قصيدة له فى رثاء محمد بن حُمَيْد الطَّائِىّ .

(٣) كناية عن الشديد العداوة (٤) كناية عن القتل .

وَيُلحَقُ بِهِ نَحْوُ ـ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ـ فَإِنَّ الرَّحْمَةَ مُسَبَّبَةٌ عَنِ اللِّينِ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

لَا تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

وَيُسَمَّى الثَّانِي إِيهَامَ التَّضَادِّ .

وَدَخَلَ فِيهِ مَا يَخْتَصُّ بِاسْمِ الْمُقَابَلَةِ ، وَهِيَ أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ

ههنا ، فيكون تورية ، وجمع الألوان لقصد التورية لايقتضى أن يكون فى كل لون تورية كما توهمه بعضهم .

[ويلحق به] أي بالطباق (١) شيئان : أحدهما الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تَعَلُّقٍ ، مثل السَّبَبِيَّة واللزوم [نحو قوله تعالى ـ أشداء على الكفار رحماء بينهم ـ فان الرحمة وإن لم تكن مقابلة للشدة لكنها مسببة عن اللين] الذى هو ضد الشدة [و] الثانى الجمع بين معنيين غير متقابلين عُبِّرَ عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقى [نحو قوله : لاتعجبي ياسلم من رجل *] يعنى نفسه [ضحك المشيب برأسه] أى ظهر ظهورا تَامًّا [فبكى (٢)] ذلك الرجل ، فظهور الشيب لا يقابل البكاء إلا أنه قد عبر عنه بالضحك الذى معناه الحقيقى مُقَابِلٌ للبكاء [ويسمى الثانى إيهام التضاد] لأن المعنيين قد ذكرا بلفظين يُوهِمَان التضاد نظرا إلى الظاهر .

[ودخل فيه] أي فى الطباق بالتفسير الذى سبق [مايختص باسم المقابلة] وإن جعله السكاكى وغيره قسما برأسه من المحسنات المعنوية [وهى أن يؤتى بمعنيين متوافقين

---

(١) الفرق بين الطباق والملحق به أن الطباق يكون التقابل فيه لذات اللفظ والمعنى بخلاف الملحق به (٢) البيت لدعبل بن على الْخُزَاعِيِّ من شعراء الدولة العباسية .

أَوْ أَكْثَرَ ثُمَّ بِمَا يُقابِلُ ذٰلكَ عَلَى التَّرْتِيب ، وَالْمُرَادُ بالتَّوَافُقِ خِلَافُ التَّقَابُلِ نَحْوُ ـ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً ـ وَنَحْوُ قَوْلِه :

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ

وَنَحْوُ ـ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ـ الْمُرَادُ بِاسْتَغْنَى أَنَّهُ زَهِدَ فِيمَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى كَأَنَّهُ اسْتَغْنَى عَنْهُ فَلَمْ يَتَّقِ ، أو

أو أكثر ثم] يؤتى [بما يقابل ذلك] المذكور من المعنيين المتوافقين أو المعانى المتوافقة [على الترتيب] فيدخل في الطباق لأنه جمع بين معنيين متقابلين فى الجملة [والمراد بالتوافق خلاف التقابل] حتى لا يشترط أن يكونا متناسبين أو متماثلين ، فمقابلة الاثنين بالاثنين [نحو ـ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا] أتى بالضحك والقِلَّة المتوافقين ثم بالبكاء والكثرة المقابلين لهما [و] مقابلة الثلاثة بالثلاثة [نحو قوله :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والافلاس بالرجل(١)]

أتى بالحُسْن والدين والغنى ثم بما يقابلها من القبح والكفر والافلاس على الترتيب [و] مقابلة الأربعة بالأربعة [نحو ـ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسري] والتقابل بين الجميع ظاهر (٢) إلا بين الاتِّقاء والاستغناء ، فَبَيَّنَهُ بقوله [والمراد باستغنى أنه زهد فيما عند الله تعالى كأنه استغنى عنه] أى أعرض عما عند الله تعالي [فلم يتق ، أو] المراد

---

(١) هو لأبى دُلَامَةَ من شعراء الدولة العباسية (٢) والمقابلة الرابعة بين مجموع ـ سنيسره لليسرى ، وسنيسره للعسري ـ لا بين الجزءين الأولين منهما لاتحادهما ، ولا بين الأخيرين لعدم استقلالهما ، والمقابلة إنما تكون بين متقابلين مستقلين .

اسْتَغْنَى بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا عَنْ نَعِيمِ الجَنَّـةِ فَلَمْ يَتَّقِ ، وَزَادَ السَّكَّاكِيُّ وَإِذَا شُرِطَ هُنَا أَمْرٌ شُرِطَ ثَمَّتَ ضِـدُّهُ كَهَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا جُعِلَ التَّيْسِيرُ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الإِعْطَاءِ وَالاتِّقَاءِ وَالتَّصْدِيقِ جُعِلَ ضِدُّهُ مُشْتَرَكًا بَيْنَ أَضْدَادِهَا .

باستغنى [استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق] فيكون الاستغناء مستتبعا لعدم الاتقاء وهو مقابل للاتقاء ، فيكون هذا من قَبِيلِ (١) قوله تعالى (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) .

[وزاد السكاكى] فى تعريف المقابلة قيدا آخر حيث قال : هى أن يجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما [وإذا شرط ههنا] أى فيما بين المتوافقين أو المتوافقات (٢) [أمر شرط ثمت] أى فيما بين ضديهما أو أضدادهما [ضده] أى ضـد ذلك الأمر [كهاتين الآيتين ، فانه لما جعل التيسير مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده] أى ضد التيسير وهو التعسير المعبر عنه بقوله ـ فسنيسره للعسري [مشتركا بين أضدادها] وهى البخل والاستغناء والتكذيب ، فعلى هـذا لا يكون قوله ـ ما أحسن

---

(١) أى من الملحق بالطباق (٢) المراد بالشرط هنا الاجتماع فى أمر من الأمور لا الشرط المعروف .

تطبيقات على المطابقة :

(١) قد كان يُدْعَى لَابِسُ الصبر حازمًا   فأصبح يُدْعَى حازمًا حين يجزعُ

(٢) فَتًى تَمَّ فيـه ما يَسُرُّ صديقَـهُ   على أنَّ فيـــه ما يسوءُ الأَعَاديَا

(٣) إذا نحن سِرْنَا بين شرق ومغرب   تَحَرَّكَ يَقْظَانُ التراب ونائِمُهْ

فى الأول مطابقة بلفظين من نوعين وهما ـ الصبر ويجزع ـ وفي الثانى مقابلة اثنين باثنين ، وفى الثالث مطابقة بلفظين من نوع واحد فى قوله ـ يقظان التراب ونائمه .

وَمِنْهُ مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ وَيُسَمَّى التَّنَاسُبَ وَالتَّوْفِيقَ ، وَهُوَ جَمْعُ أَمْرٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ لَا بِالتَّضَادِّ ، نَحْوُ ـ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ـ وَقَوْلِهِ :

كَالْقِسِيِّ الْمُعَطَّفَاتِ بَلِ الْأَسْـ ... ـهُمِ مَبْرِيَّةً بَلِ الْأَوْتَارِ

وَمِنْهَا مَا يُسَمِّيهِ بَعْضُهُمْ تَشَابُهَ الْأَطْرَافِ ، وَهُوَ أَنْ يَخْتِمَ الْكَلَامَ بِمَا يُنَاسِبُ ابْتِدَاءَهُ فِى الْمَعْنَى ، نَحْوُ ـ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ

الدين ـ من المقابلة ، لأنه اشترط فى الدين والدنيا الاجتماع ولم يشترط فى الكفر والافلاس ضده .

[ومنه] اى ومن المعنوى .

[مراعاة النظير

ويسمى التناسب والتوفيق] والائتلاف والتلفيق [أيضا ، وهى جمع أمر ومايناسبه لا بالتضاد] والمناسبة بالتضاد أن يكون كل منهما مقابلا للآخر (١) وبهذا القيد يخرج الطباق ، وذلك قد يكون بالجمع بين أمرين [نحو ـ الشمس والقمر بحسبان] جمعَ بين أمرين [و] نحو [قوله] فى صفة الابل [كالقسى] جمع قوس، [المعطفات] الْمُنْحَنِيات [بل الأسهم] جمع سهم [مبرية] أى منحوتة [بل الأوتار (٢)] جَمْعُ وَتَرٍ ، جَمَعَ بين أمور ثلاثة [ومنها] أى من مراعاة النظير [مايسميه بعضهم تشابه الأطراف ، وهو أن يختم الكلام بما يناسب ابتداءه فى المعنى نحو ـ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار

---

(١) فالمراد به مطلق التنافى لا التضاد المعروف .

(٢) البيت لِلْبُحْتُرِىِّ فى صفة الابل المهزولة .

وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ - وَيَلْحَقُ بِهَا نَحْوُ - الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ - وَيُسَمَّى إِيهَامَ التَّنَاسُبِ .

وهو اللطيف الخبير] فان اللطيف يناسب (١) كَوْنَهُ غير مُدْرَكٍ بالأبصار ، والخبير يناسب كونه مُدرِكاً للابصار ، لأن المُدْرِكَ للشيء يكون خبيرا عالما [ويلحق بها] أى بمراعاة النظير أن يجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان وإن لم يكونا مقصودين هنا [نحو - الشمس والقمر بحسبان ، والنجم] أي والنبات الذى يَنْجُمُ أي يظهر من الارض لاساق له كالبقول [والشجر] الذي له سَاقٌ [يسجدان] أىَ ينقادان لله تعالى فيما خُلِقَا له ، فالنجم بهذا المعنى وإن لم يكن مناسبا للشمس والقمر لكنه قد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما [ويسمى إيهام التناسب] لمثل ماهر فى إيهام التضاد .

---

(١) أى باعتبار المتبادر من اللطف وهو الدقة وإن كان اللطيف فى حقه تعالى بمعنى الرفيق .

تطبيقات على مراعاة النظير :

(١) أَصَحُّ وأقوى ما سمعناه فى النَّدَى ... من الخبر المأثور مُنْذُ قديم
أحاديثُ ترويها السيولُ عن الْحَيَا ... عن البحر عن جُودِ الأمير تميم

(٢) والطَّلُّ فى سلك الغصون كَلُؤْلُؤٍ ... رَطْبٍ يصافحه النسيم فيسقطُ
والطير يقرأ والغَـــدير صحيفةٌ ... والريح تكتب والغمام يُنَقِّطُ

ناسب فى الأول بين الصحة والقوة والسماع والخبر والأحاديث والرواية ، وبين السيل والحيا والبحر وكف الممدوح ، وناسب فى الثانى بين الطل واللؤلؤ ، وبين الغصون والنسيم ، وبين القراءة والصحيفة والكتابة والنقط ، وبين الغدير والريح والغمام .

وَمِنْهُ الْإِرْصَادُ وَيسميه بعضهم التَّسْهِيمَ ، وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ قَبْلَ الْعَجُزِ مِنَ الْفِقْرَةِ أَوْ الْبَيْتِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ إِذَا عُرِفَ الرَّوِيُّ ، نَحْوُ ـ وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ـ وَقَوْلِهِ :

[ومنه] أى ومن المعنوى .

[الارصاد]

وهو فى اللغة نَصْبُ الرقيب فى الطريق [ويسميه بعضهم التسهيم] يقال ـ برد مسهم فيه خطوط مستوية [وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة] وهي فى النثر بمنزلة البيت من النظم ، فقوله ـ هو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ـ فقرة ، و ـ يقرع الأسماع بزواجر وعظه ـ فقرة أخرى ، والفقرة فى الأصل حُلِيٌّ يصاغ على شكل فقرة الظهر [أو] من [البيت مايدل عليه] أى على العجز وهو آخر كلمة من الفقرة أو البيت [إذا عرف الروى] فقوله ـ مايدل ـ فاعل (١) يجعل ، وقوله ـ إذا عرف ـ متعلق بقوله ـ يدل ـ والروي الحرف الذى ينبنى عليه أواخر الأبيات أو الفِقَر ويجب تكرره فى كل منها ، وقيد بقوله ـ إذا عرف الروي ـ لأن من الارصاد مالا يعرف به العجز لعدم معرفة حرف الروي كما فى قوله تعالى (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) فلو لم يعرف أن حرف الروى هو النون لَرُبَّمَا تُوُهِّمَ أن العجز فيما فيه اختلفوا أو اختلفوا فيه ، فالارصاد فى الفقرة [نحو ـ وما كان الله ليظلمهم ولـكن كانوا أنفسهم يظلمون ـ و] فى البيت نحو [قوله :

---

(١) فى العبارة تساهل لأنه نائب فاعل لا فاعل .

إذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْهُ ... وَجاوِزْهُ إلَى ما تَسْتَطِيعُ

وَمِنْهُ الْمُشَاكَلَةُ ، وَهِيَ ذِكْرُ الشَّيْءِ بِلَفْظِ غَيْرِهِ لِوُقُوعِهِ فِى صُحْبَتِهِ تَحْقِيقاً أَوْ تَقْدِيرًا ، فالأَوَّلُ نَحْوُ قَوْلِهِ :

إذا لم تستطع شـيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع (١)]

[ومنه] أى ومن المعنوى .

[المشاكلة

وهى ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه] أي ذلك الشيء [فى صحبته] أى ذلك الغير [تحقيقا أو تقـديرا] أى وقوعا مُحَقَّقاً أو مُقَـدَّرًا (٢) [فالأول نحو قوله] :

---

(١) هو لعمرو بن معديكرب الزُّبيديّ من الشعراء الْمُخَضْرَمِينَ ، والارصاد فى قوله ـ إذا لم تستطع ـ لأنه يدل على أن مادة العجز من مادة الاسـتطاعة المثبتة ، إذ لا يصح أن يقال وجاوزه الى مالا تستطيع ، أو إلى كل ما تشتهى ، أو نحو ذلك ، ومعرفة الروى تدل على أن تلك المـادة تختم بعين قبلها ياء ، وليس ذلك إلا لفظ ـ تستطيع .

تطبيقات على الارصاد :

(١) قوله تعالى ـ (ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إلاَّ الْكَفُورُ) .

(٢) جَهُولٌ بالمناسك ليس يَدْرِى ... أَغَيًّا بات يفعل أم رَشَادَا

إرصاد الأول فى قوله ـ وهل يجازى ـ بعد الاحاطة بما قبله ، لأنه يعلم منه أن العجز ليس إلا لفظ ـ الكفور ـ وإرصاد الثانى فى قوله ـ أغيا ـ بعد الاحاطة بما قبله أيضا .

(٢) والفرق بينها وبين المجاز أنه لابد فيـه من العلاقة بخلافها ، وإنما كانت من المحسنات المعنوية لما فيها من إيراد المعنى بصورة عجيبة غير صورته الأصلية .

قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئًا نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ ... قُلْتُ اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصَا

وَنَحْوِ - تَعْلَمُ مافى نَفْسِى وَلَا أَعْلَمُ مَافى نَفْسِكَ - وَالثَّانِى نَحْوُ - صِبْغَةَ اللهِ - وَهُوَ مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِآمَنَّا بِاللهِ أَىْ تَطْهِيرَ اللهِ ،

[قالوا اقترح شيئا] من - اقترحت عليه شيئا إذا سألته إياه من غير رَوِيَّة وطلبته على سبيل التكليف والتحكم - وجعله من - اقترح الشيء ابتدعه - غير مناسب على مالا يخفى [نجد] مجزوم على أنه جواب الأمر من الاجادة وهى تحسين الشيء [لك طبخه * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا (١)] أى خيطوا ، وذكر خياطة الجبة بلفظ الطبخ لوقوعها فى صحبة طبخ الطعام [ونحو - تعلم ما في نفسى ولا أعلم مافى نفسك] حيث أطلق النفس على ذات الله تعالى لوقوعه فى صحبة نفسى [والثانى] وهو ما يكون وقوعه فى صحبة الغير تقديرا [نحو قوله تعالى (قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا) إلى قوله [صبغة الله] (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) [وهو] أى قوله - صبغة الله [مصدر] لأنه فِعْلَةٌ من صَبَغَ - كالجلسة من - جَلَسَ - وهى الحالة التى يقع عليها الصَّبْغُ [مؤكد لآمنا بالله أى تطهير الله

---

(١) هو لأبى الرَّقَعْمَق أحمد بن محمد الأَنْطَاكِيِّ من شعراء الدولة العباسية .

تطبيقات على المشاكلة :

(١) ألَا لا يَجْهَلَنْ أحد علينا ... فنجهلَ فوق جَهْلِ الجاهلينَا

(٢) مَنْ مُبْلِغٌ أفْنَاءَ يَعْرُبَ كلها ... أنى بنيتُ الجارَ قبل المنزل

مشاكلة الأول فى قوله - فنجهل - لأن المراد فنجازيه على جهله ، وقد عبر عنه بذلك للمشاكلة ، ومشاكلة الثانى فى قوله - بنيت الجار - لأن الجار لا يبنى ، وإنما عبر عنه بذلك لمشاكلة ما بعده ، إذ تقديره قبل بناء المنزل .

لأنَّ الإيمَانَ يُطَهِّرُ النُّفُوسَ ، وَالأَصْلُ فيه أنَّ النَّصَارَى كَانُوا يَغْمِسُونَ أَوْلَادَهُمْ فى مَاءٍ أَصْفَرَ يُسَمُّونَهُ المَعْمُودِيَّةَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ تَطْهِيرٌ لَهُمْ ، فَعَبَّرَ عَنِ الإِيمَانِ بِاللهِ بِصِبْغَةِ اللهِ لِلْمُشَاكَلَةِ بِهٰذِهِ القَرِينَةِ .

وَمِنْهُ المُزَاوَجَةُ ، وَهِيَ أَنْ يُزَاوِجَ بَيْنَ مَعْنَيَيْنِ فى الشَّرْطِ وَالجَزَاءِ ،

لأن الايمان يطهر النفوس] فيكون آمنا مشتملا على تطهير الله لنفوس المؤمنين ودالا عليه ، فيكون صبغة الله بمعنى تطهير الله مُؤَكِّدًا لمضمون قوله ـ آمنا بالله ـ ثم أشار إلى وقوع تطهير الله فى صحبة ما يعبر عنه بالصبغ تقديرا بقوله [والأصل فيه] أى فى هذا المعنى وهو ذكر التطهير بلفظ الصبغ [أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون إنه] أى الغمس في ذلك الماء [تطهير لهم] فاذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حَقًّا ، فأمر المسلمون بأن يقولوا للنصارى : قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا ، هذا إذا كان الخطاب فى قوله ـ قولوا آمنا بالله ـ للكافرين ، وإن كان الخطاب للمسلمين فالمعنى أن المسلمين أمروا بأن يقولوا : صبغنا الله بالايمان صِبْغَةً ولم نُصْبَغْ صبغتكم أيها النصارى [فعبر عن الايمان بالله بصبغة الله للمشاكلة] لوقوعه فى صحبة صبغة النصاري تقديرا [بهذه القرينة] الْحَالِيَّة التى هى سبب النزول من غمس النصارى أولادهم فى الماء الأصفر وإن لم يذكر ذلك لفظا .

[ومنه] أي ومن المعنوى .

[المزاوجة

وهى أن يزاوج] أى يُوقَعَ المزاوجة على أن الفعل مسند إلى ضمير المصدر أو إلى الظرف(١) أعنى قوله [بين معنيين فى الشرط والجزاء] والمعنى يُجْعَلُ معنيان واقعان فى

(١) أى على القول بأن ـ بين ـ ظرف متصرف غير ملازم للنصب على الظرفية .

كَقَوْله :

إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِيَ الْهَوَى　　أَصَاخَتْ إِلَى الْوَاشِي فَلَجَّ بِهَا الْهَجْرُ

وَمِنْهُ الْعَكْسُ ، وَهُوَ أَنْ يُقَدَّمَ جُزْءٌ مِنَ الْكَلَامِ ثُمَّ يُؤَخَّرَ ،

الشرط والجزاء مُزْدَوجَيْن فى أن يُرَتَّبَ على كل منهما معنى رتب على الآخر [كقوله : إذا مانهى الناهى] ومنعنى عن حبها [فلج بى الهوي] لزمنى [أصاخت إلى الواشى] أي استمعت إلى النَّمَّامِ الذى يَشِى حديثا ويزينه وصدقته فيما افتري عَلَىَّ [فلج بهاالهجر (١)] زَاوَجَ بين نَهْيِ الناهى وإصاختها إلى الواشى الواقعين في الشرط والجزاء فى أن رَتَّبَ عليهما لَجَاجَ شىء ، وقد يتوهم من ظاهر العبارة أن المزاوجة هى أن تجمع بين معنيين فى الشرط ومعنيين فى الجزاء كما جمع فى الشرط بين نهى الناهى ولجاج الهوى وفى الجزاء بين إصاختها إلي الواشي ولجاج الهجر ، وهوفاسد إذ لا قائل بالمزاوجة فى مثل قولنا ـ إذا جاءنى زيد فسلم عَلَىَّ أجلسته وأنعمت عليه ، وماذكرنا هو المأخوذ من كلام السلف .

[ومنه] أى ومن المعنوى .

[العكس]

والتبـديل [وهو أن يقـدم جزء من الـكلام] على جزء آخر [ثم يؤخر] ذلك

---

(١) البيت لِلْبُحْتُرِيِّ ، والرواية الصحيحة فيه (أصاخ الى الواشى فلج به الهجر) بدليل البيت قبله :

كأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ بِجَبِينِهِ　　وفى نَحْرِهِ الشِّعْرَي وفى خَدِّهِ البدرُ

وفى قوله ـ فلج بى الهوى . فلج به الهجر ـ قلب ، لأن اللجاج إنما يكون من العاشق فى العشق ومن المعشوق فى الهجر .

ومن المزاوجة قول الشاعر :

وَيَقَعُ عَلَى وُجُوه : مِنْهَا أَنْ يَقَعَ بَيْنَ أَحد طَرَفَى جُمْلَة وَما أُضِيفَ إِلَيْهِ ذٰلِكَ الطَّرَفُ نَحْو ـ عادَاتُ السَّادات سَادَاتُ الْعَادَات ، وَمِنْهَا أَنْ يَقَعَ بَيْنَ مُتعلِّقِ فِعْلَيْن فى جُمْلَتَيْن نَحْو ـ يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الحَىِّ ـ

الْمُقَدَّمُ عن الجزء المؤخر أوَّلاً (١) والعبارة الصريحة ما ذكره بعضهم وهو أن تقدم فى الكلام جزءا ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت ، وظاهر عبارة المصنف صادق على نحو ـ عادات السادات أشرف العادات ـ وليس من العكس (٢) [ويقع] العكس [على وجوه : منها أن يقع بين أحد طرفى جملة وما أضيف اليه ذلك الطرف نحو ـ عادات السادات سادات العادات] فالعادات أحد طرفى الكلام ، والساداتُ مضافٌ اليه ذلك الطرف ، وقد وقع العكس بينهما بأن قُدِّمَ أوَّلاً العادات على السادات ثم السادات على العادات [ومنها] أى من الوجوه [أن يقع بين متعلق فعلين (٣) فى جملتين نحو ـ يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى] فالحى والميت متعلقان

إذا احتربتْ يومًا ففاضت دماؤهَا تذكرتِ القُرْبَى ففاضتْ دموعُهَا

زاوج بين الاحتراب وتذكر القربى الواقعين فى الشرط والجزاء فى ترتب فيضان شىء عليهما (١) إنما كان العكس من المحسنات المعنوية دون رد الْعَجُزِ على الصدر الآتى فى المحسنات اللفظية لأن الحسن فى رد العجز على الصدر باعتبار جعل اللفظ صدرا وعجزا من غير تصرف فى معناه بالتقديم والتأخير (٢) وإنما هو من رد العجز على الصدر .

(٣) ليس بقيد فيدخل فيه نحو قوله تعالي (إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَىِّ ذٰلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) .

ومن العكس أيضا :

(١) فلا مَجْدَ فى الدنيا لمن قَلَّ مالُهُ ولا مالَ فى الدنيا لمن قَلَّ مَجْدُهُ

وَمِنْهاأَنْ يَقَعَ بَيْنَ لَفْظَيْنِ فِى طَرَفَىْ جُمْلَتَيْنِ نَحْوُ ـ لَاهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَاهُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ .

وَمِنْهُ الرُّجُوعُ ، وَهُوَ الْعَوْدُ إِلَى الْكَلَامِ السَّابِقِ بِالنَّقْضِ لِنُكْتَةٍ ، كَقَوْلِهِ :

قِفْ بِالدِّيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقِدَمُ　　بَلَى وَغَيَّرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالدِّيَمُ

بيخرج ، وقد قدم أوّلاً الحي على الميت وثانيا الميت على الحي [ومنها] أى من الوجوه [أن يقع بين لفظين فى طرفى جملتين نحو ـ لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن] قدم أوّلاً هن على هم ، وثانيا هم على هن ، وهما لفظان وقع أحدهما فى جانب المسند اليه والآخر فى جانب المسند .

[ومنه] أى ومن المعنوى .

[الرجوع

وهو العود إلى الكلام السابق بالنقض] أي بنقضه وإبطاله [لنكتة (١) كقوله : قف بالديار التى لم يعفها القدم *] أى لم يُبْلِهَا تَطَاوُلُ الزمان وتَقَادُمُ العهد ، ثم عاد إلى ذلك الكلام ونقضه بقوله [بلى وغيرها الأرواح والديم (٢)] أى الرياح والأمطار ،

---

(٢) إنَّ الليالى للأنام مَنَاهِلٌ　　تُطْوَي وَتُنْشَرُ دونها الأعمارُ

فَقِصَارُهُنَّ مع الهموم طويلةٌ　　وطِوَالُهُنَّ مع السرور قصار

(١) احترز بذلك عن العود إليه بالنقض لمجرد كونه غلطا ، فليس هذا من البديع فى شيء ، والرجوع يكون بألفاظ منها ـ بَلَى ، ولا ، وأستغفرالله (٢) البيت لزهير بن أبى سُلْمَى ، والواو فى قوله ـ وغيرها ـ للعطف على محذوف تقديره بلى عفاها القدم .

ومن الرجوع أيضا :

(١) لِجِنِّيَّةٍ أم غادةٍ رُفِعَ السَّجْفُ　　لِوَحْشِيَّةٍ لا ما لوحشية شَنْفُ

وَمِنْهُ التَّوْرِيَةُ ، وَهِيَ أَنْ يُطْلَقَ لَفْظٌ لَهُ مَعْنَيَانِ قَرِيبٌ وَبَعِيدٌ وَيُرَادُ الْبَعِيدُ ، وَهِيَ ضَرْبَانِ : مُجَرَّدَةٌ ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُجَامِعُ شَيْئًا مِمَّا يُلَائِمُ الْقَرِيبَ ، نَحْوُ ـ الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ـ وَمُرَشَّحَةٌ ، نَحْوُ ـ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ .

والنكتة إظهار التَّحَيُّرِ والتَّوَلُّه ، كأنه أخبر أوَّلاً بما لا تَحَقُّقَ له ، ثم أفاق بعض الافاقة فنقض الكلام السابق قائلا بلي عفاها القدم وغيرها الأرواح والديم .

[ومنه] أي ومن المعنوى .

[التورية]

وتسمي الايهام أيضا ، وهى أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد] اعتمادا على قرينة خفية (١) [وهى ضربان] الأولى [مجردة وهى] التورية [التى لا تجامع شيئا مما يلائم] المعنى [القريب (٢) نحو ـ الرحمان على العرش استوى] فانه أراد باستوي معناه البعيد وهو استولى ، ولم يقرن به شيء مما يلائم المعنى القريب الذى هو الاستقرار (٣) [و] الثانية [مرشحة] وهى التي تجامع شيئا مما يلائم المعني القريب [نحو ـ والسماء بنيناها بأيد] أراد بالأيدى معناه البعيد وهو القدرة ، وقد قرن بها ما يلائم المعنى القريب الذى هو الجارحة المخصوصة وهو قوله ـ بنيناها ـ إذ البناء يلائم اليد ، وهذا

---

(٢) لم يَبْقَ فى الأرض من شيء أَهَابُ لَهُ ... فَلِمْ أهاب انكسارَ الْجَفْنِ ذي السَّقَمِ

أستغفر الله من قولى غلطتُ بلى ... أهابُ شمس الْمَعَالى أُمَّةَ الأمم

(١) أى لأجل أن يذهب الوهم قبل التأمل الى إرادة المعنى القريب ، وبهذا تتحقق التورية ، والمعنى البعيد قد يكون مجازا ، وقد يكون حقيقة كما فى المشترك إذا كان أحد معنييه بعيدا باعتبار الاستعمال (٢) أو ذكر فيها لازمان لكل من القريب والبعيد .

(٣) أورد عليه أن العرش مما يلائم المعنى القريب وهو الاستقرار ، فتكون مرشحة

وَمِنْهُ الاسْتِخْدَامُ ، وَهُوَ أَنْ يُرَادَ بِلَفْظٍ لَهُ مَعْنَيَانِ أَحَدُهُمَا ثُمَّ يُرَادَ بِضَمِيرِهِ

مبنى على ما اشتهر بين أهل الظاهر من المفسرين وإلا فالتحقيق أن هذا تمثيل (١) وتصوير لعظمته وتوقيف على كُنْه جلاله من غير أن يُتَمَحَّلَ للمفردات حقيقة أو مجاز.

[ومنه] أي ومن المعنوى .

[الاستخدام

وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم يراد بضميره] أى بالضمير العائد إلى

لا مجردة ، فالأولى أن يمثل لها بمثل قول الشاعر :

وَمُـــولَعٍ بِفخَاخٍ يصيدها وشِبَاكِ
قالتْ لِيَ العـين مَاذَا يصيد قلتُ كَرَاكِى

فالعين من لوازم الكرى بمعنى النوم ، والصيد من لوازم الْكَرَاكِىِّ جمع كُرْكِىّ وهو طائر معروف (١) شبهت فيه هيئة إيجاد الله السماء بقدرته بهيئة البناء الذى هو وضع لَبِنَة على أخرى باليد الحسية ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه استعارة تمثيلية ، وكذلك قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) .

تطبيقات على التورية :

(١) أرَى العقد فى ثَغْرِه مُحْكَمًا يرينا الصِّحَاحَ من الْجَوْهَرِ

(٢) حملناهُمُ طُرًّا على الدُّهْمِ بعدما خلعنا عليهم بالطِّعَانِ ملابسًا

فى الأول تورية مجردة فى قوله ـ الصحاح ـ فانه يوهم كتاب الجوهرى فى اللغة ، ومراده أسنان محبوبه الشبيهة بالجواهر الصحاح بقرينة قوله ـ فى ثغره ـ وهو مما يلائم المعنى البعيد ، وفى الثانى تورية مرشحة فى قوله ـ الدهم ـ فانه يوهم الخيول السود ، ومراده القيود من الحديد ، وقوله ـ حملناهم ـ مما يناسب المعنى القريب .

الآخَرُ أَوْ يُرَادَ بِأَحَدِ ضَمِيرَيْهِ أَحَدُهُمَا ثُمَّ بِالآخَرِ الآخَرُ ، فالأَوَّلُ كَقَوْلِه :

إِذَا نَزَلَ السَّماءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابَا

وَالثَّانِي كَقَوْلِه :

ذلك اللفظ (١) معناه [الآخر ،أو يراد بأحد ضميريه أحدهما] أى أحد المعنيين [ثم بالآخر] أي بضميره الآخر معناه [الآخر] وفى كِلَيْهِمَا يجوز أن يكون المعنيان حَقيقيَّيْن ، وأن يكونا مجَازِيَّيْن ، وأن يكونا مختلفين (٢) [فالأول] وهوأن يراد باللفظ أحد المعنيين وبضميره معناه الآخر [كقوله :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا(٣)]

جمع غضبان ، أراد بالسماء الغيث وبضميره فى ـ رعيناه ـ النَّبْتَ ، وكلاَ المعنيين مجَازِيٌّ [والثانى] وهو أن يراد بأحد ضميريه أحـد المعنيين وبالضمير الآخر معناه الآخر [كقوله :

---

(١) وقد يأتى الاستخدام في اسم الاشارة ونحوها كما فى قوله :

رأي الْعَقِيقَ فأجرى ذاك نَاظِرُهُ مُتَيَّمٌ لَجَّ فى الأشواق خَاطِرُهُ

(٢) وقد يكون الاستخدام فى أكثر من معنيين كما فى قول ابن الوردى :

وَرُبَّ غزالة طلعتْ بقلبي وَهْوَ مَرْعَاهَا

نصبتُ لها شَبَاكاً منْ لُجَيْنٍ ثم صِـدْنَاهَا

فقالتْ لى وقد صِرْنَا الى عين قصـدناها

بذلتَ العين فا كحلْهَا بِطَلْعَتِهَا وَمَجْـرَاها

(٣) قيل إنه لِجَرِيرٍ من شعراء الدولة الأموية ، وقيل إنه لمعاوية بن مالك بن

فَسَقَى الْغَضَا وَالسَّاكِنِيهِ وَإِنْ هُمُ ... شَبُّوهُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَضُلُوعِي

وَمِنْهُ اللَّفُّ وَالنَّشْرُ، وَهُوَ ذِكْرُ مُتَعَدِّدٍ عَلَى التَّفْصِيلِ أَوِ الْإِجْمَالِ ثُمَّ مَا لِكُلٍّ وَاحِد

فسقى الغضا والسا كنيه وإن هم ... شبوه بين جوانحى وضلوعي (١)]

أراد بأحد ضميرى الغضا أعني المجرور في ـ السا كنيه ـ المكان الذي فيه شجرة الغضا ، وبالآخر أعنى المنصوب فى ـ شبوه ـ النار الحاصلة من شجرة الغضا ، وكلاهما مجازى .

[ومنه] أي ومن المعنوى .

[اللف والنشر

وهو ذكر متعدد على التفصيل أو الاجمال ثم] ذكر [ما لكل واحد] من آحاد

جعفر معوذ الحكما. (١) هو لِلْبُحْتُرِيِّ ، والرواية الصحيحة (بين جوانح وقلوب) . لأنه من قصيدة له مطلعها :

كَمْ بِالْكَثِيبِ من اعتراض كَثِيبِ ... وَقَوَامِ غصن فى الثياب رَطِيبِ

تطبيقات على الاستخدام :

(١) حَكَى الغزالَ طَلْعَةً ولَفْتَةً ... مَنْ ذَا رآهُ مقبلاً ولا افْتَتَنْ

(٢) وللغزالة شيءٌ من تَلَفُّتِهِ ... ونورهامن ضياخَدَّيهِ مُكْتَسَبُ

(٣) أبدًا حديثى ليس بالْ ... مَنْسُوخ إلاَّ فى الدفاترْ

فى الأول استخدام بالتمييز ، لأن ذكر الطلعة يفيد أن المراد بالغزال الشمس ، وذكر اللفتة يفيد أن المراد بها المحبوب ، وفى الثانى استخدام بالضمير ، لأنه أراد بالغزالة الحيوان المعروف وبضمير ـ نورها ـ الغزالة بمعنى الشمس ، وفى الثالث استخدام بالاستثناء ، لأنه أراد بالنسخ قبله الازالة وبعده النقل ، وقيل إن هذا شبهٌ

مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ ثِقَةً بِأَنَّ السَّامِعَ يَرُدُّهُ إِلَيْهِ ، فَالأَوَّلُ ضَرْبَانِ : لأَنَّ النَّشْرَ إِمَّا عَلَى تَرْتِيبِ اللَّفِّ نَحْوُ ـ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ـ وَإِمَّا عَلَى غَيْرِ تَرْتِيبِهِ كَقَوْلِهِ :

كَيْفَ أَسْلُو وَأَنْتَ حِقْفٌ وَغُصْنٌ ... وَغَزَالٌ لَحْظًا وَقَدًّا وَرِدْفَا

هذا المتعدد [من غير تعيين ثقة] أي الذكر بدون التعيين لأجل الوثوق [بأن السامع يرده اليه] أى يرد ما لكُلٍّ من آحاد هذا المتعدد إلى ماهو له ، لعلمه بذلك بالقرائن اللفظية أو المعنوية [فالأول] وهو أن يكون ذكر المتعدد على التفصيل [ضربان : لأن النشر إما على ترتيب اللف] بأن يكون الأول من المتعدد فى النشر للأول من المتعدد فى اللف ، والثانى للثانى وهكذا إلى الآخر [نحو ـ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله] ذكر الليل والنهار على التفصيل ، ثم ذكر ما لليل وهو السكون فيه وما للنهار وهو الابتغاء من فضل الله فيه على الترتيب ، فان قيل عدم التعيين فى الآية ممنوع ، فان المجرور من ـ فيه ـ عائد إلى الليل لا محالة ، قلنا نعم (١) ولٰكن باعتبار احتمال أن يعود إلى كل من الليل والنهار يتحقق عدم التعيين [وإما على غير ترتيبه] أي ترتيب اللف سواء كان معكوس الترتيب [كقوله : كيف أسلو وأنت حقف] وهو النَّقَا من الرمل [وغصن ، وغزال لحظا وقدا وردفا (٢)] واللحظ للغزال ، والقد للغصن ، والردف للحقف ، أو مختلطا كقوله ـ هو شمس

---

(١) أى مُسَلَّمٌ أنه راجع الى الليل نظرا الى الواقع ، وأما بالنظر الى اللفظ استخدام فيحتمل رجوعه الى النهار ، وحينئذ فلا تعيين فيه بحسب اللفظ .

(٢) البيت لابن حَيُّوس الأَشْبِيلِيِّ من شعراء الدولة العباسية .

وَالثَّانِى نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى ـ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ـ أَىْ قَالَتِ الْيَهُودُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا وَقَالَتِ النَّصَارَى لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ نَصَارَى ، فَلَفَّ لِعَدَمِ الالْتِبَاسِ لِلْعِلْمِ بِتَضْلِيلِ كُلِّ فَرِيقٍ صَاحِبَهُ .

وأسد وبحر جودا وبهاء وشجاعة [والثانى] وهو أن يكون ذكر المتعدد على الاجمال [نحو قوله تعالى ـ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى] فان الضمير فى ـ قالوا ـ لليهود والنصارى ، فذكر الفريقان على وجه الاجمال بالضمير العائد اليهما ، ثم ذكر ما لكل منهما [أي قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، فلف] بين الفريقين أو القولين إجمالا [لعدم الالتباس] والثقة بأن السامع يرد إلي كل فريق أو كل قول مَقُولَهُ [للعلم بتضليل كل فريق صاحبه] واعتقاده أن داخل الجنة هو لا صاحبه ، ولا يتصور فى هذا الضرب الترتيب وعدمه ، ومن غريب اللف والنشر أن يذكر مُتَعَدِّدَان (١) أو أكثر ثم يذكر فى نشر واحد ما يكون لِكُلٍّ من آحاد كُلٍّ من المتعددين ، كما تقول ـ الراحة والتعب والعدل والظلم قد سد من أبوابها ما كان مفتوحا وفتح من طرقها ما كان مسدودا (٢) .

---

(١) يعنى به ذكر لَفَّيْن أو أكثر على وجه التفصيل ، ثم يؤتى بعد ذلك بنشر واحد لهما (٢) فقوله ـ الراحة والتعب ـ لَفٌّ أول ، وقوله ـ والعدل والظلم ـ لف ثان ، وقوله ـ قد سد الخ ـ نشر ذكر فيه ما لكل واحد من اللفين ، لأن قوله ـ قد سد من أبوابها ما كان مفتوحا ـ راجع الى الراحة من اللف الأول والى العدل من اللف الثانى ، وقوله ـ وفتح من طرقها ما كان مسدودا ـ راجع الى التعب من اللف الأول والى الظلم من اللف الثانى .

وَمِنْهُ الجَمْعُ ، وَهُوَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ مُتَعَدِّدٍ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ـ المَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ـ وَنَحْوِ قَوْلِهِ :

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَهْ   مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَهْ

وَمِنْهُ التَّفْرِيقُ ، وَهُوَ إِيقَاعُ تَبَايُنٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ مِنْ نَوْعٍ فِي الْمَدْحِ أَوْ غَيْرِهِ ، كَقَوْلِهِ :

[ومنه] أى ومن المعنوى .

[الجمع

وهو أن يجمع بين متعدد] اثنين أو أكثر(١) [في حكم واحد ، كقوله تعالى ـ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ـ ونحو قوله] أى قول أبى الْعَتَاهِيَة : علمتَ يا مُجَاشِعُ بن مَسْعَدَهْ ٭ [إن (٢) الشباب والفراغ والجده ٭] أي الاستغناء (٣) [مفسدة] أى داعية إلى الفساد [للمرء أي مفسده] .

[ومنه] أي ومن المعنوى .

[التفريق

وهو إيقاع تباين بين أمرين من نوع فى المدح أو غيره ، كقوله :

---

(١) ولا بد أن يكون التعدد فى اللفظ بخلاف التعدد فى المعنى كالجمع والتثنية .

(٢) بكسر همزة إن على الحكاية ، لأن البيت من الأشعار المشهورة التى ضَمَّنَهَا أبو العتاهية ، ويجوز فتحها (٣) تفسير للجده ، وهي مصدر وَجَدَ كوعد عدةً .

مانَوَالُ الْغَمَامِ وَقْتَ رَبِيعٍ ... كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ

فَنَوَالُ الْأَمِيرِ بَدْرَةُ عَيْنٍ ... وَنَوَالُ الْغَمَامِ قَطْرَةُ مَاءِ

وَمِنْهُ التَّقْسِيمُ ، وَهُوَ ذِكْرُ مُتَعَدِّدٍ ثُمَّ إِضَافَةُ مَالِكُلٍّ إِلَيْهِ عَلَى التَّعْيِينِ ، كَقَوْلِهِ :

وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ ... إِلَّا الْأَذَلَّانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتَدُ

هٰذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ ... وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْثِى لَهُ أَحَدُ

ما نوال الغمام وقت ربيع * كنوال الأمير يوم سخاء * فنوال الأمير بدرة عين *] هى عشرة آلاف درهم (١) [ونوال الغمام قطرة ماء (٢)] أَوْقَعَ التباين بين النَّوَالَيْنِ .

[ومنه] أى ومن المعنوى .

[التقسيم

وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل اليه على التعيين] وبهذا القيد يخرج اللف والنشر ، وقد أهمله السكاكى فتوهم بعضهم أن التقسيم عنده أَعَمُّ من اللف والنشر ، وأقول إن ذكر الاضافة مُغْنٍ عن هذا القيد ، إذ ليس فى اللف والنشر إضافة ما لكل اليه ، بل يذكر فيه ما لكل حتى يضيفه السامع اليه ويرده [كقوله] أي قول الْمُتَلَمِّسِ [ولا يقيم على ضيم] أى ظلم [يراد به *] الضمير عائد إلى المستثنى منه المقدَّر الْعَامِّ [إلا الأذلان] فى الظاهر فاعل - لايقيم - وفى التحقيق بدل ، أى لايقيم أحد علي ظلم يقصد به إلا هذان [عير الحى] وهو الحمار [والوتد * هذا] أى عير الحي [على الخسف] أي الذل [مربوط برمته *] هى قطعة حبل بالية [وذا] أى الوتد [يشبح] أى يُدَقُّ ويشق رأسه [فلا يرثى] أى فلا يرق ولا يرحم [له أحد] ذكر العير والوتد ، ثم

(١) يعنى أن قيمتها تساوى ذلك ، لأن العين الذهب والدرهم من الفضة .

(٢) البيتان لرشيد الدين الْوَطْوَاط .

وَمِنْهُ الْجَمْعُ مَعَ التَّفْرِيقِ ، وَهُوَ أَنْ يُدْخَلَ شَيْئَانِ فِى مَعْنًى وَيُفَرَّقَ بَيْنَ جِهَتَيِ الإِدْخَالِ ، كَقَوْلِهِ :

فَوَجْهُكَ كَالنَّارِ فِى ضَوْئِهَا وَقَلْبِىَ كَالنَّارِ فِى حَرِّهَا

وَمِنْهُ الْجَمْعُ مَعَ التَّقْسِيمِ ، وَهُوَ جَمْعُ مُتَعَدِّدٍ تَحْتَ حُكْمٍ ثُمَّ تَقْسِيمُهُ أَوِ الْعَكْسُ ،

أضاف الى الأول الربط على الخسف والى الثانى الشج على التعيين ، وقيل لا تعيين لأن ـ هذا وذا ـ متساويان فى الاشارة الى القريب ، فكل منهما يحتمل أن يكون إشارة الى العير والى الوتد ، فالبيت من اللف والنشر دون التقسيم ، وفيه نظر لأنا لا نسلم التساوى ، بل فى حرف التنبيه إيماء الى أن القرب فيه أقل بحيث يحتاج الى تنبيه ما بخلاف المجرد عنها ، فهذا للقريب أعني العير ، وذا للأقرب أعني الوتد ، وأمثال هذه الاعتبارات لا ينبغي أن تهمل فى عبارات البلغاء ، بل ليست البلاغة إلا رعاية أمثال ذلك .

[ومنه] أي من المعنوى .

[الجمع مع التفريق

وهو أن يدخل شيئان (١) فى معنى ويفرق بين جهتى الادخال ، كقوله :

فوجهك كالنار فى ضوئها وقلبي كالنار في حرها (٢)]

أدخل قلبه ووجه الحبيب فى كونهما كالنار ، ثم فرق بينهما بأن وجه الشبه فى الوجه الضوء واللمعان ، وفى القلب الحرارة والاحتراق .

[ومنه] أي ومن المعنوي .

[الجمع مع التقسيم

وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو العكس] أي تقسيم متعدد ثم جمعه تحت

---

(١) أو أكثر (٢) هو لرشيد الدين الوطواط .

فالأَوَّلُ كَقَوْلِه :

حَتَّى أقامَ عَلَى أرْبَاضِ خَرشَنَةٍ تَشْقَى بِه الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبِيَعُ
لِلسَّبْيِ مانَكَحُوا وَالْقَتْلِ ماوَلَدُوا وَالنَّهْبِ مَاجَمَعُوا وَالنَّارِ مازَرَعُوا

وَالثَّانى كَقَوْلِه :

قَوْمٌ إذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ أَوْ حَاوَلُوا النَّفعَ فى أشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

حكم [فالأول] أى الجمع ثم التقسيم [كقوله : حتى أقام] أى الممدوح ، ولتضمين الاقامة معنى التسليط عداها بعلى فقال [على أرباض] جمع رَبَض وهو ما حول المدينة [خرشنة *] وهى بلدة من بلاد الروم [تشقى به الروم والصلبان] جمع صليب النصارى [والبيع *] جمع بِيعَة وهى مُتعبدهُم ، وحتى متعلق بالفعل فى البيت السابق أعنى - قاد المقانب (١) أى العساكر ، جمع في هـذا البيت شقاء الروم بالممدوح (٢) ثم قَسَّم فقال [للسبي مانكحوا والقتل ماولدوا *] ذكر - ما - دون - مَنْ - إهانةً وقلَّةَ مُبالَاةَ بهم كأنهم من غير ذوي العقول ومُلَاءَمَةً لقوله [والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا - والثانى] أي التقسيم ثم الجمع [كقوله : قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا]

---

(١) وتمامه :

قاد الْمَقَانِبَ أقصى شُرْبِهَا نَهَلٌ مع الشَّكِيمِ وأدنى سيرها سَرَعُ

والأبيات للمتنبي ، وضمير قاد لسيف الدولة ، والمقانب جمع مِقْنَب مابين الثلاثين الى الأربعين من الخيل (٢) الأولى جمع الروم الشامل للنساء والأولاد والمال والزرع فى حكم وهوالشقاء ، ثم قسم ذلك الحكم الى سبي وقتل ونهب وإحراق وأرجع الى كل واحد منها ما يناسبه مما جمعه .

سَـــجِيَّةٌ تلْكَ منهم غَيْرُ مُحْدَثَةٍ إنَّ الْخَلَائِقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدَعُ

وَمنْـهُ الْجَمْعُ مَعَ التَّفْرِيقِ وَالتَّقْسِيمِ ، كَقَوْله تَعَـالي ـ يَوْمَ يَأْتِ لاَتَكَلَّمُ نَفْسٌ إلَّا بِإذْنه فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَـعِيدٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَـقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَـا

أي طلبوا [النفع فى أشياعهم] أى أتباعهم وأنصارهم [نفعوا * سجية] أى غريزة وخُلُقٌ [تلك] الخصلة [منهم غير محدثة * إن الخلائق] جمع خليقة وهى الطبيعة والْخُلُقُ [فاعلم شرها البدع (١)] جمع بدعة وهى المبتدعات الْمُحْدَثَاتُ ، قَسَّمَ فى الأول صفة الممدوحين الى ضرر الأعداء ونفع الأولياء ، ثم جمعها فى الثانى تحت كونها سجية .

[ومنه] أى ومن المعنوي .

[الجمع مع التفريق والتقسيم]

وتفسيره ظاهر مما سبق فلم يتعرض له [كقوله تعالى ـ يوم يأت] يعنى يأتى الله أى أمره أو يأتي اليوم أي هَوْلُهُ ، والظرف منصوب باضمار اذكر أو بقوله [لا تكلم نفس] أى بما ينفع من جواب أو شـفاعة [إلا باذنه فنهم] أى من أهل الموقف [شقى] مَقْضِيٌّ له بالنار [وسعيد] مَقْضِيٌّ له بالجنة [فأما الذين شقوا فى النار لهم فيها زفير] إخراج النَّفَس بشدة [وشهيق] رَدُّهُ بشدة [خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض] أى سماوات الآخرة وأرضها (٢) أو هـذه العبارة كناية عن التأبيد ونَفْي الانقطاع (٣) [إلا ما شاء ربك] أى إلا وقت مشيئة الله تعالى [إن ربك فعال لما

---

(١) هو لحسّان بن ثابت رضي الله عنه (٢) وهى دائمة باقية (٣) وإن كانت السماوات والأرض غير باقيتين ، كقولهم ـ لا أفعل كذا ما أقام ثَبِيرٌ .

يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ .

وَقَدْ يُطْلَقُ التَّقْسِيمُ عَلَى أَمْرَيْنِ آخَرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تَذْكُرَ أَحْوَالَ الشَّيْءِ مُضَافاً إِلَى كُلٍّ مَا يَلِيقُ بِهِ ، كَقَوْلِهِ :

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَا وَمَشَايِخٍ كَأَنَّهُمُ مِنْ طُولِ مَا الْتَثَمُوا مُرْدُ
ثِقَالٍ إِذَا لَاقَوْا خِفَافٍ إِذَا دُعُوا كَثِيرٍ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٍ إِذَا عُدُّوا

يريد] من تخليد البعض كالكفار ، وإخراج البعض كالفساق [وأما الذين سعدوا فنى الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ] أى غير مقطوع بل ممتد لا الي نهاية ، ومعنى الاستثناء فى الأول أن بعض الأشقياء لا يخلدون فى النار كالعصاة من المؤمنين الذين شقوا بالعصيان ، وفى الثانى أن بعض السعداء لا يخلدون في الجنة بل يفارقونها ابتداء يعنى أيّام عذابهم كالفساق من المؤمنين الذين سعدوا بالايمان ، والتأبيد من مبدإ معين كما ينتقض باعتبار الانتهاء فكذلك باعتبار الابتداء ، فقد جمع الأنفس بقوله ـ لا تكلم نفس ـ ثم فرق بينهم بأن بعضهم شقى وبعضهم سعيد بقوله ـ فمنهم شقى وسعيد ـ ثم قسم بأن أضاف الى الأشقياء ماالهم من عذاب النار والى السعداء مالهم من نعيم الجنة بقوله ـ فأما الذى شقوا ـ الى آخره .

[وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين : أحدهما أن تذكر أحوال الشيء مضافا الى كل] من تلك الأحوال [ما يليق به ، كقوله :

سأطلب حقى بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما التثموا مرد

ثقال] لشدة وَطْأتهمْ علىالأعداء [اذا لاقوا] أى حاربوا [خفاف] أى مسرعين(١) الى الاجابة [اذا دعوا ،] الى كفاية مُهِمّ ودفاع مُلِمّ [كثير اذا شدوا] لقيام واحد

(١) هكذا فى كل النسخ والصواب مسرعون . الآن يقرأ خفاف وثقال بالجر على أنها نعت لمشايخ

وَالثَّانى اسْتِيفَاءُ أَقْسَامِ الشَّىْءِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ـ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً .

مقَامَ الجماعة [قليل اذا عدوا (١)] ذكر أحوال المشايخ وأضاف الى كل حال ما يناسبها ، بأن أضاف الى الثقل حال الملاقاة ، والى الخفة حال الدعاء ، وهكذا الى الآخر [والثانى استيفاء أقسام الشىء ، كقوله تعالى ـ يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما] فان الانسان إما ألاَّ يكونَ له ولد ، أو

---

(١) البيتان للمتنبى ، والقنا واحده قناة وهي الرمح ، والتثموا وضعوا اللثام على الفم والأنف فى الحرب ، ومرد جمع أمرد وهو الذى لا لحية له .

تطبيقات على اللف والنشر ، والجمع ، والتفريق ، والتقسيم :

(١) آراؤهُ وعطاياهُ ونعمتهُ	وعفوهُ رحمةٌ للناس كلِّهِمِ
(٢) فعلُ المُدامِ ولونُهَا ومذاقُها	فى مُقْلَتَيْهِ ووجْنَتَيْهِ وريقِهِ
(٣) فجودُ كفَّيهِ لم تُقلِعْ سحائبُهُ	عن العبادِ وجودُ السُّحْبِ لم يدُمِ
(٤) تَشَابَهَ دَمْعَانَا غداةَ فراقنا	مُشَابَهَةً فى قِصَّةٍ دون قِصَّةِ
فَوَجْنَتُهَا تَكْسِى المدامعَ حمرةً	ودمعِى يكسو حمرةَ اللونِ وَجْنَتِى
(٥) بدَتْ قمرًا ومالت خُوطَ بَانٍ	وفاحتْ عنبرًا ورنَتْ غزالاَ
(٦) لِمُخْتَلِفِى الحاجات جمْعٌ ببابه	فهذا له فَنٌّ وهـــذا له فَنُّ
فللخاملِ العَلْيَاءُ وللمُعْدِمِ الغِنَى	وللمذنبِ العُتْبَى وللخائفِ الأمنُ

الأول من الجمع ، والثانى من اللف والنشر ، والثالث من التفريق ، والرابع من الجمع والتفريق ، والخامس من التقسيم ، والسادس من الجمع والتفريق والتقسيم .

وَمِنْهُ التَّجْرِيدُ ، وَهُوَ أَنْ يُنْتَزَعَ مِنْ أَمْرٍ ذِي صِفَةٍ آخَرُ مِثْلُهُ فِيهَا مُبَالَغَةً لِكَمَالِهَا فِيهِ ، وَهُوَ أَقْسَامٌ : مِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِمْ - لِي مِنْ فُلَانٍ صَدِيقٌ حَمِيمٌ - أَيْ بَلَغَ فُلَانٌ مِنَ الصَّدَاقَةِ حَدًّا صَحَّ مَعَهُ أَنْ يُسْتَخْلَصَ مِنْهُ آخَرُ مِثْلُهُ فِيهَا ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِمْ - لَئِنْ سَأَلْتَ فُلَانًا لَتَسْأَلَنَّ بِهِ الْبَحْرَ - وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ :

يكون له ولد ذكر أو أنثى ، او ذكر وأنثى ، وقد اسْتَوْفَى فى الآية جميع الأقسام .

[ومنه] أى ومن المعنوى :

[التجريد

وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة] أمرٌ [آخر مثله فيها] أي مُمَاثِلٌ لذلك الأمر ذى الصفة فى تلك الصفة [مبالغة] أي لأجل المبالغة ، وذلك [لكمالها] أى تلك الصفة [فيه] أى في ذلك الأمر حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة [وهو] أي التجريد [أقسام : منها] ما يكون بِمِنَ التَّجْرِيدِيَّةِ (١) [نحو قولهم - لى من فلان صديق حميم] أى قريب يهتم لأمره [أى بلغ فلان من الصداقة حدا صح معه] أى مع ذلك الحد [أن يستخلص منه] أى من فُلَانٍ صديقٌ [آخر مثله فيها] أى فى الصداقة [ومنها] ما يكون بالباء التجريدية (٢) الداخلة على الْمُنْتَزَعِ منه [نحو قولهم - لئن سألت فلانا لتسألن به البحر] بَالَغَ فى اتصافه بالسماحة حتى انتزع منه بحرا فى السماحة [ومنها] ما يكون بدخول باء الْمَعِيَّةِ فى الْمُنْتَزَعِ [نحو قوله :

---

(١) وتدخل على الْمُنْتَزَعِ منه ، ومعناها الابتداء (٢) ومعناها الْمُصَاحَبَةُ أو السَّبَبِيَّةُ .

وَشَوْهَاءَ تَعْدُو بِي إِلَى صَارِخِ الْوَغَى ... بِمُسْتَلْئِمٍ مِثْلِ الْفَنِيقِ الْمُرَحَّلِ

وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى ـ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ـ أَيْ فِي جَهَنَّمَ وَهِيَ دَارُ الْخُلْدِ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ:

فَلَئِنْ بَقِيتُ لَأَرْحَلَنَّ بِغَزْوَةٍ ... تَحْوِي الْغَنَائِمَ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمُ

وَقِيلَ تَقْدِيرُهُ أَوْ يَمُوتَ مِنِّي كَرِيمٌ

وشوهاء] أى فرس قبيح المنظر لسَعَة أشداقها ، أو لمـا أصابها من شدائد الحرب [تعدو] أى تسرع [بى الى صارخ الوغى *] أي مستغيث فى الحرب [بمستلْئم] أى لابس لَأْمَة وهى الدِّرْعُ ، والباء للملابسة والمصاحبة [مثل الفنيق] هو الفحل المُكْرَم [المرحل (١)] من ـ رَحَّلَ البعير أشخصه عن مكانه وأرسله ـ أى تعدو بى ومعى من نفسى مستعد للحرب ، بالغ فى استعداده للحرب حتى انتزع منه آخر [ومنها] ما يكون بدخول ـ فى ـ فى المنتزع منه [نحو قوله تعالى ـ لهم فيها دار الخلد ـ أى فى جهنم وهي دار الخلد] لكنه انتزع منها دارا أخرى وجعلها مُعَدَّةً فى جهنم لأجل الكفار تهويلا لأمرها ، ومبالغة فى اتصافها بالشدة [ومنها] ما يكون بدون توسط حرف [نحو قوله : فلئن بقيت لأرحلن بغزوة * تحوى] أى تجمع [الغنائم أو يموت] منصوب باضمار أن أى إلا أن يموت [كريم (٢)] يعنى نفسه ، انتزع من نفسه كريما مبالغة في كرمه ، فان قيل هذا من قَبِيل الالتفات (٣) من التكلم الى الغيبة ، قلنا لا يُنَافِي التجريدَ على ما ذكرنا (٤) [وقيل تقديره أو يموت منى كريم] فيكون

---

(١) ذكر شارح الشواهد أنه لا يعرف قائله (٢) البيت لقَتَادَةَ بن مَسْلَمَةَ الْحَنَفِيِّ من شعراء الجاهلية (٣) وحينئذ لا يكون من التجريد ، لأن الالتفات مبنى على اتحاد المعني فى طريقيه ، والتجريد مبنى على اعتبار أن المُجَرَّدَ غير المجرد منه .

(٤) أى فى تعريف التجريد فانه لا يمنع أن يجامعه الالتفات ، وهـذا لأن المراد

وَفيه نَظَرٌ ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِه :

يا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطِيَّ وَلاَ   يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفِّ مَنْ بَخِلاَ

وَمِنْها مُخَاطَبَةُ الانْسان نَفْسَهُ كَقَوْلِه :

لاَ خَيْلَ عِنْـــدَكَ تُهْدِيهَا وَلاَمَالُ   فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إنْ لَمْ يُسْعِدِ الحَالُ

من قبيل - لى من فلان صديق حميم - ولا يكون قسما آخر [وفيه نظر] لحصول التجريد وتمام المعنى بدون هذا التقدير [ومنها] ما يكون بطريق الكناية [نحو قوله :

ياخير من يركب المطى ولا   يشرب كأسا بكف من بخلا (١)

أي يشرب الكأس بكف الجواد ، انتزع منه جوادا يشرب هو بكفه على طريق الكناية ، لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبت له الشرب بكف كريم ، ومعلوم أنه يشرب بكفه فهو ذلك الكريم ، وقد خفى هذا على بعضهم فزعم أن الخطاب إن كان لنفسه فهو تجريد ، وإلاّ فليس من التجريد فى شيء ، بل كناية عن كَوْن الممدوح غير بخيل ، وأقول : الكناية لا تنافى التجريد على ما قررنا ، ولو كان الخطاب لنفسه لم يكن قسما بنفسه بل داخلا فى قوله [ومنها مخاطبة الانسان نفسه] وبيان التجريد فى ذلك أنه ينتزع من نفسه شخصا آخر مثله فى الصفة التى سيقَ لها الكلام ثم يخاطبه [كقوله :

لا خيل عندك تهديها ولا مال   فليسعدالنطق إن لم يسعد الحال(٢)]

بالاتحاد فى الالتفات الاتحادُ فى نفس الأمر لا الاتحادُ فيه وفى الاعتبار ، والمراد بالتعدد فى التجريد التعدد بحسب الاعتبار لا فى نفس الأمر ، فلا منافاة بينهما فى ذلك.

(١) هو لأعشى قيس (٢) هو للمتنبى .

وَمِنْهُ الْمُبَالَغَةُ الْمَقْبُولَةُ ، وَالْمُبَالَغَةُ أَنْ يُدَّعَى لِوَصْفٍ بُلُوغُهُ فِى الشِّدَّةِ أَوِ الضَّعْفِ حَدًّا مُسْتَحِيلاً أَوْ مُسْتَبْعَدًا لِئَلَّا يُظَنَّ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَنَاهٍ فِيهِ ، وَتَنْحَصِرُ فِى التَّبْلِيغِ وَالْإِغْرَاقِ وَالْغُلُوِّ ، لِأَنَّ الْمُدَّعَى إِنْ كَانَ مُمْكِنًا عَقْلاً وَعَادَةً فَتَبْلِيغٌ كَقَوْلِهِ :

أي الغنى ، فكأنه انتزع من نفسه شخصا آخر مثله فى فَقْد الخيل والمال وخاطبه .

[ومنه] أي ومن المعنوى .

[المبالغة المقبولة]

لأن المردودة لا تكون من المُحَسِّنات ، وفى هذا إشارة الى الرد على من زعم أن المبالغة مقبولة مطلقا ، وعلى من زعم أنها مردودة مطلقا ، ثم إنه فسر مطلق المبالغة وبَيَّنَ أقسامها والمقبول منها والمردود فقال [والمبالغة] مطلقا [أن يدعى لوصف بلوغه فى الشدة أو الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا] وإنما يدعى ذلك [لئلا يظن أنه] أى ذلك الوصف [غير متناه فيه] أي فى الشدة أو الضعف ، وتذكير الضمير وإفراده باعتبار عوده الى أحد الأمرين [وتنحصر] المبالغة [فى التبليغ والاغراق والغلو] لا بِمُجَرَّد الاستقراء بل بالدليل القطعى ، وذلك [لأن المدعى إن كان ممكنا عقلا وعادة فتبليغ كقوله : فعادى] يعنى الفرس [عداء] هو الموالاة بين الصيدين يَصْرَعُ أحدهما

ومن التجريد أيضا :

(١) وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ ... وهل تطيق وداعاً أيُّهَا الرَّجُلُ

(٢) بِفَتَاهُ يا كَبِدِى ولوعة مُهْجَتِى ... قد زال صَفْوُ شَأنهُ التَّكْدِيرُ

لا تُوصِ ثَكْلَى قدأصاب فؤادها ... حزنٌ عليك وحسرةٌ وزَفِيرُ

فَعَادَى عِـدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ ‏ ‏ دِرَاكًا فَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ

وَإِنْ كَانَ مُمْكِنًا عَقْلاً لَا عادَةً فَإِغْرَاقٌ كَقَوْلِهِ :

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا ‏ ‏ وَنُتْبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَالَا

وَهُمَا مَقْبُولَانِ ، وَإِلَّا فَغُلُوٌّ كَقَوْلِهِ :

وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ ‏ ‏ لَتَخَافُكَ النُّطَفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

وَالْمَقْبُولُ مِنْهُ أَصْنَافٌ: مِنْهَا مَا أُدْخِلَ عَلَيْهِ مَا يُقَرِّبُهُ إِلَى

على أثر الآخر فى طَلْقٍ واحـد [بين ثور] يعنى الذكر من بقر الوحش [ونعجة *] يعنى الأنثى منها [دراكا] أى مُتَتَابِعًا [فلم ينضح بماء فيغسل (١)] مجزوم معطوف على ينضح أي لم يَعْرَقْ فلم يغسل ، ادعى أن فرسه أدرك ثورا ونعجة فى مضمار واحـد ولم يعرق ، وهـــذا ممكن عقلا وعادة [وإن كان ممكنا عقلا لا عادة فاغراق كقوله : ونـكرم جارنا مادام فينا * ونتبعه] من الاتباع أي نرسل [الـكرامة] على أثره [حيث مالا (٢)] أى سار ، وهذا ممكن عقلا لا عادة ، بل فى زماننا يكاد يلحق بالممتنع عقلا ، إذ كل ممكن عادة ممكن عقلا [وهما] أي التبليغ والاغراق [مقبولان ، وإلا] أى وإن لم يكن ممكنا لا عقلا ولا عادة ، لامتناع أن يكون ممكنا عادة ممتنعا عقلا ، إذ كل ممكن عادة ممكن عقلا ولا ينعكس [فغلو كقوله : وأخفت أهل الشرك حتى إنه *] الضمير للشان [لتخافك النطف التى لم تخلق (٣)] فان خوف النطفة الغير المخلوقة ممتنع عقلا وعادة [والمقبول منه] أى من الغلو [أصناف : منها ما أدخل عليه ما يقربه الى

---

(١) البيت لامرىء القيس فى وصف فرس (٢) البيت لعمرو بن الأَيْهَمِ التَّغْلِبِيِّ .

(٣) البيت لأبى نُوَاسٍ من قصيدة له فى مدح الرشيد .

الصِّحّة نحوُ ـ يَكادُ ـ في قوْله تعالى ـ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ ولو لم تمسسه نارٌ ـ ومنها ما تَضمّن نوعًا حسنًا من التّخييل كقوْله :

عقَدتْ سنابِكُها عليْها عِثْيرًا لَوْ تبْتغي عَنَقًا عليْه لأَمْكَنا

الصحة نحو] لفظة [يكاد (١) فى قوله تعالى ـ يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ـ ومنها ما تضمن نوعا حسنا من التخييل كقوله : عقدت سنابكها] أى حوافر الجياد [عليها] يعنى فوق رؤوسها [عثيرا *] بكسر العين أى غبارا ، ومن لطائف العلامة (٢) في شرح المفتاح العثير الغبار ولا تفتح فيه العين ، وألطف من ذلك ما سمعت أن بعض البَغّالين كان يسوق بغلته فى سوق بغداد ، وكان بعض عدول دار القضاء حاضرا فضرطت البغلة فقال البغال على ماهو دأبهم : بلحية العدل (٣) بكسر العين يعنى أحد شقّي الوِقْر ، فقال بعض الظرفاء على الفَوْر : افتح العين فان المولى حاضر (٤) ومن هـذا القَبِيل ما وقع لى فى قصيدة :

عَلاَ فأصبح يدعوه الورى مَلِكًا وريْثَمَا فتحوا عَيْنًا غـدا مَلَكَا

ومما يناسب هذا المقام أن بعض أصحابى ممن الغالب على لهجتهم إمالة الحركات نحو الفتحة أتانى بكتاب ، فقلت: لمن هو؟ فقال : لمولانا عمر ، بفتح العين ، فضحك الحاضرون ، فنظر إلَيَّ كالْمُتَعَرِّف عن سبب ضحكهم المسترشد لطريق الصواب ، فرمزت اليه بغَضِّ الجفن وضَمِّ العين ، فتفطن للمقصود واستظرف الحاضرون ذلك [لو تبتغى] أى

---

(١) ومثلها أخواتها فى إفادة القرب ، ولفظة لو ، ولولا ، وحرف التشبيه .

(٢) أي الشِّيرَازيّ ، وإنما كان ذلك من اللطائف لما فيه من التورية أو التوجيه .

(٣) يعني أن مافعلت يقع بلحية العدل لا بلحيته ، وقد شبه العدل فى ذلك برجل له لحية على سبيل الاستعارة المكنية (٤) فى ذلك تورية أو توجيه أيضا .

وَقَد اجْتَمَعا فى قَوْله :

يُخَيَّلُ لِى أنْ سُمِّرَ الشُّهْبُ فى الدُّجَى   وَشُدَّتْ بأَهْدَابى إِلَيْهِنَّ أجْفانى

وَمِنْها ما أُخْرِجَ مُخْرَجَ الهَزْلِ وَالخَلاَعَة كَقَوْله :

أَسكَرُ بالْأَمْسِ إنْ عَزَمْتُ عَلَى الشُّرْ   بِ غَدًا إنَّ ذَا مِنَ العَجَبِ

تلك الجياد [عنقا] هو نوع من السير [عليه] أي على ذلك العثير [لأمكننا (١)] أي العنق ، ادعي تَرَاكُمَ الغبار المرتفع من سنابك الخيل فوق رؤوسها بحيث صار أرضا يمكن سيرها عليه ، وهذا ممتنع عقلا وعادة لكنه تخييل حسن [وقد اجتمعا] أي إدخال ما يقربه الى الصحة وتَضَمُّنُ التخييل الحسن [فى قوله :

يخيل لى أن سمر الشهب فى الدجى   وشدت بأهدابى اليهن أجفانى (٢)

أى يُوقَعُ في خيالى أن الشهب مُحْكَمَةٌ بالمسامير لا تزول عن مكانها ، وأن أجفان عينى قد شدت بأهدابها الى الشهب ، لطول ذلك الليل وغاية سهرى فيه ، وهذا تخييل حسن ، ولفظ يخيل يزيده حسنا (٣) [ومنها ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة كقوله :

أسكر بالأمس إن عزمت على الشر   ب غدا إن ذا من العجب(٤)]

---

(١) البيت للمتنبى ، وفيه أيضا ما يقربه الى الصحة وهو لفظة لو .

(٢) هو للقاضى الأرَّجَانِّى من شعراء الدولة العباسية (٣) لأنه يقربه من الصحة .

(٤) ذكر شارح الشواهد أنه لا يعرف قائله ، وإنما كان ذلك ونحوه مقبولا لأن ما يوجب التضاحك من المحال لا يعد صاحبه موصوفا بنقيصة الكذب عرفا .

تطبيقات على المبالغة :

(١) كَفَى بجسمى نُحُولاً أننى رَجُلٌ   لولا مخاطبتى إيَّاكَ لم تَرَنى

(٢) كأنِّى دحوتُ الأرضَ من خُبْرَتى بها   كأنى بنى الاسكندرُ السَّدَّ من عزْمى

وَمِنْهُ الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ ، وَهُوَ إِيرَادُ حُجَّةٍ لِلْمَطْلُوبِ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ، نَحْوُ - لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا - وَقَوْلِهِ :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ

[ومنه] أي ومن المعنوى :

[المذهب الكلامى

وهو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام] وهو أن تكون بعد تسليم المقدمات مستلزمة للمطلوب [نحو - لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا] واللازم وهو فساد السماوات والأرض باطل ، لأن المراد به خروجهما عن النظام الذى هما عليه ، فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة ، وهذه الملازمة من المشهورات الصادقة التى يكتفى بها في الْخَطَابِيَّاتِ (١) دون القطعيات المعتبرة في البرهانيات (٢) [وقوله : حلفت فلم أترك لنفسك ريبة *] أي شَكًّا [وليس وراء الله للمرء مطلب *] فكيف

(٣) ويكادُ يخرجُ سرعةً من ظلِّه ... لو كان يرغب فى فراق رَفيق

فى الأول إغراق ، لأن عدم رؤيته إياه من النحول ممكن عقلا لا عادة ، وفى الثانى غلو غير مقبول ، لأنه شبه نفسه بالخالق تعالى فى دَحْوِه الأرض ، وفى الثالث غلو مقبول ، لأنه قربه إلى الصحة بلفظة يكاد .

(١) وهى المفيدة للظن (٢) لأن تعدد الآلهة ليس قطعى الاستلزام للفساد ، لجواز عدم الفساد مع تعددهم بأن يتفقوا ، فالدليل على هذا إقناعى لا برهاني ، ولو أريد بالفساد عدم وجودهما كانت الملازمة قطعية والدليل برهانيا ، لأن التعدد يلزمه جواز الخلاف ، وجواز الخلاف يلزمه جواز التمانع ، وجواز التمانع يلزمه عجز الاله ، وعجز الاله يلزمه عدم وجودهما ، وهو باطل بالمشاهدة .

لئن كنت قد بلغت عنى وشاية ... لمبلغك الواشى أغش وأكذب

ولكننى كنت امرءا لى جانب ... من الارض فيه مستراد ومذهب

ملوك وإخوان إذا ما مدحتهم ... أحكم فى أموالهم وأقرب

كفعلك فى قوم أراك اصطفيتهم ... فلم ترهم فى مدحهم لك اذنبوا

يحلف به كاذبا [لئن كنت] اللام لتوطئة القسم [قد بلغت عنى وشاية * لمبلغك] اللام جواب القسم [الواشى أغش] من - غَشَّ اذا خان [وأكذب - ولكننى كنت امرءا لى جانب * من الأرض فيه] أى فى ذلك الجانب [مستراد] أى موضع طلب الرزق ، من - رَادَ الْكَلَأَ [ومذهب] أى موضع ذهاب للحاجات [ملوك] أي فى ذلك الجانب ملوك [وإخوان اذا مامدحتهم * أحكم فى أموالهم] أى أتصرف فيها كيف شئت [وأقرب] عندهم وأصير رفيع المرتبة [كفعلك] أى كما تفعله أنت [فى قوم أراك اصطفيتهم *] وأحسنت اليهم [فلم ترهم فى مدحهم لك أذنبوا (١)] أي لا تعاتبنى على مدح آل جَفْنَةَ المحسنين الىَّ والمنعمين علىَّ كما لا تعاتب قوما أحسنت اليهم فمدحوك ،

---

(١) الأبيات للنابغة الذُّبْيَانِىّ فى الاعتذار إلى النعمان بن المنذر ، وكان قد وشى فيه عنده فهرب منه إلى آل جفنة ملوك الشام .

ومن المذهب الكلامى أيضا :

(١) يقولون لم يُورَثْ ولولا تُرَاثُهُ ... لقد شَرِكَتْ فيه بكيلٌ وأرحبُ

(٢) قل لمن أنكروا مَفَاخِرَ قومى ... مثل ما أنكروا مآثِرَ وُلْدِى

هل وقفتم بقمّة الهَرَمِ الأكـ ... بر يوما فريتم بعض جهدى

إن مجدى فى الأُولَيَات عريقٌ ... من له مثل أُولَيَاتِى ومجدى

وَمِنْهُ حُسْنُ التَّعْلِيلِ ، وَهُوَ أَنْ يَدَّعِيَ لِوَصْفٍ عِلَّةً مُنَاسِبَةً لَهُ بِاعْتِبَارٍ لَطِيفٍ غَيْرِ حَقِيقِيٍّ ، وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَضْرُبٍ : لِأَنَّ الصِّفَةَ إِمَّا ثَابِتَةٌ قُصِدَ بَيَانُ عِلَّتِهَا ، أَوْ غَيْرُ ثَابِتَةٍ أُرِيدَ إِثْبَاتُهَا ، وَالْأُولَى إِمَّا أَلَّا يَظْهَرَ لَهَا فِي الْعَادَةِ عِلَّةٌ كَقَوْلِهِ :

لَمْ يَحْكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا ... حُمَّتْ بِهِ فَصَبِيبُهَا الرُّحَضَاءُ

فكما أن مدح أولئك لا يعد ذنبا كذلك مدحى لمن أحسن الى ، وهذه الحجة على طريق التمثيل الذى يسميه الفقهاء قياسا ، ويمكن رده الى صورة قياس استثنائى أي لو كان مدحى لآل جفنة ذنبا لكان مدح ذلك القوم لك أيضا ذنبا ، واللازم باطل فكذا الملزوم .

[ومنه] أى ومن المعنوى :

[حسن التعليل

وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف] أى بأن ينظر نظرا يشتمل على لُطْف ودقة [غير حقيقى] أى لايكون مااعْتُبِرَ علة لهذا الوصف علة له فى الواقع ، كما اذا قلت ـ قتل فلان أعاديه لدفع ضررهم ـ فانه ليس فى شيء من حسن التعليل ، وما قيل من أن هـذا الوصف أعني غير حقيقى ليس بمفيـد ههنا لأن الاعتبار لا يكون إلا غير حقيقى فغلط ، ومنشؤه ما سَمِعَ أن أرباب المعقول يطلقون الاعتبـاري على ما يقابل الحقيقى ، ولو كان الأمر كما تَوَهَّمَ لوجب أن يكون جميع اعتبارات العقل غير مطابق للواقع (١) [وهو أربعة أضرب : لأن الصفة] التى ادُّعِيَ لها علة مناسبة [إما ثابتة قصد بيان علتها ، أو غير ثابتـة أريد إثباتها ، والأولى إما ألا يظهر لها فى العادة علة] وإن كانت لاتخلو فى الواقع عن علة [كقوله : لم يحك] أى لم يشابه [نائلك] أى عطاءك [السحاب وإنما * حمت به] أي صارت محمومة بسبب نائلك وتَفَوُّقه عليها

---

(١) حاصل الجواب أن المعترض فهم أن المراد بالاعتبار الأمر الاعتبارى مع

أَوْ يَظْهر لَهَا علّةٌ غيرُ الْمَذْكُورَة كَقَوْله :

مابه قَتْلُ أعَاديه ولٰكِنْ يَتَّقِي إخلافَ ما تَرْجُو الذّئَابُ

فَإِنَّ قَتْلَ الأَعْدَاءِ فى الْعَادَةِ لِدفْعِ مَضَرَّتِهِمْ لا لِمَا ذَكَرَهُ ، وَالثَّانِيَةُ إمّا مُمْكِنَةٌ كَقَوْله :

يَا وَاشِيًا حَسُنَتْ فِينَا إِسَاءَتُهُ نَجَّى حذَارُكَ إِنْسَانِي مِنَ الْغَرَقِ

[فصيبها الرحضاء (١)] أي فالمصبوب من السحاب هو عَرَقُ الْحُمَّى ، فنزول المطر من السحاب صفة ثابتة لا يظهر لها فى العادة علة ، وقد عاله بأنه عَرَقُ حُمَّاهَا الحادثة بسبب عطاء الممدوح [أو يظهر لها] أى لتلك الصفة [علة غير] العلة [المذكورة] لتكون المذكورة غير حقيقية ، فتكون من حسن التعليل [كقوله :

مابه قتـــل أعاديه ولكن يتقى إخلاف ماترجو الذئاب (٢)

فان قتل الأعداء فى العادة لدفع مضرتهم] وصُفُوِّ المملكة عن منازعتهم [لا لماذكره] من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ، ومحبة صدْق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه ، لِمَا عُلِمَ من أنه اذا توجه الى الحرب صارت الذئاب ترجو اتساع الرزق عليها بلحوم من يقتل من الأعادى ، وهذا مع أنه وَصْفٌ بكمال الجود وَصْفٌ بكمال الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات الْعُجْمِ [والثانيـة] أى الصفة الغير الثابتـة التى أريد إثباتها [إما ممكنة كقوله : ياواشيا حسنت فينا إساءته * نجى حذارك] أى حذارى إيَّاكَ [إنسانى]

أن المراد به نظر العقل (١) البيت للمتنبي (٢) هو للمتنبي أيضا ، ومعنى قوله ـ مابه قتل أعاديه ـ أنه ليس به غيظ منهم أو خوف يوجب أن يقتلهم ، لأنه ليس ممن يستفزه الغيظ أو يخاف العدو .

فَانَّ اسْتِحْسَانَ إسَاءَةِ الْوَاشِي مُمْكِنٌ لَكِنْ لَمَّا خَالَفَ النَّاسَ فِيهِ عَقَّبَهُ بِأَنَّ حِذَارَهُ مِنْهُ نَجَّى إنسَانَهُ مِنَ الْغَرَقِ فِى الدُّمُوعِ ، أَوْ غَيْرُ مُمْكِنَةٍ كَقَوْلِهِ :

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجَوْزَاءِ خِدْمَتَهُ لَمَا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقِ

أي إنسان عيني [من الغرق (١) فان استحسان إساءة الواشي ممكن ، لكن لما خالف] أي الشاعر [الناس فيه] إذ لا يستحسنه الناس [عقبه] أى عقب الشاعر استحسان إساءة الواشي [بأن حذاره منه] أى من الواشي [نجي إنسانه من الغرق فى الدموع] أي حيث ترك البكاء خوفا منه [أو غير ممكنة كقوله :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق (٢)]

من — انْتَطَقَ أى شَدَّ النِّطاق — وحول الجوزاء كواكب يقال لها نطاق الجوزاء ، فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها ، كذا فى الايضاح ، وفيه بحث لأن مفهوم هذا الكلام هو أن نية الجوزاء خدمة الممدوح علة لرؤية عَقْد النطاق عليها ، أعنى لرؤية حالة شبيهة بانتطاق الْمِنْطَقَة ، كما يقال — لو لم تجئنى لم أكرمك — يعنى أن علة الاكرام هى المجىء ، وهذه صفة ثابتة قصد تعليلها بنية خدمة الممدوح ، فيكون من الضرب الأول وهو الصفة الثابتة التى قصد بيان علتها ، وماقيل إنه أراد أن الانتطاق صفة ممتنعة الثبوت للجوزاء وقد أثبتها الشاعر وعَلَّلَهَا بنية الجوزاء خدمة الممدوح فهو مع أنه مخالف لصريح كلام المصنف فى الايضاح ليس بشىء ، لأن حديث انتطاق الجوزاء أعنى الحالة الشبيهة بذلك ثابت بل محسوس ، والأقرب (٣) أن يجعل — لو —

---

(١) البيت لمسلم بن الوليد من شعراء الدولة العباسية .

(٢) هو للخطيب القزوينى ، وأصله لشاعر فارسى فترجمه إلى العربية ، ولهذا قال — كقوله — ولم يقل كقولى (٣) أى فى تخريج البيت ، فتكون لو على هذا للاستدلال بانتفاء الجزاء على انتفاء الشرط لا حرف امتناع لامتناع ، ويمكن حمل كلام المصنف

وَأُلْحِقَ بِهِ مَا بُنِيَ عَلَى الشَّكِّ كَقَوْلِهِ :

كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَهَا حَبِيباً فَمَا تَرْقَا لَهُنَّ مَدَامِعُ

ههنا مثلها فى قوله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَـةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا) أعنى الاسـتدلال بانتفاء الثانى على انتفاء الأول ، فيكون الانتطاق علَّةَ كَوْنِ نيَّةِ الجوزاء خدمَةَ الممدوح أى دليلا عليه وعلة للعلم مع أنه وصف غير ممكن .

[وألحق به] أى بحسن التعليل [مابنى على الشك] ولم يجعل منه لأن فيـه ادِّعَاءً وإصرارًا والشك ينافيه [كقوله : كأن السحاب الغر] جمع الأغرّ ، والمراد السحاب الماطرة الغزيرة الماء [غيبن تحتها *] أي تحت الرُّبَى [حبيبا فما ترقا] الأصل ترقأ بالهمز فخففت ، أي ماتسكن [لهن مدامع (١)] عَلَّلَ على سبيل الشك نزول المطر من السحاب

فى الايضاح على هـذا التخريج ، ويكون البيت محتملا لأن يكون من الضرب الأول أو الضرب الرابع (١) البيت لأبى تمام ، وقبله هذا البيت :

رُبًى شـفعتْ ريحُ الصَّبَا لرياضـها إلى المُزْنِ حتى جَادَهَا وهْوَ هامِعُ

تطبيقات على حسن التعليل :

(١) قالوا اشتكتْ عَيْنُهُ فقلتُ لهم من كثرة القتـل نالهـا الوصَبُ
حُمْرَتُهَا مِنْ دماء مَنْ قتلتْ والدَّمُ فى النَّصْلِ شاهدٌ عَجَبُ

(٢) زعم البَنَفْسَجُ أنه كعِذَاره حُسْنًا فسَلُّوا مِنْ قَفَاهُ لسانَهُ

(٣) نَبَتِ الجفونُ فما اغْتَمَضْنَ وإنّمَا حَقُّ السيوف اذا نَبَتْ أن تُغْمَدَا
لو لم أبتْ من حَرِّ وَجْدِى فى وَغًى ما بات صارمُ مُقْلَتِى مُجَـرَّدًا

حسن التعليل فى الأول من الضرب الثانى ، لأن العلة الحقيقية لحمرة العين ظاهرة

وَمِنْهُ التَّفْرِيعُ ، وَهُوَ أَنْ يُثْبَتَ لِمُتَعَلِّقِ أَمْرٍ حُكْمٌ بَعْدَ إِثْبَاتِهِ لِمُتَعَلِّقٍ لَهُ آخَرَ ، كَقَوْلِهِ :

أَحْلَامُكُمْ لِسَقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ   كَمَا دِمَاؤُكُمْ تَشْفِي مِنَ الْكَلَبِ

بأنها غيبت حبيبا تحت تلك الربى ، فهى تبكى عليها .

[ومنه] أى ومن المعنوى :

[التفريع

وهو أن يثبت لمتعلق أمر حكم بعد إثباته] أي إثباته ذلك الحكم [لمتعلق له آخر] على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب (١) وهو احتراز عن نحو ـ غلام زيد راكب وأبوه راكب [كقوله :

أحلامكم لسقام الجهل شافيــة   كما دماؤكم تشفى من الكلب (٢)]

هو بفتح اللام شبهُ جنون يحدث للانسان من عَضِّ الْكَلْبِ الْكَلِبِ ، إذ لا دواء له أنجع من شرب دَمِ مَلِك ، كما قال الحماسى :

بُنَـاةُ مكارمٍ وَأُسَاةُ كَلْمٍ   دماؤكُمُ من الْكَلَبِ الشِّفاءُ (٣)

وهى الرمد ، وقد عللها بعلة غير حقيقية وهى دماء من قتلت من العشاق ، وفى الثانى من الضرب الأول ، لأن خروج ورق البنفسج الى الخلف مما لا تظهر علته ، لكنه جعلها الافتراء على المحبوب ، وفى الثالث من الضرب الرابع ، لأن كونه يبات من حر اشتياقه فى حرب حقيقية أمر غير ثابت ولا ممكن ، وقد علله بأن سيف مقلته يبات مسلولا .

(١) المراد به التبعية فى الذكر لا أن الثانى مفرع وجوده على وجود الأول .

(٢) هو للكُمَيْتِ بن زيد الأسَدِىِّ من شعراء الدولة الأموية يمدح به بنى هاشم ، والأحلام العقول (٣) هو للقاسم بن حَنْبَلٍ الْمُرِّيِّ .

وَمِنْـهُ تأْكِيدُ المدحِ بِمَا يُشبهُ الذَّمَّ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَفْضَلُهُمَا أَنْ يُسْتَثْنَى مِنْ صِفَةِ ذَمٍّ مَنْفِيَّةٍ عَنِ الشَّيْءِ صِفَةُ مَدْحٍ بِتَقْدِيرِ دُخُولِهَا فِيهَا كَقَوْلِهِ :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ   بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

أَيْ إِنْ كَانَ فُلُولُ السَّيْفِ عَيْباً ، فَأَثْبَتَ شَيْئاً مِنْهُ عَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِهِ مِنْـهُ وَهُوَ

فَفَرَّعَ على وصفهم بشفاء أحلامهم من داء الجهل وَصْفَهُمْ بشفاء دمائهم من داء الكلب ، يعنى أنهم ملوك وأشراف وأرباب العقول الراجحة .

[ومنه] أي ومن المعنوي :

[تأكيد المدح بما يشبه الذم

وهو ضربان : أفضلهما أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح] لذلك الشيء [بتقدير دخولها فيها] أى دخول صفة المدح فى صفة الذم [كقوله : ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول] جمع فَلٍّ وهو الكسر فى حَدِّ السيف [من قراع الكتائب(١)] أي مُضَارَبَة الجيوش [أى إن كان فلول السيف عيبا ، فأثبت شيئا منه] أى من العيب [على تقدير كونه منه] أى كون فلول السيف من العيب [وهو] أى هذا التقدير وهو

ومن التفريع أيضا :

(١) إذا فات شيءٌ سمعَهُ دَلَّ أنفُهُ   وإن فات عينيه رأى بالمسامعِ

(٢) كلامُهُ أخدعُ من لَحْظِهِ   ووعدُهُ أكذبُ من طَيْفِهِ

(١) البيت للنابغة الذُّبْيَانِيِّ فى مدح عمرو بن الحارث الأصغر .

مُحالٌ ، فهو فى المعنَى تعليقٌ بالمُحال ، فالتَّأكيدُ فيه من جهةِ أنه كدعوى الشىء ببيِّنة وأنَّ الأصلَ فى الاستثناء الاتصالُ ، فذِكْرُ أداته قبلَ ذكرِ ما بعدَها يوهمُ إخراجَ شىءٍ ممَّا قبلَها ، فإذا وَلِيَها صفةُ مدحٍ جاءَ التأكيدُ ، والثانى أنْ يُثبتَ لشىءٍ صفةُ مدحٍ ويُعقَّبَ بأداةِ استثناءٍ يَلِيها صفةُ مدحٍ أخرى له نحوُ ـ أنا أفصحُ العرب

كون الفلول من العيب [محال] لأنه كناية عن كمال الشجاعة [فهو] أى إثبات شىء من العيب على هذا التقدير [فى المعنى تعليق بالمحال] كما يقال ـ حتى يَبيَضَّ القارُ ، وحتى يَلِجَ الجمل فى سَمِّ الخِيَاط [والتأكيد فيه] أى فى هـذا الضرب [من جهة أنه كدعوي الشىء ببينة] لأنه عَلَّقَ نقيض المُدَّعَى وهو إثبات شىء من العيب بالمحال ، والمُعلَّقُ بالمحال محال ، فعدم العيب مُحقَّقٌ (١) [و] من جهة [أن الأصل فى] مطلق [الاستثناء] هو [الاتصال] أي كَوْنُ المستثنى منه بحيث يدخل فيه المستثنى على تقدير السكوت عنـه ، وذلك لمَا تقرر فى موضعه من أن الاستثناء المنقطع مجاز، واذا كان الأصل فى الاستثناء الاتصال [فذكر أداته قبل ذكر ما بعـدها] يعنى المستثني [يوهم إخراج شىء] وهو المستثنى [مما قبلها] أى ماقبل الأداة وهو المستثنى منـه [فاذا وليها] أى الأداة [صفة مدح] وتَحَوَّلَ الاستثناء من الاتصال الى الانقطاع [جاء التأكيد] لمَا فيه من المدح على المدح والاشعار بأنه لم يجد صفة ذم حتى يستثنيها ، فاضْطَرَّ الى استثناء صفة مدح وتحويل الاستثناء الي الانقطاع [و] الضرب [الثانى] من تأكيد المدح بما يشبه الذم [أن يثبت لشىء صـفة مدح وتعقب بأداة اسـتثناء] أي يُذْكَرَ عَقيبَ إثبات صـفة المدح لذلك الشىء أداة استثناء [تليها صفة مدح أخرى له] أى لذلك الشىء [نحو ـ أنا أفصح العرب

---

(١) وهذا يرجع الى دليل الخُلْف ، وهو إثبات المدعي بابطال نقيضه ، والمدعي هنا

بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ ـ وَأَصْلُ الاسْتِثْنَاءِ فِيهِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ مُنْقَطِعًا كَالضَّرْبِ الْأَوَّلِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يُقَدَّرْ مُتَّصِلًا ، فَلَا يُفِيدُ التَّأْكِيدَ إِلَّا مِنَ الْوَجْهِ الثَّانِي ، وَلِهَذَا كَانَ الْأَوَّلُ أَفْضَلَ .

وَمِنْهُ ضَرْبٌ آخَرُ نَحْوُ ـ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا ـ

بيد أنى من قريش] بيد بمعنى غير وهو أداة الاستثناء [وأصل الاستثناء فيه] أي فى هذا الضرب [أيضا أن يكون منقطعا] كما أن الاستثناء فى الضرب الأول منقطع لعدم دخول المستثنى فى المستثنى منه ، وهذا لا ينافى كَوْنَ الأصل فى مطلق الاستثناء هو الاتصال [لكنه] أى الاستثناء المنقطع فى هذا الضرب [لم يقدر متصلا] كما قدر فى الضرب الأول ، إذ ليس هنا صفة ذم منفية عامة يمكن تقدير دخول صفة المدح فيها ، وإذا لم يمكن تقدير الاستثناء متصلا فى هذا الضرب [فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثاني] وهو أن ذكر أداة الاستثناء قبل ذكر المستثنى يوهم إخراج شيء مما قبلها من حيث إن الأصل فى مطلق الاستثناء هو الاتصال ، فاذا ذكر بعد الأداة صفة مدح أخري جاء التأكيد (١) ولا يفيد التأكيد من جهة أنه كدعوي الشيء ببينة ، لأنه مَبْنِيٌّ على التعليق بالمحال المَبْنِيِّ على تقدير الاستثناء متصلا [ولهذا] أى ولكَوْن التأكيد فى هذا الضرب من الوجه الثانى فقط [كان] الضرب [الأول] المفيد للتأكيد من وجهين [أفضل ، ومنه] أى ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم [ضرب آخر] وهو أن يُؤْتَى بمستثنى فيه معنى المدح معمولا لفعل فيه معنى الذم [نحو ـ وماتنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا] أى ما تعيب منا إلا أصل المناقب والمفاخر وهو الايمان ، يقال ـ نَقَمَ

هو أنه لا عيب فيهم (١) وذلك لأنه يتوهم هنا قبل ذكر المستثنى أنه صفة مدح أريد إخراجها من المستثنى منه ونفيها عن الموصوف ، لأن الاستثناء من الاثبات نفى ، فاذا تبين بعد ذكره أنه أريد إثباته له أيضا أشعر ذلك أنه لم يمكنه نفى شيء من صفات

وَالاسْتِدْرَاكُ فى هٰذَا الْبَابِ كَالاسْتِثْنَاء كَمَا فى قَوْله :

هُوَ الْبَـدْرُ إلاَّ أنه الْبَحْرُ زَاخِراً سِوَى أَنَّهُ الضِّرْغَامُ لـكِنَّهُ الْوَبْلُ

وَمِنْهُ تَأْكِيدُ الذَّمِّ بِمَا يُشْبِهُ الْمَدْحَ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يُسْتَثْنَى مِنْ صِفَةِ مَدْحٍ مَنْفِيَّةٍ عَنِ الشَّيْءِ صِفَةُ ذَمٍّ بِتَقْدِيرِ دُخُولِهَا فِيهَا كَقَوْلِكَ فُلاَنٌ لاَ خَيْرَ فِيهِ إلاَّ

منه وانتقم اذا عابه وكرهه ـ وهو كالضرب الأول (١) فى إفادة التأكيد من وجهين [والاستدراك] المفهوم من لفظ لـكن [فى هذا الباب] أى باب تأكيد المدح بما يشبه الذم [كالاستثناء كما فى قوله :

هو البــدر إلا أنه البحر زاخرا سوي أنه الضرغام لـكنه الوبل (٢)]

فقوله ـ إلا وسوى ـ استثناء مثل ـ بيد أنى من قريش ـ وقوله ـ لـكنه ـ استدراك يفيد فائدة الاستثناء فى هذا الضرب ، لأن إلا فى الاستثناء المنقطع بمعنى لـكن

[ومنه] أى ومن المعنوى :

[تأكيد الذم بما يشبه المدح

وهو ضربان : أحـدهما أن يستثني من صـفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها] أى صـفة الذم [فيها] أى في صـفة المدح [كقولك ـ فلان لا خير فيـه إلا

المدح عنه (١) لأنه يعود فى المعنى اليه ، إذ معنى الآية لا عيب فينا إلا الايمان .

(٢) هو لبديع الزمان الْهَمَذَانِىّ من كتاب الدولة العباسية فى مدح خَلَف بن أحمـد السَّجِسْتَانِىّ ، والزاخر المرتفع من تلاطم الأمواج ، والوبل المطر الغزير ، وتشبيهه بالوبل فى الـكرم أبلغ من تشبيهه بالبحر فيه ؛ لأن الأول يقتضى وجود العطاء بالفعل ، ولهذا أتي به بعده .

أَنَّهُ يُسِيءُ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْـهِ - وَثَانِيهِمَا أَنْ يُثْبَتَ لِلشَّيْءِ صِـفَةُ ذَمٍّ وَتُعَقَّبَ بِأَدَاةِ اسْتِثْنَاءٍ يَلِيهَا صِفَةُ ذَمٍّ أُخْرَى لَهُ كَقَوْلِكَ - فُلَانٌ فَاسِقٌ إِلَّا أَنَّهُ جَاهِلٌ - وَتَحْقِيقُهُمَا عَلَى قِيَاسِ مَا مَرَّ .

وَمِنْهُ الاسْتِتْبَاعُ، وَهُوَ الْمَدْحُ بِشَيْءٍ عَلَى وَجْهٍ يَسْتَتْبِعُ الْمَدْحَ بِشَيْءٍ آخَرَ ، كَقَوْلِهِ :

نَهَبْتَ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ ... لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ

أنه يسىء الى من أحسن اليه - وثانيهما أن يثبت للشىء صفة ذم وتعقب بأداة استثناء يليها صفة ذم أخرى له] أى لذلك الشىء [كقولك - فلان فاسق إلا أنه جاهل] فالضرب الأول يفيد التأكيد من وجهين ، والثانى من وجه واحد [وتحقيقهما على قياس مامر] فى تأكيد المدح بما يشبه الذم .

[ومنه] أى ومن المعنوى .

[الاستتباع

وهو المدح بشىء على وجه يستتبع المدح بشىء آخر ، كقوله :

نهبت من الأعمار مالو حويته ... لهنئت الدنيـا بأنك خالد (١)

---

(١) هو للمتنبي من قصيدة له فى مدح سيف الدولة .

تطبيقات على تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه :

(١) قوله تعالى - (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) .

(٢) فما كان فى قَيْسٍ من ابْنِ حَفِيظَةٍ ... يُعَدُّ وَلَـٰكِنْ كُلُّهُمْ نَهْبُ أَشْقَرَا

الأول من تأكيد المدح بما يشبه الذم ، والثانى من تأكيد الذم بما يشبه المدح ، وأشقر رجل نهب صندوقا ظن فيه مالا ففتحه فاذا فيه عظام ، فضرب مثلا لما لاخير فيه .

مَدَحَهُ بِالنِّهَايَةِ فِى الشَّجَاعَةِ عَلَى وَجْهٍ اسْتَتْبَعَ مَدْحَهُ بِكَوْنِهِ سَبَبًا لِصَلَاحِ الدُّنْيَا وَنِظَامِهَا ، وَفِيهِ أَنَّهُ نَهَبَ الْأَعْمَارَ دُونَ الْأَمْوَالِ وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ظَالِمًا فِى قَتْلِهِمْ .

وَمِنْهُ الْإِدْمَاجُ ، وَهُوَ أَنْ يُضَمَّنَ كَلَامٌ سِيقَ لِمَعْنًى

مدحه بالنهاية فى الشجاعة] حيث جعل قتلاه بحيث يُخَلَّدُ وارثُ أعمارهم [على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا ونظامها] إذ لا تهنئة لأحد بشىء لافائدة له فيه ، قال على بن عيسى الرَّبعىُّ [وفيه] أى فى البيت وجهان آخران من المدح : أحدهما [أنه نهب الأعمار دون الأموال] كما هو مقتضى علو الهمة ، وذلك مفهوم من تخصيص الأعمار بالذكر والاعراض عن الأموال مع أن النهب بها أليق ، وهم يعتبرون ذلك فى الْمُحَاوَرَات وَالْخَطَابِيَّات وإن لم يعتبره أئمة الأصول (١) [و] الثانى [أنه لم يكن ظالما فى قتلهم] وإلا لما كان للدنيا سرور بخلوده .

[ومنه] أي ومن المعنوى .

[الادماج]

يقال ـ أدْمَجَ الشىء فى ثوبه إذا لَفَّهُ فيه [وهو أن يضمن (٢) كلام سيق لمعنى]

---

(١) فلا يفيد الحصر عندهم ، لأنه لقب وهو لامفهوم له كقولك ـ على زيد حج .

(٢) فيجب فى المعنى المدمج ألا يكون مصرحا به وألا يكون في الكلام إشعار بأنه مسوق لأجله ، ولهذا لم يكن من الادماج قول الشاعر :

أَبَى دهرُنَا إسعافَنَا فى نفوسنا ... وأسعفنا فيمن نُحِبُّ ونكرمُ

فقلتُ له نُعْمَاكَ فيهم أتمها ... ودَعْ أمرنا إن الْمُهِمَّ المقدَّمُ

وقد قيل إن هذا الكلام مسوق للتهنئة بالوزارة ، وضمن ذلك الشكوي من الدهر فكانت إدماجا ، وهذا سهو لأنه صرح بالشكاية أولا فى قوله ـ أبى دهرنا إسعافنا ـ

مَعْنًى آخَرَ ، فَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الاسْتِتْبَاعِ كَقَوْلِه :

أُقَلِّبُ فِيـــهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي   أَعُدُّ بِهَا عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا

فَإِنَّهُ ضَمَّنَ وَصْفَ اللَّيْلِ بِالطُّولِ الشِّكَايَةَ مِنَ الدَّهْرِ .

وَمِنْهُ التَّوْجِيهُ ، وَهُوَ إِيرَادُ الْكَلَامِ مُحْتَمِلاً لِوَجْهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ ،

مدحا كان أو غيره [معنى آخر] هو منصوب مفعول ثان ليضمن ، وقد أُسْنِدَ الى المفعول الأول [فهو] لشموله المدح وغيره [أعم من الاستتباع] لاختصاصه بالمدح [كقوله : أقلب فيه] أى فى ذلك الليل [أجفانى كأنى * أعد بها على الدهر الذنوبا - فانه ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر (١)] .

[ومنه] أى ومن المعنوى .

[التوجيه]

ويسمى مُحْتَمَلَ الضِّدَّين [وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين] أى متباينين

فكيف تكون مدمجة ؟ (١) والبيت للمتنبي من قصيدة له فى مدح علي بن سَيَّار .

تطبيقات على الاستتباع والادماج :

(١) سَمْحُ البديهة ليس يملك لفظَهُ   فكأنَّمـا أَلْفَاظُهُ مِنْ مالِه

(٢) قد نَقَضَ العاشقون ماصنع الـ   ـهَجْرُ بألوانهـم علـى وَرَقِهْ

فى الأول استتباع وإدماج ، لأنه مدحه بذلاقة اللسان على وجه استتبع مدحه بالكرم ، وكل استتباع إدماج ، وفى الثانى إدماج فقط ، لأنه أراد وصف الْخِيرِيّ بالصفرة فأدمج فيه الغزل .

كَقَوْلِ مَنْ قَالَ لِأَعْوَرَ .

﴿ لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءْ ﴾

السَّكَّاكِيُّ : وَمِنْهُ مُتَشَابِهَاتُ الْقُرْآنِ بِاعْتِبَارٍ .

مُتَضَادَّيْنِ كالمدح والذم مثلا ، ولا يكفى مجرد احتمال معنيين متغايرين (١) [كقول من قال لأعور :

ليت عينيه سواء (٢)]

يحتمل تَمَنِّيَ صحة العين العوراء فيكون دعاء له ، والعكس فيكون دعاء عليه .

قال [السكاكى : ومنه] أي ومن التوجيه [متشابهات القرآن باعتبار] وهو احتمالها لوجهين مختلفين ، وتفارقه باعتبار آخر وهو عدم استواء الاحتمالين ، لأن أحد المعنيين فى المتشابهات قريب والآخر بعيد ، لِمَا ذكره السكاكى نفسه من أن أكثر متشابهات القرآن من قَبِيلِ التورية والايهام ، ويجوز أن يكون وجه المفارقة هو أن المعنيين فى

---

(١) وهذا كاحتمال العين للباصرة والجارية ، ولا بد أن يكون احتماله لهما على حد سواء ليمتاز بذلك عن التورية السابقة .

(٢) قيل إنه لبَشَّار بن بُرْد من شعراء الدولة العباسية ، روى أنه أعطى لخياط أعور يسمى عمرا ثوبا ليخيطه ، فقال له : لأخيطنه بحيث لا يعلم أقباء هو أم غيره ، فقال بشار : لئن فعلت ذلك لأقولن فيك شعرا لا يدرى أهجاء أم غيره ، فلما خاطه قال فيه :

خاط لى عَمْرٌو قَبَاءْ ليت عينيه سواءْ

فاسألِ الناسَ جميعاً أمديحٌ أم هجاءْ

وَمِنْهُ الْهَزْلُ الَّذِي يُرَادُ بِهِ الْجِدُّ ، كَقَوْلِه :

إِذَا مَا تَمِيمِيٌّ أَتَاكَ مُفَاخِرًا   فَقُلْ عَدِّ عَنْ ذَا كَيْفَ أَكْلُكَ لِلضَّبِّ

المتشابهات لا يجب تَضَادُّهُمَا (١) .

[ومنه] أى ومن المعنوى .

[الهزل الذى يراد به الجد (٢)

كقوله :

إذا ما تميمى أتاك مفاخرا   فقل عدعن ذا كيف أكلك للضب (٣)]

---

(١) الحق أن المتشابهات من التورية لا من التوجيه لما سبق من اشتراط استواء الاحتمالين فيه ، فاذا ثبت فى بعضها أنه يحتمل الضدين على السواء كان من التوجيه .

ومن التوجيه :

(١) لا يأكل السِّرحَانُ شِلْوَ طَعِينِهِمْ   مما عليه من الْقَنَا الْمُتَكَسِّرِ

(٢) ولله سِرٌّ فى عُلاَكَ وإنما   كلامُ الْعِدَا ضربٌ من الْهَذَيَانِ

فالأول يحتمل المدح ويكون المقتول منهم ، وتكون الرماح المتكسرة رماح أعدائهم ، ويحتمل الذم ويكون المقتول من أعدائهم ، والثانى يحتمل المدح والذم أيضا فى قوله ـ ولله سر فى علاك .

(٢) وهو أن يذكر شىء على سبيل اللعب والمباسطة ويقصد به أمر صحيح فى الحقيقة (٣) هو لأبى نواس ، والشاهد فى قوله ـ كيف أكلك للضب ـ فهو هزل ظاهر ، ولكنه يريد به الجد وهو الذم وأنه لا مفاخرة معه .

ومن الهزل الذى يراد به الجد :

سلبتْ محاسنُكَ الغزالَ صفاته   حتَّى تحيَّرَ كُلُّ ظبي فيكَا

وَمِنْـهُ تَجَاهُلُ الْعَارِفِ ، وَهُوَ كَمَا سَمَّاهُ السَّكَّاكِيُّ سَوْقُ الْمَعْلُومِ مَسَاقَ غَيْرِهِ لِنُكْتَةٍ ، كَالتَّوْبِيخِ فِى قَوْلِ الْخَارِجِيَّةِ :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ

وَالْمُبَالَغَةِ فِى الْمَدْحِ كَقَوْلِهِ :

أَلَمْعُ بَرْقٍ سَرَى أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحِ أَمِ ابْتِسَامَتُهَا بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِى

[ومنه] أى ومن المعنوي .

[تجاهل العارف

وهو كما سماه السكاكى سوق المعلوم مساق غيره لنكتة] وقال : لا أحب تسميته بالتجاهل لوروده فى كلام الله تعالى (١) [كالتوبيخ فى قول الخارجيـة : أيا شجر الخابور] هو نهر من ديار بكر [مالك مورقا *] أى ناضرا ذا ورق [كأنك لم تجزع على ابن طريف (٢) والمبالغة فى المدح كقوله :

ألمع برق سري أم ضوء مصـباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى (٣)]

لك جيـــده ولحاظه ونفاره وكذا نظائر قرونه لأبيكا

(١) كقوله تعالى (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى) (٢) البيت لليلى بنت طريف الشيبانى من شاعرات الدولة العباسية فى رثاء أخيها الوليد ، والشاهد فى أنها تعلم أنه لا يجزع عليه ، ولكنها تجاهلت ذلك واستعملت كأن للدلالة على الشك (٣) هو للبُحْتُرِيِّ ، والشاهد فى أنه تجاهل ذلك للمبالغة فى مدح ابتسامتها .

أَوْ في الذَّمِّ كَقَوْلِه :

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي ... أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ

وَالتَّدَلُّه في الْحُبِّ في قَوْلِه :

بِاللهِ يا ظَبيَاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا ... لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ

أى الظاهر [أو] المبالغة [فى الذم كقوله : وما أدرى وسوف إخال] أي أظن ، وكسر همزة المتكلم فيه هو الأفصح ، وبنو أسد تقول أخال بالفتح وهو القياس (١) [أدري * أقوم آل حصن أم نساء (٢)] فيه دلالة على أن القوم هم الرجال خاصة [والتدله] أي وكالتَّحَيُّر والتَّدَهُّش [فى الحب فى قوله : بالله يا ظبيات القاع] وهو المستوى من الأرض [قلن لنا * ليلاى منكن أم ليلى من البشر (٣)] وفي إضافة ليلى الى نفسه أوّلاً والتصريح باسمها ثانيا استلذاذ ، وهذا أُنْمُوذَجٌ من نُكَت التجاهل ، وهى أكثر من أن يضبطها القلم .

---

(١) أى فى حرف المضارعة الداخل على الثلاثى (٢) البيت لزهير بن أبى سُلْمى .

(٣) البيت لعبد الله بن عمرو المعروف بالْعَرْجِيّ من شعراء الدولة الأموية .

ومن تجاهل العارف :

(١) شَبَحًا أرى أم ذاك طَيْفُ خيال ... لا بل فتاةٌ بالْعَرَاء حِيَالى

(٢) قوله تعالى - (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) .

وتجاهل العارف فى الأول للمبالغة فى نحو لها ، وفى الثانى للتعريض .

وَمِنْهُ الْقَوْلُ بِالْمُوجَبِ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تَقَعَ صِفَةٌ فِى كَلَامِ الْغَيْرِ كِنَايَةً عَنْ شَىْءٍ أُثْبِتَ لَهُ حُكْمٌ فَتُثْبِتَهَا لِغَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِثُبُوتِهِ لَهُ أَوْ نَفْيِهِ عَنْهُ نَحْوُ - يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ - وَالثَّانِى حَمْلُ لَفْظٍ وَقَعَ فِى كَلَامِ الْغَيْرِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِ مِمَّا يَحْتَمِلُهُ بِذِكْرِ مُتَعَلَّقِهِ

[ومنه] أى ومن المعنوى .

[القول بالموجب (١)

وهو ضربان : أحدهما أن تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شىء أثبت له] أى لذلك الشىء [حكم فتثبتها لغيره] أى فتثبت أنت فى كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشىء [من غير تعرض لثبوته له] أى لثبوت ذلك الحكم لذلك الغير [أو نفيه عنه نحو - يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين] فالأعز صفة وقعت فى كلام المنافقين كناية عن فريقهم والأذل كناية عن المؤمنين ، وقد أثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة ، فأثبت الله تعالى فى الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم وهو الله تعالى ورسوله والمؤمنون ، ولم يتعرض لثبوت ذلك الحكم الذي هو الاخراج للموصوفين بالعزة أعنى الله تعالى ورسوله والمؤمنين ولا لنفيه عنهم [والثانى حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده] حَالَ كَوْنِ خلاف مراده [مما يحتمله] ذلك اللفظ [بذكر متعلقه] أى إنما يحمل على

---

(١) بكسر الجيم على أنه اسم فاعل فيراد به الصفة المُوجِبَةُ للحكم ، أو بفتحها فيراد به الحكم المُوجَبُ بها .

كَقَوْله :

قُلْتُ ثَقَّلْتُ إذْ أَتَيْتُ مِرَارًا   قَالَ ثَقَّلْتَ كَاهِلِي بِالْأَيَادِي

وَمِنْهُ

خلاف مراده بأن يذكر متعلق (١) ذلك اللفظ [كقوله :

قلت ثقلت إذ أتيت مرارا   قال ثقلت كاهلي بالأيادى (٢)]

فلفظ ـ ثقلت ـ وقع فى كلام الغير بمعنى حملتك المؤونة ، فحمله على تثقيل عاتقه بالأيادي والمِنَن بأن ذكر متعلقه أعنى قوله ـ كاهلى بالأيادى .

[ومنه] أي ومن المعنوى .

---

(١) المراد بالمتعلق هنا ما يناسب المعنى المحمول عليه سواء أكان متعلقا اصطلاحيا كما فى البيت المذكور أم لا كما فى قوله :

لقد بُهِتُوا لَمَّـا رَأَوْنِىَ شاحبًا   فقالوا به عَيْنٌ فقلتُ وعارضُ

أرادوا بالعين إصابة العائن ، فحمله على إصابة عين المعشوق بذكر ملائمه وهو العارض ، فكأنه قال : صدقتم فى أن بى عينا ، لكن بى عينها وعارضها أي صفحة خدها ، والضرب الثانى من القول بالموجب هو أسلوب الحكيم المذكور فى علم المعانى .

(٢) هو للحسن بن أحمد البغدادى المعروف بابن حجاج من شعراء الدولة العباسية ، وقيل لغيره .

ومن القول بالموجب :

(١) قالوا اقترحْ شيئًا نُجِدْلكَ طَبْخَهُ   قلت اطبخوا لى جُبَّـةً وقَمِيصَا

(٢) شكوتُ صبابتى يومًا إليها   وما قاسيتُ من أَلَمِ الغـــرام

فقالتْ أنت عندى مثل عينى   لقـد صـدقتْ ولٰكِنْ فى السَّقَام

الاطِّرَادُ ، وَهُوَ أَنْ تَأْتِىَ بِأَسْمَاءِ الْمَمْدُوحِ أَوْ غَيْرِهِ وَآبَائِهِ عَلَى تَرْتِيبِ الْوِلَادَةِ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ ، كَقَوْلِهِ :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُمْ   بِعُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابِ

[الاطراد

وهو أن تأتى بأسماء الممدوح أو غيره و] أسماء [آبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف] فى السَّبْك [كقوله :

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم   بعتيبة بن الحارث بن شهاب (١)]

يقال للقوم اذا ذهب عزهم وتضعضع حالهم قد ثُلَّ عرشهم ، يعنى إن تبجحوا بقتلك وفرحوا به فقد أثَّرْتَ فى عزهم وهدمت أساس مجدهم بقتل رئيسهم ، فان قيل هذا من تتابع الاضافات فكيف يعد من المحسنات ؟ قلنا قد تقرر أن تتابع الاضافات اذا سلم من الاستكراه مَلُحَ وَلَطُفَ ، والبيت من هذا الْقَبِيلِ ، كقوله عليه السلام : الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ـ الحديث (٢) هذا تمام ماذكر من الضرب المعنوى .

---

(١) هو لربيعة من بنى نصر بن قُعَيْن يرثى ابنه ذُوَاباً (٢) تمامه : يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

تطبيقات عامة على المحسنات المعنوية :

(١) قوله تعالى (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) .

(٢) قوله صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » .

(٣) فحملتُ هيكلَ عظمها وكأنَّنِى   حُمِّلْتُ حين حَمَلْتُ عودَ خِلَالِ

وَأَمَّا اللَّفْظِيُّ فَمِنْهُ الْجِنَاسُ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ ، وَهُوَ تَشَابُهُهُمَا فِي اللَّفْظِ ، وَالتَّامُّ مِنْهُ أَنْ يَتَّفِقَا فِي أَنْوَاعِ الْحُرُوفِ

المحسنات اللفظية

[وأما] الضرب [اللفظى] من الوجوه المحسنة للكلام [فمنه

الجناس

بين اللفظين وهو تشابههما فى اللفظ] أي في التلفظ (١) فيخرج التشابه فى المعنى نحو ـ أسد وسبع ـ او فى مجرد العدد نحو ـ ضَرَبَ وَعَلِمَ ـ أو فى مجرد الوزن نحو ـ ضَرَبَ وَقَتَلَ [والتام منه] أى من الجناس [أن يتفقا] أى اللفظان [فى أنواع الحروف]

---

(٤) مازُلْزِلَتْ مِصْرُ من كيد أَلَمَّ بها لٰكِنَّهَا رقَصَتْ من عدلكم طَرَبَا

فى الأول من المحسنات المعنوية الجمع ، لأنه جمع فرعون وهامان وجنودهما فى الحكم المذكور ، وفى الثاني المذهب الكلامى ، لأنه مسوق مساق الدليل العقلى ، وتمامه ، لكنكم لم تعلموا فلم تضحكوا قليلا ولم تبكوا كثيرا ، وفى الثالث إغراق ، لأن كونها كعود خلال ممكن عقلا لا عادة ، وفى الرابع حسن التعليل ، لأن الزلزال وصف ثابت ظاهر العلة ، وقد علله بالطرب من عدل الممدوح .

أمثلة أخرى :

(١) نظـــرةٌ فابتسامةٌ فســـلامٌ فـكلامٌ فموعـــدٌ فَلقَاءُ

(٢) وَأُمَّةٍ كان قُبْحُ الْجَوْرِ يُسْخِطُهَا دهراً فأصبح حسن العدل يُرْضِيهَا

(٣) أُرَاعِي النجم فى سيرى إليكم ويرعاهُ من الْبَيْدَا جوَادِى

(١) مع اختلافهما فى المعنى .

وَأَعْدَادِهَا وَهَيْآتِهَا وَتَرْتِيبِهَا ، فَإِنْ كَانَا مِنْ نَوْعٍ كَاسْمَيْنِ سُمِّيَ مُمَاثِلاً نَحْوُ ـ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ـ وَإِنْ كَانَا مِنْ نَوْعَيْنِ سُمِّيَ مُسْتَوْفًى كَقَوْلِهِ :

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ ... يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

وَأَيْضًا إِنْ كَانَ أَحَدُ لَفْظَيْهِ مُرَكَّبًا سُمِّيَ جِنَاسَ التَّرْكِيبِ ، فَإِنِ اتَّفَقَا

فكل من الحروف التسعة والعشرين نوع ، وبهذا يخرج نحو ـ يفرح ويمرح [و] فى [أعدادها] وبه يخرج نحو ـ السَّاق والْمَسَاق [و] فى [هيآتها] وبه يخرج نحو ـ الْبَرْد والْبَرَد ـ فان هيئة الكلمة هى كَيْفِيَّةٌ حاصلة لها باعتبار الحركات والسَّكَنات ، فنحو ـ ضَرَبَ وقَتَلَ ـ على هيئة واحدة مع اختلاف الحروف ، بخلاف ـ ضَرَبَ وضُرِبَ مبنيين للفاعل والمفعول ، فانهما على هيئتين مع اتحاد الحروف [و] فى [ترتيبها] أى تقديم بعض الحروف على بعض وتأخيره عنه ، وبه يخرج نحو ـ الْفَتْح والْحَتْف [فان كانا] أى اللفظان المتفقان فى جميع ماذكر [من نوع] واحد من أنواع الكلمة [كاسمين] أو فعلين أو حرفين [يسمى مماثلا] جريا على اصطلاح المتكلمين من أن التماثل هو الاتحاد فى النوع [نحو ـ ويوم تقوم الساعة] أى القيامة [يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة] من ساعات الأيام [وإن كانا من نوعين] اسم وفعل ، أو اسم وحرف ، أو فعل وحرف [سمى مستوفى ، كقوله :

ما مات من كرم الزمان فانه ... يحيا لدي يحي بن عبد الله (١)]

لأنه كريم يُحْيِي اسم الكرم [وأيضا] للجناس التام تقسيم آخر وهو أنه [إن كان أحد لفظيه مركبا] والآخر مفردا [سمى جناس التركيب] وحينئذ [فان اتفقا] أي

---

(١) هو لأبى تمام فى مدح يحي بن عبد الله الْبَرْمَكِيِّ .

فى الْخَطِّ خُصَّ بِاسْمِ الْمُتَشَابِهِ كَقَوْلِهِ :

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَهْ فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَهْ

وَإِلاَّ خُصَّ بِاسْمِ الْمَفْرُوقِ كَقَوْلِهِ :

كُلُّكُمْ قَدْ أَخَذَ الْجَا مَ وَلاَ جَامَ لَنَا

مَا الَّذِى ضَرَّ مُدِيرَ الْـ ـجَامِ لَوْ جَامَلَنَا

وَإِنِ اخْتَلَفَا فِى هَيْـآتِ الْحُرُوفِ فَقَطْ سُمِّىَ مُحَرَّفاً

اللفظان المفرد والمركب [فى الخط خص] هـذا النوع من جناس التركيب [باسم المتشابه] لاتفاق اللفظين فى الـكتابة [كقوله : اذا ملك لم يكن ذا هبة] أي صاحب هبة وعطاء [فدعه] أى اتركه [فدولته ذاهبة (١)] أى غير باقية [وإلا] أى وان لم يتفق اللفظان المفرد والمركب فى الخط [خص] هذا النوع من جناس التركيب [باسم المفروق] لافتراق اللفظين فى صورة الـكتابة [كقوله :

كلكم قد أخـذ الجـ ام ولا جام لنـا

ماالذى ضر مدير الـ جام لو جاملنا (٢)]

أى عاملنا بالجميل ، هذا اذا لم يكن اللفظ المركب مركبا من كلمة وبعض كلمة ، وإلا خص باسم المرفوّ كقولك : أهذا مُصَابٌ أم طعم صَاب .

[وإن اختلفا] عَطْفٌ على قوله ـ والتام منه أن يتفقا ـ أو على محذوف أي هـذا إن اتفقا ، وإن اختلف لفظا المتجانسين [فى هيآت الحروف فقط] أى واتفقا في النوع والعدد والترتيب [يسمي] التجنيس [محرفا] لانحراف إحدى الهيئتين عن الهيئة

---

(١) هو لأبى الفتح البُسْتِّى من كتاب وشعراء الدولة العباسية (٢) هما لأبى الفتح البستى أيضا ، والجام الكأس ، والشاهد فى قوله ـ جام لنا ، وجاملنا ـ والأول مركب ، والثانى مفرد تنزيلا ، لأن الضمير المتصل المنصوب بمنزلة جزء الكلمة .

كَقَوْلِهِمْ ـ جُبَّةُ البُرْدِ جُنَّةُ البَرْدِ ـ وَنَحْوُهُ ـ الجَاهِلُ إِمَّا مُفْرِطٌ أَوْ مُفَرِّطٌ ـ وَالحَرْفُ المُشَدَّدُ فِي حُكْمِ المُخَفَّفِ كَقَوْلِهِمْ ـ البِدْعَةُ شَرَكُ الشِّرْكِ.

وَإِنِ اخْتَلَفَا فِي أَعْدَادِهَا سُمِّيَ نَاقِصًا، وَذَلِكَ إِمَّا بِحَرْفٍ فِي الأَوَّلِ مِثْلُ ـ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المَسَاقُ ـ أَوْ فِي الوَسَطِ نَحْوُ ـ جَدِّي جَهْدِي ـ أَوْ فِي الآخِرِ كَقَوْلِهِ:

٭ يَمُدُّونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمِ ٭

الأخرى، والاختلاف قد يكون بالحركة [كقولهم ـ جبة البرد جنة البرد] يعنى لفظ البرد بالضم والفتح [ونحوه] في أن الاختلاف فى الهيئة فقط قولهم [الجاهل إما مفرط أو مفرط] لأن الحرف المشدد لمّا كان يرتفع اللسان عنهما دفعة واحدة كحرف واحد عُدَّ حرفا واحداً، وجعل التجنيس مما الاختلاف فيه فى الهيئة فقط، ولذا قال [والحرف المشدد] فى هذا الباب [فى حكم المخفف] واختلاف الهيئة فى ـ مفرط ومفرط ـ باعتبار أن الفاء من أحدها ساكن ومن الآخر مفتوح [و] قد يكون الاختلاف بالحركة والسكون جميعا [كقولهم ـ البدعة شرك الشرك] فان الشين من الأول مفتوح ومن الثانى مكسور، والراء من الأول مفتوح ومن الثانى ساكن.

[وإن اختلفا] أي لفظا المتجانسين [في أعدادها] أى أعداد الحروف، بأن يكون فى أحد اللفظين حرف زائد أو أكثر اذا سقط حصل الجناس التام [سمى الجناس ناقصا] لنقصان أحد اللفظين عن الآخر [وذلك] الاختلاف [إما بحرف] واحد [فى الأول مثل ـ والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق] بزيادة الميم [أو فى الوسط نحو ـ جدى جهدى] بزيادة الهاء (١) وقد سبق أن المشدد فى حكم المخفف [أو فى الآخر كقوله: يمدون من أيد عواص عواصم] بزيادة الميم، ولا اعتبار بالتنوين، وقوله ـ من أيد ـ فى موضع مفعول ـ يمدون ـ على زيادة ـ من ـ كما هو مذهب

---

(١) والجد الغنى والحظ، والمعنى أن حظه فى الدنيا بقدر مشقته.

وَرُبَّمَا سُمِّيَ هٰذَا مُطَرَّفًا ، وَإِمَّا بِأَكْثَرَ كَقَوْلِهَا :

إِنَّ الْبُكَاءَ هُوَ الشِّفَا ۞ ءُ مِنَ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحْ

وَرُبَّمَا سُمِّيَ هٰذَا مُذَيَّلاً .

وَإِنِ اخْتَلَفَا فِي أَنْوَاعِهَا فَيُشْتَرَطُ

الأخفش (١) أو على كونها للتبعيض كما فى قولهم ـ هزّ من عطفه وحرّك من نشاطه ـ أو على أنه صفة محذوف (٢) أي يمدون سواعد من أيد عواص ، جمع عاصية من ـ عصاه ضربه بالعصا ـ وعواصم من ـ عصمه حفظه وحماه ـ وتمامه :

تصول بأسياف قواض قواضب (٣)

أى يمدون أيدياً ضاربات للأعداء حاميات للأولياء صائلات على الأقران بسيوف حاكمة بالقتل قاطعة [وربما سمي] هـذا القسم الذى تكون الزيادة فيه فى الآخر [مطرفا ، وإما بأكثر] من حرف واحد ، وهو عطف على قوله ـ إما بحرف ـ ولم يذكر من هذا الضرب إلا ماتكون الزيادة فى الآخر [كقولها] أي الخنساء [إن البكاء هو الشفا ۞ ء من الجوى] أى حرقة القلب [بين الجوانح] بزيادة النون والحاء [وربما سمي هذا] النوع (٤) [مذيلا] .

[وإن اختلفا] أى لفظا المتجانسين [فى أنواعها] أى أنواع الحروف [فيشترط

---

(١) لأنه يجوز زيادة ـ من ـ فى الاثبات (٢) معطوف على قوله ـ فى موضع مفعول ـ والمعنى أنه منصوب على أنه مفعول أو على أنه صفة لمحذوف هو المفعول .

(٣) هو لأبي تمام من قصيدة له فى مدح أبى دُلَف العِجْلِيّ مطلعها :

عَلَى مثلها من أربُعٍ وملاعبِ ۞ أهينتْ مَصُونَاتُ الدموعِ السَّوا كبِ

(٤) أى الذى زيد فى آخره أكثر من حرف .

أَلَّا يَقَعَ بِأَكْثَرَ مِنْ حَرْفٍ ، ثُمَّ الْحَرْفَانِ إِنْ كَانَا مُتَقَارِبَيْنِ سُمِّيَ مُضَارِعًا ، وَهُوَ إِمَّا فِى الْأَوَّلِ نَحْوُ - بَيْنِي وَبَيْنَ كَنِّي لَيْلٌ دَامِسٌ ، وَطَرِيقٌ طَامِسٌ - أَوْ فِى الْوَسَطِ نَحْوُ - وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ - أَوْ فِى الْآخِرِ نَحْوُ - الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ - وَإِلَّا سُمِّيَ لَاحِقًا ، وَهُوَ أَيْضًا إِمَّا فِي الْأَوَّلِ نَحْوُ - وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ - أَوْ فِى الْوَسَطِ نَحْوُ - ذٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ -

---

ألا يقع] الاختلاف [بأكثر من حرف] واحد وإلّا لَبَعُدَ بينهما التَّشَابُهُ ولم يبق التجانس ، كلفظى - نَصَرَ ونَكَلَ [ثم الحرفان] اللذان وقع بينهما الاختلاف [إن كانا متقاربين] فى الْمَخْرَج (١) [سمى] الجناس [مضارعا ، وهو] ثلاثة أضرب : لأن الحرف الأجنبى [إما فى الأول نحو - بينى وبين كنى ليل دامس ، وطريق طامس - أو في الوسط نحو - وهم ينهون عنه وينأون عنه - أو فى الآخر نحو - الخيل معقود بنواصيها الخير] ولا يخفى تقارب الدال والطاء ، وكذا الهاء والهمزة ، وكذا اللام والراء [وإلا] أى وإن لم يكن الحرفان متقاربين [سمى لاحقا ، وهو أيضا إما فى الأول نحو - ويل لكل همزة لمزة] الْهَمْزُ الكسر واللَّمْزُ الطعن ، وشاع استعمالهما فى الكسر من أعراض الناس والطعن فيها ، وبناء فُعَلَة يدل على الاعتياد [أو فى الوسط نحو - ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون] وفى عدم تقارب الفاء والميم نظر (٢) فانهما شفويتان ، وإن أريد بالتقارب أن تكونا بحيث تدغم إحداهما فى الأخرى فالهاء

---

(١) المراد بالتقارب فى ذلك ما يشمل الاتحاد فيه (٢) فالأولى أن يمثل لذلك بقوله تعالى (وَإِنَّهُ عَلَى ذٰلِكَ لَشَهِيدٌ ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) فان الهاء والدال متباعدان فى المخرج .

أَوْ فى الآخِرِ نَحْوُ ـ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ .

وَإِنِ اخْتَلَفَا فى تَرْتِيبِهَا سُمِّيَ تَجْنِيسَ القَلْبِ نَحْوُ ـ حُسَامُهُ فَتْحٌ لِأَوْلِيَائِهِ ، حَتْفٌ لِأَعْدَائِهِ ـ وَيُسَمَّى قَلْبَ كُلٍّ ، وَنَحْوُ ـ اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا ، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا ـ وَيُسَمَّى قَلْبَ بَعْضٍ ، فَإِذَا وَقَعَ أَحَدُهُمَا فى أَوَّلِ البَيْتِ وَالآخَرُ فى آخِرِهِ سُمِّيَ مَقْلُوبًا مُجَنَّحًا ، وَإِذَا وَلِيَ أَحَدُ المُتَجَانِسَيْنِ

والهمزة (١) ليستا كذلك [أو في الآخر نحو ـ وإذا جاءهم أمر من الأمن (٢)] .
[وإن اختلفا] أى لفظا المتجانسين [فى ترتيبها] أى ترتيب الحروف ، بأن يتحد النوع والعدد والهيئة لكنْ قُدِّمَ فى أحد اللفظين بعض الحروف وأُخِّرَ فى اللفظ الآخَر [سمى] هذا النوع [تجنيس القلب ، نحو ـ حسامه فتح لأوليائه ، حتف لأعدائه ـ ويسمى قلب كل] لانعكاس ترتيب الحروف كلها [ونحو ـ اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ـ ويسمى قلب بعض] إذ لم يقع الانعكاس إلا بين بعض حروف الكلمة [فاذا وقع أحدهما] أى أحد اللفظين المتجانسين تَجَانُسَ القلب [فى أول البيت و] اللفظ [الآخر في آخره سمى] تجنيس القلب حينئذ [مقلوبا مجنحا] لأن اللفظين بمنزلة جناحين للبيت ، كقوله :

لَاحَ أنوارُ الهدي منْ كَفِّه فى كُلِّ حَال

[واذا ولى أحد المتجانسين] أيَّ تجانُس كان ولذا ذكره باسمه الظاهر دون المضمر،

---

(١) أي فى المثال السابق ، وهو قوله تعالى (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) .

(٢) اعترض عليه بأن الراء والنون متقاربان فى المخرج لأنهما من حروف الذَّلَاقَة ، فالأولى أن يمثل لذلك بنحو :

الآخَرَ سُمِّيَ مُزْدَوِجًا وَمُكَرَّرًا وَمُرَدَّدًا نَحْوُ ـ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ .

وَيَلْحَقُ بِالْجِنَاسِ شَيْئَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَجْمَعَ اللَّفْظَيْنِ الاشْتِقَاقُ نَحْوُ ـ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ـ وَالثَّانِي أَنْ يَجْمَعَهُمَا الْمُشَابَهَةُ وَهِيَ مَا يُشْبِهُ الاشْتِقَاقَ نَحْوُ ـ

الْمُتَجَانِسَ [الآخر سمى] الجناس [مزدوجا ومكررا ومرددا نحو ـ وجئتك من سبأ بنبأ يقين] هذا من التجنيس اللاحق ، وأمثلة الأُخَرِ ظاهرة مما سبق .

[ويلحق بالجناس شيئان : أحدهما أن يجمع اللفظين الاشتقاق] وهو تَوَافُقُ الكلمتين فى الحروف الأصول مع الاتفاق فى أصل المعنى (١) [نحو ـ فأقم وجهك للدين القيم] فانهما مشتقان من قام يقوم [والثانى أن يجمعهما] أى اللفظين [المشابهة ، وهى مايشبه] أى اتِّفَاقٌ يشبه [الاشتقاق] وليس باشتقاق ، فلفظه ـ ما ـ موصولة أو موصوفة ، وزعم بعضهم أنها مصدرية أى إشْبَاهُ اللفظين الاشتقاق وهو غلط لفظا ومعنى ، أما لفظا فلانه جعل الضمير المفرد فى ـ يشبه ـ للفظين وهو لايصح إلا بتأويل بعيد (٢) فلا يصح عند الاستغناء عنه ، وأما معنى فلأن اللفظين لايشبهان الاشتقاق ، بل تَوَافُقُهُمَا قد يشبه الاشتقاق ، بأن يكون فى كل منها جميع ما يكون في الآخر من الحروف أو أكثرها لكِنْ لا يرجعان الي أصل واحد كما فى الاشتقاق (٣) [نحو ـ

هل لمَا فات من تَلَاقٍ تَلَافِي ... أم لشَاكٍ من الصَّبَابَةِ شَافِي

(١) وكذا الترتيب ، فيخرج بذلك نحو جذب وجبذ ، وخرج بقيد الاتفاق فى المعنى التجانس ، وهذا هو الاشتقاق الصغير ، وسيأتى الاشتقاق الكبير .

(٢) بأن يؤول بالمذكور (٣) ويشترط أن يكون ذلك على وجه يتبادر منه رجوعهما إلى أصل واحد كما فى الاشتقاق ، وبهذا يمتاز ذلك عن كثير من أنواع التجانس ، ولولا هذا الشرط لدخلت فيه .

قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ .

وَمِنْهُ رَدُّ الْعَجُزِ عَلَى الصَّدْرِ ، وَهُوَ فِى النَّثْرِ أَنْ يُجعَلَ أَحَدُ اللَّفْظَيْنِ الْمُكَرَّرَيْنِ أَوْ

قال إنى لعملكم من القالين] فالأول من القول ، والثانى من القِلَى ، وقد يتوهم أن المراد بما يشبه الاشتقاق هو الاشتقاق الكبير ، وهذا أيضا غلط لأن الاشتقاق الكبير هو الاتفاق فى الحروف الأصول دون الترتيب ، مثل القَمَر والرَّقم والمَرَق ، وقد مثلوا فى هذا المقام بقوله تعالى (اثَّاقَلْتُمْ الَى الأَرْضِ أرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ولا يخفى أن الأرض مع أرضيتم ليس كذلك (١) .

[ومنه] أى ومن اللفظى .

[رد العجز على الصدر

وهو فى النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين] أى المتفقين فى اللفظ والمعنى [أو

---

(١) أي ليس من الاشتقاق الكبير لوجود الترتيب فيه ، وإذن لا يكون المراد بما يشبه الاشتقاق هو الاشتقاق الكبير لأن هذا المثال لا يصلح له ، بل يكون المراد به ما يشمله ويشمل غيره .

تطبيقات على الجناس :

(١) فقلتُ للأعمى أقْصِرْ فانّى سأختار الْمَقَامَ عَلَى الْمُقَامِ

(٢) تحملتُ خوفَ الْمَنِّ كل رَزِيئَةٍ وحَمْلُ رزايا الدهر أحلى من الْمَنِّ

(٣) سَاقٍ يرينى قلبه قسوةً وكُلّ ساق قلبه قَاسِى

(٤) وإذا ما رياحُ جودك هَبَّتْ صار قَوْلُ العذول فيها هَبَاءَ

فى الأول جناس محرف بين المقام بفتح الميم الأولى وضمها ، وفى الثاني جناس تام فى كلمة المن ، والمراد بها فى الأول مَنُّ النعمة ، وفى الثانى نوع من الطعام ، وفى الثالث

الْمُتَجَانِسَيْنِ أَوِ الْمُلْحَقَيْنِ بِهِمَا فِى أَوَّلِ الْفِقْرَةِ وَالآخَرُ فِى آخِرِهَا ، نَحْوُ ـ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ـ وَنَحْوُ ـ سَائِلُ اللَّئِيمِ يَرْجِعُ وَدَمْعُهُ سَائِلٌ ـ وَنَحْوُ ـ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ـ وَنَحْوُ ـ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ـ وَفِى النَّظْمِ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا فِى آخِرِ الْبَيْتِ وَالآخَرُ فِى صَدْرِ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ أَوْ حَشْوِهِ أَوْ آخِرِهِ أَوْ صَدْرِ الْمِصْرَاعِ الثَّانِى ، كَقَوْلِه :

المتجانسين] أى المتشابهين فى اللفظ دون المعنى [أو الملحقين بهما] أى بالمتجانسين ، يعنى اللذين يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق [فى أول الفقرة] وقد عرفت معناها (١) [و] اللفظ [الآخر فى آخرها] اى آخر الفقرة (٢) فتكون الأقسام أربعة [نحو ـ وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه] فى المكررين [ونحو ـ سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل] فى المتجانسين [ونحو ـ استغفروا ربكم إنه كان غفارا] فى الملحقين اشتقاقا (٣) [ونحو ـ قال إنى لعملكم من القالين] فى الملحقين بشبه الاشتقاق [و] هو [فى النظم أن يكون أحدهما] أى أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما اشتقاقا أو شبه اشتقاق [فى آخر البيت و] اللفظ [الآخر فى صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر المصراع الثانى] فتصير الأقسام ستة عشر حاصلة من ضرب أربعة في أربعة ، والمصنف أورد ثلاثة عشر مثالا وأهمل ثلاثة [كقوله :

جناس مقلوب مجنح بين ساق وقاس فى طرفيه ، وفى الرابع ملحق بالجناس فى قوله ـ هبت وهباء ـ لأنه مما يشبه الاشتقاق .

(١) أنظر ص ١٤٣ من هذا الجزء. (٢) وبهذا يخرج العكس نحو ـ عادات السادات ، سادات العادات ـ لأنه إنما وقع فيه أحد اللفظين فى أول سجعة والآخر فى آخر الأخرى .

(٣) إنما عد أول الآية لفظ ـ استغفروا ـ مع أن أولها (فقلت استغفروا) لأن لفظ استغفروا هو أولها فى كلام نوح عليه السلام ، ولفظ ـ قلت ـ لحكايتها .

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعِ

وَقَوْلِه :

تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

وَقَوْلِه :

وَمَنْ كَانَ بِالْبِيضِ الْكَوَاعِبِ مُغْرَمًا فَمَا زِلْتُ بِالْبِيضِ الْقَوَاضِبِ مُغْرَمَا

وَقَوْلِه :

سريع الى ابن العم يلطم وجهه وليس الى داعي الندى بسريع (١)]

فيما يكون المكرر الآخر فى صدر المصراع الأول [وقوله :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار (٢)]

فيما يكون المكرر الآخر فى حشو المصراع الأول ، ومعنى البيت استمتع بِشَمِّ عرار نجد وهى وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة ، فانا نعدمه اذا أمسينا لخروجنا من أرض نجد ومنابته [وقوله : ومن كان بالبيض الكواعب] جمع كاعب وهى الجارية حين يبدو ثديها للنهود [مغرما ﴿] مُولَعاً [فما زلت بالبيض القواضب] أى السيوف القواطع [مغرما (٣)] فيما يكون المكرر الآخر فى آخر المصراع الأول [وقوله :

---

(١) هو للأُقَيْشِر الأسَدِيّ من شعراء الدولة الأموية ، والندى العطاء ، ويعنى بابن العم نفسه (٢) هو للصِّمَّة بن عبد الله القُشَيْرِيّ من شعراء الدولة الأموية .

(٣) هو لأبى تمام من قصيدة له مطلعها :

عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلَّ ما وأنْ تعقب الأيام فيهم فرُبَّمَا

وَإنْ لَمْ يَكُنْ إلاَّ مُعَرَّجَ سَاعَةٍ   قَلِيـــلاً فَإنِّى نَافِعٌ لِى قَلِيلُهَا

وَقَوْلِه :

دَعَانِى مِنْ مَلاَمِكُمَا سِـفَاهًا   فَدَاعِى الشَّوْقِ قَبْلَكُمَا دَعَانِى

وَقَوْلِه :

وَإذَا الْبَلاَبِلُ أَفْصَحَتْ بِلُغَاتِهَا   فَانْفِ الْبَلاَبِلَ بِاحْتِسَاءِ بَلاَبِلِ

وإن لم يكن إلا معرج ساعة *] هو خبر كان ، واسمه ضمير يعود الى الالمام المدلول عليه فى البيت السابق وهو :

أَلِمَّـا على الدار التى لو وجـــدتُهَا   بها أَهْلُهَا ما كان وَحْشًا مَقِيلُهَا (١)

[قليلا] صـفة مُؤَكِّدَةٌ لِفَهْمِ القلة من إضافة التعريج الى الساعة ، أو صفة مُقَيِّدَةٌ أي إلا تعريجا قليلا فى ساعة [فانى نافع لى قليلها (٢)] مرفوع فاعل نافع ، والضمير للساعة ، والمعنى قليل من التعريج فى الساعة ينفعنى ويشفى غَلِيلَ وَجْدى ، وهـذا فيما يكون المـكرر الآخر فى صدر المصراع الثانى [وقوله : دعانى] أى اتركانى [من ملامكما سفاها *] أي خِفَّةً وقِلَّةَ عقل [فداعى الشوق قبلكما دعانى (٣)] من الدعاء ، وهذا فيما يكون المتجانس الآخر فى صـدر المصراع الأول [وقوله : وإذا البلابل] جمع بُلْبُل وهو طائر معروف [أفصحت بلغاتها * فانف البلابل] جمع بَلْبَال وهو الحزن

---

(١) ألما بمعنى انزلا ، والمقيل محل القيلولة وهى النوم فى نصف النهار .

(٢) البيت لذي الرُّمَّة من شـعراء الدولة الأموية (٣) البيت للقاضى الأَرَّجَانىِّ من قصيدة له مطلعها :

إذا لم تقـدرا أن تُسْعِدَانِى   على شَجَنِى فَسِيرَا واتركانِى

وقوله :

فَمَشْغُوفٌ بِآيَاتِ الْمَثَانِى ۞ وَمَفْتُونٌ بِرَنَّاتِ الْمَثَانِى

وقوله :

أَمَلْتُهُمْ ثُمَّ تَأَمَّلْتُهُمْ ۞ فَلَاحَ لِى أَنْ لَيْسَ فِيهِمْ فَلَاحْ

وقوله :

ضَرَائِبَ أَبْدَعْتَهَا فى السَّماحِ ۞ فَلَسْنَا نَرَى لَكَ فِيهَا ضَرِيباً

[باحتساء بلابل (١)] جمع بُلْبُلَة بالضم وهو إبريق فيه الخمر ، وهذا فيما يكون المتجانس الآخر أعنى البلابل الأول فى حشو المصراع الأول لا صدره ، لأن صدره هو قوله ـ وإذا [وقوله : فمشغوف بآيات المثانى ۞] أى القرآن [ومفتون برنات المثانى (٢)] أى بنغمات أوتار المزامير التى ضم طاق منها الى طاق ، وهذا فيما يكون المتجانس الآخر فى آخر المصراع الأول [وقوله : أملتهم ثم تأملتهم ۞ فلاح] أى ظهر [لى أن ليس فيهم فلاح (٣)] أي فوز ونجاة ، وهذا فيما يكون المتجانس الآخر فى صدر المصراع الثانى [وقوله : ضرائب] جمعُ ضريبة وهى الطبيعة التى ضُرِبَتْ للرجل وطُبِعَ عليها [أبدعتها فى السماح ۞ فلسنا نرى لك فيها ضريبا (٤)] أى مِثْلاً ، وأصله المثل فى

---

(١) البيت لأبى منصور الثَّعالِبِيّ من شعراء الدولة العباسية (٢) البيت للحريرى صاحب المقامات ، وهو من كتاب الدولة العباسية (٣) البيت للقاضى الأرَّجَانىّ من قصيدة له مطلعها :

صوتَ حمامِ الأَيْكِ عند الصَّبَاحْ ۞ جَدَّدَتَ تذكاريَ عهد الصِّبَاحْ

(٤) البيت للسَّرِىّ الرفَّاء من شعراء الدولة العباسية يمدح به سلامة بن فهد .

وَقَوْله :

إذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْه لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ

وَقَوْله :

لَوِ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإحْسَانِ زُرْتُكُمُ وَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإفْرَاطِ فِى الْخَصَرِ

ضرب القداح (١) وهذا فيما يكون الملحق الآخر بالمتجانسين اشتقاقا فى صدر المصراع الأول [وقوله :

إذا المرأ لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان (٢)]

أى اذا لم يحفظ المرء لسانه على نفسه ممـا يعود ضرره اليه فلا يحفظه على غيره مما لاضرر له فيه ، وهذا مما يكون الملحق الآخر اشتقاقا فى حشو المصراع الأول [وقوله :

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم ⁕ والعذب] من الماء [يهجر للافراط فى الخصر (٣)]

أي فى البرودة ، يعنى أن بعدى عنكم لكثرة إنعامكم عَلَيَّ ، وقد توهم بعضهم أن هذا المثال مكرر حيث كان اللفظ الآخر فى حشو المصراع الأول كما فى البيت الذى قبله ، ولم يعرف أن اللفظين فى البيت السابق مما يجمعهما الاشتقاق ، وفى هذا البيت مما يجمعهما شبه الاشتقاق ، والمصنف لم يذكر من هذا القسم إلا هذا المثال ، وأهمل الثلاثة الباقية ،

---

(١) يريد أنه المثل من القداح المضروبة وهى سهام الميسر ، فكل واحد منها يقال له ضريب ، فهو فى الأصل مثل مقيد ثم أريد به مطلق مثل (٢) هو لامرىء القيس بن حُجرٍ من قصيدته التي مطلعها :

قفَا نَبْكِ من ذكرى حبيب وعرفانِ وربْعٍ عفَتْ آياتُهُ مُنْذُ أزمانِ

(٣) البيت لأبي العلاء الْمَعَرِّيّ يمدح به أبا الرضا الْمَصِيصِيَّ .

وَقَوْله :

فَدَعِ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِى أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ الذُّبَابِ يَضِيرُ

وَقَوْله :

وَقَدْ كَانَتِ الْبِيضُ الْقَوَاضِبُ فِى الْوَغَى بَوَاتِرَ فَهِىَ الآنَ مِنْ بَعْدِهِ بُتُرْ

وقد أوردتها في الشرح (١) [وقوله :

فدع الوعيد فما وعيــدك ضائرى أطنين أجنحة الذباب يضير (٢)]

وهذا فيما يكون الملحق الآخر اشـتقاقا وهو ـ ضائري ـ فى آخر المصراع الأول [وقوله : وقد كانت البيض القواضب فى الوغى *] أى السيوف القواطع فى الحرب [بواتر] أى قواطع لحسن استعماله إياها [فهي الآن من بعده بتر (٣)] جَمْعُ أبتر ،

---

(١) وهى قول الحريرى :

وَلَاحَ يَلْحَى على جَرْى الْعنَانِ الى مَلْهًى فَسُحْقًا له من لَائِحٍ لَاحِ

وقوله أيضا :

ومُضْطَلِعٍ بتلخيص الْمَعَانِي ومُطَّلِعٍ إلى تخليص عَانِ

وقول الآخر :

لَعَمْرِي لقد كان الثُّرَيَّا مكانه ثَرَاءً فأضحى الآن مَثْوَاهُ فى الثَّرَى

(٢) هو لعبد الله بن محمد بن عُيَيْنَةَ الْمُهَلَّبِيِّ من شعراء الدولة العباسية .

(٣) البيت لأبى تمام فى رثاء محمد بن نَهْشَلٍ ، والبتر المقطوعة الفائدة .

تطبيقات على رد العجز على الصدر :

(١) ولقد أصبح الفؤادُ عليلاً ليتها بالوصال تَشْفِي عليلاَ

وَمِنْـهُ السَّجْعُ ، وَهُوَ تَوَاطُؤُ الْفَاصِلَتَيْنِ مِنَ النَّثْرِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِـدٍ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ السَّكَّاكِيِّ هُوَ فِى النَّثْرِ كَالْقَافِيَةِ فِى الشِّعْرِ ،

إذ لم يبق بعده من يستعملها استعماله ، وهذا فيما يكون الملحق الآخر اشتقاقا فى صدر المصراع الثانى .

[ومنه] أي ومن اللفظى .

[السجع

وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحـــد] فى الآخِرِ [وهو معنى قول السكاكى هو] أى السجع [فى النثر كالقافيـة فى الشعر] يعنى أن هـذا مقصود كلام السكاكى ومحصوله ، وإلا فالسجع على التفسير المذكـور بمعني المصدر أعنى تَوَافُقَ الفاصلتين فى الحرف الأخير ، وعلى كلام السكاكى هو نفس اللفظ المتواطىء الآخِرِ فى أواخر الْفِقَرِ ، ولذا ذكره السكاكى بلفظ الجمع وقال : إنها (١) فى النثر كالقوافى فى الشعر ، وذلك لأن القافيـة لفظ فى آخِرِ البيت إماَّ الـكلمة نفسها أو الحرف الأخير منها أو غير ذلك على تفصيل المذاهب ، وليست عبارة عن تواطؤ الـكلمتين من أواخر الأبيات على حرف واحـد ، فالحاصل أن السجع قد يطلق على الـكلمة الأخيرة من الْفِقْرَةِ باعتبار تَوَافُقِهَا للـكلمة الأخيرة من الفقرة الأخرى ، وقد يطلق على نفس

---

(٢) زرتُ الدِّيارَ عن الأحبَّة سائلاً ورجعتُ ذا أسَفٍ ودمعٍ سائلِ

(٣) ثَلَبْتَ أهْلَ الفضل قد دلَّنِى أنك منقوصٌ ومثلوبُ

فى الأول رد العجز على الصدر بالتكرار ، وفى الثانى بالجناس ، وفى الثالث بالملحق بالجناس .

(١) أي الأسجاع .

وَهُوَ ثَلاَثَةُ أَضْرُبٍ : مُطَرَّفٌ إِنِ اُخْتَلَفَا فِى الْوَزْنِ نَحْوُ ـ مَالَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلّهِ وَقَارًا ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ـ وَإِلاَّ فَإِنْ كَانَ مَافِى إِحْدَى الْقَرِينَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرُهُ مِثْلَ مَا يُقَابِلُهُ مِنَ الْأُخْرَى فِى الْوَزْنِ وَالتَّقْفِيَةِ فَتَرْصِيعٌ نَحْوُ ـ فَهُوَ يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهِ ، وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ ـ وَإِلاَّ فَمُتَوَازٍ نَحْوُ ـ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ .

توافقهما ، ومرجع المعنيين واحد [وهو] أى السجع [ثلاثة أضرب : مطرف إن اختلفتا] أى الفاصلتان [فى الوزن (١) نحو ـ مالكم لاترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا] فان الوقار والأطوار مختلفان وزنا [وإلا] أى وإن لم يختلفا فى الوزن [فان كان مافى إحدى القرينتين] من الألفاظ [أو] كان [أكثره] أى أكثر مافى إحدى القرينتين [مثل ما يقابله من] القرينة [الأخرى فى الوزن والتقفية] أي التوافق على الحرف الأخير [فترصيع نحو ـ فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه] لجميع مافى القرينة الثانية موافق لما يقابله من القرينة الأولى ، وأما لفظ ـ فهو ـ فلا يقابله شىء من الثانية (٢) ولو قال بدل الأسماع الآذان كان مثالا لما يكون أكثر مافى الثانية موافقا لما يقابله فى الأولى [وإلا فهو متواز] أى وإن لم يكن جميع مافى القرينة ولا أكثره مثل ما يقابله من الأخري فهو السجع المتوازى [نحو ـ فيها سرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة] لاختلاف سرر وأكواب فى الوزن والتقفية جميعا ، وقد يختلف الوزن (٣) فقط نحو (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ، فَالْعَاصِفَاتِ

---

(١) المراد به الوزن العروضى لا التصريفي (٢) فليس فيها شىء يقال إنه مساو له أو غير مساو ، ولهذا كان ذلك المثال لما تساوت فيه جميع المتقابلات .

(٣) قد سبق أن المراد به الوزن العروضى ، فلا يصح التمثيل لاختلافه بالآية ، لأن المختلف فيها الوزن التصريفى لا العروضى .

قِيلَ وَأَحْسَنُ السَّجْعِ مَا تَسَاوَتْ قَرَائِنُهُ نَحْوُ - فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ - ثُمَّ مَا طَالَتْ قَرِينَتُهُ الثَّانِيَةُ نَحْوُ - وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى - أَوِ الثَّالِثَةُ نَحْوُ - خُذُوهُ ، فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ - وَلَا يَحْسُنُ أَنْ يُؤْتَى بِقَرِينَةٍ أَقْصَرَ مِنْهَا كَثِيرًا ، وَالْأَسْجَاعُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى سُكُونِ الْأَعْجَازِ كَقَوْلِهِمْ - مَا أَبْعَدَ مَا فَاتْ ، وَأَقْرَبَ مَا هُوَ آتْ - قِيلَ وَلَا يُقَالُ فِى الْقُرْآنِ أَسْجَاعٌ بَلْ

عَصْفًا) وقد تختلف التقفية فقط كقولنا - حصل الناطق والصامت ، وهلك الحاسد والشامت .

[قيل وأحسن السجع ما تساوت قرائنه نحو - فى سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود - ثم] أى بعد ألاّ تتساوى قرائنه فالأحسن [ماطالت قرينته الثانية نحو - والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوي - أو] قرينته [الثالثة نحو - خذوه ، فغلوه ، ثم الجحيم صلوه] من التَّصْلِيَة (١) [ولا يحسن أن يؤتى بقرينة] أى يؤتى بعد قرينة بقرينة أخرى [أقصر منها] قصرا [كثيرا] لأن السجع قد استوفى أمده فى الأول بطوله ، فاذا جاء الثانى أقصر منه كثيرا يبقى الانسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء الى غاية فيعثر دونها ، وإنما قال - كثيرا - احترازا عن نحو قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ) [والأسجاع مبنية على سكون الأعجاز] أى أواخر فواصل القرائن ، إذ لايتم التَّوَاطُؤُ والتَّزَاوُجُ فى جميع الصور إلا بالوقف والسكون [كقولهم - ماأبعد مافات ، وأقرب ماهو آت] إذ لو لم يعتبر السكون لفات السجع ، لأن التاء من - فات - مفتوح ، ومن - آت - منون مكسور [قيل ولا يقال فى القرآن أسجاع] رعاية للأدب وتعظيما له ، إذ السجع فى الأصل هَدِيرُ الْحَمَامِ

---

(١) وهى الاحراق بالنار .

يُقَالُ فَوَاصِلُ ، وَقِيلَ السَّجعُ غيرُ مُختَصٍّ بالنَّثْرِ وَمِثَالُهُ فى النَّظْمِ قَوْلُه :

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِى ، وَأَثْرَتْ بِهِ يَدِى وَفَاضَ بِهِ ثَمْدِى ، وَأَوْرَى بِهِ زَنْدِى

وَمِنَ السَّجْعِ عَلَى هـٰذَا الْقَوْلِ مَا يُسَمَّى التَّشْطِيرَ ، وَهُوَ جَعلُ كُلٍّ مِنْ شَطْرَيِ الْبَيْتِ سَجعةً مُخَالِفَةً لأُخْتِهَا ،

ونحوه (١) وقيل لعدم الاذن الشرعى ، وفيه نظر إذ لم يقل أحد بتوقف أمثال هذا على إذن الشارع ، وإنما الكلام فى أسماء الله تعالى [بل يقال] للأسجاع فى القرآن أعني الكلمة الأخيرة من الْفِقْرَة [فواصل ، وقيل السجع غير مختص بالنثر ، ومثاله فى النظم قوله : تجلى به رشدي ، وأثرت] أى صارت ذا ثروة [به يدى ، وفاض به ثمدى ،] هو بالكسر الماء القليل ، والمراد ههنا المال القليل [وأورى] أى صار ذا وَرْى [به زندى (٢)] فأما أُورى بضم الهمزة وكسر الراء على أنه متكلم المضارع من - أوْرَيْتُ الزند أخرجت ناره - فتصحيف ، ومع ذلك يأباه الطبع (٣) [ومن السجع على هـذا القول] أى القول بعدم اختصاصه بالنثر [مايسمى التشطير ، وهوجعل كل من شطري البيت سجعة مخالفة لأختها] أى للسجعة التي فى الشطر الآخَر ، وقولُه - سجعة - فى موضع المصدر أى مسجوعا سجعة ، لأن الشطر نفسه ليس بسجعة ، أو هو مَجَازٌ تَسْمِيَةً

---

(١) بالرفع معطوف على — هدير — أى ونحو الهدير كتصويت الناقة ، وليس بالجر لأن الهدير قاصر على الحمام وحده (٢) البيت لأبى تمام ، والضمير فى قوله — تجلى — لنصر المذكور في البيت قبله :

سأحمد نصرًا ما حَيِيتُ وإنّنى لأعلم أنْ قد جَلَّ نصر عن الْحَمْدِ

(٣) لأن الضمائر قبله للغيبة ، فالسياق يقتضى أن يكون هذا للغيبة أيضا .

كَقَولِهِ :

تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ ، بِاللهِ مُنْتَقِمٍ لِلهِ مُرْتَغِبٍ، فى اللهِ مُرْتَقِبِ

وَمِنْـهُ الْمُوَازَنَةُ ، وَهِىَ تَسَاوِى الْفَاصِلَتَيْنِ فِى الْوَزْنِ دُونَ التَّقْفِيَـةِ ، نَحْوُ ـ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ، وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ـ

للكل باسم جزئه [كقوله : تدبير معتصم ، بالله منتقم * لله مرتغب ، في الله] أى راغب فيما يقربه من رضوانه [مرتقب (١)] أى منتظر ثوابه أو خائف عقابه ، فالشطر الأول سجعة مبنية على الميم ، والثانية سجعة مبنية على الباء .

[ومنه] أى ومن اللفظى :

[الموازنة

وهى تساوى الفاصلتين] أى الكلمتين الأخيرتين من الفقرتين أو من المصراعين [فى الوزن دون التقفية ، نحو ـ ونمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة] فان مصفوفة

---

(١) هو لأبى تمام فى مدح المعتصم بالله من قصيدة له مطلعها :

السيف أصدقُ إنباءً من الكتبِ فى حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللَّعبِ

تطبيقات على السجع :

(١) قوله تعالى ـ (إنَّ إلينَا إيابَهُم ، ثم إنَّ علينَا حسابَهُم) :

(٢) قُمْ يا غلامُ إلى المُدَامِ قم داونى منهـا بجامِ

(٣) بكل منتصرٍ ، للفتح منتظرٍ وكُلِّ مغترمٍ ، بالحق ملتزمِ

الأول من السجع المرصع ، والثانى من السجع المطرف ، والثالث من السجع المشطر .

وَإِذَا تَسَاوَى الْفَاصِلَتَانِ فَإِنْ كَانَ مَافِى إِحْدَى الْقَرِينَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرُهُ مِثْلَ مَايُقَابِلُهُ مِنَ الْأُخْرَى فِى الْوَزْنِ خُصَّ بِاسْمِ الْمُمَاثَلَةِ نَحْوُ ـ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ـ وَقَوْلِهِ :

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنَّ هَاتَا أَوَانِسٌ   قَنَا الْخَطِّ إِلَّا أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ

ومبثوثة متساويتان فى الوزن لا فى التقفية ، إذ الأولى على الفاء ، والثانيـة على الثاء ، ولا عبرة بتاء التأنيث فى القافية على ما بُيِّنَ فى موضـعه ، وظاهر قوله ـ دون التقفية ـ أنه يجب فى الموازنة عدم التساوى فى التقفية حتى لا يكون نحو ـ فيهـا سرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة ـ من الموازنة ، ويكون بين الموازنة والسجع مُبَايَنَةٌ إلا على رأى ابن الأثير فانه يشترط فى السجع التساوى فى الوزن والتقفية ويشترط فى الموازنة التساوى فى الوزن دون الحرف الأخير (١) فنحو ـ شديد وقريب ـ ليس بسجع ، وهو أخص من الموازنة [وإذا تساوى الفاصلتان] فى الوزن دون التقفية [فان كان مافى إحدى القرينتين] من الألفاظ [أو أكثره مثل مايقابله من] القرينة [الأخرى فى الوزن] سواء كان يماثله فى التقفية أوْلَا [خص] هذا النوع من الموازنة [باسم المماثلة] وهى لاتختص بالنثر كما توهمه البعض من ظاهر قولهم ـ تساوى الفاصلتين ـ ولا بالنظم على ماذهب اليه البعض ، بل تجري فى الْقَبِيلَيْن ، فلذلك أورد مثالين [نحو] قوله تعالى [وآتينـاهما الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم ـ وقوله : مها الوحش] جَمْعُ مَهَاة وهى البقرة الوحشية [إلا أن هاتا] أى هذه النساء [أوانس ٭ قنا الخط إلا أن تلك] القنا [ذوابل (٢)] وهذه النساء نواضر ، والمثالان مما يكون أكثر مافى

---

(١) فانه لا يشترط فيه التساوى فيها كما فى السجع ، فتكون على هذا أعم منه .

(٢) البيت لأبى تمام ، والقنا واحده قناة وهى الرمح ، والخط بلد تصنع فيها .

وَمِنْهُ القَلْبُ كَقَوْلِه :

مَوَدَّتُه تَدُومُ لِكُلِّ هَوْلٍ وَهَلْ كُلٌّ مَوَدَّتُه تَدُومُ

إحدى القرينتين مثل مايقابله من الأخرى ، لعدم تماثل ـ آتيناهما وهديناهما ـ وزنا ، وكذا ـ هاتا وتلك ـ ومثال الجميع قول أبى تمام :

فأَحْجَمَ لَمَّا لم يجد فيك مَطْمَعاً وأقْدَمَ لما لم يجد عنك مَهْرَباً (١)

وقد كثر ذلك فى الشعر الفارسى ، وأكثر مدائح أبى الفرج الرومى من شعراء العجم على المماثلة ، وقد اقتفي الأَنْوَرِيُّ أثره فى ذلك .

[ومنه] أى ومن اللفظى :

[القلب]

وهو أن يكون الكلام بحيث لو عكسته وبدأت بحرفه الأخير الى الأول كان الحاصل بعينه هو هذا الكلام (٢) ويجرى فى النثر والنظم [كقوله :

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم (٣)

---

(١) هذا البيت من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خَاقَانَ ، ويذكر فيها مبارزته للأسد ، وقد نسب بعضهم البيت الى البُحْتُرِيِّ وهو الصواب .

ومن المماثلة :

(١) كأَنَّ المُدَامَ وَصَوْبَ الغَمَامِ وريح الخُزَامَى وَنَشْرَ العَطِرْ

(٢) فاذا عَفَا لم يُلْفَ غير مُمَلَّكٍ وإذا سَطَا لم يَلْقَ غير مُعَفَّرِ

(٢) ولا يضر فيه تبديل بعض الحركات والسكنات ، ولا تخفيف مشدد ، ولا تشديد مخفف ، ولا قصر ممدود ، ولا مد مقصور ، ولا جعل الألف همزة أو الهمزة ألفا (٣) هو للقاضى الأَرَّجَانِيِّ فى مدح الفضل بن محمد .

وَفى التَّنْزِيلِ - كُلٌّ فى فلَكَ - وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ .

وَمِنْهُ التَّشْرِيعِ وَهُوَ بِنَاءُ الْبَيْتِ عَلَى قَافِيَتَيْنِ يَصِحُّ الْمَعْنَى عِنْدَ الْوُقُوفِ عَلَى كُلٍّ مِنْهُمَا ، كَقَوْلِهِ :

فى مجموع البيت ، وقد يكون ذلك فى المصراع كقوله :

* أرانا الاله هلالا أنارا *

[وفي التنزيل — كل فى فلك — وربك فكبر] والحرف المشدد فى حكم المخفف لأن المعتبر هو الحروف المكتوبة ، وقد يكون ذلك فى المفرد نحو - سَلَس - وَتَغَايُر القلب بهذا المعنى لتجنيس القلب ظاهر ، فان المقلوب ههنا يجب أن يكون عين اللفظ الذي ذكر بخلافه ثَمَّتَ ، ويجب ثمت ذكر اللفظين جميعا بخلافه ههنا (١) .

[ومنه] أى ومن اللفظى .

[التشريع]

ويسمى التوشيح وذا القافيتين أيضا [وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما] أى من القافيتين ، فان قيل كان عليه أن يقول يصح الوزن والمعنى عند الوقوف على كل منهما ، لأن التشريع هو أن يبنى الشاعر أبيات القصيدة ذات قافيتين على بحرين أو ضربين من بحر واحد فعلى أىّ القافيتين وقفت كان شعرا

---

(١) راجع ص ١٩٧ من هذا الجزء .

ومن القلب :

(١) أراهُنَّ نَادِمْنَهُ ليل لَهْو وهل لَيْلُهُنَّ مُدَانٍ نهارَا

(٢) ليلٌ أضاء هلالُهُ أنّي يضيء بكوكب

(٣) عدلوا فما ظلمتْ لهم دُوَلُ سعدوا فما زالتْ لهم نِعَمُ

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّـــةِ إِنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الأَكْدَارِ

مستقيما ، قلنا القافية إنما هي آخر البيت ، فالبناء على قافيتين لايتصور إلا اذا كان البيت بحيث يصح الوزن ويحصل الشعر عند الوقوف على كل منهما ، وإلا لم تكن الأولى قافية [كقوله : ياخاطب الدنيا] من ـ خَطَبَ المرأة [الدنية] أي الخسيسة [إنها * شرك الردى] أى حِبَالَةُ الهلاك [وقرارة الأكدار (١)] اى مَقَرُّ الكُدُورَات ، فان وقفت على ـ الردى ـ فالبيت من الضرب الثامن من الكامل ، وإن وقفت على ـ الأكدار ـ فهو من الضرب الثانى منه (٢) والقافيـة عند الخليل من آخر حرف فى البيت إلى أول ساكن يليه مع الحركة التي قبل ذلك الساكن ، فالقافية الأولى من هذا البيت هو لفظ ـ الردي ـ مع حركة الكاف من ـ شرك ـ والقافية الثانيـة هي من حركة الدال من ـ الأكدار ـ الي الآخر ، وقد يكون البناء على أكثر من قافيتين وهو قليل متكلف (٣)

---

(١) البيت للْحَرِيرِىِّ صاحب المقامات (٢) وبيان ذلك أن أجزاء الكامل مُتَفَاعِلُنْ ست مرات ، وأنه يُسَدَّسُ على الأصل تارة ويُرَبَّعُ مجزوءا تارة أخرى ، وضربه الثانى هو مُسَدَّسُهُ الذي عَرُوضُهُ سالمة وضربه مقطوع ، وضربه الثامن هومُرَبَّعُهُ الذى أجزاؤه الأربعة سالمة (٣) ومن ذلك قول الحريرى :

جُودي عليَ الْمُسْتَهْتَرِ الصَّبِّ الْجَوَى وَتَعَطَّفِي بوصاله وتَرَحَّمِي

ذا الْمُبْتَلَىَ المتفكر القلب الشَّجِى ثم اكشفى عن حاله لا تظلمى

فلك أن تقول فيه :

(١) جودي عـــلى المســتهتر ذا المبتـــــــلى المتفكر

(٢) جودى على المســـتهتر الصب ذا المبتـــلى المتفكر القلب

(٣) جودى على المستهتر الصب الجوى ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى

(٤) جودى على المســتهتر الصـ ـب الجـــــوى وتعطـــف

وَمِنْهُ لُزُومُ مَالاَ يَلْزَمُ ، وَهُوَ أَنْ يَجِيءَ قَبْلَ حَرْفِ الرَّوِيِّ أَوْ مَافِى مَعْنَاهُ مِنَ الْفَاصِلَةِ مَا لَيْسَ بِلاَزِمٍ فِى السَّجْعِ ،

ومن لطيف ذى القافيتين نوع يوجد في الشعر الفارسى ، وهو أن تكون الألفاظ الباقية بعد القوافى الأُوَل بحيث اذا جمعت كانت شعرا مستقيم المعنى .

[ومنه] أى ومن اللفظي .

[لزوم مالا يلزم]

ويقال له الالزام ، والتضمين ، والتشديد ، والاعنات ، أيضا [وهو أن يجىء قبل حرف الروى] وهو الحرف الذى تبنى عليه القصيدة وتنسب اليه ، فيقال - قصيدة لامية أو ميمية - مثلا ، من — رَوَيْتُ الحبل اذا فتلته — لأنه يجمع بين الأبيات كما أن الفتل يجمع بين قُوَى الحبل ، أو من - رَوَيْتُ على البعير اذا شددت عليه الرِّوَاء - وهو الحبل الذى يجمع به الأحمال [أو مافى معناه] أى قبل الحرف الذى هو فى معنى حرف الروى [من الفاصلة] يعنى الحرف الذى وقع فى فواصل الْفِقَرِ موقع حرف الروى فى قوافى الأبيات ، وفاعل يجىء هو قوله [ما ليس بلازم فى السجع] يعنى أن يؤتى قبله بشىء (١) لو جُعِلَ القوافى أو الفواصل أسجاعا لم يحتج الى الاتيان

ذا المبتلى المتفكر ال قلب الشجى ثم اكشفى

(٥) جودى على المستهتر الصب الجوى وتعطفى بوصاله

ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى ثم اكشفى عن حاله

(١) سواء أكان حرفا أم حركة كقول ابن الرومى :

لِمَا تؤذن الدنيا به من صُرُوفِهَا يكون بكاءُ الطفل ساعةَ يُولَدُ

وإلا فما يُبْكِيه منها وإنَّهَا لَأَوْسَعُ مما كان فيه وأرغَدُ

نَحْوُ ـ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ـ وَقَوْلِه :

سَأَشْكُرُ عَمْرًا إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي ... أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ

فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ ... وَلَا مُظْهِرُ الشَّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا ... فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ

بذلك الشيء وتم السجع بدونه ، فمن زعم أنه كان ينبغي أن يقول ماليس بلازم فى السجع أو القافية ليوافق قوله ـ قبل حرف الروى أو مافى معناه ـ فهو لم يعرف معنى هـذا الكلام ، ثم لا يخفى أن المراد بقوله ـ يجيء قبل كذا ماليس بلازم في السجع ـ أن يكون ذلك فى بيتين أو أكثر أو فاصلتين أو أكثر ، وإلا ففى كل بيت أو فاصلة يجيء قبل حرف الروي أو مافى معناه ماليس بلازم فى السجع كقوله :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ (١)

قد جاء قبل اللام ميم مفتوحة وهو ليس بلازم فى السجع ، وقوله ـ قبل حرف الروى أومافى معناه ـ إشارة الى أنه يجري فى النثر والنظم [نحو ـ فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر] فالراء بمنزلة حرف الروي ، ومجيء الهاء قبلها فى الفاصلتين لزوم مايلزم لصحة السجع بدونها نحو ـ فلا تقهر ولاتسخر [وقوله : سأشكر عمرا إن تراخت منيتي ٭ أيادى] بدل من عمرا [لم تمنن وإن هى جلت ٭] أي لم تقطع أو لم تخلط بمنّة وإن عظمت وكثرت :

[فتى غير محجوب الغنى عن صـــديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت]

زَلَّةُ القدم والنعل كناية عن نزول الشر والمحنة [رأى خلتى] أى فقرى [من حيث يخفى مكانها ٭] لأنى كنت أسترها عنه بالتجمل [فكانت] أى خلتي [قذي عينيه حتى

---

(١) هو مطلع مُعَلَّقَةِ امرىء القيس ، والسقط منقطع الرمل حيث يستدق من طرفه ، واللوى رمل يعوج ويلتوى ، والدخول وحومل موضعان .

وَأصْلُ الْحُسْنِ فى ذٰلِكَ كُلِّهِ أنْ تَـكُونَ الْألْفَاظُ تَابِعَةً لِلْمَعَانِى دُونَ الْعَكْسِ.

تجلت (١)] أى انكشفت وزالت باصلاحه إياها بأياديه ، يعنى من حسن اهتمامه جعله كالداء الملازم لأشرف أعضائه حتى تلافاه بالاصلاح ، فحرف الروى هو التاء ، وقد جيء قبله بلام مشددة مفتوحة ، وهو ليس بلازم في السجع لصحة السجع بدونها نحو - جلّت ومدّت ومنّت وانشقّت ونحو ذلك .

[وأصل الحسن في ذلك كله] أي فى جميع ماذكر من المحسنات اللفظية (٢) [أن تكون الألفاظ تابعة للمعانى دون العكس] أى لا أن تكون المعاني توابع للألفاظ ، بأن يؤتى بالألفاظ متكلفة مصنوعة فيتبعها المعنى كَيْفَمَا كانت ، كما فعله بعض المتأخرين الذين لهم شَغَفٌ بإيراد المحسنات اللفظية ، فيجعلون الكلام كأنه غير مَسُوق لافادة المعنى ، ولا يبالون بخفاء الدلالات وركاكة المعنى ، فيصير كَغِمْد من ذهب على سيف من خشب ، بل الوجه أن تترك المعانى على سجيتها ، فتطلب لأنفسها ألفاظا تليق بها ، وعند هذا تظهر البلاغة والبراعة ، ويتميز الكامل من القاصر ، وحين رُتِّبَ الْحَرِيرِىُّ مع كمال فضله فى ديوان الانشاء عجز فقال ابن الخشاب : هو رجل مَقَامَاتِيٌّ ، وذلك

---

(١) الأبيات لعبد الله بن الزُّبِير الأسدى فى مدح عمرو بن عثمان بن عفان ، وهو من شعراء الدولة الأموية .

ومن لزوم مالا يلزم :

نَاوَلْتُهُ وردةً فاحمرَّ من خَجَلٍ   وقال وجْهِى يغنينى عن الزَّهَرِ

الْخَدُّ وردٌ وعينى نَرْجِسٌ وعلى   خدِّي عذارٌ كَرَيْحَانٍ على نَهَرِ

(٢) الحق أن المراد به المحسنات مطلقا ، لأنه لا فرق بينها فى ذلك كما سبق فى تعريف علم البديع .

لأن كتابه (١) حكاية تجرى على حسب إرادته ، ومعانيه تتبع ما اختاره من الألفاظ المصنوعة ، فأين هـذا من كتاب من أمر به فى قضية ، وما أحسن ما قيل فى الترجيح بين الصاحب (٢) والصَّابِئ : إن الصاحب كان يكتب كما يريد ، والصابى كان يكتب كما يؤمر ، وبين الحالتين بَوْنٌ بعيد ، ولهـذا قال قاضى قُمَّ حين كتب اليـه الصاحب — أيها القاضى بقم ، قد عزلناك فَقُمْ : والله ما عزلتنى إلا هذه السجعة .

---

(١) يعنى به مقاماته المشهورة (٢) الصاحب هو إسماعيل بن عَبَّادٍ وزير آل بُوَيهِ ، وَالصَّابِئُ هو إبراهيم بن هلال صاحب ديوان الرسائل زمن عز الدولة بن بويه ، وكلاهما من كتاب الدولة العباسية .

تطبيقات عامة على المحسنات اللفظية :

(١) اللّهُمَّ أعط منفقا خلفا ، وأعط ممسكا تلفا :

(٢) عارٌ على ابن النِّيل سَبَّاقِ الْوَرَى مَهْمَا تقلَّب دهرُهُ أن يُسْبَقَا

(٣) يَعْشَى عن المجد الْغَبِيُّ ولن ترى فى سُؤْدُدٍ أرَبًا لغـير أريبِ

فى الأول سجع مرصع لاتحاد الفقرتين فى الوزن والتقفية ، وفى الثانى رد العجز على الصدر ، وفى الثالث ملحق بالجناس بين أرب وأريب لاجتماعهما فى الاشتقاق .

أمثلة أخرى :

(١) أشرتَ برأى فى كتابك لم يكن سديدًا ولٰكنْ كان سهماً مُسَدَّدَا

(٢) ليتهم سَمَّوْهُ باسم سِوَى ذا إنما التشريع دِينٌ قَوِيمُ

(٣) وما اشتار العسل ، من اختار الكسل .

خَاتِمَةٌ

فِى السَّرِقَاتِ الشِّعْرِيَّةِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا وَغَيْرِ ذٰلِكَ

اتِّفَاقُ الْقَائِلَيْنِ إِنْ كَانَ فِى الْغَرَضِ عَلَى الْعُمُومِ كَالْوَصْفِ بِالشَّجَاعَةِ

[خاتمة] للفن الثالث

[فى السرقات الشعرية وما يتصل بها] مثل الاقتباس والتضمين وَالْعَقْد وَالْحَلّ والتلميح [وغير ذلك] مثل القول في الابتداء والتَّخَلُّص والانتهاء ، وإنما قلنا إن الخاتمة من الفن الثالث دون أن نجعلها خاتمة للكتاب خارجة عن الفنون الثلاثة كما توهمه غيرنا ، لأن المصنف قال فى الايضاح في آخر بحث المحسنات اللفظية : هذا ما تَيَسَّرَ لى باذن الله جَمْعُهُ وتحريره من أصول الفن الثالث ، وبقيت أشياء يذكرها فى علم البديع بعض المصنفين ، وهو (١) قسمان : أحدهما ما يجب ترك التعرض له لعدم كَوْنه راجعا الى تحسين الكلام ، أو لعدم الفائدة فى ذكره لكونه داخلا فيما سبق من الأبواب (٢) والثانى مالا بأس بذكره لاشتماله على فائدة مع عدم دخوله فيما سبق مثل القول فى السرقات الشعرية وما يتصل بها (٣) .

[اتفاق القائلين] على لفظ التثنية [إن كان فى الغرض على العموم كالوصف بالشجاعة]

---

(١) أي الباقى (٢) كالتذييل والتكميل المذكورين فى باب الاطناب والايجاز والمساواة (٣) وإنما فصلها عن المحسنات السابقة وذكرها فى هذه الخاتمة لقلة حسنها ، أو لأنها ليست عامة فى الكلام ، بل هى خاصة بالأخذ عن الغير كما فى السرقات ، أو بابتداء الكلام وانتهائه كما فى براعة المطلع ونحوها .

فَلَا يُعَدُّ سَرِقَةً لِتَقَرُّرِهِ فِى الْعُقُولِ وَالْعَادَاتِ ، وَإِنْ كَانَ فِى وَجْهِ الدَّلَالَةِ كَالتَّشْبِيهِ وَالْمَجَازِ وَالْكِنَايَةِ وَكَذِكْرِ هَيْئَاتٍ تَدُلُّ عَلَى الصِّفَةِ لِاخْتِصَاصِهَا بِمَنْ هِىَ لَهُ كَوَصْفِ الْجَوَادِ بِالتَّهَلُّلِ عِنْدَ وُرُودِ الْعُفَاةِ وَالْبَخِيلِ بِالْعُبُوسِ مَعَ سَعَةِ ذَاتِ الْيَدِ فَإِنِ اشْتَرَكَ النَّاسُ فِى مَعْرِفَتِهِ لِاسْتِقْرَارِهِ فِيهِمَا كَتَشْبِيهِ الشُّجَاعِ بِالْأَسَدِ وَالْجَوَادِ بِالْبَحْرِ فَهُوَ كَالْأَوَّلِ ، وَإِلَّا جَازَ أَنْ يُدَّعَى فِيهِ السَّبْقُ وَالزِّيَادَةُ ،

والسخاء وحسن الوجه والبهاء ونحو ذلك [فلا يعد] هذا الاتفاق [سرقة] ولا استعانة ولا أخذاً ونحو ذلك مما يؤدى هـذا المعنى [لتقرره] أي تقرر هذا الغرض العام [فى العقول والعادات] فيشترك فيه الفصيح والأعجم والشاعر والمُفْحَمُ [وإن كان] اتفاق القائلين [فى وجه الدلالة] أى طريق الدلالة على الغرض (١) [كالتشبيه والمجاز والكناية وكذكر هيئات تدل على الصفة لاختصاصها بمن هى له] أى لاختصاص تلك الهيئات بمن ثبت تلك الصفة له [كوصف الجواد بالتهلل عند ورود العفاة] أى السائلين جمع عَافٍ [و] كوصف [البخيل بالعبوس] عند ذلك [مع سعة ذات اليد] أى المال ، وأما العبوس عند ذلك مع قلة ذات اليد فمن أوصاف الأسخياء [فان اشترك الناس فى معرفته] أي فى معرفة وجه الدلالة [لاستقراره فيهما] أى فى العقول والعادات [كتشبيه الشجاع بالأسد والجواد بالبحر فهو كالأول] أى فالاتفاق فى هذا النوع من وجه الدلالة كالاتفاق فى الغرض العام فى أنه لايعد سرقة ولا أخذا [وإلا] أى وإن لم يشترك الناس فى معرفته [جاز أن يدعى فيه] أى فى هذا النوع من وجه الدلالة [السبق والزيادة] بأن يحكم بين القائلين فيه بالتفاضل ، وأن أحدهما فيه أكمل من الآخر، وأن

---

(١) هـذا مقابل قوله - إن كان فى الغرض - وقد ترك مقابل قيده (على العموم) ، هو الاتفاق فى الغرض الخاص ، وحكمه حكم الاتفاق في وجه الدلالة ، لأن المعنى الدقيق مما يتفاوت الناس فيه ، فيمكن أن يدعى فيه السبق والزيادة وعدمهما .

وَهُوَ ضَرْبَان : خَاصِّيٌّ فِى نَفْسِهِ غَرِيبٌ ، وَعَامِّيٌّ تُصُرِّفَ فِيهِ بِمَا أَخْرَجَهُ مِنَ الْابْتِذَالِ إِلَى الْغَرَابَةِ كَمَا مَرَّ .

فَالْأَخْذُ وَالسَّرِقَةُ نَوْعَانِ : ظَاهِرٌ وَغَيْرُ ظَاهِرٍ ، أَمَّا الظَّاهِرُ فَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ الْمَعْنَى كُلُّهُ مَعَ اللَّفْظِ كُلِّهِ أَوْ بَعْضِهِ أَوْ وَحْدَهُ ، فَإِنْ أُخِذَ اللَّفْظُ كُلُّهُ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ لِنَظْمِهِ فَهُوَ مَذْمُومٌ لِأَنَّهُ سَرِقَةٌ مَحْضَةٌ وَيُسَمَّى نَسْخًا وَانْتِحَالًا ، كَمَا حُكِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ فَعَلَ ذٰلِكَ بِقَوْلِ مَعْنِ بْنِ أَوْسٍ :

الثانى زاد على الأول أو نقص عنه [وهو] أى مالا يشترك الناس فى معرفته من وجه الدلالة على الغرض [ضربان] أحدهما [خاصي في نفسه غريب] لاينال إلا بفكر [و] الآخر [عامى تصرف فيه بما أخرجه من الابتذال الى الغرابة كما مر] فى باب التشبيه والاستعارة من تقسيمهما الى الغريب الخاصى ، والمبتذل العامى الباقى على ابتذاله ، والمُتَصَرَّف فيه بما يخرجه الى الغرابة .

نوعاها

[فالأخذ والسرقة] أى مايسمى بهذين الاسمين [نوعان : ظاهر وغير ظاهر ، أما

الظاهر

فهو أن يؤخذ المعني كله إما] حال كَوْنه [مع اللفظ كله أو بعضه أو] حال كونه [وحده] من غير أخْذ شيء من اللفظ [فان أخذ اللفظ كله من غير تغيير لنظمه] أى لكيفية الترتيب والتأليف الواقع بين المفردات [فهو مذموم لأنه سرقة محضة ويسمي

نسخا وانتحالا

كما حكى عن عبد الله بن الزبير أنه فعل ذلك بقول معن بن أوس :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ ... عَلَى طَرَفِ الْهِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيمَهُ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ

وَفِي مَعْنَاهُ أَنْ يُبَدَّلَ بِالْكَلِمَاتِ كُلِّهَا أَوْ بَعْضِهَا مَا يُرَادِفُهَا .

إذا أنت لم تنصف أخاك] أى لم تعطه النَّصَفَةَ ولم تُوَفِّهِ حقوقه [وجدته * على طرف الهجران] أي هَاجِراً لك مُبْتَذَلاً بك وبأُخُوَّتِكَ [إن كان يعقل * ويركب حد السيف] أى يتحمل الشدائد (١) تؤثر فيه تأثير السيوف وتُقَطِّعُهُ تقطيعها [من أن تضيمه *] أي بدلا من أن تظلمه [اذا لم يكن عن شفرة السيف] أى عن ركوب حد السيف وتحمل الْمَشَاقِّ [مزحل] أي مَبْعَدٌ ، فقد حكى أن عبد الله بن الزبير دخل على معاوية فأنشده هذين البيتين ، فقال له معاوية لقد شَعُرْتَ بعدي ياأبا بكر ، ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس الْمُزَنِيُّ فأنشد قصيدته التى أولها :

لَعَمْرُكَ ماأدرى وإني لأَوْجَلُ ... على أينا تَغْدُو المنية أوَّلُ (٢)

حتى أتمَّهَا وفيها هذان البيتان ، فأقبل معاوية على عبد الله بن الزبير وقال : ألم تخبرني أنهما لك ، فقال : اللفظ له والمعني لى ، وبعد فهو أخى من الرضاعة ، وأنا أحق بشعره [وفى معناه] أى فى معنى مالم يغيرفيه النظم [أن يبدل بالكلمات كلها أو بعضها مايرادفها] يعنى أنه أيضا مذموم وسرقة محضة ، كما يقال فى قول الْحُطَيْئَة :

---

(١) يشير بهذا إلى انه ليس المراد بركوب حد السيف معناه الحقيقى ، وإنما المراد به تحمل ذلك ، فكأنه قال ويركب ماهو بمنزلة القتل بالسيف .

(٢) جملة ـ وإنى لأوجل ـ معترضة بين أدرى ومفعولها وهو قوله ـ على أينا ـ وتغدو بالغين بمعنى تصبح ، وفى رواية ـ تعدو ـ بالعين من الْعَدْو .

وَإنْ كَانَ مع تَغْيِيرٍ لِنَظْمِهِ أوْ أخَذَ بعضَ اللَّفْظِ سُمِّيَ إغَارَةً ومَسْخاً ، فَإنْ كَانَ الثَّانِي أبْلَغَ لاخْتِصَاصِهِ بِفَضِيلَةٍ فَمَمْدُوحٌ

دَعِ المكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا ... واقْعُدْ فإنكَ أنتَ الطاعِمُ الكَاسِي (١)

ذَرِ المآثِرَ لا تذهبْ لِمَطْلَبِهَا ... واجلسْ فإنكَ أنتَ الآكِلُ اللاّبِسْ

وكما قال امْرُؤ القيس :

وُقُوفاً بِهَا صحبي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ... يقولون لاَ تَهْلِكْ أسىً وتَجَمَّلِ (٢)

فأورده طَرَفَةُ في دَالِيَّتِه (٣) إلا أنه أقام - تجلد - مقام - تجمل .

[وإن كان] أخَذَ اللفظ كُلُّه [مع تغيير لنظمه] أى نظم اللفظ [أو أخذ بعض **اللفظ**] لا كله [سمى] هذا الأخذ .

[إغارة ومسخا]

ولا يخلو إما أن يكون الثانى أبلغ من الأول ، أو دونه ، أو مثله [فان كان الثاني أبلغ] من الأول [لاختصاصه بفضيلة] لا توجد فى الأول ، كحسن السَّبْك ، أو الاختصار ، أو الايضاح ، أو زيادة معنى [فممدوح]

---

(١) البغية بضم الباء وكسرها معناها الحاجة والطلب ، والطاعم الكاسى بمعنى الآكل المَكْسُوّ ، يأمره بأن يقنع بذلك لأنه ليس أهلا لطلب المكارم (٢) وقوفا جمع واقف من الوقف بمعنى الحبس ، وهو حال من فاعل - نبك - فى البيت قبله :

قفَا نَبْكِ من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقْط اللِّوَى بين الدَّخُول فَحَوْمَلِ

وصحبي فاعل وقوفا ، ومَطِيّهم مفعوله ، وقوله - على - بمعنى لأجلى .

(٣) هى معلقته :

لِخَوْلَةَ أطْلاَلٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ... تلوحُ كباقي الوَشْمِ فى ظاهرِ اليَدِ

وَقوفا بها صحبي على مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجلد

كَقَوْلِ بَشَّارٍ :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ ۞ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهِجُ

وَقَوْلِ سَلْمٍ :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا ۞ وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ

وَإِنْ كَانَ دُونَهُ فَمَذْمُومٌ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

هَيْهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ ۞ إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلُ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ ۞ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلاً

أى فالثانى مقبول [كقول بشار : من راقب الناس] أى حاذرهم [لم يظفر بحاجته ۞ وفاز بالطيبات الفاتك اللهج] أى الشجاع الْقَتَّالُ الحريص على القتل [وقول سلم] الخاسر بعده [من راقب الناس مات غما ۞] أى حزنا وهو مفعول له أو تمييز [وفاز باللذة الجسور] أى الشديد الجراءة ، فبيت سلم أجود سبكا (١) وأخصر لفظا [وإن كان] الثانى [دونه] أي دون الأول فى البلاغة لفوات فضيلة توجد فى الأول [فهو] أى الثانى [مذموم كقول أبي تمام] فى مَرْثِيَّةِ محمد بن حُمَيْد :

[هيهات لا يأتى الزمان بمثله ۞ إن الزمان بمثله لبخيل

وقول أبي الطيب : أعدي الزمان سخاؤه] يعني تَعَلَّمَ الزمانُ منه السخاءَ وسَرَى سخاؤه الى الزمان [فسخا به ۞] وأخرجه من العدم الى الوجود ، ولولا سخاؤه الذى استفاده منه لبخل به على الدنيا واستبقاه لنفسه ، كذا ذكر ابن جنِّي ، وقال ابن فَوْرَجَةَ : هذا

---

(١) لخفة ألفاظه وعذوبتها .

وَإِنْ كَانَ مِثْلَهُ فَأَبْعَدُ مِنَ الذَّمِّ وَالْفَضْلُ لِلْأَوَّلِ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إِلاَّ الْفِرَاقَ عَلَى النُّفُوسِ دَلِيلاَ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

تأويل فاسد لأن سخاء غير موجود لا يوصف بالْعَدْوَي ، وإنما المراد سخاءه عَلَيَّ وكان بخيلا به عَلَيَّ ، فلما أعداه سخاؤه أسعدنى بضَمِّى اليه وهدايتى له لَمَّا أعْدَى سخاؤه [ولقد يكون به الزمان بخيلا] فَالْمِصْرَاعُ الثانى مأخوذ من المصراع الثانى لأبى تمام على كُلٍّ من تَفْسِيرَى ابن جنى وابن فورجة ، إذ لا يشترط فى هذا النوع من الأخذ عدم تغاير المعنيين أصلا كما توهمه البعض ، وإلا لم يكن مأخوذا منه على تأويل ابن جنى أيضا ، لأن أبا تمام علق البخل بمثل الْمَرْثِيِّ وأبا الطيب بنفس الممدوح (١) هذا ولكن مصراع أبى تمام أجود سبكا ، لأن قول أبى الطيب — ولقد يكون — بلفظ المضارع لم يقع موقعه ، إذ المعنى على الْمُضِيِّ ، فان قيل المراد لقد يكون الزمان بخيلا بهلاكه أى لا يسمح بهلاكه قَطُّ لعلمه بأنه سبب لصلاح العالم ، والزمان وإن سَخَا بوجوده وَبَذَلَهُ للغير لٰكِنْ إعدامه وإفناؤه بَاقٍ بَعْدُ فى تصرفه ، قلنا هذا تقدير لا قرينة عليه وبعد صحته فمصراع أبى تمام أجود لاستغنائه عن مثل هذا التَّكَلُّف [وإن كان] الثانى [مثله] أى مثل الأول [فأبعد] أى فالثانى أبعد [من الذم والفضل للأول كقول أبى تمام : لو حار] أى تَحَيَّرَ فى التوصل الى إهلاك النفوس [مرتاد المنية] أى الطالب الذى هو المنية على أنها إضافة بيان [لم يجد ٭ إلا الفراق على النفوس دليلا — وقول أبى الطيب :

---

(١) أي لا بمثله ، فهما متغايران فى ذلك وإن كان بخل الزمان بمثله كناية عن بخله به .

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ   لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلَا

وَإِنْ أُخِذَ الْمَعْنَى وَحْدَهُ سُمِّيَ إِلْمَامًا وَسَلْخًا ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ كَذَلِكَ : أَوَّلُهَا كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

هُوَ الصُّنْعُ إِنْ يَعْجَلْ فَخَيْرٌ وَإِنْ يَرِثْ   فَلَلرَّيْثُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ أَنْفَعُ

لولا مفارقة الأحباب ماوجدت   لها المنايا الى أرواحنا سبلا]
الضمير فى ـ لها ـ للمنية وهو حال من ـ سبلا ـ والمنايا فاعل ـ وجدت ـ وروي ـ يد المنايا ـ فقد أخذ المعنى كله مع لفظ المنية والفراق والوِجْدان وبَدَّلَ بالنفوس الأرواح .

[وإن أخذ المعنى وحده سمى] هذا الأخذ .

[إلماما]

من ـ أَلَمَّ اذا قصد ـ وأصله من ـ ألم بالمنزل اذا نزل به .

[وسلخا]

وهو كشط الجلد عن الشاة ونحوها ، فكأنه كشط عن المعنى جلدا وألبسه جلدا آخر ، فان اللفظ للمعنى بمنزلة اللباس [وهو ثلاثة أقسام كذلك] أى مثل ما يسمى إغارة ومسخا ، لأن الثانى إما أبلغ من الأول ، أو دونه ، أو مثله [أولها] أى أول الأقسام وهو أن يكون الثانى أبلغ من الأول [كقول أبى تمام : هو] الضمير للشان [الصنع] أى الاحسان ، والصنع مبتدأ خبره الجملة الشرطية أعني قوله [إن يعجل فخير وإن يرث] أى يبطؤ [فللريث فى بعض المواضع أنفع] والأحسن أن يكون ـ هو ـ عائدا الى حاضر فى الذهن ، وهو مبتدأ خبره الصنع ، والشرطية ابتداء كلام ، وهذا (١) كقول أبى العلاء :

---

(١) الاشارة الى الاعراب الثانى ، فان الضمير فى قول أبى العلاء عائد الى متعقل فى الذهن يفسره ما أخبر به عنه ، ولا يصح أن يكون للشأن لأن خبره مفرد .

وَقَوْلُ أبي الطَّيِّبِ :

وَمِنَ الخَيْرِ بُطْءُ سَيْبِكَ عَنِّي   أَسْرَعُ السُّحْبِ فِي المَسِيرِ الجَهَامُ

وَثَانِيهَا كَقَوْلِ البُحْتُرِيِّ :

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدِيِّ كَلَامُهُ الْـ   ـمَصْقُولُ خِلْتَ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ

وَقَوْلُ أبي الطَّيِّبِ :

كَأَنَّ أَلْسُنَهُمْ فِي النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ   عَلَى رِمَاحِهِمُ فِي الطَّعْنِ خِرْصَانَا

هو الهَجْـــرُ حتى ما يَلِمُّ خيالُ   وبعض صُدُودِ الزائرين وصالُ(١)

وهذا نوع من الاعراب لطيف لا يكاد يتنبه له إلا الأذهان الرَّاضَةُ (٢) من أئمة الاعراب [وقول أبي الطيب : ومن الخير بطء سيبك] أى تأخر عطائك [عنى ، أسرع السحب فى المسير الجهام] أى السحاب الذى لا ماء فيه ، وأما مافيه ماء فيكون بطيئا ثقيل المشى ، فكذا حال العطاء ، ففي بيت أبي الطيب زيادة بيان لاشتماله على ضرْب المثَل بالسحاب [وثانيها] أى ثانى الأقسام وهو ان يكون الثانى دون الأول [كقول البحترى : واذا تألق] أي لمع [فى الندى] أى فى المجلس [كلامه الـ ، مصقول] المُنَقَّحُ [خلت] أى حسبت [لسانه من عضبه] أى سيفه القاطع [وقول أبي الطيب :

كأن ألسنهم فى النطق قد جعلت   على رماحهم فى الطعن خرصانا]

جمع خرص بالضم والكسر وهو السنان (٣) يعنى أن ألسنهم عند النطق فى المَضَاء

---

(١) يلم بمعنى ينزل ، والمعنى حتى ماينزل خيال من الهاجر ، وإنما كان بعض صدود الزائرين وصالا لأن فيه لقاء على كل حال (٢) جمع رائض أي المرتاضون الممارسون له .

(٣) لأن خرصان الرماح أسنتها كما أن خرصان الشجر أغصانها .

وَثَالِثُهَا كَقَوْلِ الأَعْرَابِيِّ :

وَلَمْ يَكُ أَكْثَرَ الْفِتْيَانِ مَالاً وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

وَقَوْلِ أَشْجَعَ :

وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغِنَى وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ

وَأَمَّا غَيْرُ الظَّاهِرِ فَمِنْهُ أَنْ يَتَشَابَهَ الْمَعْنَيَانِ كَقَوْلِ جَرِيرٍ :

والنفاذ تشابه أسنتهم عند الطعن ، فكأن ألسنهم جعلت أسنة رماحهم ، فبيت البحتري أبلغ لما في لفظي - تألق والمصقول - من الاستعارة التخييلية ، فان التألق والصقالة (١) للكلام بمنزلة الأظفار للمنية ، ولزم من ذلك تشبيه كلامه بالسيف وهو استعارة بالكناية [وثالثها] أى ثالث الأقسام وهو أن يكون الثانى مثل الأول [كقول الأعرابي] أبى زياد :

[ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا]

أى أسخاهم ، يقال - فلان رَحْبُ الباع والذراع ورَحِيبهما أى سَخِىٌّ [وقول أشجع : وليس] أى الممدوح يعنى جعفر بن يحي [بأوسعهم] الضمير للملوك [فى الغنى * ولكن معروفه] أى إحسانه [أوسع] فالبيتان متماثلان ، هذا ولكنْ لا يعجبنى — معروفه أوسع (٢) [وأما

غير الظاهر

فنه أن يتشابه المعنيان] أى معنى البيت الأول ومعنى البيت الثانى (٣) [كقول

---

(١) الحق أن التألق وحده هو التخييل ، وأما الصقالة فترشيح ، لأن التخييل لا يكون إلا واحدا (٢) لأنه يدل على كثرة الكرم بطريق الحقيقة ، أما قول البحتري — أرحبهم ذراعا — فيدل عليه بطريق المجاز وهو أبلغ من الحقيقة .

(٣) أى من غير نقل للمعنى إلى محل آخر ، وبهذا يغاير القسم الذى بعده .

فَلاَ يَمْنَعَكَ مِنْ أَرَبٍ لِحَاهُمْ   سَوَاءٌ ذُو الْعِمَامَةِ وَالْخِمَارِ

وَقَوْلِ أَبِى الطَّيِّبِ :

وَمَنْ فِى كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ   كَمَنْ فِى كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ

وَمِنْهُ النَّقْلُ وَهُوَ أَنْ يُنْقَلَ الْمَعْنَى إِلَى مَعْنًى آخَرَ كَقَوْلِ الْبُحْتُرِىِّ :

سُلِبُوا وَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمُ   مُحْمَرَّةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا

وَقَوْلِ أَبِى الطَّيِّبِ :

يَبِسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهْوَ مُجَرَّدٌ   عَنْ غِمْدِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدُ

جرير : فلا يمنعك من أرب] أي حاجة [لحاهم *] جمع لِحْيَة يعنى كَوْنَهُمْ فى صورة الرجال [سواء ذو العمامة والخمار] يعنى أن الرجال منهم والنساء سواء فى الضعف [وقول أبى الطيب : ومن فى كفه منهم قناة * كمن فى كفه منهم خضاب (١)] واعلم أنه يجوز فى تشابه المعنيين اختلاف البيتين نَسيباً ومديحا وهجاء وافتخارا ونحو ذلك ، فان الشاعر الحاذق اذا قصد الى المعنى الْمُخْتَلَس لينظمه احتال فى إخفائه فَغَيَّرَهُ عن لفظه ونوعه ووزنه وقافيته ، والى هذا أشار بقوله [ومنه] أي من غير الظاهر [أن ينقل المعنى الى محل آخر كقول البحترى : سلبوا] أى ثيَابَهُمْ [وأشرقت الدماء عليهم * محمرة فكأنهم لم يسلبوا] لأن الدماء المشرقة كانت بمنزلة الثياب لهم [وقول أبى الطيب : يبس النجيع عليه] أى على السيف [وهو مجرد * عن غمده فكأنما هو مغمد] لأن الدم

---

(١) القناة الرمح ، والخضاب صبغ الْحِنَّاء ، وقد قيل إن هذا الأخذ من الظاهر لا من غير الظاهر ، لأن ضابط غير الظاهر أن يكون إدراكه بحيث يحتاج الى تأمل ، وماهنا ليس كذلك .

وَمِنْهُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الثَّانِي أَشْمَلَ كَقَوْلِ جَرِيرٍ :

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ   وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

وَقَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ :

وَلَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ   أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدِ

وَمِنْهُ الْقَلْبُ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الثَّانِي نَقِيضَ مَعْنَى الْأَوَّلِ كَقَوْلِ أَبِي الشِّيصِ :

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً   حُبًّا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

أَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً   إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

اليابس بمنزلة غمد له ، فنقل المعنى من الْقَتْلَى والْجَرْحَى الى السيف [ومنه] أى من غير الظاهر [أن يكون معنى الثانى أشمل] من معنى الأول [كقول جرير :

اذا غضبت عليك بنو تميم   وجدت الناس كلهم غضابا]

لأنهم يقومون مقام كلهم [وقول أبي نواس : وليس على الله بمستنكر ٭ أن يجمع العالم فى واحد (١)] فانه يشمل الناس وغيرهم ، فهو أشمل من معنى بيت جرير [ومنه] أى من غير الظاهر ، [القلب ، وهو أن يكون معنى الثانى نقيض معنى الأول ، كقول أبى الشيص :

أجد الملامة فى هواك لذيذة   حبا لذكرك فليلمنى اللوم

وقول أبى الطيب : أأحبه] الاستفهام للانكار ، والانكار باعتبار القيد الذي هو الحال أعنى قوله [وأحب فيه ملامة ٭] كما يقال أتصلى وأنت محدث ـ على تجويز واو

---

(١) قاله للرشيد لما سجن الفضل بدليل قوله قبله :

قُولَا لِهَارُونَ إِمَامِ الْهُدَى   عند احتفال المجلس الحاشد

أنت على ما فيك من قدرة   فلست مثل الفضل بالواجد

وَمِنْهُ أَنْ يُؤْخَذَ بَعْضُ الْمَعْنَى وَيُضَافَ إِلَيْهِ مَا يُحَسِّنُهُ كَقَوْلِ الْأَفْوَه :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا   رَأْيَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارُ

وَقَوْلِ أَبِي تَمَّام :

وَقَدْ ظُلِّلَتْ عِقْبَانُ أَعْلَامِهِ ضُحًى   بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ

أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّهَا   مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ

الحال فى المضارع المثبت كما هو رأى البعض ، أو على حذف المبتدإ أي وأنا أحب ، ويجوز أن تكون الواو للعطف والانكار راجع الى الجمع بين الآمرين أعني محبته ومحبة الملامة فيه [إن الملامة فيه من أعدائه] وما يصدر عن عدو المحبوب يكون مبغوضا ، وهذا نقيض معنى بيت أبى الشيص ، لكنْ كل منهما باعتبار آخر ، ولهذا قالوا الأحسن فى هذا النوع أن يبين السبب (١) [ومنه] أى من غير الظاهر [أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف اليه ما يحسنه كقول الأفوه : وترى الطير على آثارنا ۞ رأى عين] يعنى عياناً [ثقة] حال أى واثقة ، أو مفعول له مما يتضمنه قوله ـ على آثار ـ أي كائنة على آثارنا لوثوقها [أن ستمار] أى ستطعم من لحوم من نقتلهم [وقول أبى تمام : وقد ظللت] أى ألقى عليها الظل وصارت ذوات ظل [عقبان أعلامه (٢) ضحى ۞ بعقبان طير فى الدماء نواهل ۞] من ـ نَهِلَ اذا رَوِىَ نقيض عَطِشَ [أقامت] أى عقبان الطير [مع الرايات] أي الأعلام وثوقا بأنها ستطعم لحوم القتلى [حتى كأنها ۞ من الجيش إلا أنها لم تقاتل ـ

والمراد أنه يجمع صفات العالم الكمالية (١) وهذا كما فى البيتين المذكورين ، فان الأول علل حب الملامة بحبه لذكره ، والثانى علل كراهته لها بصدورها من أعدائه ، وإنما كان الأحسن ذلك لأجل أن يعلم أن التناقض بحسب الصورة لا بحسب الحقيقة .

(٢) من إضافة المشبه به للمشبه ، ووجه الشبه التلون والفخامة .

فَانَّ أَبَا تَمَّام لَمْ يُلِمَّ بِشَيْءٍ مِنْ مَعْنَى قَوْلِ الأَفْوَه - رَأْيَ عَيْنٍ - وَقَوْلِه - ثِقَةً أَنْ سَتُمَار - لٰكِنْ زَادَ عَلَيْه بِقَوْلِه - إِلاَّ أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِل - وَبِقَوْلِه - فِي الدِّمَاء نَوَاهِل - وَبِاقَامَتِهَا مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّهَا مِنَ الْجَيْش وَبِهَا يَتِمُّ حُسْنُ الأَوَّل، وَأَكْثَرُ هٰذِهِ الأَنْوَاعِ وَنَحْوِهَا مَقْبُولَة، بَلْ مِنْهَا

فان أبا تمـام لم يلم بشيء من معني قول الأفوه - رأى عين] الدَّالّ على قرب الطير من الجيش بحيث ترى عيانا لا تخيُّلاً ، وهذا مما يؤكد شجاعتهم وقتلهم الأعادى [و] لا بشيء من معنى [قوله - ثقة أن ستمار] الدال على وثو ق الطير بالمِيرَة لاعتيادها ذلك ، وهذا أيضا مما يؤكد المقصود ، قيل إن قول أبي تمام - ظللت - إلمامٌ بمعنى قوله - رأى عين - لأن وقوع الظل على الرايات مشعر بقربها من الجيش ، وفيـه نظر إذ قد يقع ظل الطير على الراية وهو في جو السماء بحيث لا يرى أصلا ، نعم لو قيل إن قوله - حتى كأنها من الجيش - إلمام بمعنى قوله - رأى عين - فانمـا تكون من الجيش اذا كانت قريبا (١) منهم مختلطا بهم - لم يبعد عن الصواب [لـكن زاد] أبو تمام [عليه] أي على الأفوه زيادات محسنة للمعنى المأخوذة من الأفوه ، أعني تسَايُرَ الطيرِ على آثارهم [بقوله - إلا أنهـا لم تقاتل - وبقوله - فى الدماء نواهل - وباقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش ، وبها] أى وباقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش [يتم حسن الأول] يعنى قوله - إلا أنها لم تقاتل - لأنه لا يحسن الاستدراك الذى هو قوله - إلا أنها لم تقاتل - ذلك الحسن إلا بعد أن تجعل الطير مقيمة مع الرايات معدودة فى عدَاد الجيش ، حتي يتوهم أنها أيضا من المقاتلة ، هذا هو المفهوم من الايضاح ، وقد قيل معنى قوله - وبها أى بهذه الزيادات الثلاث يتم حسن معنى البيت الأول [وأكثر هذه الأنواع] المذكورة لغير الظاهر [ونحوها مقبولة] لما فيها من نوع تَصَرُّف (٢) [بل منها] أى من

---

(١) هو خبر كانت ، ولم يؤنثه لأنه يستوى فيه المذكر والمؤنث ، أما قوله - مختلطا - فقد جاء تابعا فلم يؤنث (٢) هذا التعليل يقتضى قبول كل هذه الأنواع ونحوها لاستوائها

مَا يُخْرِجُهُ حُسْنُ التَّصَرُّفِ مِنْ قَبِيلِ الاتِّبَاعِ إِلَى حَيِّزِ الابْتِدَاعِ ، وَكُلُّ مَا كَانَ أَشَدَّ خَفَاءً كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْقَبُولِ .

هٰذَا كُلُّهُ إِذَا عُلِمَ أَنَّ الثَّانِى أَخَذَ مِنَ الأَوَّلِ لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ الاتِّفَاقُ مِن قَبِيلِ تَوَارُدِ الْخَوَاطِرِ أَىْ مَجِيئِهِ عَلَى سَبِيلِ الاتِّفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لِلأَخْذِ .

هذه الأنواع [ما يخرجه حسن التصرف من قبيل الاتباع الى حيز الابتداع ، وكل ما كان أشد خفاء] بحيث لا يعرف كَوْنُهُ مأخوذا من الأول إلا بعد مزيد تأمل [كان أقرب الى القبول] لِكَوْنِه أبْعَدَ عن الاتباع وأدْخَلَ فى الابتداع .

[هذا] أى الذى ذكر فى الظاهر وغيره من ادعاء سبق أحدهما وأخذ الثاني منه ، وكونه مقبولا أو مردودا ، وتسمية كُلٍّ بالأسامى المذكورة [كله] إنما يكون [اذا علم أن الثاني أخذ من الأول] بأن يُعْلَمَ أنه كان يحفظ قول الأول حين نظم ، أو بأن يُخْبِرَ هو عن نفسه أنه أخذه منه ، وإلا فلا يحكم بشيء من ذلك [لجواز أن يكون الاتفاق] فى اللفظ والمعنى جميعا أو فى المعنى وحده [من قبيل توارد الخواطر أى مجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد الى الأخذ] كما يحكى عن ابن مَيَّادَةَ أنه أنشد لنفسه :

مفيدٌ ومتلافٌ اذا ما أتيتَهُ ... تَهَلَّلَ واهتزَّ اهتزازَ الْمُهَنَّدِ (١)

فيه ، فكان الأولى للمصنف أن يقول ـ وهذه الأنواع ونحوها مقبولة .

(١) التهلل طلاقة الوجه ، والمهند السيف المصنوع من حديد الهند .

تطبيقات على أنواع السرقة :

(١) خَلَقْنَا لهم فى كُلِّ عين وحاجب ... بِسُمْرِ القَنَا والْبِيضِ عينًا وحاجبًا

خلقنا بأطراف القنا فى ظهورهم ... عيوناً لهـا وقع السيوفِ حواجبُ

فَاذَا لَمْ يُعْلَمْ قِيلَ قَالَ فُلَانٌ كَذَا وَسَبَقَهُ إِلَيْهِ فُلَانٌ فَقَالَ كَذَا .

وَمِمَّا يَتَّصِلُ بِهٰذَا الْقَوْلُ فِى الاقْتِبَاسِ وَالتَّضْمِينِ وَالْعَقْدِ وَالْحَلِّ وَالتَّلْمِيحِ ، أَمَّا الاقْتِبَاسُ فَهُوَ أَنْ يُضَمَّنَ الْكَلَامُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ الْحَدِيثِ لَا عَلَى أَنَّهُ

فقيل له : أين يُذْهَبُ بك ؟ هذا للْحُطَيْئَة ، فقال : الآن علمت أنى شاعر ، إذ وافقته على قوله ولم أسمعه [فاذا لم يعلم] أن الثانى أخذ من الأول [قيل : قال فلان كذا وسبقه اليه فلان فقال كذا] ليغتنم بذلك فضيلة الصدق ، ويسلم من دعوى علم الغيب ونسبة النقص الى الغير .

[ومما يتصل بهذا] أى بالقول فى السرقات [القول فى الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح] بتقديم اللام على الميم من ـ لمحه اذا أبصره ـ وذلك لأن في كلٍّ منها أخْذَ شيء من الآخَرِ [أما

الاقتباس

فهو أن يضمن الكلام] نظما كان أو نثرا [شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنه

---

(٢) فَتًى يشترى حُسْنَ الثناء بماله   إذا السَّنَةُ الشهباء أعْوَزَهَا القَطْرُ
فَتًى يشترى حُسْنَ الثناء بماله   ويعلم أنَّ الدَّائرات تَدُورُ

(٣) لقد زادني حبًّا لَنَفْسِى أَنَّني   بَغِيضٌ الى كُلِّ امرىء غير طائلِ
وإذا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي من ناقصٍ   فَهْىَ الشهادةُ لى بأَنِّيَ كاملُ

الأخذ فى الأول من الاغارة ، وقد زاد فيه الثانى على الأول الاشارة إلى انهزامهم بقوله ـ فى ظهورهم ـ وفى الثانى من النسخ ، لأنه أخذ فيه أكثر اللفظ ، وفى الثالث من غير الظاهر المتشابه المعنى ، لأن ذم الناقص للأول وشهادته له كبغض من

منهُ ، كَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : فَلَمْ يَكُنْ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ، حَتَّى أَنْشَدَ فَأَغْرَبَ ، وَقَوْلِ الآخَرِ :

إِنْ كُنْتَ أَزْمَعْتَ عَلَى هَجْرِنَا ... مِنْ غَيْرِ مَا جُرْمٍ فَصَبْرٌ جَمِيلْ

وَإِنْ تَبَدَّلْتَ بِنَا غَيْرَنَا ... فَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلْ

وَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : قُلْنَا شَاهَتِ الْوُجُوهْ ، وَقُبِحَ اللُّكَعُ وَمَنْ يَرْجُوهْ ،

منه] أى لا على طريقة أن ذلك الشيء من القرآن أو الحديث ، يعني على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه منه ، كما يقال فى أثناء الكلام - قال الله تعالى كذا ، وقال النبي عليه السلام كذا ، ونحو ذلك - فانه لا يكون اقتباسا ، وَمَثَّلَ للاقتباس بأربعة أمثلة : لأنه إما من القرآن ، أو الحديث ، وكُلٌّ منهما إما فى النثر ، أو فى النظم ، فالأول [كقول الحريرى : فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب ، حتى أنشد فأغرب] والثانى مثل [قول الآخر : إن كنت أزمعت] أي عزمت [على هجرنا ٭ من غير ماجرم فصبر جميل .

وإن تبدلت بنا غيرنا ... فحسبنا الله ونعم الوكيل (١)

و] الثالث مثل [قول الحريرى : قلنا شاهت الوجوه] أي قَبُحَتْ ، وهو لفظ الحديث على ما روى أنه لما اشتد الحرب يوم حُنَيْنٍ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كَفًّا من الْحَصْبَاء فرمى به وجوه المشركين وقال : شاهت الوجوه [وقبح] على المبنى للمفعول أى لُعِنَ من - قَبَحَهُ الله - بالفتح أى أبعده عن الخير [اللكع] أى اللئيم [ومن يرجوه ،

هو غير طائل للثاني وزيادة حبه لنفسه (١) البيتان لأبى القاسم بن الحسن الكاتبِّ من شعراء الدولة العباسية .

وَقَوْلِ ابْنِ عَبَّادٍ :

قَالَ لِى إِنَّ رَقِيبِى سَيِّءُ الْخُلْقِ فَدَارِهْ
قُلْتُ دَعْنِى وَجْهُكَ الْ جَنَّةُ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهْ

وَهُوَ ضَرْبَانِ : مَالَمْ يَنقُلْ فِيهِ الْمُقْتَبِسُ عَنْ مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَخِلَافُهُ كَقَوْلِهِ :

لَئِنْ أَخْطَأْتُ فِى مَدْحِ كَ مَا أَخْطَأْتَ فِى مَنْعِى
لَقَدْ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعِ

و] الرابع مثل [قول ابن عباد « قال] أي الحبيب [لى إن رقيبى « سيء الخلق فداره] من المداراة وهى الملاطفة والمجاملة ، وضمير المفعول للرقيب [قلت دعنى وجهك الـ « جنة حفت بالمكاره] اقتباسا من قوله عليه السلام : « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » ، أى أحيطت ، يعنى لا بُدَّ لطالب جنة وجهك من تحمل مكاره الرقيب ، كما أنه لا بد لطالب الجنة من مَشَاقِّ التكاليف [وهو] أى الاقتباس [ضربان] أحدهما [مالم ينقل فيه المقتبس عن معناه الأصلى كما تقدم] من الأمثلة [و] الثاني [خلافه] أي مانقل فيه المقتبس عن معناه الأصلى [كقول ابن الرومى :

لئن أخطأت فى مدحـ ك ما أخطأت في منعى
لقـــد أنزلت حاجاتى بواد غيرذى زرع (١)]

هذا مقتبس من قوله تعالى (رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) لكن معناه فى القرآن وَادٍ لاماء فيه ولا نبات ، وقد نقله ابن الرومى الى

---

(١) وقيل إن البيتين لاسماعيل القَرَاطِيسِيِّ ، وكان قد مدح الفضل بن الربيع فحرمه

وَلَا بَأْسَ بِتَغْيِيرٍ يَسِيرٍ لِلْوَزْنِ أَوْ غَيْرِهِ كَقَوْلِه :

قَدْ كَانَ مَا خِفْتُ أَنْ يَكُونَا   إِنَّا إِلَى اللهِ رَاجِعُونَا

وَأَمَّا التَّضْمِينُ فَهُوَ أَنْ يُضَمَّنَ الشِّعْرُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِ الْغَيْرِ مَعَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَشْهُورًا عِنْدَ الْبُلَغَاءِ : كَقَوْلِه :

عَلَى أَنِّي سَأُنْشِدُ عِنْدَ بَيْعِي   أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا

جَنَاب لاخير فيه ولانفع [ولا بأس بتغيير يسير] فى اللفظ المقتبس [للوزن أو غيره ، كقوله] أى كقول بعض المغاربة (١) [قد كان] أى وقع [ما خفت أن يكونا * إنا الى الله راجعونا] وفى القرآن (إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) [وأما

التضمين

فهو أن يضمن الشعر شيئا من شعر الغير] بيتا كان أوما فوقه أو مصراعا أوما دونه [مع التنبيه عليه] أى على أنه من شعر الغير [إن لم يكن مشهورا عند البلغاء] وبهذا يتميز عن الأخذ والسرقة [كقوله] أى كقول الحريرى يَحْكِى ماقاله الغلام الذى عَرَضَهُ أبو زيد للبيع :

[على أنى سأنشد عند بيعى   أضاعونى وأى فتى أضاعوا]

المصراع الثانى لِلْعَرْجِىّ ، وتمامه :

* لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرٍ *

اللام فى ليوم لام التوقيت ، والكريهة من أسماء الحرب ، وسدادُ الثغر بكسر

---

(١) قيل إنه الوزير أبو العلاء بن أزرق ، وكان الرئيس أبو عبد الرحمن محمد ابن طاهر قد قضى سنة ٥٠٧ هـ فدخل عليه باكيا وهو يقول ذلك .

وَأَحْسَنُهُ مَا زَادَ عَلَى الْأَصْلِ بِنُكْتَةٍ كَالتَّوْرِيَةِ وَالتَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ :

إِذَا الْوَهْمُ أَبْدَى لِي لَمَاهَا وَثَغْرَهَا تَذَكَّرْتُ مَابَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ
وَيُذْكِرُنِي مِنْ قَدِّهَا وَمَدَامِعِي مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ

السين لا غير سَدُّهُ بالخيل والرجال ، والثغر موضع المخافة من فُرُوجِ البلدان ، أي أضاعوني في وقت الحرب وزمان سد الثغر ولم يراعوا حق أَحْوَجَ ما كانوا إليّ ، وأيّ فتى أيْ كاملا من الفتيان أضاعوا ، وفيه تنديم وتخطئة لهم ، وتضمين المصراع بدون التنبيه لشهرته كقول الشاعر :

قد قلتُ لَمَّا أطلعتْ وَجَنَاتُهُ حول الشَّقِيقِ الْغَضِّ رَوْضَةَ آسِ
أعذَارُهُ السَّارِي الْعَجُولَ تَرَفَّقًا مافي وقوفك ساعةً من بَاسِ (١)

المصراع الأخير لأبي تمام (٢).

[وأحسنه] أي أحسن التضمين [ما زاد على الأصل] أي شعر الشاعر الأول [بنكتة] لاتوجد فيه [كالتورية] أي الايهام [والتشبيه في قوله : اذا الوهم أبدى] أي أظهر [لي لماها] أي سمرة شفتيها [وثغرها * تذكرت مابين العذيب وبارق - ويذكرني] من الأذْكَارِ [من قدها ومدامعي * مجر عوالينا ومجري السوابق(٣)] انتصب - مجر-

---

(١) الشقيق ورد أحمر استعاره الشاعر للخد ، والغض الطري ، والآس الريحان استعاره للعذار وهو مايوجد من الشعرعلى الخد ، والساري السائر بالليل ، وقد وصفه بذلك لاشتماله على مثل سواده (٢) وهو من قوله :

مافي وقوفك ساعةً من بَاسِ تقضي حقوقَ الأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ

(٣) البيتان لزكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبي الاصبع من شعراء الدولة العباسية .

وَلَا يَضُرُّ التَّغْيِيرُ الْيَسِيرُ ، وَرُبَّمَا سُمِّيَ تَضْمِينُ الْبَيْتِ فَمَا زَادَ اسْتِعَانَةً

على أنه مفعول ثان ليذكرني ، وفاعله ضمير يعود الى الوهم ، وقَوْلُهُ :

تذكرت ما بين العـذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

مَطْلَعُ قصيدة لأبي الطيب ، والعـذيب وبارق موضـمان ، و ـ مابين ـ ظرف للتذكر أو للمجر والمجرى اتساعا فى تقـــديم الظرف على عامله المصدر ، أو ـ مابين ـ مفعول تذكرت (١) ومجر بدل منـه ، والمعني أنهم كانوا نزولا بين هذين الموضـعين وكانوا يَجُرُّونَ الرماح عند مُطَارَدَةِ الفرسان ويسابقون على الخيل ، فالشاعر الثانى أراد بالعذيب تصغير الْعَـذْبِ يعنى شفة الحبيبة ، وببارق ثغرها الشبيه بالبرق ، وبمـا بينهما ريقها ، وهـذا تورية ، وَشَـبَّهَ تَبَخْتُرَ قَدِّهَا بِتَمَايُلِ الرمح ، وَتَتَابُعَ دموعه بجريان الخيل السوابق [ولا يضر] فى التضمين [التغيير اليسير] لِمَـا قُصِدَ تضمينه ليدخل فى معنى الكلام ، كقول الشاعر فى يهودي به داء (٢) الثعلب :

أقـــول لمعشر غَلِطُوا وَغَضُّوا عن الشيخ الرشيد وأنـكروه

هو ابن جَـــلَا وَطَلَّاعُ الثنايا متي يضع العمامة تعـــرفوه (٣)

البيت لِسُحَيْمِ بن وَثِيلٍ (٤) وهو ـ أنا ابن جلا ـ على طريقـة التكلم ، فَغَيَّرَهُ الى طريقة الغيبة ليدخل فى المقصود [وربما سمى تضمين البيت فما زاد] على البيت [استعانة ،

---

(١) وما على هـــذا موصولة ، أما على الأول فزائدة (٢) هو مرض القراع المعروف (٣) هما لضياء الدين موسى بن مُلْهَمٍ الكاتب من شعراء الدولة العباسية ، واليهودي هو الرشيد عمر الْفُوِّيُّ ، وغضوا مأخوذ من غَضِّ البصر (٤) انظر ص ٢٧٤ من الجزء الأول .

وَتَضْمِينُ الْمِصْرَاعِ فَمَا دُونَهُ إِيدَاعًا وَرَفْوًا .

وَأَمَّا الْعَقْدُ فَهُوَ أَنْ يُنْظَمَ نَثْرٌ لَا عَلَى طَرِيقِ الاقْتِبَاسِ ، كَقَوْلِهِ :

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ

عَقَدَ قَوْلَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : وَمَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرَ ، وَإِنَّمَا أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ .

وَأَمَّا الْحَلُّ فَهُوَ أَنْ يُنْثَرَ نَظْمٌ ،

وتضمين المصراع فما دونه إيداعا] كأنه أَوْدَعَ شعره شيئا قليلا من شعر الغير [ورفوا] كأنه رَفَا خَرْقَ شعره بشيء من شعر الغير [وأما .

العقد

فهو أن ينظم نثر] قرآنا كان أو حديثا أو مَثَلًا أو غير ذلك [لا على طريق الاقتباس] يعني إن كان النثر قرآنا أو حديثا فنظمه إنما يكون عقدا اذا غُيِّرَ تغييرا كثيرا أو أشير الى أنه من القرآن أو الحديث ، وإن كان غير القرآن والحديث فنظمه عقد كَيْفَمَا كان ، إذ لا دخل فيه للاقتباس [كقوله :

مابال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر (١)]

الجملة حال أى مَابَالُهُ مفتخرا [عقد قول على رضى الله عنه : وما لابن آدم والفخر ، وإنما أوله نطفة ، وآخره جيفة] [وأما .

الحل

فهو أن ينثر نظم] وإنما يكون مقبولا اذا كان سَبْكُهُ مختارا لا يتقاصر عن سبك

---

(١) هو لأبى الْعَتَاهِيَة من قصيدة له مطلعها :

واعَجَبًا للناس لو فَكَّرُوا وحاسبوا أنفسهم أَبْصَرُوا

كَقَوْلِ بَعْضِ الْمَغَارِبَةِ : فَإِنَّهُ لَمَّا قَبُحَتْ فَعَلَاتُهُ ، وَحَنْظَلَتْ نَخَلَاتُهُ ، لَمْ يَزَلْ سُوءُ الظَّنِّ يَقْتَادُهُ ، وَيُصَدِّقُ تَوَهُّمَهُ الَّذِي يَعْتَادُهُ ، حَلَّ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ :

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ   وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

وَأَمَّا التَّلْمِيحُ فَهُوَ أَنْ يُشَارَ إِلَى قِصَّةٍ أَوْ شِعْرٍ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِهِ :

النظم (١) وأن يكون حسن الموقع غير قَلِق (٢) [كقول بعض المغاربة : فانه لما قبحت فعلاته ، وحنظلت نخلاته] أي صارت ثمار نخلاته كالحنظل فى المرارة [لم يزل سوء الظن يقتاده] أي يقوده الى تَخيُّلات فاسدة وتَوَهُّمات باطلة [ويصدق] هو [توهمه الذى يعتاده] من الاعتياد [حل قول أبى الطيب :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدق ما يعتاده من توهم]

يشكو سيف الدولة واستماعه لقول أعدائه [وأما

التلميح]

صَحَّ بتقديم اللام على الميم من ـ لمحه اذا أبصره ونظر اليه ـ وكثيرا ما تسمعهم يقولون ـ لمح فلان هذا البيت فقال كذا وفى هذا البيت تلميح الى قول فلان ـ وأما التمليح بتقديم الميم على اللام بمعنى الاتيان بالشىء المليح كما مر في التشبيه والاستعارة فهو هنا غلط محض وإن أُخِذَ مذهبا (٣) [فهو أن يشار] فى فَحْوَى الكلام (٤) [الى قصة أو شعر] أو مَثَلٍ سائر [من غير ذكره] أى ذكر كل واحد من القصة أو الشعر

---

(١) وذلك بأن يكون كهيئة النظم لكونه مسجعا ذا قرائن مستحسنة (٢) وذلك بأن يكون مطابقا لما تجب مراعاته فى البلاغة مستقرا فى مكانه الذى يجب أن يستعمل فيه .

(٣) أى قيل إنه والتلميح شىء واحد ، وفسر بما هنا (٤) أى فى أثنائه ، وقيل إن في ـ بمعنى الباء ، والمراد الاشارة بقوة الكلام وقرائنه التى يشتمل عليها .

كَقَوْلِه :

فَوَاللهِ مَا أَدْرى أَأَحْلَامُ نَائِمٍ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فى الرَّكْبِ يُوشَعُ

أشَارَ إلَى قِصَّةِ يُوشَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاسْتِيقَافه الشَّمْسَ ، وَقَوْلِه :

لَعَمْرٌو مَعَ الرَّمْضاءِ وَالنَّارُ تَلْتَظِى أَرَقُّ وَأَحْفَى مِنْكَ فى سَاعَةِ الْكَرْبِ

وكذا المثل ، فالتلميح إما فى النظم أو فى النثر ، والمشار اليه فى كل منهما إما أن يكون قصة أو شعرا أو مثلا ، تصير ستة أقسام ، والمذكور فى الكتاب مثال التلميح فى النظم الى القصة والشعر [كقوله :

فوالله ما أدرى أأحـــلام نائم ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع (٣)]

وصف لحوقه بالأحبة المرتحلين وطلوع شمس وجه الحبيب من جانب الخِدْر فى ظلمة الليل ، ثم استعظم ذلك واستغرب وتجاهل تَحيرًا وتَدَلُّهاً وقال : أهذا حلم أراه فى النوم ، أم كان فى الركب يوشع النبي عليه السلام فَرَدَّ الشمس [إشارة الى قصة يوشع عليه السلام واستيقافه الشمس] على ما روى من أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ، ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم [وقوله : لعمرو] اللام للابتداء وهو مبتدأ [مع الرمضاء] أي الأرض الحارة التى تَرْمَضُ فيها القدم أى تحترق ، حال من الضمير فى أرَقُّ [والنار] مرفوع معطوف على - عمرو - أو مجرور معطوف على الرمضا. [تلتظى] حال منها ، وماقيل إنها صلة على حذف الموصول أى

---

(٣) هو لأبى تمام ، وألمت بمعنى نزلت ، وقبله :

لحقنا بأخراهم وقد حَوَّمَ الهوى قلوباً عهدنا طيرها وهىَ وُقَّعُ

فَرُدَّتَ علينا الشمس والليل رَاغِمٌ بشمس لهم من جانب الخِدْرِ تطلع

أَشَارَ إِلَى البَيْتِ المَشْهُورِ :

المُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ   كَالمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ

النار التى تلتظى تعسُّفٌ لا حاجة اليه [أرق] خبر المبتدإ ، من ـ رقَّ له اذا رحمه [وأحنى] من ـ حَنِيَ عليه تَلَطَّفَ وَتَشَفَّقَ [منك فى ساعة الكرب (١) أشار الى البيت المشهور] وهو قوله [المستجير] أى المستغيث [بعمرو عند كربته ◦] الضمير للموصول أى الذى يستغيث عند كربته بعمرو [كالمستجير من الرمضاء بالنار (٢)] وعمرو هو جَسَّاسُ بن مُرَّةَ وذلك لأنه لمَّا رمى كُلَيْبًا ووقف فوق رأسه قال له كليب : يا عمرو أغثني بشربة ماء ، فأجهز عليه ، فقيل : المستجير بعمرو ـ البيت .

---

(١) البيت لأبى تمام ، وتلتظي بمعنى تتوقد (٢) ذكر شارح الشواهد أنه لا يعرف قائل هذا البيت ، والمراد بعمرو فيه عمرو بن الحارث لا جساس كما ذكر السعد ، لأنه هو الذى أجهز على كليب بعد أن طعنه جساس .

تطبيقات على الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح :

(١) وكم ذا بمصرَ من المُضْحِكَاتِ   كما قال فيها أبو الطَّيِّبِ

(٢) رحلوا فلستُ مُسَائلاً عن دَارِهِمْ   أنا باخِعٌ نفسى على آثارِهِمْ

(٣) من يَهُنْ يسهل الهوانُ عليه   ما لجرحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ

(٤) اليوم خَمْرٌ ويبدو فى غدٍ خَبَرٌ   والدهر ما بين إنعامٍ وإيآسِ

(٥) قول بعضهم فى سيف : أورثه عشق الرقاب نحولا ، فبكى والدمع مطر تزيد به الخدود محولا .

الأول من التضمين لأن المصراع الأول لأبى الطيب من قوله :

وكم ذا بمصر من المضحكاتِ   ولكِنَّهُ ضَحِكٌ كالبُكَا

فَصْلٌ

يَنْبَغِي لِلْمُتَكَلِّمِ أَنْ يَتَأَنَّقَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ كَلَامِهِ حَتَّى يَكُونَ أَعْذَبَ لَفْظًا وَأَحْسَنَ سَبْكًا

[فصل] من الخاتمة فى حسن الابتداء والتخلص والانتهاء

[ينبغى للمتكلم] شاعرا كان أو كاتبا [أن يتأنق] أي يَتَتَبَّعَ الآنَقَ الأحسن ، يقال ـ تَأَنَّقَ فى الروضة اذا وقع فيها متتبعا لما يُونِقُهُ أى يعجبه [فى ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون] تلك المواضع الثلاثة [أعذب لفظا] بأن تكون فى غاية البعد عن التَّنَافُرِ والثِّقَلِ (١) [وأحسن سبكا] بأن تكون فى غاية البعد عن التعقيد (٢) والتقديم والتأخير الْمُلْبِسِ ، وأن تكون الألفاظ متقاربة فى الجزالة والمتانة والرِّقَّة وَالسَّلَاسَة ، وتكون المعانى مناسبة لألفاظها من غير أن يكتسى اللفظ الشريف المعنى السخيف أو

والثانى من الاقتباس ، والثالث من العقد ، عقد فيه قول أرسطو : النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان ، والنفس العزيزة يؤثر فيها يسير الكلام ، والرابع من التلميح ، لأنه أشير فيه الى قصة امريء القيس حينما بلغه قتل أبيه ، والخامس من الحل ، لأنه حل فيه قول المتنبي :

فى الْخَدِّ إن عزم الْخَلِيطُ رَحِيلَا مَطَرٌ تزيد به الخدودُ مُحُولَا

(١) وكذلك مخالفة القياس ، وإنما قال ـ فى غاية البعد ـ لأن أصل البعد عن ذلك يرجع الى علم المعاني لا إلى علم البديع (٢) المراد به التعقيد المعنوى ، ولذلك عطف عليه التقديم والتأخير الملبس وهو التعقيد اللفظى .

وَأَصَحّ معنًى . أَحَدُهَا الابْتِدَاءُ كَقَوْلِه :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسَقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

وَكَقَوْلِه :

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الأَيَّامُ

العكس ، بل يصاغان صـــياغة تَنَاسُبٍ وتَلَاؤُمٍ [وأصح معنى] بان يسلم من التناقض والامتناع والابتذال ومخالفة العرف (١) ونحو ذلك [أحدها

الابتداء]

لأنه أول ما يقرع السمع فان كان عَذْبًا حَسَنَ السَّبْكِ صحيح المعنى أقبل السامع على الكلام فَوَعَى جميعه ، وإلا أعرض عنه وإن كان الباقى فى غاية الحسن ، فالابتداء الحسن فى تذكار الأحبة والمنازل [كقوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل (٢)]

السقط مُنْقَطَعُ الرمل حيث يَدِقُّ ، واللوى رمل مُعْوَجٌّ مُلْتَوٍ ، والدخول وحومل موضعان ، والمعنى بين أجزاء الدخول (٣) [و] فى وصف الدار [كقوله :

قصر عليـــه تحية وسلام خلعت عليه جمالها الايام (٤)]

---

(١) أى متعارف البلغاء ، لأن مخالفة ذلك كالغرابة المخلة بالفصاحة أو هي نفسها .

(٢) هو مطلع معلقة امرىء القيس المشهورة ، والشاهد فى الشطر الأول لأنه وقف فيه واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل بلفظ فصيح مسبوك .

(٣) لأن ـ بين ـ لا تدخل إلا على متعدد (٤) هو لأَشْجَعَ السُّلَمِيِّ من شعراء الدولة العباسية ، والرواية ـ نثرت ـ بدل خلعت ، وهو من قصيدة له فى مدح هارون الرشيد .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَجْتَنِبَ فِى الْمَدِيحِ مَا يُتَطَيَّرُ بِهِ كَقَوْلِهِ :

* مَوْعِدُ أَحْبَابِكَ بِالْفُرْقَةِ غَدْ *

وَأَحْسَنُهُ مَا نَاسَبَ الْمَقْصُودَ وَيُسَمَّى بَرَاعَةَ الاسْتِهْلَالِ كَقَوْلِهِ فِى التَّهْنِئَةِ :

* بُشْرَى فَقَدْ أَنْجَزَ الْإِقْبَالُ مَا وَعَدَا *

وَقَوْلِهِ فِى الْمَرْثِيَّةِ :

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلْءِ فِيهَا   حَذَارِ حَذَارِ مِنْ بَطْشِى وَفَتْكِى

خلع عليه أي نزع ثوبه وطرحه عليه [وينبغى أن يجتنب فى المديح ما يتطير به] أى يتشاءم به [كقوله :

موعد أحبابك بالفرقة غد]

مطلع قصيدة لابن مُقَاتِل الضَّرِير (١) أنشدها للدَّاعى الْعَلَوِيِّ فقال له الداعى : موعد أحبابك يا أعمى ، ولك المثل السُّوء [وأحسنه] أى أحسن الابتداء [ماناسب المقصود] بأن يشتمل على إشارة الى ماسِيقَ الكلام لأجله [ويسمى] كَوْنُ الابتداء مناسبا للمقصود .

[براعة الاستهلال]

من – بَرَعَ الرجل اذا فاق أصحابه فى العلم أو غيره [كقوله فى التهنئة :

بشرى فقد أنجز الاقبال ماوعدا] * وكوكب المجد فى أُفْق العلا صَعَدَا

مطلع قصيدة لأبى محمد الخازن يهنىء الصاحب بولد لابنته [وقوله فى المرثية :

هى الدنيا تقول بملء فيها * حذار حذار] أى احْذَرْ [من بطشى] أي أخذى الشديد [وفتكى] أى قتلى فجأة ، مطلع قصيدة لأبى الفرج السَّاوِيِّ يرثى فخر الدولة .

---

(١) هو أحد شعراء الجبال فى الدولة العباسية ، وقصيدته هذه من الرجز أنشدها للداعى إلى الحق العلوى الثائر بِطَبَرِسْتَانَ .

وَثَانِيهَا التَّخَلُّصُ مِمَّا شُبِّبَ الْكَلَامُ بِهِ مِنْ تَشْبِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ إِلَى الْمَقْصُودِ مَعَ رِعَايَةِ الْمُلَاءَمَةِ بَيْنَهُمَا كَقَوْلِهِ :

يَقُولُ فِي قُومَسٍ قَوْمِي وَقَدْ أَخَذَتْ ... مِنَّا السُّرَى وَخُطَا الْمَهْرِيَّةِ الْقُودِ

[وثانيها] أى ثانى المواضع التى ينبغى للمتكلم أن يتأنق فيها .

[التخلص]

أى الخروج [مما شبب الكلام به] أى أُبتدىء وَافْتُتِحَ ، قال الامام الْوَاحِدِيُّ رحمه الله : معنى التشبيب ذكر أيام الشباب واللهو والغزل ، وذلك يكون فى ابتداء قصائد الشعر ، فيسمى ابتداء كل أمر تشبيبا وإن لم يكن فى ذكر الشباب [من تشبيب] أى وَصْف لِلْجَمَال [أو غيره] كالأدب والافتخار والشكاية وغير ذلك [الى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما] أى بين ماشبب به الكلام وبين المقصود ، واحترز بهذا عن الاقتضاب ، وأراد بقوله ـ التخلص ـ معناه اللغوى (١) وإلا فالتخلص فى العرف هو الانتقال مما افْتُتِحَ به الكلام الى المقصود مع رعاية المناسبة ، وإنما ينبغى أن يتأنق فى التخلص لأن السامع يكون مترقبا للانتقال من الافتتاح الى المقصود كيف يكون ، فان كان حسنا متلائم الطرفين حَرَّكَ من نشاطه وأعان على إصْغَاء ما بعده (٢) وإلا فبالعكس ، فالتخلص الحسن [كقوله : يقول فى قومس] اسم موضع [قومى وقد أخذت * منا السرى] أى أَثَّرَ فينا السير بالليل ونقص من قُوَانَا [وخطا المهرية] عطف على السرى لا على المجرور فى ـ منا ـ كما سبق الى بعض الأوهام ، وهى جمع خُطْوَة ، وأراد بالمهرية الابل المنسوبة الى مَهْرَةَ بن حَيْدَانَ أبى قبيلة [القود] أى الطويلة الظهور والأعناق جمع أَقْوَدَ أى أثرت فينا مزاولة السرى ومسايرة المطايا بالْخُطَا ، ومفعول ـ

---

(١) وهو مطلق الخروج والانتقال (٢) أى على استماع السامع له ، فهو من إضافة المصدر للمفعول .

أَمَطْلِعَ الشَّمْسِ تَبْغِى أَنْ تَؤُمَّ بِنَا ۞ فَقُلْتُ كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعَ الجُودِ

وَقَدْ يَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى مَالَا يُلَائِمُهُ وَيُسَمَّى الاقْتِضَابَ ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْعَرَبِ وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْمُخَضْرَمِينَ كَقَوْلِهِ :

لَوْ رَأَى اللهُ أَنَّ فِى الشَّيْبِ خَيْراً ۞ جَاوَرَتْهُ الأَبْرَارُ فِى الْخُلْدِ شِيباً

كُلَّ يَوْمٍ تُبْدِى صُرُوفُ اللَّيَالِى ۞ خُلُقاً مِنْ أَبِى سَعِيدٍ غَرِيباَ

يقول - هو قوله [أمطلع الشمس تبغى] اى تطلب [أن تؤم] أى تقصد [بنا ۞ فقلت كلا] رَدْعٌ للقوم وتنبيه [ولكن مطلع الجود (١)] .

[وقد ينتقل منه] أي مما شبب به الكلام [الى مالا يلائمه ويسمى] ذلك الانتقال

[الاقتضاب]

وهو فى اللغة الاقتطاع والارتجال [وهو] أى الاقتضاب [مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين] بالخاء والضاد المعجمتين أى الذي أدركوا الجاهلية والاسلام ، مثل لَبيد ، قال فى الأساس : ناقة مخضرمة أي جُدِعَ نصف أُذُنِهَا ومنه المخضرم الذي أدرك الجاهلية والاسلام ، كأنما قطع نصفه حيث كان فى الجاهلية [كقوله :

لو رأى الله أن فى الشيب خيرا ۞ جاورته الأبرار فى الخلد شيبا]

جمع أَشْيَبَ وهو حال من الأبرار ، ثم انتقل من هـــذا الكلام الى مالا يلائمه فقال [كل يوم تبدى] أي تظهر [صروف الليالى ۞ خلقا من أبى سعيد غريبا (٢)] ثم كَوْنُ الاقتضاب مذهب العرب والمخضرمين أي دَأْبَهُمْ وطريقتهم لا ينـافى أن يسلكه

---

(١) البيتان لأبى تمام فى مدح عبد الله بن طاهر (٢) أبوسعيد هو محمد بن يوسف ، والبيتان من قصيدة لأبى تمام فى مدحه مطلعها :

مِنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أَلَّا تُجِيبَا ۞ فصوابٌ من مُقْلَتِى أن تَصُوبَا

وَمِنْهُ مَا يَقْرُبُ مِنَ التَّخَلُّصِ كَقَوْلِكَ بَعْدَ حَمْدِ اللهِ ـ أَمَّا بَعْدُ ـ قِيلَ وَهُوَ فَصْلُ الْخِطَابِ ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى ـ هٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ـ

الاسلاميون ويتبعوهم فى ذلك ، فان البيتين المذكورين لأبى تمام وهو من الشعراء الاسلامية فى الدولة العباسية ، وهذا المعنى مع وضوحه قد خفى على بعضهم حتى اعترض على المصنف بأن أبا تمام لم يدرك الجاهلية فكيف يكون من المخضرمين [ومنه] أى من الاقتضاب [ما يقرب من التخلص] فى أنه يَشُوبُهُ شىء من المناسبة [كقولك بعد حمد الله ـ أما بعد] فانه كان كذا وكذا ، فهو اقتضاب من جهة الانتقال من الحمد والثناء الى كلام آخر من غير ملاءمة بينهما ، لكنه يشبه التخلص حيث لم يؤت بالكلام الآخر فجأة من غير قصد الى ارتباط وتعليق بما قبله ، بل قصد نوع من الربط على معنى مهما يكن من شىء بعد الحمد والثناء فانه كان كذا وكذا (١) [قيل وهو] أى قولهم بعد حمد الله ـ أما بعد ـ هو [فصل الخطاب] قال ابن الأثير : والذى أجمع عليه المحققون من علماء البيان أن فصل الخطاب هو ـ أما بعد ـ لأن المتكلم يفتتح كلامه فى كل أمر ذى شأن بذكر الله وتحميده ، فاذا أراد أن يخرج منه الى الغرض المَسُوقِ له فَصَلَ بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله ـ أما بعد ـ وقيل فصل الخطاب معناه الفاصل من الخطاب أى الذى يفصل بين الحق والباطل على أن المصدر بمعنى الفاعل ، وقيل المفصول من الخطاب وهو الذي يَتَبَيَّنُهُ من يُخَاطَبُ به أى يعلمه بيناً لا يلتبس عليه ، فهو بمعنى المفعول [وكقوله تعالى] عَطْفٌ على قوله ـ كقولك بعد حمد الله ـ يعنى من الاقتضاب القريب من التخلص ما يكون بلفظ ـ هذا ـ كما فى قوله تعالى بعد ذكر أهل الجنة [هذا وإن للطاغين لشر مآب] فهو اقتضاب فيه نوع مناسبة وارتباط ، لأن الواو للحال (٢)

---

(١) فأفاد ذلك أن ماوقع بعد الحمد والثناء مرتبط بكل شىء وواقع على وجه اللزوم ادعاء بعدهما (٢) فتفيد مصاحبة مابعدها لما قبلها برعاية اسم الاشارة المتضمن لمعنى أشير وهو عامل الحال .

أَىْ الأَمْرُ هٰذَا أَوْ هٰذَا كَمَا ذُكِرَ ، وَقَوْلِهِ ـ هٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ـ وَمِنْهُ قَوْلُ الْكَاتِبِ ـ هٰذَا بَابٌ .

وَثَالِثُهَا الْانْتِهَاءُ كَقَوْلِهِ :

وَإِنِّى جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِالْمُنَى وَأَنْتَ بِمَا أَمَّلْتُ مِنْكَ جَدِيرُ

ولفظ هذا إما خبر مبتدإ محذوف [اى الأمر هذا] والحال كذا [أو] مبتدأ محذوف الخبر أي [هذا كما ذكر ، و] قد يكون الخبر مذكورا مثل [قوله] بعد ما ذكر جمعا من الأنبياء عليهم السلام وأراد أن يذكر بعد ذلك الجنة وأهلها [هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب] باثبات الخبر أعنى قوله ـ ذكر ـ وهـذا مشعر بأنه فى مثل قوله تعالى (هذا وإن للطاغين) مبتدأ محذوف الخبر ، قال ابن الأثير لفظ ـ هذا ـ فى هـذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل (١) وهو علاقة وَكِيدَةٌ بين الخروج من كلام الى كلام آخر [ومنه] أى من الاقتضاب القريب من التخلص [قول الكاتب] هو مقابل للشاعر عند الانتقال من حديث الى آخر [هذا باب] فان فيه نوع ارتباط حيث لم يبتدىء الحديث الآخر بَغْتَةً .

[وثالثها] أى ثالث المواضع التى ينبغى للمتكلم أن يتأنق فيها .

[الانتهاء]

لأنه آخر مَا يعيه السمع ويرتسم فى النفس ، فان كان حسنا مختارا تلقاه السمع واستلذه حتى جبر ما وقع فيما سبقه من التقصير ، وإلا كان على العكس حتى رُبَّمَا أنساه المحاسن الْمُورَدَةَ فيما سبق ، فالانتهاء الحسن [كقوله : وإنى جدير] أى خليق [إذ بلغتك بالمنى *] أى جدير بالفوز بالأمانى [وأنت بما أملت منك جدير ـ فان تولنى] أى

---

(١) لأن الربط بها على وجه الْحَالِيَّة الحقيقية وهى مطردة ، أما الربط بمثل الْجَوَابِيَّة فى بيتى أبى تمام السابقين فانه لا يخلو عن تَمَحُّلٍ ومخالفة لما فى نفس الأمر .

فَإِنْ تُولِنِي مِنْكَ الجَمِيلَ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَإِنِّي عَاذِرٌ وَشَكُورُ

وَأَحْسَنُهُ مَا آذَنَ بِانْتِهَاءِ الْكَلَامِ كَقَوْلِهِ :

بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ وَهَـذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلُ

وَجَمِيعُ فَوَاتِحِ السُّوَرِ وَخَوَاتِمِهَا وَارِدَةٌ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا

تعطنى [منك الجميل فأهله *] أى فأنت أهل لا عطاء ذلك الجميل [وإلا فانى عاذر] إياك [وشكور (١)] لما صدر عنك من الاصغاء الى المديح أو من العطايا السالفة [وأحسنه] أى أحسن الانتهاء [ما آذن بانتهاء الكلام] حتى لا يبقى للنفس تَشَوُّفٌ الى ما وراءه (٢) [كقوله :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبرية شامل (٣)]

لأن بقاءك سبب لنظام أمرهم وصلاح حالهم ، وهذه المواضع الثلاثة مما يبالغ المتأخرون فى التأنق فيها ، وأما المتقدمون فقد قلت عنايتهم بذلك [وجميع فواتح السور وخواتمها واردة على أحسن الوجوه وأكملها] من البلاغة ، لِمَا فيها من التفنن وأنواع الاشارة وكَوْنِها بين أدعية ووصايا ومواعظ وتحميدات وغير ذلك مما وقع موقعه وأصاب مَحَزَّهُ ، بحيث تقصر عن كُنْهِ وصفه العبارة ، وكيف لا وكلام الله سبحانه وتعالى فى الرتبة العليا من البلاغة ، والغاية القصوى من الفصاحة ، ولَمَّا كان هذا المعنى مما قد يخفى على بعض الأذهان لَمَّا فى بعض الفواتح والخواتم من ذكر الأهوال والأفزاع

---

(١) البيتان لأبى نُوَاسٍ فى مدح الْخَصِيبِ بن عبد الحميد (٢) ويسمى هذا .

براعة المقطع

(٣) قيل إنه لأبى العلاء الْمَعَرِّى ، وقيل إنه للمتنبى ، والذى يؤذن فيه بالانتهاء الدعاء ، لأن العادة جرت على انتهاء الكلام به .

يَظْهَرُ ذَلِكَ بِالتَّأَمُّلِ مَعَ التَّذَكُّرِ لِمَا تَقَدَّمَ .

وأحوال الكفار وأمثال ذلك أشار إلى ازالة هـذا الخفاء بقوله [يظهر ذلك بالتأمل مع التذكر لما تقـدم] من الأصول والقواعد المذكورة فى الفنون الثلاثة التى لا يمكن الاطلاع على تفاصيلها وتفاريعها إلا لعلام الغيوب (١) فانه يظهر بتذكرها أن كُلًّا من ذلك وقع موقعه بالنظر الى مقتضيات الأحوال ، وأن كلا من السور بالنسبة الى المعنى الذى يتضمنه مشتملة على لُطْف الفاتحـة ، ومنطوية على حسن الخاتمة ، ختم الله تعالى لنا بالحسني ، ويَسَّرَ لنا الفوز بالذُّخْرِ الأسنى ، بحق النبي وآله الأكرمين ، والحمد لله رب العالمين .

(١) أما نحن فانما يمكننا الاطلاع على بعضها فقط .

تطبيقات على الابتداء والتخلص والانتهاء :

(١) إن سَالَ من غَرْبِ العيون بحورُ ... فالدهر بَاغٍ والزمانُ غَدُورُ

(٢) إن البخيل مَلُومٌ حيث كان ولٰـ ... كِنَّ الجواد على علاته هَرِمُ

(٣) هَا فانظري أو فَظُنِّي بي تَرَىْ حُرَقَاً ... من لم يَذُقْ طَرَفاً منها فقد وَأَلَا

عَلَّ الأمير يرى ذُلِّي فيشفعَ لي ... إلى التى تركتني فى الهوى مَثَلَا

فى الأول براعة المطلع لايذانه بما سيق الكلام لأجله من الرثاء ، وفى الثانى حسن التخلص لما فيه من رعاية الملاءمة فى الخروج الى المقصود ، وفى الثالث قبح التخلص لأنه تمنى فيه أن يكون الأمير قوادا له .

أمثلة أخرى :

(١) فَدَعْ ذا وسَلِّ الْهَمَّ عنك بجَسْرَةٍ ... ذَمُولٍ إذا صام النهارُ وهَجَّرَا

(٢) وبَدَا الصباحُ كأنَّ غُرَّتَهُ ... وَجْهُ الخليفة حين يُمْتَـدَحُ

(٣) عليك سلامٌ نَشْرُهُ كُلَّمَا بَدَا ... به يَتَغَالَى الطِّيبُ والمِسْكُ يُخْتَمُ

﴿ تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه ﴾

فهرس

الجزء الثانى: علم البيان - والبديع

علم البديع

﴿ تم بعون الله وحسن توفيقه ﴾